سينثيا سوانسن

CYNTHIA SWANSON

بائعة الكتب

THE BOOKSELLER

ترجمة

سمر الشيشكلي

مكتبة | 279

رواية

ترجمت إلى
16 لغة عالمية
وتحولت إلى فيلم
سينمائي من بطولة
جوليا روبرتس

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

بائعة الكتب

THE BOOKSELLER

للحصول على كتبنا قبل الجميع
بروابط تحميل مباشرة
تابعونا
على فيسبوك
مكتبة الرمحي أحمد
facebook.com/ktabpdf
على تيليجرام
telegram @ktabpdf

مكتبة

إن هذا العمل الروائي، بشخصياته وحواراته وأحداثه من نسج خيال المؤلف، ولا يمت للواقع بصلة وأي تشابه في الأحداث أو الشخصيات، سواء أكانوا أحياءً أم أموات، هو من قبيل الصدفة البحتة.

مكتبة

سينثيا سوانسن

CYNTHIA SWANSON

بائعة الكتب

THE BOOKSELLER

رواية

ترجمة

سمر الشيشكلي

مراجعة وتحرير

مركز التعريب والبرمجة

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي

THE BOOKSELLER

حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من الناشر

HARPER an imprint of HarperCollins*Publishers*

بمقتضى الاتفاق الخطي الموقّع بينه وبين الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.

Copyright © 2015 by Cynthia Swanson

All rights reserved

Arabic Copyright © 2017 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: شباط/فبراير 2018 م - 1439 هـ

ردمك 978-614-01-2457-8

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم

هاتف: 786233 – 785108 – 785107 (1–961+)

ص.ب: 13-5574 شوران – بيروت 2050–1102 – لبنان

فاكس: 786230 (1–961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb

الموقع على شبكة الإنترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic

twitter.com/ASPArabic

www.aspbooks.com

asparabic

مكتبة

الإهـــداء

إلى والديَّ، دينيس وأودري فيشر،

مع كل الحب والامتنان

مكتبة

مكتبة

«عبارة مقتبسة».

«لتشق، في هذه اللحظة، بسعادة وثراء حياتك. إنها حقيقية وهي ملكك، تماما مثل أي شيء في حياتك».

«كاثرين آن بورتر»

– من رسائل كاثرين آن بورتر –

مكتبة

مكتبة

الفصل الأول

إنها ليست غرفة نومي!

أين أنا؟ كنت أجاهد لاهثةً وأنا أسحب غطاء السرير غير المألوف إلى مستوى ذقني، كي أستجمع حواسي، ولكن لم أتذكر أي شيء يوضّح لي أين أنا.

آخر شيء تذكرته، كان مساء الأربعاء، كنت أطلي غرفة نومي بلون أصفرٍ فاقع مشرق. وكانت فريدا، التي عرضت علي المساعدة، تقيِّم اختياري للون: "لون ساطع جداً بالنسبة إلى غرفة نوم"، ثم قالت بنبرتها الخاصة، نبرة الآنسة العارفة بكل الأمور: "كيف ستنامين، في الأيام الكئيبة، في غرفة كهذه"؟

غمّست فرشاتي في دلو الطلاء، ورفعتها ثم مسحت الفائض منه بعناية، وصعدت درجات السلّم. قلت لفريدا وأنا أنحني من فوق درابزين السلّم، وقد بدأت أتجاوز إطار النافذة الطويلة الضيقة: "تلك هي المسألة كلها"

أما كان حرياً بي أن أتذكر ماحدث بعدها؟

يا للغرابة! لايمكنني ذلك. لا أستطيع أن أتذكر أنني قضيت الأمسية وأنا أقوم بالطلاء، ثم أقف بعيداً لأبدي إعجابي بعملنا، قبل أن ننظف المكان. ولا أتذكر شكري لفريدا على مساعدتها، ولا تحيتي لها عند مغادرتها. ولا أتذكر ذهابي للنوم في الغرفة المطلية بلون الشمس الساطعة، ولا رائحة الطلاء الحديثة، الحادّة، وهي تملأ خياشيمي. ولكن لاشك أني قمت بكل ذلك، لأنني أستلقي هنا، ونظراً إلى أن (هنا) هو ليس بيتي، فمن الواضح أني مازلت نائمة. *مكتبة الرمحي أحمد*

مكتبة

"ومع ذلك، فحلمي هذا ليس من الأحلام التي أحلم بها عادة، فمغامراتي الليلية أكثر ميلا للخيال، تأخذ الإنسان إلى ماوراء المكان والزمان. وخَلَصْتُ إلى أن سبب ذلك هو قراءاتي الكثيرة.

أتراني قرأت رواية "شيء شرير يأتي من هذا الطريق"؟ التي وصلت، للتو، إلى رفوف المكتبات، في حزيران المنصرم، ويُتَوَقَّع لها أن تكون واحدة من أكثر الكتب مبيعاً لعام 1962.

"راي برادبري" كاتب متألق، وقرّاؤه كُثُر بشكل يدعو للإعجاب. أعرض الرواية بإصرار على كل من يدخل المكتبة، التي أملكها أنا وفريدا، باحثا عن شيء مثيرٍ آسر، وأؤكد له: "هذه الرواية لن تفارق أحلامك". تحققت النبوءة من تلقاء ذاتها: حلمت، في الليلة ماقبل الماضية، بأني كنت أمشي متعثرة خلف "ويل هولوويه" و"جيم نايت شيد"، البطلين الشابين في رواية "برادبري"، وهما يمشيان، يشدهما إغراء وصول الكرنفال إلى المدينة الخضراء عند منتصف الليل. كنت أحاول إقناعهما بأن يتقدما بحذر، ولكنهما – ببساطة – تجاهلاني، ولا عجب، فهما شابان في الثلاثين من العمر. أتذكر كم كان صعباً مجاراتهما في المشي، وكم كان صعباً أن أجعل قدميَّ تتحركان بشكل صحيح.

تحرك "ويل و"جيم" في العتم، بعيداً، إلى أن أصبحا كنقطتين سوداوين في الأفق، ثم تلاشيا تماماً. كل ما استطعت فعله هو أن أغضب من شدة شعوري بالإحباط.

ها أنت ترى أني لست من النساء اللواتي يحلمْن بشيء، على نحو مباشر، مثل الاستيقاظ في غرفة نوم شخص آخر.

غرفة النوم تلك، التي في الحلم، أكبر قليلاً وأكثر فخامة من غرفة نومي الحقيقية. جدرانها بلون أخضر باهت[1]، ولاشيء يشبه اللون الأصفر، الفاقع الذي اخترته للبيت. يبدو الأثاث عصريا ومنسجما. غطاء السرير المصنوع من قماش الكتان (اللينو)، المطوي بعناية عند قسمه الأسفل، يلف جسدي

(1) مثل لون نبات الميرمية

مكتبة

بنعومةٍ وتبهجني طريقة ضمه الأنثوية.

انزلق تحت الأغطية ثم أغمض عينيّ.

لو واصلت إغماض عيني فسأجد نفسي أصطاد الحيتان في المحيط الهادي، وأنا أرتدي ملابس قذرة، وأعب الويسكي بنهم، مع الرفاق، على سفينتي.

أو سأرى نفسي أطير عالياً فوق لاس فيجاس، وشعري يطير ورائي مع الريح، ويغطي وجهي، وذراعاي تحولتا إلى جناحين هائلين.

ولكن لم يحدث شيء من هذا القبيل. سمعت عوضاً عن ذلك، صوت رجلٍ يقول:

"استيقظي كاثرين، حبيبتي، استيقظي

أفتح عينيّ على أعمق زرقة عينين رأيتها في حياتي، ثم أغمضهما مرة أخرى. أشعر بيد تحطُّ على كتفي العاري، لا يكسوه إلا الشريط الرفيع لقميص نومي المصنوع من الساتان. لقد مضى وقت طويل على آخر مرة لمسني فيها رجل، بشكل حميمي. من المشاعر، لايمكن أن نخطأ بشأنها، وتبقى حية رغم تكرارها في حياتنا.

كان عليَّ أن أفزع. تلك هي الاستجابة الملائمة، أليس كذلك؟ حتى وإن كانت المرأة تغط في النوم، لابد أن تفزعها يد رجل غريب تحطُّ على جسدها العاري. يا للغرابة! لم يحدث ذلك إنني أجد لمسة هذا الرجل الخيالي ممتعة، تماماً. طريقة إمساكه بكتفي كانت رقيقة، ولكنها مُحكمة؛ تلتف أصابعه حول أعلى ساعدي، ويداعب إبهامه جلدي بلطف. أُغمض عينيَّ وأنا أستمتع بالإحساس بها.

"كاثرين،من فضلك حبيبتي. آسف لأني أوقظك، لكن حرارة ميسي مرتفعة....إنها تريدك. أرجوك، لابد أن تستيقظي

أفكر في تلك المعلومة وأنا مغمضة العينين. أتساءل من هي ميسي؟ ولماذا يجب أن يكون ارتفاع حرارتها شأن يخصني؟ ماعلاقتي بذلك؟

مكتبة

تُستَبَدَلُ أفكاري بكلمات الأغنية التي كانت تبث على المذياع، بتلك الطريقة المتشابكة، غير المترابطة التي تجري بها الأحداث في الأحلام. تلك الأغنية التي كانت رائجةً قبل بضع سنوات. يمكنني سماع اللحن، رغم أنني متأكدة من عدم معرفتي لكلماتها الصحيحة، لقد غنته "روزماري كلوني"، كأنه شيء ما عن رؤية النجوم في عينيّ أحدهم: إنه شيء ما عن عدم السماح للحب بتحويل المرء إلى أحمق. الفكرة تجعلني ابتسم؛ الواضح أنني،هنا، على أعلى درجة من درجات الحماقة يمكن أن تراها في إنسان. أفتح عيني وأجلس في السرير. للأسف، يتسبب انتقالي إلى تلك الوضعية، أن يرفع الرجلُ ذو العينين الزرقاوين يده عن كتفي.

أسأله: "من أنت"؟ "أين أنا"؟

يبادلني النظرة الحيرى المتسائلة. "كاثرين، هل أنت على ما يرام؟"

اسمي في السجلات الرسمية ليس كاثرين. إنه كيتي.

حسناً، إنه – بالفعل – كاثرين، لكنني لا آبه إطلاقاً بالاسم الذي أُطلق عليّ. لطالما شعرت أنه اسم رسمي جداً.

(كاثرين) لاينساب هذا الاسم على اللسان، مثلما يفعل اسم (كيتي). وبما أن والديّ وهباني اسماً يمكن أن يكون عادياً، لولا تهجئته الإملائية غير العادية، إنه أمر متعب، أن أضطر إلى التوضيح كلما طلب مني تهجئته.

أقول لصاحب العينين الزرقاوين "أعتقد أنني بخير، لكن ليس لدي فكرة من تكون، أو أين أنا،.... آسفة!"

يبتسم، وتلمع عيناه الجميلتان مع ابتسامته. ماعدا ذلك تبدو هيئته عادية إلى حد ما؛ قوامه معتدل، مع قليل من الدهون الزائدة حول الخصر (مانسميه زنار الحب)،شعره خفيف بلون الصدأ، وقد بدأ يميل إلى الرمادي قليلاً. أخمن أنه في حوالي الأربعين من العمر، أكبر مني ببضع سنوات. استنشق عبير عطر صابون برائحة الحراج الجبلية، وكأنه حلق ذقنه وأخذ حماماً لتوه. تنبعث منه رائحة شهية. شعرت وكأن قلبي قد فوّت القيام بواحدة من نبضاته. يا إلهي!

مكتبة

هل يمكن لهذا الحلم أن يصبح أكثر عبثيةً؟

قال: "لابد وأنك غرقت في نوم عميق، حبيبتي. أنت تعرفين من أنا. إنني زوجك، وأنت في غرفة نومك، في بيتنا". وأجرى مسحاً بذراعه لأرجاء الغرفة وكأنه يبرهن على كلامه. "في هذه اللحظة، ابنتنا، التي اسمها ميسي، في حال نسيتِ ما اسمها، تعاني من الحمى، وهي بحاجة إلى أمها". يرفع يده ويمدها إليَّ. وتنزلق يدي في يده، بحركة غريزية، يتوسل إلي: "حسناً، أرجوكِ كاثرين"

أقطب جبيني: "آسفة، قلت إنك...

يتنهد: "زوجك، كاثرين، أنا زوجك، لارس

لارس؟ يا له من اسم فريد! لا أستطيع أن أذكر أني قابلت شخصاً يدعى لارس، على الإطلاق. أرسم على وجهي شبح ابتسامة، وأنا أفكر بدماغي (الـ "أوهسو"[1]) المبدع في تخيلاته. ألم يكن بإمكاني أن استحضر اسماً مثل هاري، أو إيد أو بيل. لا يا أعزائي، لقد اختلق عقلي زوجاً اسمه لارس.

أقول: "حسناً"، "فقط اسمح لي بدقيقة".

يضغط كفيّ بين كفيه ثم يطلقها، ثم ينحنى فوقي ليقبل خدي: "سننتظرك، وسأقيس حرارتها أثناء ذلك".

ينهض ويغادر الغرفة. أغمض عينيّ مرة أخرى. الآن، سينتقل الحلم بالتأكيد، لكني عندما أفتح عينيّ، أجدني ما أزال في غرفة النوم الخضراء.

ليس أمامي أي بديل آخر، لذلك أنهض، وأعبر الغرفة التي لها نوافذ علوية وقد وضع السرير تحت تلك النوافذ، والباب الزجاجي الجرّار، الذي يبدو للناظر وكأنه سيفضي إلى فناء ما، والحمام المُلحق به. أستنتج: أن هذه الغرفة – إن كانت حقيقية – لابد أن تكون جزءاً من بيت عصري، أكثر حداثةً، وربما،أكبر من الشقة ذات الطابقين وغرفة النوم الواحدة،التي استأجرتها في فترة العشرينيات في حي بلات بارك، في دنفر.

أُلقي نظرة خاطفة على الحمام   التجهيزات باللون الأخضر الفاتح

---

(1) Oh So شركة للإبداع الفني والمعماري

مكتبة

المضيء مع إكسسوارات من الكروم، ومرآة الزينة الطويلة ذات الحوضين فوق منضدة الزينة التي صنعت من الفورميكا البيضاء، والمرقوشة باللون الذهبي. تتألف مرآة الزينة من خزائن من الخشب الفاتح يستدق على شكل المغزل باتجاه الأسفل. الأرضية مكسوة ببلاط بلون النعناع الأخضر الطازج، مع اللونين الوردي والأبيض. ليس لدي فكرة إن كنت مازلت في دينفر، لكن هذه، إن كان هذا صحيحاً، ليست منطقة (بلات بارك) العتيقة، لم يُشيدَ فيها أي شيء جديد، منذ ماقبل الحرب.

أتفحص نفسي في مرآة الزينة وأنا أتوقع، تقريباً، أن أرى شخصاً مختلفاً تماماً– ترى، من يعرف من هي كاثرين هذه؟

ولكني أبدو كما أنا تماماً: قصيرة، مكتنزة الجسم، شعر أشقر مائل إلى لون الفراولة، كثيف، أشعث،أجعد كله (مهما كان عدد المرات التي أغسله وأزينه فيها) ماعدا بعض الخصل التي تنزل منه على جبهتي. أتخلله بأصابعي، فألاحظ أن على البنصر، في كفي الأيسر، خاتم زواجٍ ذهبيٍ عريض، عليه فصوص ألماس متلألئة. حسناً، أعتقد أنه أمر طبيعي. يا للإيجابية التي عمل فيها عقلي على اختلاق زوج يستطيع تقديم حجر بحجم رائع!

أجد، عند بحثي قي الخزانة، ثوب استحمام بلون أزرق بحري يناسب مقاسي تماماً. أرتديه، وألفّ حزامه حول خصري، أعبر الرواق في طريقي، وأنا أبحث عن (غريب الاسم) الذي يدعى لارس، وابنته التي ليست على مايرام.

على الجدار، أمامي مباشرةً، صورة فوتوغرافية كبيرة، من الواضح أنها علقت بتلك الوضعية حتى تصبح رؤيتها ممكنة من داخل غرفة النوم. تُظهرُ الصورة مشهد جبل ما، والشمس تغرق في الأفق، الإضاءة الخلفية للقمم تتدرج بظلال اللونين الوردي والذهبي. وترتفع أشجار البونديروسا الصنوبرية على طول الصورة في الجهة اليسارية منها. عشت في كولورادو حياتي كلها، ومع ذلك ليست لدي فكرة أين يمكن أن يكون هذا المكان، أو حتى إن كانت تلك هي جبال روكي.

مكتبة

تطوقني ذراعان من خصري من جانبي الأيمن، وأنا أحاول فك شيفرة هذا اللغز. أبذل جهداً لكي أستعيد توازني ولا أقلب إلى الوراء.

(أووتش) انطلقت مني، وأنا ألتفت: "لاتفعل ذلك. تذكّر بأن عليك الاعتناء بنفسك بشكل كامل، كبرت الآن: أنت أكبر بكثير من أن تتكل على الآخرين، وتتوقع منهم أن يساعدوك".

ماذا يحدث في العالم؟ من هي تلك المرأة التي تقول مثل هذه الأشياء؟ لايمكن أن تكون أنا. لاتبدو هذه الكلمات مشابهة لأي شيء يمكن أن أتفوه به ، أو حتى يمكن أن أفكر فيه، على الإطلاق.

صبي صغير يتطلّع إلي. له نفس عيني لارس، عميقتي الزرقة، وحلاقة الشعر القصيرة، التي لم تمنع انحدارَ خصلة شعرٍ شقراء، ميالة إلى اللون الأحمر، فوق حاجبه. يبدو بوجهه الذي بلون القشدة مع الدراق، المغسول بشكل جيد ونظيف، مناسباً لإعلان عن الحليب أو المثلجات. أجل، إنه لطيف، وأشعر، وأنا أنظر إليه، بأن قلبي يذوب.

يفلتني ويقول بأنه آسف. يقول "ماما، اشتقت إليك فقط، فأنا لم أرك منذ البارحة" أصمت، ثم ابتسم للصبي وأنا أذكّر نفسي بأنني – بعد كل هذا – نائمة. أنحني ثم أضغط على كتفه. إنني أمضي في هذا الحلم الآن. ولمَ لا؟ هو إلى الآن مكان لطيف.

أقول وأنا أمسك بيد الصبي البضة الممتلئة: "خذني إلى والدك وإلى ميسي

ننزل إلى القاعة، ثم نصعد إلى منتصف قسم الدرج. في الأعلى كانت غرفة نوم الفتاة: جدران بلون القرنفل الزهري، سرير خشبي أبيض صغير، وخزانة كتب منخفضة مملوءة بكتب مصورة، ودمى محشوة، على أشكال الحيوانات.

يجلس في السرير صبي آخر ملائكي، هو نسخة أنثوية عن الولد الذي يمسك يدي. إنه في حجم الصبي الأول. أنا فاشلة جداً في اكتشاف أعمار

مكتبة

الأولاد، لكني أستطيع أن أتكهن أنهما في حوالي الخامسة أو السادسة من العمر، أهما توأمان؟

يقول الصبي الملائكي الأول، وهو يتسلق السرير "ماما هنا! ميسي، ماما هنا وأنت ستكونين بخير

تئن ميسي، فأجلس إلى جانبها وألمس جبينها، تظهرُ حرارتها المرتفعة مدى الألم الذي تعانيه. أسألها بحنان: "مالذي يؤلمك"؟

تميل نحوي وتقول: "كل شيء، ماما، خاصة رأسي

"هل قاسَ والدك حرارتك بميزان الحرارة"؟

لا أستطيع أن أصدق! تخرج كلمات وتصرفات الأمومة تلك، مني بسهولة، أشعر كأني أم محترفة قديمة.

"أجل، إنه يغسل ميزام الحرارة".

"ميزان الحرارة". يصحح لها الصبي المشاغب ميتش: "إنه ميزان الحرارة، لا ميزام الحرارة".

حدَّجتُه بنظرة: "اهتم بشؤونك أنت، ميتش

يظهر لارس عند المدخل. ويشير إلى أن الحرارة هي 101.6.

لست متأكدة مما يعنيه ذلك. أوه، أعلم أنها تعني، أن درجة حرارتها هي بالفهرنهايت. ولكني لا أعرف كيف سيترجم هذا من جهة تناول الدواء، والراحة في الفراش، والبقاء في المنزل وعدم الذهاب إلى المدرسة، فليس لدي أولاد، أنا لست أماً.

لا أقصد أن أوحي بأنني لم أكن أريد الأطفال. بل على العكس تماما، كنت واحدة من الفتيات الصغيرات اللواتي أحببن الدمى التي تمثل أطفالاً؛ الفتيات اللواتي يمثّلن بأنهن يرضعن الأطفال (الدمى) من زجاجات الحليب، ويغيّرن حفاضاتهم، ويدفعن بعرباتهم الصغيرة في الأرجاء، عربات صغيرة بحجم الدمية.

"طفل واحد فقط"، توسلت إلى والديَّ من أجل أن يمنحاني أخاً، لا

مكتبة

لأنني أردت أن أكون شقيقة كبرى، بل لأنني أردت أن أكون أماً صغيرة لطفل.

اعتقدت، لفترة طويلة، أنني سأتزوج من كيفن، وظل هذا التصور ثابتاً خلال الكلية. غادر كيفين إلى ساحة الأحداث في المحيط الهادئ، عام 1943، مع كل الشباب الآخرين الذين لم يذهبوا بالفعل، من قبل.

بقيت مخلصة له (الفتيات كُنَّ يفعلن ذلك في تلك الأيام، أيَ أن يبقينَ وفيّات). تبادلت الرسائل مع كيفن، رسالة بعد رسالة، وأرسلت له طروداً للمستلزمات، من البسكويت، والجوارب، وصابون الحلاقة. كنا، في بيت الطالبات، نثبت على الخريطة دبوساً على منطقة جنوب المحيط الهادئ، علامةً على منطقة تقدم جنودنا الشباب في رحلتهم. كنا – نحن الفتيات – نقول فيما بيننا: "الانتظار صعب، لكن الأمر يستحق الانتظار، فعندما يعودون إلى الوطن...."، وكنا نغطي وجوهنا بمناديلنا ونجهش بالبكاء عندما يصلنا خبر عدم عودة أحد الشباب، لكننا كنا نشكر الله ونحمده، كلٌ منّا في سرها، على أنه هذه المرة لم يكن الشاب الذي يخصها.

ارتحت راحة عظيمة' أن عاد كيفن سليماً من الحرب. ظاهرياً، لم يكن يبدو عليه أي تغيير، بل كان متشوقاً، ومتحمساً لمتابعة دراسته طالباً في السنة الإعدادية في كلية الطب، ولتحقيق هدفه في أن يصبح طبيبا. واظبنا على المواعدة، لكنه لم يعرض علي الزواج أبداً. كنا نُدعى إلى حضور حفل زفاف بعد الآخر، وكان الجميع يسألنا متى سيأتي دورنا. وكنت أجيب: "آه، يوماً ما، كما تعلمون!"، وكنت ألوِّنُ نبرة صوتي ببهجةٍ مبالغٍ فيها، أما كيفن، فكان ببساطة، يغير الموضوع كلما تم طرحه أمامه.

مرت السنوات، سنة بعد سنة، وأنهى كيفن دراسته في كلية الطب، ثمَّ بدأ بمرحلة الطبيب المقيم، وعملت أنا مدرسة للصف الخامس. ولكن تلك العلاقة، وخلال كل السنوات التي امتدت فيها، لم تشهد تطوراً. كانت كلُّ سنةٍ فيها تمضي هامدة، ساكنة، مثل التي قبلها.

وأخيراً، عرفت أنه لم يعد بإمكاني إبطال مفعول العد التنازلي. قلت

مكتبة

لكيفن أن علاقتنا قد انتهت بالنسبة إلي، إن لم يكن يريد أن يجعلها علاقة دائمة. تنهد بشدة، وقال: "هذا هو الأفضل، على الارجح."وكانت قبلته عند وداعه لي، قبلة مختصرة، سريعة، وفاترة.

بعد مرور عام، سمعت أنه تزوج من ممرضة كانت تعمل في المشفى نفسها التي كان يعمل فيها.

حسناً، من الواضح في عالم الأحلام هذا، أن نبذ كيفن القاسي لي لم يشكّل أية أهمية، على الإطلاق، على تلك السنوات المهدورة من عمري في هذا العالم. سحبت نفسي إلى تصور أنني الرابحة على طول الخط. بإمكاني سماع أخواتي من نادي كُليتُنا يهنئّنني على هذا: عظيم جداً، برافو كيتي.

تهاجمني الفكرة بعبثية سخيفة، فأكبتُ ضحكة تكاد تفلت مني. ثم أضع يدي على فمي، وأنا أشعر بالخجل. هذا حلم، ومع ذلك، يوجد طفل مريض هنا. علي أن أتصرف بشكل مناسب. عليَّ أن أكون قلقةً بشكل أمومي مناسب. أبحث عن سرير ميسي، تلتقي عيناي بعيني لارس. يحدق بي بإعجاب. هل يعقل أني أقرأ عينيه،بشكل صحيح؟ هل هي الرغبة؟ هل ينظر المتزوّجون، بعضهم إلى البعض الآخر، بهذه الطريقة، بالفعل؟ حتى مع وجود طفل يعاني من الحمى؟

يسألني لارس: "ما رأيكِ"؟ ثم يتابع: "كاثرين، إنك تعرفين دائماً ما الذي يجب فعله عندما تحدث هذه الأمور!"

هل أفعل ذلك؟ هذا الحلم، كم هو مثير للاهتمام. ألقي نظرة خارج النافذة. إنه صباح شتوي، على ما يبدو: زجاج النافذة مكسوّ بالجليد، والثلج يتساقط بخفة.

فجأة، بعد ذلك رغم أني لا أستطيع تفسير السبب أجد أنني أعرف تماماً ما يجب عليَّ القيام به. أنهض وأمشي عبر القاعة، إلى الحمام. أعرف – بالضبط – على أي رف في خزانة الأدوية، سأجد زجاجة "أسبيرين" الأطفال البلاستيكية.. أسحب كوباً ورقياً من حامل الأواني المعلّق على الحائط،

مكتبة

وأملؤه بقليل من الماء البارد. أفتح خزانة المناشف المصنوعة من القطن في الحمام، وأتناول منشفة للوجه، وأضعها تحت صنبور الماء البارد، ثم أعصرها. أمشي إلى غرفة ميسي بتصميم وعزم، وأنا أحمل زجاجة الدواء، ومنشفة الوجه، والكأس. أضع المنشفة الباردة على جبينها، أضغطها بلطف على جلدها الساخن. أناولها حبَّتَي الأسبرين، تبتلعهما بمنتهى الالتزام، وتُتْبعهما بالماء لتسهل ابتلاعهما. تبتسم في وجهي بامتنان، ثم ترجع برأسها إلى الوراء على وسادتها.

"دعنا نتركها لترتاح الآن". وأقوم بتسوية وضع ميسي تحت الأغطية، ثم أذهب وأحضر عدة كتب مصورة من فوق رف مكتبتها. وتبدأ بتصفح كتاب "انقاذ مادلين"– أحد كتب سلسلة الأطفال الممتعة التي ألفها (لودفيغ بيملمانز) عن فتاة في مدرسة داخلية اسمها مادلين هي، ورفيقاتها الإحدى عشرة يقفن في طابورين مستقيمين أمام المنزل الذي تعرِشُ عليه عرائش العنب – تتبع أصابع ميسي الكلمات في كل صفحة، وهي تقرأها بصوت أجش يخرج من عمق حنجرتها.

يتقدم لارس فيتناول يدي، ونبتسم معاً لابنتنا، وابننا الرائع إلى جانبنا، ثم نغادر الغرفة بهدوء.

ثم ينتهي الحلم فجأة، مثلما بدأ، ويرنّ منبه الساعة الذي إلى جانب السرير رنيناً حادّاً، فأمدّ يدي إليه وأضغط زر المنبه. ثم أفتح عينيّ: الغرفة صفراء، وأنا في البيت.

مكتبة

مكتبة

الفصل الثاني

أقول لنفسي. "يا إلهي، إنه الحلم ذاته، تماماً". أنتصب جالسة في سريري، أصلان، "قِطْيَّ" الأصفرِ المبرقع، يلتف على نفسه إلى جانبي، يهر بنعومةٍ واستسلام، ينظر بعينين نصف مغمضتين، لقد سميته على اسم الأسد في رواية سي. إس. لويس (الأسد والساحرة وخزانة الملابس) – ذاك الكتاب الاستثنائي الرائع، خاصة لمن يعشق قصص الأطفال الخيالية. أقرأ كل روايات "نارنينا "ما إن تصدر. قمت بقراءة السلسلة، بأكملها، ست مرات، على الأقل، منذ صدورها.

نظرت في أرجاء غرفة نومي: النوافذ عارية، مجردة من الستائر، وليس هناك مصاريع لصد الشمس. ومايزال هناك شريط لاصق مؤقت، على الإطار الخشبي للنوافذ. سريري وخزانة الملابس، هما قطعتا الأثاث الوحيدتين في الغرفة؛ قبل أن أبدأ بالطلاء البارحة نقلت، بمساعدة فريدا، منضدة الكتابة وخزانتي (خزانة المتزوجة) إلى غرفة المعيشة، لكي أوفر مساحة وأحميها في الوقت نفسه من الطلاء المتناثر. ملأت رائحة الطلاء الغرفة، لكن اللون رائع مدهش. إنه لون الشمس الأصلي في يومٍ مشرق، وهو اللون الذي تمنيته أن يكون بالفعل. أنهض وأسوّي ردائي، وأخطو بخفة وحذر، على الأرضية المغطاة بورق الجرائد. أتجه إلى المطبخ لعمل القهوة. توقفت لأشغِّل المذياع الموجود على أحد أرفف الكتب ذات الخدوش العديدة، المصطفة في غرفة المعيشة، والتي اشتريتها من سوق الأدوات المستعملة، السوق الذي يفيض بالكتب والمجلات. أدير زر الصوت لأرفعه، ثم لأضبط الموجة على محطة

مكتبة

(كي آي إم إن). إنهم يبثون أغنية (تشيري) لفرقة الفصول الأربعة، والتي أسمعها في الراديو هذا الأسبوع، باستمرار، أراهن أنها ستتصدر القائمة في لوحة الإعلانات نهاية هذا الأسبوع.

أضع غلّاية القهوة الخاصة بي، تحت الصنبور، في المطبخ، أملؤها بالماء، ثم أسحب العلبة المعدنية (لقهوة الساعة الثامنة) من الخزانة العلوية، وأبدأ بوضع عيار البنّ في التجويف العلوي للدلّة المصنوعة من الستانلس ستيل.

أغنية"...الليلة في الخارج.". أردّد مع صوت المغنية بصوت هامس لا يكاد يسمع وهي تتلاشى عبر المذياع، قال مشغل الأسطوانة في الإذاعة: "والآن،إليكم أغنية قديمة محبوبة، هل هناك من يتذكر هذه الأغنية"؟

تتجمد يداي عندما تبدأ الأغنية التالية، وتبقى رؤوس أصابعي الممسكة بمغرفة القهوة الصغيرة تحوم في وسط الهواء فوق الغلّاية، ويصدح صوت "روز ماري كلوني في فضاء بيتي ذي الطابقين.

"الآن إنه غريب ومخيف تماماً" قلت هذا لأصلان الذي كان يتبختر داخلاً إلى البيت، ليتبين فيما لو تم وضع الحليب في صحنه على الأرض. أفرغُ من وضع البنّ، وأشغل الغلّاية.

يعود تاريخ الأغنية (أتذكّر الآن أنها بعنوان "هي هناك") إلى ما قبل سبع أو ثماني سنوات على الأقل. لا أتذكر في أي سنة، بالضبط، كانت رائجة جداً، ولكني أتذكر فعلاً أني كنت غالباً ما أدمدمها في تلك الأيام. لم أفكر في تلك الأغنية منذ دهر، إلى أن سمعتها تتردد الليلة الماضية، في رأسي، وفي أحلامي.

أستذكر عينيَّ رجل أحلامي، هما زرقاوان، وتنطويان على نظرة حادّة، مثل صورة للماء على بطاقة بريدية، أُرسلتْ من موقع غرائبي. أتذكر أنه عليَّ أن أرتعب، ولكني لم أرتعب! أتراني نظرت إليه بعينين حالمتين؟

لا أظن أن هناك من يتمكن من التأكيد على أني قد فعلت. حسناً، وكيف أتمكّن من ألا أفعل؟ يا للطريقة التي حدّق فيها في عينيّ! نظر إلي وكأنني

مكتبة

كنت كلَّ شيء بالنسبة إليه، بل كما لو أني كنت كل العالم. كانت هذه الواقعة، بالنسبة إليّ، شيءٌ غرائبيٌ، لم يسبق أن نظر إليّ أحدهم هكذا، ولا حتى كيفن. ثم يا للطريقة التي تحدث بها لارس! "كاثرين، حبيبتي، استيقظي. لابد أنك استغرقت في النوم..... أنت تعرفين ماينبغي عمله دائماً، حبيبتي، كاثرين".

مرت فترة بسيطةً في الماضي كنت أسمي نفسي "كاثرين"؛ تدليعاً. كان ذلك، تحديداً، في حوالي الوقت الذي افتتحنا(فريدا وأنا) محل بيع الكتب. شعرت، مع مهنة جديدة، ومع عقدٍ جديد من العمر، أنه لابد من القيام بتغيير جذري، فقد بلغت الثلاثين قبل بضعة شهور. وعلى الرغم من نفوري عموما من اسم كاثرين، فهو ثقيل وغير عملي، إلا أنني - ربما - لم أجد طريقة أفضل لتحقيق تغيير كبير في شخصيتي غير تبديل اسمي. وقد استغرق مني هذا تفكيراً مطولاً، لم أحتج سوى أن أعتاد عليه، فقط.

وهكذا، شحذت همتي لأمضي قدماً، وحَمَلت كل قرطاسيتي اسم" كاثرين ميللر "مطبوعاً عليها. وطلبت من فريدا وأصدقائي الآخرين أن ينادوني باسم "كاثرين". قلت إن اسمي "كاثرين"،عند تقديم نفسي إلى الزبائن، وإلى أصحاب المحلات الأخرى، عند التعرف إليهم، لأول مرة في مبنى محلاتنا، في شارع اللؤلؤة.

حتى أني طلبت من والديَّ استخدام اسم ميلادي، الأمر الذي فعلاه على مضض. لقد كانا دائماً متساهلين معي، بل ومدللين لي. أما بالنسبة إلى فريدا، فلم يكن الأمر سهلاً، كانت تقول: "كيتي اسم مناسب لك، لماذا التغيير"؟

رفعت أكتافي بلامبالاة، وقلت: ربّما، لأن الوقت قد حان كي أنضج. حتى أني استخدمت الاسم عند تقديم نفسي لأي شخص أشعر أنه من المحتمل أن يتقدم بطلب يدي.

شعرت بالتحسن، بداية منعشة، فرصة لأن أكون شخصاً جديداً، نوعاً ما، شخصاً أكثر حنكةً، وأكثر خبرةً.

لم يحدث شيء مع أي من أولئك الشبان، موعد عشوائي هنا، وآخر

مكتبة

هناك، لكني، في كل مرة، لم أكن أُتبِعُ الموعد بآخر، لم أكن أكرره مع نفس الشخص. من الواضح أن تغيير اسمي لن يغير شخصيتي تلقائياً، كما كنت آمل أن يحدث.

بعد بضعة أشهر، رميت مابقي من قرطاسية تحمل اسم "كاثرين ميللر في القمامة، وعدت بهدوء إلى أن أدعو نفسي "كيتي"، ولم يصدر من أحد أي تعليق على هذا.

أخذت قهوتي إلى مكتبي الذي وُضعَ مقابل نافذتيٍّ غرفة المعيشة. فتحت الستائر.. أستطيع أن أطل على شارع "واشنطن" من مقعدي ذاك. إنه يوم مشمس دافيء من أيام أيلول. ساعي البريد قادم عبر الشارع، ألوح له وهو يملأ بالأغلفة صندوق بريدي وصندوق بريد آل هانسن، الذين يملكون المنزل ذا الطابقين، ويسكنون في نصفه الآخر. بعد مغادرة ساعي البريد أخرج من البيت لأحضر بريدي، وأحضر– أيضاً – الجريدة اليومية الصباحية (روكي ماونتن).

لارس...لارس.....ما أزال أكرر تدوير الاسم في رأسي. أيُّ لارس هذا؟ وأين سمعت بهذا الاسم من قبل؟ عدت إلى داخل المنزل، ألقي نظرة سريعة على العناوين الرئيسية في الجريدة: الرئيس كينيدي يلقي خطاباً في جامعة (رايس) البارحة، واعداً بصعود رجل على القمر، في غضون نهاية العقد. سأصدق ذلك عندما أراه بعيني. أرمي الصحيفة على مائدة الطعام وأنا أنوي قراءتها في أثناء تناولي للفطور. يحتوي بريدي على بعض الأشياء، بالإضافة إلى عدة فواتير، وهناك إعلان مع قسيمة من أجل غسيل مجاني للسيارات – لكن هذا لن يفيدني بشيء، فأنا حتى لا أملك سيارة، وهناك بطاقة بريدية من والدتي أيضاً.

صباح الخير حبيبتي

أتمنى أن يكون الطقس عندك جيداً. درجة الحرارة هنا (85) درجة فهرنهايت والرطوبة عالية، لكنه جو لطيف بالطبع. أؤكد لك أنه ليس هناك جو ألطف منه، على وجه الأرض!

مكتبة

أود أن أذكرك بموعد عودتنا. سنأخذ الرحلة الجوية الليلية في الحادي والثلاثين من شهر تشرين الأول. سيكون أمامنا رحلة تحويل في لوس أنجلوس، وسنصل دينفر في يوم الخميس في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني. إننا نقضي وقتاً رائعاً، لكننا متلهفين إلى العودة إلى الوطن ورؤية ألوان الخريف، ورؤيتك أنت طبعا.

مع حبي
والدتك

ملاحظة: أشتاق إلى العودة إلى المشفى، وأشتاق إلى الأطفال جداً. أتساءل: كم صار عددهم في غيابي؟؟

أبتسم لنفسي وأنا أقرأ ملاحظتها. ذهب والدايَّ إلى هونولولو قبل ثلاث أسابيع، وسيعودان بعد حوالي خمسة أسابيع. إنها رحلة كبيرة بالنسبة إليهما؛ أكبر رحلة يقومان بها بعيداً عن دينفر. مرت الذكرى الأربعون لزواجهما في حزيران الماضي، وما الرحلة إلا احتفال بهذه الذكرى. عمي ستانلي ضابط صغير في قاعدة بيرل هاربر البحرية، ويقيم والداي مع العم ستانلي والعمة ماي في شقتهما، خارج القاعدة، في هونولولو.

تمثل هذه الرحلة حدثاً عظيماً بالنسبة إليهما، إنها تجربة العمر، ولكنني أستطيع أن أفهم لماذا لا يريدان – وخاصة أمي – أن يكونا بعيدين عن المنزل لفترة تطول أكثر من شهرين. والدتي ملتزمة بعملها في جناح الرضَّع الخُدّج في مشفى "دنفر العام، وهي تعمل هناك متطوعة منذ بدأت ذاكرتي بالتشكل، تقريباً، ("أقدم ممرضة متطوعة على سطح الكوكب،" هذا ما تطلق أمي على نفسها، بفرح.) ويعمل والدي في شركة "كولورادو للخدمات العامة منذ سنوات، فكان يقوم بتركيب عدادات الكهرباء للمنازل. وقد حصل على تقاعد مبكر في العام الماضي في عمر الستين. يقضي والدي وقته في التسكع حول البيت، وفي القراءة، وفي لعب الغولف مع أصدقائه الحميمين، مرتين في الأسبوع، حتى في أيام فصل الشتاء، طالما أنه ليس هناك ثلوج على الأرض.

مكتبة

أعود للتفكير بالحلم، وكيف كان الثلج يتساقط عندما كنت أنظر خارج النافذة من غرفة نوم الطفلة، ميسي؟ هل هذا هو اسمها؟ نعم، كان الثلج يتساقط خارج نافذة غرفة ميسي. أستغرب كيف لي أن أتذكر مثل تلك التفاصيل من حلم؟ أستغرب كيف يمكن لذهني أن يخلق مشاهد ثلجية كاملة من أجل متعة رؤيتها في نومي! وأبتسم لذكرى المشهد داخل الغرفة،أيضاً الطفلان الحبيبان، والرجل صاحب العينين الجميلتين.

بعد الانتهاء من شرب فنجان القهوة، أنهض لأحفظ آخر بطاقة بريدية أرسلتها أمي في مجلد مانيلا، لتستقر مع غيرها من البطاقات السابقة التي تلقيتها منها- ثلاثة أو أربعة كل أسبوع، على الأقل. احتفظ بالملف على سطح مكتبي إلى جانب صورة لوالديَّ، موضوعة في إطار.

أنهض لأحضِّر الحمّامَ لنفسي. أشعر بحاجة إلى متابعة يومي بنفس الروعة التي شعرت بها في ذاك الحلم.

مشيت إلى مكتبتنا الكائنة في شارع اللؤلؤة. إنها على بعد عدة أبنية فقط، فريدا تمشي إليها من بيتها أيضاً، ونلتقي في الطريق أحياناً. ولكني اليوم كنت لوحدي في أثناء انعطافي عند الزاوية إلى شارع اللؤلؤة. أقف لحظة دون حراك، أتشرَّب السكون، والشعور بالعزلة. ليس هناك مخلوق آخر، ولا تمر السيارات من هنا. الصيدلية مفتوحة، بإمكاني أن أرى لافتتها المضاءة بالنيون، في النافذة اليسارية، وكذلك متجر الشطائر. إني أعلم من تجربتي أن حفنة من المارة – ربما – سيتوقفون هناك عنده لتناول القهوة أو السلامي على خبز الجاودار، لكنهم مجرد حفنة قليلة من الناس. لم يكن الأمر على هذا الشكل من قبل. عندما فتحنا أنا وفريدا محل "الأخوات" لبيع الكتب في خريف 1954، ظننا أنه الموقع الأمثل للمحل. في ذاك الوقت كسبنا من وجودنا على طريق مرور السيارات من خط برودواي، الذي ينحرف ليطل على منطقة اللؤلؤة. يقع محلنا بعد بناء مسرح سينما فوغ مباشرة، وكنا نحرص على أن يبقى المحل مفتوحاً عند المساء، عندما يكون هناك عرض لفيلم، من أجل

مكتبة

تلبية احتياجات جمهور ما قبل الفيلم ومابعده. وشهدنا العدد الكبير من زبائن المساء في تلك الأيام. كان الناس يحبون الاطلاع على ما في مكتبتنا في ذاك التوقيت، على أمل (من دون شك) أن يلتقوا بجميلة غامضة، أو بوسيم غريب، عند أكوام الكتب.

لم تعد الأمور اليوم، كما كانت في السابق. فقد أغلقَ خط برودواي، وأغلقتْ معه كل خطوط مرور السيارات، واستبدلت الحافلات بها. خط الحافلة الجديد لا ينزل إلى شارع اللؤلؤة، لذلك لم نعد نكسب حركة السير تلك. ورغم استمرار دار فوغ للسينما بعرض أفلامها، لكنها لم تعد تجذب جمهوراً واسعاً، كما كانت تفعل قبل سنوات.

لم يعد الناس يأتون للتسوق واللهو في حيّنا، وفي المناطق التجارية الأخرى التي تماثل منطقتنا؛ لم يعد ذلك يحدث بالطريقة نفسها التي اعتادوها في السنوات الماضية. إنهم الآن يقودون سياراتهم إلى مراكز التسوق في ضواحي المدينة.

أتحدث أنا وفريدا عن هذا. ماذا علينا أن نفعل في هذا الشأن؟ هل علينا أن نغلق المحل ونترك هذا العمل نهائياً؟ أم يتحتم علينا- كما اقترحت فريدا،و اعترضت أنا على الاقتراح- أن نغلق محلنا في هذا الموقع، ونفتحه في أحد مراكز التسوق، أم ينبغي علينا المحافظة على الوضع الراهن وأن نؤمن بأننا إن تمسكنا به، فإن الوضع سيتغير بالتأكيد؟ لا أعرف، وكذلك فريدا لم تكن تعرف. إنه موضوع حديثنا اليومي.

ما تعلمْتهُ أنا، بل ما تعلَّمَناه كلانا عبر السنين، هو أنه لا شيء يدوم على الحال الذي يبدو لنا عليه عند بدايته.

قبل أن نفتح متجرنا، عملت كمعلمة للصف الخامس، وهو عمل كنت مغرمة فيه، أنه عشقي. أحب عملي، أحب عملي، أحب عملي. كنت أردد هذا لنفسي في سري، كل صباح وأنا أنطلق بدراجتي من بيت أهلي، حيث كنت أقيم، إلى مدرستي التي كانت على بعد بضعة أميال.

مكتبة

كيف كان لي ألا أحبها؟ سألت نفسي. لقد عشقت الأطفال وعشقت الكتب والتعليم. ومن الطبيعي أن أعشق التعليم أيضاً، وإلا ماذا يمكن أن أكون عليه؟ ولكن الوقوف على السبورة في صف تعداد تلاميذه كبير، وهم في العاشرة من العمر، جعلني عصبية مثل موسيقيةٍ مبتدئةٍ زوَّرت، بطريقة أو بأخرى، طريقةً للدخول إلى تجربة الأداء في قاعة حفل تعج بالحضور. جلست، ضئيلة ووحيدة، إلى آلة البيانو تحت الأضواء المسلّطة، وأدركَتْ هذه الموسيقية المصْطَنَعَة (المزيفة،التي هي أنا) بعد فوات الأوان بوقت طويل، أنها لن تتمكن من خداع أي كان، بمجرد أن تنقر على أول مفتاح.

هذا ما أحسست به وأنا أقف هناك في صفي. تعرق باطن كفيي، وتلاحق كلامي سريعاً، وصار صوتي عالي النبرة جداً، وكان التلاميذ غالباً ما يطلبون مني إعادة ما أقول. كان أحدهم يقول "آنسة ميللر، لم أفهم ذلك،" ومايلبث جميع التلاميذ أن يلتقطوا الكلمة ويرددون: "ولا أنا، لم أفهم ذلك أنا أيضاً آنسة ميللر. ماذا قلتِ آنسة ميللر؟ "شعرت أنهم جعلوني أضحوكة بينهم. ولكنها لم تكن أضحوكة جيدة، ولم تكن شيئاً تمكنت من إدراكه أيضاً.

في كل عام كان لابد أن يكون لدي بعض التلاميذ الاستثنائيين الرائعين– الحمد لله على أولئك الرائعين – أولئك التلاميذ الذين يمكنهم التعلم في أي بيئة، أذكياء وقابلين للتكيف، ويلتقطون المفاهيم من تلقاء أنفسهم بسرعة، دون أي مساعدة تذكر مني. لكن مثل هؤلاء التلاميذ كانوا قلة، ولم أحظى بمثلهم دائماً.

ثم كان هناك الأهل. آه، الأهل!

أتذكر واحداً من تلك الصباحات الفظيعة، صباحاً بعينه، في حوالي نهاية خدمتي، عندما اقتحمت السيدة فنسنت مكتبي مثل العاصفة. كانت قد استلمت تقرير نتائج منتصف العام الدراسي الخاص بابنتها "شيلا"، التي حصلت على علامة سيئة (مستوى دال) في مادة التاريخ. جاءت شيلا تسحبها أمها وراءها وهي تلوح بورقة التقرير غاضبة.

مكتبة

"مامعنى هذه العلامة ياآنسة ميللر"؟

سألتني السيدة فنسنت: "قالت لي شيلا أنك حتى لاتدرسين التاريخ في صفك".

أجبتها وأنا أحاول أن أحافظ على ثبات صوتي: "طبعاً ندرس التاريخ!"

وعضضت على شفتي بغضب، لماذا علي أن أوضح شيئاً وهو بمنتهى الوضوح؟: "كنا ندرس عن الحرب الأهلية طوال الفصل

"الحرب الأهلية؟ الحرب الأهلية؟ ما هو الاستخدام المفيد، بالنسبة إلى فتاة صغيرة، لشيء من ماقبل التاريخ، مثل الحرب الأهلية،"؟

كان السؤال سخيفاً جداً لدرجة أنني لم أستطع أن أجيبها. وقفت شيلا مزهوة إلى جانب أمها، وعيناها السوداوان تتحدياني.

أردت أن أصفعها، وعرفت أنني لن أفعل، لكن الدافع كان قوياً جداً. كان علي أن أبقي ذراعي ثابتين إلى جانبي لأضبط نفسي.

قلت: "هذا هو المنهاج! وهذا ما طُلِبَ مني أن أعطيه سيدتي ومشيت باتجاه مدخل غرفة الصف عندما قرع الجرس، وأنا أستعد لتحية تلاميذي الآخرين". إنني أتبع المنهاج وحسب".

اصطنعت السيدة فنسنت ابتسامة وسألتني: "حسناً، إنه إبداع، أليس كذلك"؟

ودارت على أعقابها وخرجت دون أن تنتظر الإجابة.

أرهقت للغاية؛ بكل صدق، تطلب مني الأمر أسابيع لأتجاوز إنهاك ذاك اليوم.

و بمرور الوقت، بدأت ألوم نفسي. نعم، كنت أقوم بعملي فحسب. لكن إن لم يتمكن طلابي من التعلم، أو إن لم يكونوا راغبين في ذلك، فلماذا أكون الملامة في هذا إذاً؟ عندما كنت تلميذة، كنت أتعلم بسهولة أكبر كلما تقدمت في العمر، ومع مرور السنين؛ وبذلك افترضت أنه سيكون من السهل تعليم الآخرين. وعندما ظهر لي أن هذا غير صحيح، لم أعرف كيف أصلح الأمور.

مكتبة

خلال تلك السنوات، عملت فريدا، التي كانت أفضل صديقة لي منذ المدرسة الثانوية، في شركة إعلانات. كان العمل واجباً، ولكنه عملٌ ساحر، وكانت هي ناجحة في ذلك. كانت حسابات شركتها في الغالب لأعمال تجارية محلية، ولكن العديد منها كانت شركات كبيرة – وهي شركة "غيتس"، و"راسيل ستوفر كانديز"، ومتاجر "جوزلينز ديبارتمنت" قامت بحضور الحفلات والافتتاحيات الكبيرة. وارتدت أثواب السهرة الرائعة، كانت تقيسها وتعرضها علي قبل أن تقرر ارتداءها، لتعرف رأيي. وكنت دائما أراها رائعة.

كانت فريدا تبدو وكأنها تستمتع بوقتها في ظاهر الأمر. ولكن عندما نكون أنا وهي لوحدنا، في حالة استرخاء، في عطلة نهاية الأسبوع، نرتدي بناطيل الجينز والبلوزات والأحذية بدون كعب؛ تعترف بأن الأمر، بمجمله لا يطاق، كان كله خدعة. وقالت أنه يجعلها تشعر وكأنها ممثلة في عرض مسرحي: "التمثيل ممتع إن كنت تقومين به من آن لآخر، ولكنه مرهق إن كان علينا القيام به كل يوم طوال النهار،"؟

تبادلنا الحديث عن أحوالنا كثيراً.كم كرهت في عملها الزيف والتصنع. وكان خوفي أنني كنت أفشل في الشيء الوحيد الذي ظننت أني أتقنه.

كنت أتمشى مع فريدا في الجوار القريب، من بعد ظهيرة أحد الأيام، كان يوم أحد، حوالي نهاية شهر آذار عام 1954،عندما سألتني: "كيف يمكن أن تكون عليه الحياة لو كانت مختلفة عن حياتنا الحالية"؟

انتقلت من بيت والديَّ قبل شهر من دخولي الثلاثينيات من عمري، شعرت أنه آن الأوان لي أن أسكن منزلي الخاص، لوحدي، لذلك، قمت باستئجار شقة في "بلات بارك". لم يكن بيتي الجديد ببعيد عن المدرسة، حيث كنت أعمل في التعليم؛ وكان أيضاً على بعد عشر دقائق مشياً على الأقدام من بيت فريدا الصغير، الذي قامت بشرائه قبل عامين. فصل الربيع ذاك العام كان كالعادة، هو فصل ربيع "دنفر النموذجي، فقد كان معروفاً أن العواصف في شهر آذار أكثر منها في أي شهر آخر. في تلك السنة، كما في معظم السنوات،

كانت تتبع العواصف، بشكل عام، عدة أيام مشمسة دافئة، يذوب خلالها الثلج ليشكل بُركاً هنا وهناك، ويشق العشب طريقه للأعلى عبر الوحل في الباحات. قبلها بيوم، كان هناك واحد من هطولات آخر الموسم الثلجية المميزة تلك – لكنْ هذا الأحد، عندما بدأنا أنا وفريدا نزهتنا على الأقدام، كان الجو صاحياً ومشرقاً، مع درجات حرارة في الخمسينات (فهرنهايت).

تتابع فريدا النظر إلى التساقط الكثيف لقطرات صغيرة من الثلج الذائب، من على إفريز البيت المجاور، ثم تلتفت إلي وتسألني: "ماذا لو كان العمل الذي قمنا به مرضياً وممتعاً"؟

"ماذا لو لم اختم معظم أيامي بالبكاء"؟ شعرت بذهني مفتوحاً حياً، وأنا أفكر بالاحتمالات. هزت فريدا برأسها بروية وأجابت: "حقاً، أختي، حقاً".

وأخيراً قررنا أنه قد آن الأوان لنتوقف عن الأحلام، ونبدأ بعيشها. قمنا بشن حملة على حسابات مدخراتنا، واقترضنا من والدينا، وأخذنا قرضاً تجارياً أيضاً. وبما أننا كنا نساءً عازبات كان لابد من رجل ضامن لقرضنا؛ ولحسن الحظ أنهم قبلوا بوالد فريدا؛ وهكذا ولد محل "الأخوات".

أتذكر فرحتنا بأنفسنا عندما فتحنا المتجر. أخيراً! قمنا بما أردنا أن نقوم به في حياتنا، وسيكون لدينا تجارة مزدهرة امتلكناها شراكة بيننا، وسنقوم باختياراتنا الخاصة، وسنقرر مصيرنا بأنفسنا. من الآن فصاعداً، لن يكون لأحد من الوالدين، من المدراء، ومن حشد المشاكسين الذين كانوا في العاشرة من عمرهم مع أمهاتهم، لن يكون لكل هؤلاء أي يد في تحديد ماذا سنكون عليه، أنا وفريدا. لا أحد سيقرر هذا لنا، لا أحد سوانا نحن الاثنتين. كلانا تجاوزت العشرينيات من العمر بدون زواج، وهو أمر لم تفعله أي فتاة أخرى عرفناها في المدرسة الثانوية أو في الجامعة. ولم يكن وضع العزوبية يزعج أيّاً منا. وبدا الهدف الذي وضعته لنفسي بأن أتزوج كيفن، ليس له أي ارتباط بالأمر ساعتها. كانت رغبة شابة – فتاة، فعلا كانت الفتاة التي لم تعد تشبهني. ومع مرور السنين، أدركت أن عدم الزواج أعطاني – كما أعطى فريدا – مساحة

مكتبة

حرية، ومسحة إغواء غامضة، لا تملكها النساء في عمرنا. الأمر يشبه حالة عقدٍ في أحد المتاجر، في قسم بيع المجوهرات، يلفت الأنظار بوجوده منفرداً بين حبات ملونة منثورة، بدلاً من وجوده مع عقود اللؤلؤ المنظوم الأخرى، كما هو متوقع عادة.

سألنا أنفسنا، أنا وفريدا: من يحتاج الرجال؟ من يحتاج الأولاد؟ نبتسم ببلاهة للنسوة اللواتي يجررن العربات، ونشعر بالارتياح أننا لم نقع أبداً في ذاك الفخ. إنها ليست الحياة التي تريدها أي منا، حتى إلى مابعد فترة طويلة طويلة.

يومنا أنا وفريدا، يشكل تحدياً. لدينا زبونان فقط في فترة الصباح، يشتري كل منهما نسخة من رواية "برادبوري" الجديدة. ذلك الكتاب نجم صاعد في خط بيعنا الصغير المتواضع. يأتي عدد قليل من الناس في فترة بعد الظهر لتصفح ما لدينا، ويسأل العديد منهم إن كان لدينا كتاب راشيل كارسن "الربيع الصامت"، الكتاب يحكي عن مخاطر المبيدات الحشرية، وقد تم تقديمه في سلسلة من المقالات في صحيفة (النيويوركر) في وقت سابق من هذا العام، كما أنها ستصدر كمجموعة من المختارات، في فترة لاحقة من هذا الشهر. تترقب الأوساط الأدبية المحلية كتاب "الربيع الصامت"، وللأسف، لن تصلنا نسخه من موزعنا، حتى آخر أسبوع من أيلول.

فريدا متوترة وحادة المزاج طوال النهار. ينتقل مزاجها، مهما كان، إلي بسهولة، وألاحظ أن يديّ ترتجفان كثيراً، مع أني لم أتناول اليوم سوى فنجانين من القهوة.

لعلها مجرد ذكرى الحلم الذي يسكنني. قالت لي فريدا في الساعة الرابعة والنصف:

"أريد أن أخرج من هنا، أخذت مايكفيني لهذا اليوم. ألا تقومين بإغلاق المتجر هذه المرة"؟

أهز رأسي، وأرقبها وهي تغادر. خارج المحل، تشعل سيجارة بنزق

مكتبة

غاضب، ثم تسير وهي تخبط الأرض خبطاً بأقدامها إلى آخر الشارع.

همست: "آسفة أختي على الرغم من أنها صارت بعيدة ولن تسمعني: "أعتذر منك بشدة على الطريقة التي تسير بها الأحوال معنا". ثم، بعد أن أغلقتُ المظلات الأمامية للمحل، خطر في بالي وأنا أجمع كمية النقود الضئيلة في سجلاتنا لكي أحفظها في الخزنة في الخلف. أن أعرف أين سمعت بذلك الاسم، لارس. تعود الذاكرة إلى ماقبل ثمان سنوات. كان بالضبط قبل أن أفتتح مع فريدا محل الأخوات"، خلال المرحلة التي بدأت أدعو فيها نفسي "كاثرين"

في ذلك الوقت كنت أقرأ باهتمام كبير، قسم الإعلانات الشخصية في صحيفة "دنفر بوست" وأخيرا وضعت إعلاناً عن نفسي. أفترض أنه كان لابد من القيام بذلك، شيء شجاع آخر سار مع عملي الجديد، إنه اسمي الجديد، ورغبتي في تحويل نفسي إلى شخص مختلف.

كان لارس أحد الأشخاص الذين تجاوبوا مع إعلاني. في الواقع- أفكر بالأمر الآن- لارس كان ذلك الشخص، أعني أنه كان من بين العشرين، تقريباً، من الرجال الذين كتبوا إلي، ومن بين الثمانية الذين قاموا بالخطوة الأولى وتحدثوا إلي على الهاتف، ومن بين القلة الذين خرجت معهم في موعد - (ولا واحد منهم كررت معه الموعد، ولا أشعر بالخيبة لذلك الأمر)- من بين كل هؤلاء، كان لارس الوحيد الذي ظننت فعلاً أنه ربما قد يكون هناك شيء محتمل بيني وبينه.

مثل جميع أولئك الرجال، كتب لارس رسالة ليقدم نفسه. ولكنها لم تكن مثل العديد من الرسائل التي تلقيتها، كانت رسالة لارس أكثر من مجرد بضعة سطور تمت خربشتها على قطعة ورق، وأكثر من أن تكون ورقة تم حشرها في ظرف من دون أي اهتمام بنتيجة الخطوة.

بإمكاني القول، من خلال ما كتبه فقط، أن لارس أعطى رسالته قدراً كبيراً من الوقت والاهتمام.

مكتبة

إنني من النوع الذي يحتفظ بالأشياء في خزانة ضخمة للملفات في البيت، وأحتفظ بكل قصاصة ورقية لها معنى عندي، مهما كان تصنيف هذا المعنى. عندي رسائل، قسائم، وصفات، برامج رحلات، مقالات مجلات- سمٍّ ما شئت وستجده في تلك الخزانة. لذلك ليس من المستغرب، أنني عندما أسرع إلى البيت عند العودة من العمل، وأ غوص في ملفاتي الخاصة تلك للعثور على ملف مصنوع من ورق مانيلا، كتبت عليه ببساطة ملحوظة: "الذين أجابوا على الإعلان" وفي هذا المجلد عددٌ من الرسائل لا أهمية لها، وقصاصات من الورق خربشت عليها أسماء(الاسم الأول فقط) وأرقام هواتف. وهناك أيضاً نسخة صفراء مقتطعة من جريدة، عن الإعلان الخاص بي.

"عازبة، بعمر الثلاثين، من دنفر، متفائلة، تؤمن بذاتها، وتؤمن بالأسرة، والأصدقاء، وبقدراتها.

صادقة، صريحة، مخلصة. أسعى إلى التعرف برجل مرح ولكنه ليس بسخيف. رجل عنده اهتمامات (المشاوير، الموسيقى، الكتب). رجل يرغب بالعائلة يقدس الحياة الأسرية، وفي نفس الوقت يستمتع بالمغامرة،و السفر، والمرح. إن كنت تجد في نفسك ذلك، اكتب لي من فضلك"

أفكر في ذلك، في ماكتبته في ذلك الإعلان، وكيف قدمت نفسي إلى العالم. وبالعودة إلى الوراء، أدرك كم غيرتني السنون. كان الزواج مايزال في بالي في تلك الأيام. وكان كيفن قد اختفى من حياتي قبلها ببضع سنوات، ولكن فكرة أن أجد الرجل الصحيح الذي كنت سأتمكن من الاستقرار معه، وتأسيس أسرة – ببساطة، عادت تلك الفكرة إلى حيز الاستئناف في بالي وأنا في الرابعة والخمسين.

ما بيدي اليوم هو، إدارة المتجر، استقلالي، حياة امرأة عاملة عازبة..... حسناً. ربما رغبت في الانطلاق بتجارة مع فريدا. بعد الكارثة التي تحول إليها عملي في التعليم، ربما رغبت بإحاطة نفسي بالكتب طوال النهار، وأن أقضي أيامي وفقاً لقواعدي. على كل حال، من الواضح أنني لم أتوقع أن

مكتبة

تمر السنوات بالطريقة التي مرت بها. رحت أبحث، وتخشخش باقي الأوراق في الملف وأنا أبحث، إلى أن وجدت رسالة لارس:

آنستي العزيزة

أعلم أنك لاتعرفينني، وأعلم أن كل الناس تقول عن هذه الطريقة أنها طريقة سخيفة للتعرّف على أحدهم. سمعت بأنها طريقة غير ناجحة على الإطلاق. أعتقد لأنني، غالباً، لم أشهد أن كثيراً من الناس قد نجحوا من خلالها. ولكنني قرأت إعلانك (في الواقع قرأته عشرات المرات إلى هذه اللحظة)، ومن خلال وصفك يمكنني القول أني قد أكون الشخص الذي تتوافقين معه.

قلت بأنك تبحثين عن شخص مرح،غير سخيف.وها أنذا أكتب لك عن بعض الأمور التي أقوم بها. واحدة أنني ازور ابن وابنة أختي وألعب معهم كرة القدم في الشارع. لاتقلقي، إننا نستخدم كرة طرية ولم نكسر أي واجهة زجاجية لأي سيارة بعد، والطفلين بعمر الثانية عشرة والثامنة، وهو عمر جيد للطفل لينتبه إلى السيارات القادمة. وأحب أن أبني اشياء للآخرين. عندما كان ابن أخي وبنت أخي صغيرين بنيت مجموعة أراجيح في باحة منزل أختي الخلفية. وبنيت وجاراً لكلب أحد أصدقائي، كان الكلب قبلها، يقضي لياليه في البرد. قد لايكون القيام بهذه الأشياء مرحاً، ولكنها أشياء تجعل الآخرين سعداء، وهذا مايجعلني ابتسم بسعادة.

ذكرتِ السفر، لم تكن لدي الفرصة لأقوم بالسفر كما يحلو لي. هاجرت من السويد إلى الولايات المتحدة مع عائلتي عندما كنت في سن المراهقة. وكان علي حينئذ أن أعمل بجد لأشق طريقي في هذا البلد. لكن الأمور أفضل الآن، وعندي ما يجعلني أعيش حياة أكثر راحةً، وأتمنى أن يشمل هذا المزيد من رحلات السفر في المستقبل، سواء أكان في أرجاء البلاد أو عبر العالم. هل سافرت إلى أوروبا؟ لم أعد إليها بعد، لكني أرغب في ذلك في يوم ما، خصوصاً إن كنت مع رفيق سفر يقدر قيمة العالم القديم، وجماله وتاريخه.

مكتبة

هناك شيء آخر في قائمة اهتماماتي لم تذكريه أنت، وهو الرياضة الأمريكية، البيسبول. قد لاتكونين من المعجبين بهذه الرياضة. ولكني آمل أنه إن قدر لنا أن نلتقي ويتعرف كل منا بالآخر، أنك ستغفري لي هذا التّرف. يقال أن البيسبول هي رياضة أمريكية مسلية، وكوني أمريكياً الآن، أجد أنها أصبحت رياضتي أيضاً. إنني مسرور بعدم خوفك من الإعلان عن أنك تبحثين عن رجل يريد أسرة. تبدو الكثير من السيدات خائفات من الاعتراف بذلك، وكأنهن يعتقدن أن ذلك يقلل من رغبة الرجال بهن. وأفترض أن ذلك مُبَرر، فالكثير من الرجال (وخاصة من تجاوزوا سناً معينة) إما يكونون على الحياد، أو أنهم يرفضون فكرة إنجاب الأولاد بعناد، أنا لا أشعر بهذا الشكل. فلطالما أردت أسرة، وآمل أنه لم يفت الأوان على ذلك! (إنني في الرابعة والثلاثين من عمري وحسب، لذلك أفترض أنه مازال هناك وقت.)

وهكذا، فأنت تفهمين يا آنستي لماذا راق لي إعلانك. آمل أنك ستردين على رسالتي. أود كثيرا أن أتعرف بك.

المخلص

لارس

جلست هناك أعيد قراءة الرسالة. حدقت في رقم الهاتف الذي كتبه كتعقيب في آخر الرسالة، ثم قرأت الرسالة بضعة مرات أخرى.

صحيح أنه ليس بشكسبير، لكنه كان من الواضح لماذا رغبت في التواصل معه. كان هناك شيء ما، لا أستطيع أن أنكر وجود رابط ما، حتى ولو من خلال مجرد عدة صفحات مكتوبة.

فيما بعد، وأثناء تقطيعي الخضار من أجل وجبة غدائي، اتصلت بفريدا. على الرغم من أني قلقة من أنها مازالت منزعجة، لكني كنت بحاجة إلى التحدث معها. فكرت وأنا أتصل بها، أن قيامها بالمشي بسرعة اليوم لابد وقد صفّى ذهنها. تجيب عند الرنة الثالثة؛ صوتها، عند سماع صوتي، فيه مودّة.

مكتبة

تسألني

"هل اشتقتَ لي؟ ما أعرفه أنه بالكاد مرت ساعتان على رؤيتك لي

أضحك، وأقول

"طبعاً، ولكن هذا ليس السبب الوحيد لاتصالي

ودفعت بسؤالي بسرعة:

"هل تذكرين ذلك الرجل الذي يدعى لارس؟ من صفحة الإعلانات الشخصية"؟

لاتجيب، لذلك أسأل من جديد.

"إنني أفكر، من إعلاناتك الشخصية أم من إعلاناتي"؟

عندما أجريت إعلاني الخاص، أدركت بعد ازالتي لبعض الردود الأولية، أنه لن يكون جميع المستجيبين للإعلان مناسبين لي. مثلاً "أنا رجل رائع، اتصلي بي أرجوك" هذا كان كل محتوى الرسالة، وكان موحياً تماماً. والأمر المحزن أنه لم يكن رداً مخالفاً لما هو سائد.

كان هناك آخرين أيضاً، وكانوا قادرين على سكب الجمل الأساسية بتواتر جيد، لكنني لم أشعر بالشرارة التي تشعل اهتمامي. أسبابي كانت مختلفة طويل زيادة، كثير الكلام، سريرة ماكرة.......

ذات مساء، جاءت فريدا إليّ في شقتي، وراجعنا الرسائل واحدة واحدة، وصنفناها إلى ثلاث أكوام: "كيتي"، "فريدا" و"المستبعدة".

في كومة "كيتي وضعت الرسائل التي أثارت اهتمامي.

قلت لها وأنا أضحك: "إنه إعلاني في النهاية، أحصل على الحق الأول".

ذهبت الرسائل التي كانت ردة فعلي الأولى تجاهها، أنها تفتقر إلى التألق، إلى كومة سميناها فريدا، اختارت فريدا عدة رسائل منها، للتواصل مع أصحابها.

سوغّت هي الأمر ب: "لماذا لا؟ وإلا ستذهب إلى هنا!" ثم هزت بيدها كومة الرسائل المستبعدة. ومن المفارقات الساخرة أنها كانت محظوظة

مكتبة

مع الرسائل أكثر مني. فقد خرجت في عدة مواعيد مختلفة، واستمرت مع أحدهم لعدة شهور، رجل قابلته من خلال إعلاني الشخصي. ظننت أن أمرهم سيتحول إلى أن يصبح جاداً، لكن لم يكتب لهما ذلك. عندما أخبرتني فريدا بأن علاقتهما انتهت، رفعت كتفيها باستخفاف.

"إنه، ببساطة، لم يكن مناسباً بما فيه الكفاية بالنسبة إلي وأضافت: "لم يكن يؤمن بي كما تفعلين أنت كيتي

مع اسم مثل فريدا، قد يذهب بكم الخيال إلى تصور أن أفضل صديقة لي، ذات شخصية أنانية تتمحور حول ذاتها، ولها شعر أحمر نحاسي مثل شخصية فريدا في المسلسل الكوميدي "الفستق" ومع أن لفريدا لحظاتها التافهة – أولسنا جميعا لدينا هذه اللحظات التافهه؟ – لكنها لاتشبه تلك الفتاة الصغيرة على الإطلاق. إنها طويلة القامة، وذات شعر غامق مسترسل، إنها على عكسي، تقريباً، رياضية قوية، كانت تلعب الكرة اللينة، وكانت في فريق السباحة في المدرسة الثانوية، وإلى اليوم مازالت تسبح بضع مرات في الأسبوع في مسبح في حقل بيوت جامعة دنفر. تستطيع فريدا أن تفتح حديثاً مع كل من تلتقي بهم، بدءاً من الفتيات المراهقات اللواتي يقمن ببيع تذاكر السينما عند سينما فوغ، إلى الذين يمرون بشكل عرضي وقد اختلطت عليهم الأمور، فيتعثرون بمتجرنا وهم يبحثون عن اتجاهات أخرى تأخذهم إلى أجزاء من المدينة، بعيداً تماما عن مكاننا.

يدعوا أصحاب المحلات الأخرى في حينا فريدا ب"البياعة"، ويدعونني بـ"دودة الكتب".

أقول لها: "كان لارس واحداً ممن يخصونني، وأعرف أنك لاتتذكرين من يخصونني بشكل جيد"

تضحك: "بالكاد أستطيع تذكّر الأسبوع الماضي. وتريدين مني أن أتذكر الذي خرجتِ معه – كائناً من كان – قبل ثمان سنوات"؟

اخترتُ تناول جزرة من الثلاجة وبدأت بتقشيرها: "كنت آَمُلُ فقط"؟

مكتبة

"لماذا؟ هل صادفته من جديد"؟

"على سبيل الكلام". ولكنني لم أتفوه بالجملة، لأنه مجرد قول ذلك لفريدا يبدو سخيفاً.

"هل وضعت إعلاناً آخر"؟

"لا، لاشيء من هذا".و أقوم بقطع الجزرة إلى شرائح صغيرة.

"انظري، علي أن أذهب. إنني على وشك أن أبدأ بطهي وجبة الغداء. سأراك غداً".

وبعد أن أغلقنا الهاتف، أعدت قراءة رسالة لارس، وكذلك الإعلان الذي كنت قد وضعته. وأعدت قراءتهما مرة بعد مرة منذ أن عدت إلى البيت.

ثم تذكرت شيئاً آخر، حديثنا. لقد تحدثنا على الهاتف.

كان ذلك لمرة واحدة فقط. اتصلت به – لأن هذا ما كان من الحصافة أن أفعله في مثل تلك الظروف – هذا ماقالته لي فريدا. قالت: "بهذه الطريقة، إن بدا وكأنه هارب من مشفى للأمراض العقلية، لن يكون هناك أي ضرر، فهو لن يتمكن من الاتصال بك".

إذاً، بعد قراءة رسالة لارس عدة مرات هذا المساء، تنهدت بأخذ نفسٍ عميقٍ، أمسكت بسماعة الهاتف وأدرت القرص بالرقم الذي أعطاه لي، أجاب مباشرة.

"معك...كاثرين،" قلت وأنا أحاول أن أتذوق الاسم على لساني. شعرت به طازجاً واخزاً، مثل أنفاس النعناع. ......من ال....إعلان".

"كاثرين" خرج الاسم بصوته سحرياً، فريدا، خصوصياً. "عرفت أنك هي

هذا ما أخافني نوعاً ما. سألته بعصبية: "كيف عرفت"؟

ضحك. كانت له ضحكة لطيفة. "عرفت فقط".

خفضت صوت المذياع، بحيث أستطيع أن أسمعه عبرالهاتف بشكل أفضل.

مكتبة

أوه، يا إلهي، الآن أتذكر عندما كانت أغنية روزماري كلوني هي الأغنية رقم واحد في الجدول البياني. وقد كانت تذاع في الراديو تلك الليلة. الليلة التي تحدثنا فيها على الهاتف. كانت حالة حالمة بالفعل.

سألني لارس كيف انقضى يومي: "ماذا فعلت من أجل شغلك، بالنسبة إلي، أنا، في الواقع، أبحث عن عمل في الوقت الراهن" ثم أخبرته عن محل بيع الكتب، وموعد افتتاحه، الذي كان بعد أسابيع قليلة.

قال: "ياله من توقع محتمل مثير، إنك مثيرة للإعجاب كاثرين".

مثيرة للإعجاب!

يمكنني القول، بكل صدق، أنه لم يسبق لي في حياتي أن وصفني أحد ما، مستخدماً مثل هذه الكلمة. ذكية، نعم. ودودة، نعم، أما مثيرة للإعجاب!؟ كان ذلك مهمةً صعبة، وصف لم أعتبر نفسي أني أملك الشخصية التي بحجمه.

أخبرني لارس: "إنني في الواقع، أفكر في فتح عمل تجاري الخاص، ولكنه ليس بمشروع مثير كمشروعك، مجرد شركة معمارية."

ضحكت وقلت: "هذا يبدو مثيراً جداً بالنسبة إلي، كيف دخلت في مجال مثل هذا النوع من العمل"؟

أجاب "أووه، إنني فيه منذ سنوات، أحب، دائماً، بناء الأشياء. في وطني الأصلي في السويد، كان والدي نجاراً وتعودت أن أساعده في أعماله. في بلدة صغيرة مثل بلدتنا، عندما تقومين ببناء شيء، تقومين بتصميمه أيضاً. هنا، وبعد وفاة والدي، عملت في وظائف غريبة. أخيراً ادخرت ما يكفي من المال لدخول كلية جامعة دنفر. عرفت آنذاك، أنني أريد شهادة في هندسة العمارة. تخرجت من الجامعة متأخراً بالنسبة إلى عمري، في عامي الرابع والأربعين، بينما عملت وكأني رجلٌ عجوز وأنا في الرابعة والعشرين. توظفت في شركة صغيرة هنا في البلدة، وجاء الباقي بعدها بشكل طبيعي

فكرت للحظة "أربع وأربعون". "ألم تكن في الخدمة العسكرية"؟

كل من عرفتهم، كيفن وكل شاب آخر كان معي في جامعة دنفر، أو من

مكتبة

عرفتهم في الثانوية أو الكنيسة أو من الجوار، كانوا في الخدمة العسكرية في سن ال 44.

لم ينبس بكلمة طوال بضعة دقائق. فسألته بلطف،" لارس؟ ألا تزال هنا"؟

قال بهدوء: "لم أستطع أن ألتحق بالخدمة، كان عندي إعفاء....".

"لماذا"؟

واستطعت أن أسمعه يأخذ نفساً عميقاً ثم يطلقه ببطء، قال: "عندي حالة قلبية.....عدم انتظام في ضربات القلب"

ثم أضاف بسرعة: "إنه ليس شيئاً رهيباً كما قد يبدو. ولكنه يعني....... إنه يعني....أن نبض قلبي غير منتظم". ثم صمت لدقيقة، قال بعدها: "يعني أنني أملك قلباً رديئاً"

لم أجبه. بل فكرت بوالدي، ببساطة الرجل الأكثر وطنية الذي مرَّ في حياتي على الإطلاق. قام مصنعه بإضراب أثناء الحرب، وكان العامل الوحيد الذي حطم خطوط الإضراب وذهب للعمل جنبا إلى جنب مع كل الخارجين على الإجماع (كاسري الإضراب). وكان المصنع قد توقف عن تصنيع عدادات الكهرباء المنزلية، والعمال كانوا يجمّعون، بدلا من ذلك، الإلكترونيات، لصالح الجهد الحربي في ذلك الوقت. قال والدي أن أي شيء يمكن أن يفعله لمساعدة جنودنا كان يستحق أكثر من بضع بنسات إضافية في جيبه. كنت أتساءل، بيني وبين نفسي، كيف يمكن أن يكون رأيه بشأن خروجي مع رجل حاصل على إعفاء خلال الحرب!

"كاثرين"؟

"نعم"؟

"هل هناك بأس في ذلك؟ أنني لم أذهب للخدمة"؟

لم أنبس بكلمة لعدة ثوانٍ. ثم أجبت: "حسناً، على ما يبدو أنك كنت بالكاد قادر على القيام بأي شيء حيال ذلك. "ضحكتُ ضحكة خفيفة "حدثني أكثر عن كونك مهندساً معمارياً".

مكتبة

قال: "إنني اتجه نحو المشروعات التجارية، مباني المكاتب وما شابه ذلك. إنه ليس عملاً باهراً مثل مشاريع الأعمال السكنية، ولكن هناك الكثير من الطلب عليها. هناك الكثير من المنازل المسبقة الصنع هذه الأيام، يتم نَسخُ نفس التصميم، مرارا وتكرارا. أود أن أصمم وأبني بيتي الخاص بي يوماً ما، وأن أجعله فريدا من نوعه".

تنهد، وكان بإمكاني سماع الشغف في صوته. وراح يحدثني عن الشركة المعمارية التي كان يفكر أن يبدأها بنفسه". ثم أوضح: "أعرف تماماً، كما يعرف ذلك مدرائي في شركتي الحالية، أن الفرق الوحيد بين ما أقوم به وبين مايقومون به هو تسمية المنصب على لوحة الباب، وقيمة المبلغ المدون في كعب إيصال الراتب"

أجبته، وأنا أعني ذلك: "حسناً، هذا جيد بالنسبة إلى

أعجبت به لرغبته في فتح فرع شركة خاص به، عرفت من تجربتي أنا وفريدا، أن مجرد التفكير بشأن المخاطرة بهذا الشكل، ليس بالشيء اليسير.

استمرت المكالمة أكثر من ساعة. أخيراً قلت أن الوقت قد تأخر

قال لارس: "كان هذا رائعاً بكل صدق، وأود التحدث إليك مرة أخرى كاثرين"

ترددت للحظات قبل أن أقول: "ألا يجب أن نلتقي؟ يبدو أن مواصلة الحديث على الهاتف هو أمر سخيف، علينا أن نلتقي ونرى كيف تسير الأمور

بدا وكأنه تفاجأ: "حقاً؟ طبعاً، حسناً، إذاً، كاثرين، دعينا نتواعد".

واتفقنا على موعد لتناول القهوة معاً بعد ليلتين من ذاك اليوم.

قال بعد أن أنهينا ترتيب خططنا: "تمام، إذاً، أتصور أنه حان الوقت لنقول إلى اللقاء، في الوقت الحالي

"أتصور ذلك".

"كاثرين".

توقفت قليلاً ثم أجبت: "نعم"؟ بدا صوته حانياً: "لاشيء....أنا فقط.....

مكتبة

إنني أتطلع إلى لقائك فعلاً"

"وأنا أتطلع إلى ذلك أيضاً"

لم يردْ، ولكني كنت أسمع صوت تنفسه، بدا سريعاً نوعاً ما. سألته: "هل هناك شيء آخر"؟

قال بهدوء: "لا، أنا........لا، أعتقد لاشيء. تصبحين على خير

أجبته" تصبح على خير   ثم أغلق كلانا الخط.

أمسك بالرسائل، والأوراق، بمجلد الملف. أجلس في كرسي مكتبي، أحدق من خلال النافذة. شفتاي مضغوطتان معا. هناك بركان غضبٍ حار، نوع ما، يتشكل تحت جلدي. لأن ذلك لم يحدث. فهو لم يظهر أبداً في الموعد.

مكتبة

مكتبة

الفصل الثالث

بالطبع، إنه أمر سخيف بمجمله. أتصور أشياء كهذه تحدث دائماً. فالتعارف من خلال الإعلانات الشخصية كان طريقاً وعراً مليئاً بالألغام. تعلمت أن هناك الكثير من الطيور الغريبة – رجال قد تبدو لك طبيعية تماما في الرسائل، حتى على الهاتف، ولكن التواجد معها في نفس المكان، ولو لمرة، سيجعلك تدرك أن هناك شيئاً غير صحيح، تعلمت ذلك، ولكن عن طريق أصعب طريقة للتعلم. قد يكون ذاك الرجل لايملك أي فكرة، أصلاً، عن ما يعنيه أن يكون المرء (رجلاً مهذباً). أو قد يكون هناك امرأةٌ في حياته. قد يعتقد أنه يود الارتباط، ولكن ما يريده في حقيقة الأمر، هو مجرد أن يصبح لديه ما يثبت به لأمه أو لأخته أو لأي كائنٍ آخر،بأنه يحاول أن يرتبط بامرأة، بينما هو في أعماقه، لا يريد إلا أن يُترك وشأنه. آخر ما يبغيه هو امرأة لها وجود ثابت في حياته أو، لاسمح الله، زوجة!

لذلك كله، شعرت بخيبة أمل، ولكنها لم تكن مفاجأة بالمطلق، عندما جلست وحدي في هذا المقهى قبل ثمان سنوات، أشرب القهوة، وأنتظر لمدة خمسة عشر، لعشرين، لخمس وثلاثين دقيقة. أرقب الناس من خلال زجاج النافذة. مر أزواج عديدون، يتمشون، سيدات متقدمات في العمر مع كلابهنّ الصغيرة يسحبّنهنّ من أحزمة أطواقهم المرصعة بالأحجار اللامعة، أمهات مع أطفالهنّ الرضّع، مملوئين بالصحة، يحملنهنّ في عربات الأطفال.

كنت أتساءل إن كان لارس يجلس في سيارته في الطريق متخفياً، وهو يخفض رأسه، ويحدب ظهره، حتى لا أراه وهو يراقبني.

مكتبة

اعتقدت أنه قد يتخذ قراراً معتمداً على مظهري فحسب، ولم يكن مظهري بهذا السوء على العموم. قلت لنفسي بأسف؛ لقد صففت شعري بعد ظهر ذلك اليوم بالذات، وأعطيت وقتاً إضافياً لوضع حمرة الشفاه، ألم يكن الأمر يستحق أن يضيع ساعة من وقته ليتناول القهوة معي؟ وأخيراً، وقفت، بعد أن أنهيت شرب فنجان القهوة الذي أعيد ملؤه لي مرتين (وأنا أنتظر). سحبت معطفي على أكتافي وخرجت من الباب أمشي وأنا أرفع رأسي. ورسمت ابتسامة شجاعة مشرقة على وجهي. كنت أريد أن أتأكد أنه عرف أنني غير مهتمة، فيما لو كان يراقبني.

بعد الغداء، أمضي ساعة وأنا أنزع الشريط الذي يغطي نوافذ غرفة نومي والإطارات المحيطة بها. أرفع الجرائد من على الأرض، أعيد تعليق الستائر، وأفكر بتحريك الأثاث بنفسي، في النهاية أقرر أن ذلك لايستحق العناء. وأصعد إلى سريري بدلاً من ذلك، وأغرق فوراً في نومٍ مظلمٍ بدون أحلام في البداية. ثم أكون هناك في غرفة النوم ذات ورق الجدران الأخضر. يرشحُ فيها ضوء الصباح المختلط بالعتمة الرمادية من خلف مصاريع النوافذ. أستطيع أن أرى من جديد، خلال باب الفناء، رقاقات صغيرة من الثلج تتساقط. هل يهطل الثلج عادة، في هذا المكان؟

لارس وأنا نتغازل، ذراعه الأيمن حولي، أستطيع أن أشعر بثقل ساعده القوي على خصري، وبأنفاسه الدافئة حول رقبتي. التفت قليلاً لأنظر إليه. "من أنت"؟ سألته في بالي، أخشى التحدث بصوت عال فأوقظه. "ماذا أفعل معك هنا"؟

يفتح عينيه الزرقاوين الغائمتين، وكأني تحدثت بصوت مسموع. "صباح الخير، حبيبتي يدير وجهي ناحيته فنتمكن من تبادل القبل. قبلته دافئة وحميمة. أشعر فوراً وكأني أقبله يومياً منذ سنوات.

تمتمت "صباح الخير،" إنها تعطيني احساساً جيداً؛ أريد الاستمتاع بهذا أطول قدر ممكن.

مكتبة

ألتفت وأضغطُ جسمي عليه فأشعر بقساوته على فخذي، أتردد. ثم، وعند تذكري أنني أحلم فقط، لذلك لاشيء مما أقوله أو أفعله، في الواقع يهم، سألته: "كم الوقت؟ هل نحن.....هل يمكننا....". أتلعثم، غير متأكدة تماماً من كيفية إيجاد الكلمات، حتى في هذا العالم غير الحقيقي بالمطلق.

يبتسم: "أجل...لو كنا سريعين. إنني أحب أيام السبت".

ثم بدأنا بممارسة الحب بعنف وخشونة، خلسة، بالطريقة التي اتخيل فيها الأزواج يقومون بها عندما يجدون أنفسهم لايملكون سوى دقائق قليلة تتوفر لهم في الصباح الباكر. عليهم أن ينجزوا الأمر بسرعة قبل أن يستيقظ الأولاد.

للحصول على كتبنا قبل الجميع

بروابط تحميل مباشرة

تابعونا

على فيسبوك

مكتبة الرمحي أحمد

facebook.com/ktabpdf

على تيليجرام

telegram @ktabpdf

مكتبة

قلبه يطرق. أسأله مرة أخرى: "هل أنت على مايرام"؟ فيبتسم ويلتفت ليقابل وجهه وجهي: "أنت تعلمين، علي أن أبطأ بعض الأحيان.....يصبح الأمر أسهل إن فعلت..."

أسأله بحذر: "أسهل....كيف"؟

يربت على صدره، أصابعه الدافئة تحضن أصابعي، ويقول: "أسهل هنا.... إنه أسهل على قلبي يسحبني إليه أكثر ويهمس لي: "تعرفين، إنه الحب".

يصمت كلانا لدقيقة، وأنا أراقبه بحذر بينما تنفسه يأخذ بالتباطؤ نحو الإيقاع الطبيعي.

قلت له: "كان رائعاً، كان جداً.........مرضياً". ثم ابتسمت ابتسامة عريضة. لابد وأنه يعتقد أني مجنونة.

قال: "كنتِ منفعلة جداً، وكأنك من وقت طويل لم......ولكن في الواقع لم يمر وقت طويل. يظهر عليه أنه مشغول البال: "من بضعة أيام، صح"؟

فقط لو كان يعلم! "حسناً، افترض أن الأمر يبدو لي هكذا بعض الأحيان".

هناك طرق خفيف متردد على الباب الذي كان موارباً. وصوت صغير يقول: "طرقت الباب مثلما أردتني أن أفعل، تذكرت، فطرقته".

ابتسم لارس ونادى: "تعال وادخل يا صديقي،".

يفتح الباب بشكل كامل، ويطل رأس ميتش ذو الشعر البلاتيني، فيخطو بخفة متجهاً إلى جانبي من السرير ويقف عنده، قال كمن يلقي بتقرير: "إنها بعد السابعة"

يلقى لارس نظرة سريعة على المنبه الموجود على منضدة السرير (الكومودينو) في الطرف الذي ينام عليه من السرير. "إنها كذلك".

"انتظرت الساعة، تماما كما طلبت مني أن أفعل

أقول: "أحسنت".

مكتبة

لست متأكدة من أن ذلك مسموح– من أنا حتى أعرف قوانين هذا البيت؟– ولكني مع ذلك، مأخوذة بدافع الرغبة في الاقتراب الدافئ من هذا الطفل. أُبعد الأغطية وأدعو ميتش إلى الدخول تحته. يصعد إلى السرير بحماس ويلف رجليه بالغطاء ويلف عنقي بذراعيه.

مكتبة الرمحي أحمد

سألته: "هل ذهبت إلى الحمام؟

وفي نفس الوقت أتساءل ما الذي اعطاني هذا الحضور الذهني لأفكر بشيء كهذا حتى! هز ميتش برأسه.

يسأله لارس: "هل أنت الوحيد الذي استيقظ"؟ هز الولد برأسه من جديد.

ينهض لارس من السرير. يقول للطفل: "اذهب وأحضر كتاباً يا صاحبي، ماما ستقرأه لك في السرير، أليس كذلك حبيبتي"؟

"بالطبع سأفعل ورفعت نفسي لأستلقي بوضعية أكثر راحة على المخدة. ينحني لارس ليقبلني. "سأجهز الإفطار

وهكذا، وجدت نفسي في غرفة نوم ساحرة وأنيقة، والثلج يتساقط خفيفاً في الخارج، ملتحفة مع ما يفترض أن يكون ألذَّ طفلٍ على الأرض، أقرأ له كتاباً عن النقل.

على مايبدو أن المركبات هي "أشياء" ميتش، بكل أنواعها، الطائرات، القطارات، السيارات القديمة، عابرات المحيطات.

أخبرني ميتش وهو فخور: "سأصبح كابتن باخرة، عابرة محيطات يوماً ما، وسأبحر حول العالم، وستكون عائلتي معي، وستقيم في مقصورات الدرجة الأولى

أبتسم وأشد عليه في العناق.

"تطورنا في السفر عبر القطارات له عمق تاريخي– هل علمت أن أول محرك بخاري صنعه رجل بريطاني في عام 1804 اسمه ريتشارد تريفيثيك؟ لم أكن أعلم قبل اليوم – عندما يفتح الباب مرة أخرى وتدخل ميسي الغرفة لتخبرنا "يقول بابا أن الوقت حان لتناول الفطور وتدور أمامي بثوب نومها

مكتبة

الزهري الذي زين من جهته الأمامية برسم أميرة ترتدي ثوباً أصفر.

وتنحني فوقي من أجل قبلة إلزامية، أسألها بعدها: "كيف كانت ليلتك الأولى في ثوب نوم الأميرة الجديد"؟ كيف عرفت هذا؟ لم تكن ابتسامة بل كانت تكشيرة هائلة: "كان رائعاً. إنه مريح جداً، وعندما استيقظت في منتصف الليل والأميرة كانت فوق (بطّوني) تماما، جعلني هذا أعود للنوم بسهولة" عصرتني ميسي بعناق سريع وقالت: "شكراً ماما، أنت أفضل خرااااطة!".

وأصحح لها: "خياطة"

37

ماعدا أني لست بخياطة. لم يحدث أن قمت بخياطة شيء أكثر تعقيداً من تثبيت زرٍ محلول في بلوزة، منذ أيام صفوف التدبير المنزلي، قبل أكثر من عشرين عاماً. ومع ذلك في هذه الحياة، صنعت ثوب نوم لطفلة (أو على الأقل ثبت قطعة مطرزة لهيئة أميرة عليه)، من أين اكتسبت هذه المهارة؟

أقول لكليهما: "أنتما، أسرعا، قولا لوالدكما أنني سأكون معكم بعد قليل

جُلتُ ببصري متفحصة غرفة النوم قبل مغادرتها. أول شيء يسترعي انتباهي هو صورة الزفاف الكبيرة على الحائط الغربي. الصورة مغمورة بالظل في الغرفة المعتمة، والتي صارت أكثر عتمة بسبب تساقط الثلج هذا اليوم. الصورة بالأبيض والأسود، ولكنها لُونت يدوياً مثلما تلون الصور القديمة عادةً، ولم تصور بفلم ملون أساساً، كما تراها كثيراً في هذه الأيام. مجرد صورة بسيطة بالأبيض والأسود تبدو وكأنها أخذت مع عدم تركيز في بؤرة العدسة عن قصد، وكأن ذلك من أجل تلطيف الصورة والتخفيف من حدتها. ومع ذلك يمكنني، قطعاً، أن أرى نفسي وأنا في الثلاثينيات، مع لارس، جنباً إلى جنب، وقد كان أصغر من الآن، وشعره في مقدمة رأسه أكثف من الآن بقليل، ومقاس وسطه كان أصغر. ثوبي الأبيض كان بسيطاً، بأكمام متوجة بشريط من الدانتيل، خصر أنيق، وتنورة طويلة حتى الركبة. يقف لارس ورائي قليلاً، يلف ذراعه حولي، ويضع يده أسفل خصري. أحمل باقة من الورود الفاتحة

مكتبة

الألوان، قد تكون صفراء أو وردية، مع بخّاتٍ من زهرة (أنفاس الطفل)[1] منثورة بين الورود اليانعة. لايمكنني أن أستنتج أي شيء عن المكان الذي كنا فيه. على مايبدو أننا أُوقفْنا في مكان من دون معالم خلفية من أجل هذه الصورة، مكان يُبرزُ صورة العريس والعروس من دون أن ينبئ عن المكان الذي أخذت فيه الصورة. يوجد إلى جانب صورة الزفاف صورة فتوغرافية أخرى بالأبيض والأسود، مشهد لشارع لايمكن إلا وأن يكون في باريس. لم أذهب إلى باريس أبداً، أردت دائماً الذهاب إلى هناك، ولكن حتى الآن لم تأخذني أسفاري بعيداً إلى ذلك البعد عن بيتي.

باريس، مدينة يمكن التعرف على صورتها فورا،مالم تكن تعيش في سيبيريا. كما هو الحال في العديد من الصور الفوتوغرافية لتلك المدينة، هناك مقهىً في الخلفية، محطة مترو، وشوارع ضيقة، دراجة هوائية `ذات سلة كبيرة للأزهار، علقت على مقابض الدراجة ومُلأت بالزهور، تتكئ على سياج مصنوع من الحديد. رجال ونساء، أنيقو الملابس، يعبرون الشارع كما لو كانوا في عجلة من امرهم للوصول إلى مكان ممتعٍ، مدهش.

تساءلت: هل قضينا شعر العسل هناك؟ ألتفتُ إلى التسريحة الطويلة المائلة، وأفتح خلسةً، درجاً بعد الآخر. كلها مليئة بالملابس النسائية، ولكنها ليست ملابسي. كلما تقدمت بالعمر أكثر كلما أصبح ذوقي أكثر انتقائية، كيف سأعبّر عن هذا الذي أمامي؟ (ذوق عشوائي؟). أسمع فريدا ترد، فتملأ فراغات المعنى عني بشكل مفيد. بلوزاتي الملونة، أوشحتي ومجوهرات كثيرة. أرتدي البناطيل كما أرتدي التنانير، على الرغم من أن من زبائني – هذا عدا عن والديَّ طبعاً– من يقطب جبينه عند ارتدائي البنطال. أقول لأصدقائي "إنه عام ألف وتسعمائة واثنين وستين. (بطبيعة الحال، لن أوجه القول لعميل بشيء من هذا القبيل.) "النساء يتغيّرن. كل شيء يتغير ومع ذلك، في عام 1962 ذاك – إن كان حقاً هو عام 1962 هنا – كان ذوقي تقليدياً. أمرر أصابعي فوق الكنزات

(1) نبتة عشبية ذات مظهر حساس تحمل ازهاراً معطرة صغيرة بيضاء

الصوفية الناعمة (من صوف الكشمير) التي تتدرج ألوانها من ظلال الرمادي والعنابي الغامق. أرفع صفوف الجوارب بحذر لأرى إن كان هناك شيء أكثر إثارةً مدفون تحت الملابس الداخلية والجوارب السمراء. ليس هناك ماهو إبداعي أو مفعم بالحيوية على وجه الخصوص، يبدو وكأنني أقضي وقتاً كبيراً، هذا إن لم نذكر صرف المال، على خزانة ملابسي الخاصة.

عُمِلَ كل شيء بإتقان، كل شيء رُتب في الأدراج بعناية. عندما أفتح بابيِّ الخزانة، أستشعر نفس الترتيب والتنظيم على الرفوف. تحييني صفوف الأثواب والبلوزات والتنانير، تقف بالترتيب حسب اللون ودرجة الرسمية.

أتصور خزانة غرفة نومي الصغيرة في شقتي ذات الطابقين في شارع "واشنطن"، الأثواب والتنانير والبناطيل المكدسة والمعلقة بطريقة أستطيع معها تناول أي قطعة في المساحة المتوفرة الضيقة جداً. أقوم بالطقوس ذاتها كل صباح، من التوغل داخل بطن الخزانة لإيجاد القطعة المرغوبة، وأزيح كل شيء آخر جانباً، ثم أترك كومة من الملابس على السرير. غالباً ما أعود للمنزل من العمل لأجد أصلان ملتفاً على نفسه على شكل كرة مسترخية تهرُّ وسط ملابسي المتكومة.

ولكن، في المقابل، تبدو هذه الخزانة وكأن كل شيء في مكانه المحدد. مع خزانة كبيرة ومرتبة بعناية مثل هذه، يمكن للمرء، بالتأكيد، أن يجد قطعة الملابس التي تتناسب تماماً مع أي قطعة ملابس أخرى، في أي مناسبة من المناسبات. ارتديت ثوب الحمام المريح بخفة، وكما نوهت في المرة الماضية، كنت هنا، ولكن لم يكن يلائمني كثيراً. أحزم زناره على خصري، ثم أفتح باب غرفة النوم بهدوء. البيت، كما يمكنني أن أخمن، مؤلف من طابقين. طرازه حديث، بُني، بعد الحرب بالتأكيد، خلال العقد الماضي على الأرجح.

غرفة نومنا، أنا ولارس، (كم يبدو هذا غريباً)، تقع في الطابق الأول، مع حمّامنا الذي لم يكن له طريق للدخول إليه إلا عبر غرفة النوم. أنت ترى في تلك البيوت المعاصرة، أن الحمام يرافق غرفة النوم الرئيسية، وتدعى

مكتبة

بالجناح. من المفترض ان الأبواب الزجاجية الزلاّقة كانت تؤدي إلى الفناء وإلى الباحة الخلفية.

عند الخروج من مدخل غرفة النوم أجد الرواق على يساري، وهناك باب في آخره، غير منسجم مع المكان ويبدو وكأنه يقود إلى مكتب. أرى على يميني غرفة الجلوس والباب الأمامي للمنزل. لون الجدران ذهبي فاتح والباب لونه أزرق مائي. والآن، أعتقد... أو يبدو على الأقل، أنني أمتلك بعض الحس اللوني في التصميم الداخلي لبيتي.

بإمكاني أن أسمع صوت لارس والأولاد من مكان ما أمامي، لابد وأنه المطبخ، لكن الرواق يحجبه عن مجال رؤيتي، وأعرف من خبرتي السابقة أن غرف نوم الأولاد في الأعلى في منتصف طبقة الدرج، مباشرة بعد المدخل. تنزل الأدراج نصف طبقة أيضاً، على مايبدو إلى غرفة الغسيل أو غرفة الألعاب، ومن المحتمل إلى كليهما معاً.

وبدلاً من التوجه إلى مكان تواجد الأسرة وصخبها، دلفت إلى القاعة إلى يساري. الجدران مزينة بصور فتوغرافية. وكلها صور لأشخاص ماعدا الصورة الأولى التي بالإمكان رؤيتها من غرفة النوم. مازالت تلك الصورة – صورة منظر الجبال – تحيرني. خطوت للوراء قليلاً حتى أتأملها لبضع ثوانٍ. لا أستطيع أن أؤكد لنفسي أين يمكن أن يكون هذا المنظر. عندها أدركت أن وضع هذه الصورة في هذا المكان لم يكن عرضياً. في الحين الذي ضمت فيه كل الإطارات الأخرى صوراً لأطفال، لأسلاف، للتجمعات العائلية، إلا أن هذه الصورة وُضعت، عمداً، بالضبط حيث وضعت. كان بالإمكان رؤية هذه الصورة ليس من غرفة النوم فحسب، بل من السرير تحديداً. وليس هناك فرصة لرؤية صور الأطفال والأجداد من ذاك المكان. فكرة ذكية للغاية، أهنأ نفسي على ذلك، إن كان هذا الترتيب من بنات أفكاري. درست الصور الأخرى، فلم أرَ بينها صورة لميتش أو لميسي، هذا أمر مثير للدهشة. عوضاً عن ذلك كانت هناك تلك الصور بالأبيض والأسود، يبدو وكأن جميعها كانت قد أخذت

مكتبة

منذ زمن طويل. هل من المحتمل أن يكونوا أسلاف لارس؟ ثم توقفت عن النظر إليها وأخذت نفساً عميقاً. في منتصف الطريق إلى القاعة، هناك صورة أعرفها جيداً. لا أستطيع أن أتذكر تلك المناسبة، على الرغم من أني كنت أقف في وسط أمام الصورة. شعري الأشقر المموج يحيط بوجهي الممتلئ. كانت والدتي تقول دائماً أنني كطفلة، كان لي أجمل شعر متموج. لكنه تطور إلى خصل شعر عنيدة تثير الجنون، عندما دخلت المدرسة.

أجلس على بطانية نزهات، وكان والديَّ إلى جانبيّ. أمي تسندني وتبتسم ابتسامتها الغامضة – لا أعتقد أني كنت بعمر أكثر من ستة أشهر–. والدي يجلس إلى جانبها على البطانية، وساقاه الطويلتان ممتدتان أمامه. كنا نقوم بنزهة في حديقة "واشنطن"، في مكان غير بعيد من منزل طفولتي في شارع يورك في رابية (مايرتل)المجاورة في دنفر.

كان الناس يسمون رابية مايرتل بـ"منتزه شرق واشنطن"، ولكن في ذلك الوقت كان للحي اسمه الذي يميزه عن المنتزه نفسه.

أنا أعرف – لأنها أخبرتني بهذا قبل بضع سنوات – بأنه في الوقت الذي أخذت فيه الصورة، كانت أمي حاملاً. كانت تنتظر أول طفلٍ من الثلاثة الذين رزقت بهم بعدي، كانوا كلهم صبية(أولاد)، وكلهم كانوا قد ماتوا عند ولادتهم، وأن الأطباء لم يتمكنوا من تبين السبب أبداً، وبعد أن تكرر هذا عدة مرات...... قالت لي والدتي، في اليوم الذي حكت لي تلك الحكاية الحزينة: "حسناً، أخبرنا الأطباء، والدك وأنا، أن علينا أن نتخذ إجراءات مؤكدة بحيث لا يكون هناك حمل آخر وهزت كتفيها استهجاناً، وأسبلت عينيها حزينة. وتوقفت عن الحديث. لا أتذكر حملها في المرة الأولى والثانية، ولكني أتذكر حملها الأخير. لابد وأن عمري كان حوالي السادسة أو السابعة من العمر. أتذكر بطن أمي المنتفخ، وكيف أنه كان يعترض طريقي، عندما كنت أحاول تسلق أكتافها، من على حضنها، لأتدرب على القراءة في كتابي في المرحلة التمهيدية، فقد طلب منا المعلم ذلك، كواجب بيتي مسائي.

مكتبة

أتذكر والدي وهو يأخذ امي إلى المشفى، وعمتي ماي – التي كانت شابة وغير مرتبطة آنذاك، وكذلك لم يكن عمي "ستان" مرتبط بعد بعروسه التي كانت من سلاح البحرية – والتي قدِمَتْ لتبقى معي. أتذكر والدي عندما عاد إلى البيت بعد عدة ساعات، كان يجر خطواته المتثاقلة. جلس على الأريكة، ولف ذراعيه حولي، واضعاً خده الخشن على خدي الناعم. وأخبرني بصوت خافت جداً أن أخي الوليد قد صعد إلى السماء. سألته ووجه الخشن مازال ضاغطاً على خدي: "أنت تقصد أنه لن يأتي للعيش هنا وأن يكبر معي؟ ذهب إلى الأبد؟ لن يعود"؟ أجاب بصوت أجش: "أجل وأحسست برطوبة دموعه الحارة على جلدي: "ذهب إلى الأبد حبيبتي

أذكر اني شعرت بالغضب من طبيب والدتي، كنت أفكر أنه كان عليه أن يتمكن من المحافظة على أخي، أليس من المفروض على الأطباء أن ينقذوا الجميع؟

الآن، عند النظر إلى صورة والديَّ الشابين وإلى صورتي وأنا طفلة رضيعة، أشعر وكأن شيئا أو شخصاً ما يضرب قلبي. تفلُت من صدري تنهيدةٌ. أجد نفسي فجأة تتلاطمني أمواج الحزن. أقول بهدوء وحنان "ماما، بابا"، "لماذا أجد صورتكما في هذا البيت"؟ ثم أنظر حولي. "لماذا أنا في هذا البيت؟ "أخطو إلى الأمام بسرعة لألقي نظرة على باقي الصور. أجل، هناك غرباء، شباب وكبار في السن، أطفال وأجداد، من يعرف من هؤلاء! لكن ليست كل الوجوه غير مألوفة. البعض في تلك الصور هم من أقاربي. أرى خالتي "باتريشيا"، ذراعها حول أمي، في عمر مراهقتهما.

وهناك صورة لبنات خالتي غريس وكارول لويس معي، وأنا محشورة بينهما، كنت ممتلئة، أرتدي لباس السباحة، يحيط لباس السباحة بنهدي الناميين حديثاً، لكن بنات خالتي كانتا، كلتيهما، بثياب سباحة فضفاضة، واسعة، مهلهلة عليهما، نضع جميعنا قبعات السباحة المطاطية، نحدق في الشمس. هناك بحيرة وشاطئ رملي خلفنا. أتذكر ذلك الوقت، وأتذكر الإجازة

مكتبة

التي ذهبت فيها عائلتينا إلى "ماكونوجهي في نبراسكا.

هناك صورة زفاف لجدّاي، جامدة ورسمية، تبدو جدتي في الصورة أنضج من أن تكون في التاسعة عشرة من عمرها، العمر الذي كانت عليه في الصورة، وأنضج بكثير من أي فتاة في التاسعة عشرة من عمرها تراها من ذاك الزمان. اتذكر أن أمي كان تريني تلك الصورة من وقت لآخر، وأخبرتني حكاية يوم عرسهما، وكيف أنهما لم يتزوجا بذات اليوم بسبب أن الأب الواعظ كان قادماً من مدينة كنساس، وأعاقت عاصفة ثلجية وصول قطاره. وأخبرتني أمي وهي تمرر أصابعها على الصورة في حافظتها الجلدية: "خلال فترة الانتظار بدأت أقدام الجد تبرد (ربما بالمعنى الحرفي للكلمة بالإضافة إلى المعنى المجازي)، ولكن أخوه – أنت تتذكرين العم "آرتي" – توفي وأنت في العاشرة – تكلم معه يومها بحزم قائلاً له أن المرأة الجيدة لا تأتي كل يوم، خصوصاً في شرق كولورادو، بلدٌ تربية قطعان المواشي، في 1899، أخبره أنه إن لم يتزوج تلك الفتاة (جدتي) فإنه هو نفسه سيتزوجها عوضاً عنه.

ابتسمت أمي حسناً، تلك كانت الطريقة الوحيدة المقنعة، فقد عرف الجد أن العم آرتي يعني كل كلمة قالها. وصل الأب الواعظ، وقام بعقد القران". ابتسمت أمي بحنان لوجه أمها الشابة وتابعت: "ثم أُخِذَتْ الصورة".

تمتلئ عيناي بالدموع وأنا أتفحص الصور، الكثير من هذه الوجوه، أبناء عمتي مثلاً، لا أراها بما فيه الكفاية غالباً. البعض الآخر مثل العمة بياتريس وجدايَّ، هم أناس خرجوا من حياتي بالفعل. أفكر فجأة بشأن مايعنيه أن نكبر. إنه يعني أن كل أولئك الذين أحببتهم كشباب صاروا مجرد صور على جدار، كلمات في حكاية، وذكريات في القلب.

"حمداً لله على وجودكما، لا أعرف ماذا كنت سأفعل من دونكما"، أهمس إلى صورة والديَّ وأنا معهما، تلك الرضيعة. أنزل إلى الصالة وأدخل إلى الغرفة التي في آخرها. إنه في الواقع مكتب واسع ومشمس، مع نافذة على شكل واجهةٍ كبيرة على جدارها الشرقي مع وجود لوح للكتابة، معلق

مكتبة

تحت النافذة. وهناك صينية من المعدن مملوءة بأقلام الرصاص وأدوات الكتابة،تفيض بهم، معلقة على الجانب الأيمن للوح. في زاوية الغرفة، هناك عربة صغيرة للمشروبات مع صف من الكؤوس النظيفة وعدة أقداح، وزجاجات الشراب، بعضها في قوارير شفافة والبعض الآخر في قوارير من الزجاج الأخضر، مرتبة بعناية على سطح العربة. تحبس القوارير والأواني الزجاجية، أشعة ضوء الشمس المتسللة عبر النافذة. استقر مكتب كرزيُّ اللون في وسط الغرفة مع جهاز هاتف على إحدى زواياه، وهناك إطاران للصور في الزاوية المقابلة له، مع نشافة حبر في الوسط. وهناك دفتر بطاقات تعريف بالعمل إلى جانب الهاتف، يحتوي على حزمة من تلك البطاقات. التقط أول واحدة: آندرسن للهندسة المعمارية والتصميم، المدير العام لارس أندرسن، "تجاري، شركات، سكني". ابتسم عندما أتذكر ما قاله لارس قبل سنوات عن التخطيط للمزيد من الأبنية ذات العلاقة بالشركات، أكثر من أبنية المنازل، وأتساءل إن كان الوصف الثالث "سكني" على البطاقة هو مجرد أمنية. تُظهر البطاقة عنواناً في وسط مدينة دنفر ورقم هاتف.

أحفظ الرقم، ثم أدس البطاقة في جيب ثوب الاستحمام الذي أرتديه، وأفكر بشكل غير منطقي أن تلك القصاصة الورقية الصغيرة ربما تعود معي إلى العالم الحقيقي، حيث قد أتمكن من التنقيب عميقاً عن هوية لارس آندرسن. أنحني على المكتب وأتفحص إطارات الصور. تُظهر الأولى صورةً لي بمقاس ثمانية في عشرة. إن كانت حقيقية وليست مجرد دعامة لسند أحلامي، فلابد وأنها أُخذت خلال السنوات القليلة الماضية؛ أستطيع أن أرى الخطوط المألوفة حول فمي وعينيّ، تلك التي أراها في المرآة كل صباح. ألاحظ كبحاً خفيف على وجهي وكأني كنت آمل أن أبتسم بشكل لائق يعكس، في الصورة، دفئاً ومودة، بشكل خفيف، بحيث لايؤثر في الخطوط ولايجعلها ملحوظةً، أو أكثر عمقاً، شعري أملس بأطراف ملفوفة، أرتدي ثوباً باللون النيلي، فتحة الرقبه فيه على شكل زورق، مزين باللؤلؤ، ومعه قبعة صغيرة

مكتبة

مناسبة. "فيري جاكي كينيدي"، أعتقد أنني، في عالم الأحلام هذا، كنت أشكّل نفسي على هيئة السيدة الأولى. وتند عني ضحكةُ خفيفة. فعلا أحب عائلة كينيدي، وقد صَوّتُ فعلاً لجاك. مازلت أؤمن بشدة بقدراته، على الرغم من المخاوف التي كانت عند الجميع مؤخراً، من أنه ليس عنده فكرة عن كيفية التعامل مع الشيوعيين، وأننا جميعاً سنُنْسَفْ قبل أن ينتهي هذا العام. بغض النظر عن إعجابي بزوجها، فإنه من غير الوارد، في حياتي الحقيقية، بالنسبة إلى أي شخص، أن يخلط بيني وبين جاكلين بوفير كينيدي.

التقطت الإطار الثاني، إنه مثير للاهتمام لسبب بسيط، وهو أنه لايحوي أي صورة. إطارٌ قسم داخله إلى ثلاث أقسام، بحيث يمكن وضع ثلاث صور. هل كانت هذه التقسيمات لصور للأولاد؟ إن كان الأمر كذلك فلماذا نزع لارس الصور؟ ولماذا هي ثلاثة أقسام بدلاً من قسمين؟

"ماما!"

سمعت ميتش يمشي متثاقلاً في القاعة تحت. ثم يظهر على باب المكتب، ويقول بلهجة اتهام: "كنا ننتظر استجابة لدعائنا بأن تردي. قال والدي أن أحضر لك هذا، وأن يحمل بعناية". يحمل قدحاً كبيراً ملئ إلى ثلاثة أرباعه بالقهوة– غالباً قهوة سوداء – التي أحبها مع لمسة كريمة.ابتسم وأرتشف قليلاً منها، استمتع بطعم الحلاوة الخفيفة. من الواضح أن لارس يعرف أيضاً أني أحب أن أضع في قهوتي قطعة واحدة من السكر.

"آسفة حبيبي، أخبر بابا أنني سأكون معكم فوراً".

فانطلق عائداً إلى الصالة.

مكتبة

الفصل الرابع

أستيقظ مرة أخرى على الجدران الصفراء، على أصلان، على البيت. أقول له: "إنه حلم لطيف، إلا أني لست متأكدة أين كنت، ياصديقي داعبت خلف أذنيه، وصرت أخمن: "أتعلم، ربما كنت هناك، على مايبدو أنه بيت كبير، ربما كنتَ تختبيء في القبو

أنهض وأنا أبتسم، ثم أبدأ نهاري.

أحاول الاتصال برقم الهاتف الذي حفظته من المحل عند منتصف فترة الصباح، بينما كانت فريدا في غرفة السيدات، الرقم الذي على البطاقة التعريفية بالعمل الخاصة بلارس. أطلب الرقم خلسةً، يملؤني شعور وكأني طفلة تختلس كعكة من القطرميز الزجاجي، بينما والدتها خارج المطبخ. ليس لدي أي فكرة عمّا سأفعله في حال رد شخص ما على المكالمة. ولكن صوت خدمة الهاتف يقول لي أن الرقم ليس في الخدمة.

بعد ذلك، أحاول طلب رقم هاتف بيت لارس الذي عرفته منذ ما قبل ثماني سنوات، وهو الرقم الذي قدمه في رسالته. فرصة الإستجابة عند طلب هذا الرقم بعيدة المنال، لكن الأمر يستحق المحاولة، حتى ولو لم يكن له مبرر إلا أن أعرف إن كان هذا الرقم قيد الاستخدام أو لم يكن، إن كان كذلك، أتوقع أنني لن اسمع سوى رنة الهاتف تستمر إلى أجل غير مسمى. أعتقد أن فرصة أن يجيب على الاتصال ضئيلة، وخاصة في هذا الوقت من النهار. حتماً سيكون في العمل في هذه الساعة من أيام الأسبوع. ومع ذلك، تبلل باطن كفيّ بعرق الانفعال والتوتر، إنني أطلب هذا الرقم للمرة الثانية

مكتبة

في حياتي فقط. وضعت سبابتي اليسرى على خطاف الهاتف، بعد أن طلبته، وأنا مستعدة لإغلاق الخط فوراً في حال تلقيت إجابة؛ ولكني سمعت نفس صوت المسجل يخبرني، أن هذا الرقم ليس في مجال الخدمة أيضاً. سحبت دليل الهاتف من على الرف الذي تحت منضدة البيع، بسرعة. قمت بعمل مسح لكل قوائم الشركات، أبحث عن الشركات المعمارية، التي تحوي على اسم اندرسن. لايوجد أي شركة تضم هذا الاسم، حاولت أن أجده بترتيب مختلف لأحرف كتابة كلمة آندرسن، بالتأكيد لايوجد أندرسنز. أحاول استعراض قائمة البيوت. لا شيء تحت اسم لارس أندرسن، ولا أندرسن. أتخيل نفسي أني السيدة أندرسن، وأبحث حتى عن كاثرين اندرسن، أو ك. أندرسن، في حال أن هاتفنا كان مسجلاً باسمي، للأسف لم يكن لي هذا الحظ. لا أستطيع أن أفكر بشيء آخر أقوم به. تدلف أصابعي في جيب ثوبي لأجد بطاقة أمي البريدية اليومية. لا أدري لماذا قررت اليوم أن أحمل كلمات أمي معي خلال النهار، عوضاً عن حفظها في الملف الخاص ببطاقات أمي، كما أفعل عادة إلى يومي هذا. لا أحتاج إلى النظر إلى البطاقة لأتذكر الصورة على الوجه الأمامي– راقصة مبتسمة من هاييتي، وقد رفع شعرها عن وجهها إلى الخلف بواسطة إكليل من زهر الجاردينيا، وتنورتها التي صنعت من الأعشاب، تغطي ساقيها الطويلتين، وكلمات أمي على وجه البطاقة الخلفي، هي أيضاً ما أتذكره تماماً.

عزيزتي كيتي

إنني أفكر بك طوال اليوم. أتمنى أن تكوني بخير، حبيبتي. تعرفين أن العمة ماي تواصل السؤال عنك –تسأل إن كنت سعيدة، إن كنت نلت كل ماتتمنينه في الحياة. وأنا أقول لها أنك طبعاً تنالين كل ما تتمنينه في الحياة. طبعاً، أقول لها أنه إن كان هناك أي شيء تريده كيتي ولاتملكه، فإنها ستجد طريقة لتحصل عليه. إنني أؤمن بذلك.

مكتبة

غاليتي، بإمكانك أن تكوني أي شيء تريدين أن تكونيه. آمل أنك عرفت ما أحاول أن أقوله لك.

مع حبي
أمك

"ماذا، أمي"؟ همست بصوت عالٍ في المحل الهادئ.

"ما الذي تحاولين قوله لي"؟

"هل هناك مكان آخر علي أن أنظر باتجاهه؟ هل أضعت أي دليل معين للوجهة؟

أضع إعلاني الشخصي بعين الاعتبار، وأنا أفكر في الجريدة عدد خريف 1954. لو أني رأيت الجريدة الخاصة بتلك الأيام، هل يمكن أن يعطيني مافيها، فكرة ما؟ أحتاج إلى القيام ببعض البحث. "سأخبر فريدا عند الاستراحة التي نتناول فيها القهوة، في الساعة العاشرة. في الواقع ليست استراحة حقيقية لأننا لا نغلق المحل. إن دخل شخص ما، أقصد زبون، علينا بالطبع أن نخدمه. ولكن إن لم يكن هناك من أحد، فإننا نستقر على كراسينا خلف منضدة البيع، نرشف قهوتنا وندردش. نتحدث بعض الأحيان عن العمل، وأحياناً عن ما نقرأه، ونقع أحياناً في فخ ثرثرة الكسالى التي تدور في شارع بيرل. من رأيناه يخرج من الضباب مع من في الليلة الماضية، ماذا يفعل أصحاب المحلات التجارية الأخرى لجذب حركة العمل إلى شارعنا الصغير، وكم كان إبعاد خط الترام عملاً ظالماً من المدينة.

تنفخ فريدا في قهوتها الساخنة، ثم تسألني "أي نوع من البحث"

أشعر بأني أحمر خجلاً: إنه عن شخص. عن.....رجل يبدو الكلام في غاية الحمق. تلمع عينا فريدا: "إنك تخفين عني! هل قابلت أحد مجدداً؟ أين"؟

أهز رأسي بالنفي: "لا شيء من هذا القبيل

أريد بشدة أن أثق بها، لم أخفِ عنها سراً، خلال عشرين عاماً، تقريباً، لكن إلى جانب كون الأمر حماقة، فإنه أمر شخصي للغاية، وأحبه أن يبقى متعلقاً

مكتبة

بي وحدي، فقط لي ولا أحد سواي. أخبرها: "إنه مجرد شخص سمعت عنه" ثم تسرعت وكذبت "إنه يؤلف كتباً تاريخية". أعرف أن هذا سيصرف اهتمامها على الفور. لاتتحمل فريدا التاريخ. على الرغم من جهودي لمساعدتها في التعلم، إلا أنها رسبت في مادة تاريخ أمريكا:(كولومبوس من خلال الحرب العظمى)، وهو أسهل مساق دراسي أخذته في حياتي على الإطلاق. ولكن كل ما يهم فريدا هو اللحظة الراهنة.

"على أية حال، أنا ذاهبة لتناول وجبة منتصف النهار، إن كان هذا يناسبك" شربت آخر قطرة في فنجان قهوتي، ثم نهضت من مقعدي. لوحت بيدها وقالت: "بالتأكيد ليس لدي مكان آخر أريد لذهاب إليه، مشيت باتجاه برودواي، ثم أخذت الحافلة إلى وسط المدينة، إلى المكتبة المركزية الكبيرة التي لم يمر على افتتاحها سوى بضع سنوات. سألت الموظفة في قسم البحوث أن تضعني عند قسم الأفلام المصغرة القادمة من بريد دينفر منذ تشرين الأول 1954. استغرقت فترة من الوقت لكي تجد ما أبحث عنه، ووضعته لي على آلة عرض الأفلام المصغرة. انتظر وأفكر، بينما أستعرض أكواماً منها، إن المكتبة هي عدوة متجر الكتب، وصديقتنا. لديهم كل شيء هنا، فلماذا قد يحتاج الشخص، أي شخص، أن يشتري كتاباً؟

من ناحية أخرى، ليس هناك كالمكتبة تفتح عينيّ القارئ على احتمالات لانهائية للكلمة المكتوبة. أخيراً استقريت على الفيلم المصغر الذي طلبته. حركت ذراع التدوير تدريجياً لأقوم بمسح الصفحات إلى أن أصل إلى الإعلانات الشخصية في نهاية طبعة كل يوم. أجل، إعلاني هنا. لقد طلبت نشره لمدة أسبوع، بدءاً من يوم الأحد، العاشر من تشرين الأول إلى يوم السبت الذي يليه.

ابتسم بأسف، وأنا أقرأ عن نفسي عندما كنت بعمر أصغر من الآن، نفسي التي كانت ما تزال تملك الأمل في هذا الجانب من حياتي.

أتساءل، ماذا يمكن لهذه النفس أن تظن بي اليوم؟ هل كانت ستدهش

مكتبة

بأن ثمان سنوات مرت ولم أتغير كثيراً؟ وبأنني مازلت اتمايل راقصة في أرجاء بيتي صباحاً، وأنا استمع إلى أنغام الموسيقى الدارجة؟ وبأنني مازلت أنقب في خزانتي من أجل شيء أرتديه، ثم أخلف ورائي فوضى من الملابس المبعثرة في أرجاء غرفة نومي مثل فتاة مراهقة؟ ماذا يمكن لنفسي ذات الثلاثين عاما أن تظن بي بشأن هذا، للأسف؟ هل سيدهشها أن إعلانها الشخصي لم يوصلها إلى أي شيء، وأنه لم يغير حياتها قيد أنملة؟

لا أدري. أعرف فقط أنه ليس في إعلاني الخاص ما يعطيني فكرة عن ماذا حل بلارس آندرسن. تصفحت الصفحتين المتبقيتين بهدوء. شعرت في البداية بالتشجيع بسبب نقص المعلومات في إعلاني، وبعد برهة، رحت أغوص في ذاك العالم في ذاك التاريخ.

ضرب إعصار هيزل كارولينا الشمالية في الخامس عشرة من الشهر، شاقاً طريقه باتجاه الشاطئ مقتلعاً معه البيوت والمحال والشركات التجارية في أعقابه. في انكلترا كان هناك اضراب لعمال الموانئ. على الصفحة الأولى من عدد يوم السبت، السادس عشر من شهر تشرين الأول، هناك صورة لامرأة مع طفل صغير في حضنها. الولد قتله جرح متعفن بطريقة مأساوية، سبّبه مسدس تُركَ دون مراقبة في البيت. ويوضّح لي التعليق أن الصورة هي للصبي مع والدته، وقد أخذت قبل بضعة أشهر من وقوع الحادث. وجاءت جائزة "بريزفيت" التي يقال أنها "أعظم مباراة عرضت على الإطلاق في "دنفر في 19 تشرين الأول، في صالة عرض سيتي أرينا. وتظهر ملكة جامعة ترينيداد للشباب، العائدة للوطن مع مرافقيها، في صورة في العشرين من تشرين الأول، جميعهم يبدون فيها سعداء، مرحين، خالبي البال، و... شباب جدا جدا.

ثم صادفتني صفحة الوفيات في طبعة الواحد والعشرين من تشرين الأول

آندرسن لارس: سبب الوفاة: السكتة القلبية

ترك وراءه أختاً، لينيا (ستيفن) هيرشال في دنفر، مع ابنتها وابنها. وقد

مكتبة

سبقه إلى الموت والداه جون وآغنيس آندرسن. يقام القدّاس في الساعة العاشرة، من يوم الجمعة، في كنيسة بيثاني الأنجيليكية اللوثرية السويدية في دنفر.

الدفن بعد القداس مباشرة، في مقبرة فيرمونت

مكتبة

الفصل الخامس

هكذا إذاً. ها أنت ذا. الآن فهمت ماذا حدث. قبل كل شيء، لارس أندرسن لم يتخلَ عني. لم يكن لارس أندرسن بقادر على التخلي عني، لأنه لم يكن على قيد الحياة ليقوم بهذا.

لم أكن متأكدة ماذا سأفعل بتلك المعلومة، وأنا أخطو خارج المكتبة، أجر ساقاي بوهنٍ، نحو محطة الحَافلة. أشعر بحزن فظيع على هذا الرجل الذي لم أقابله مطلقاً- وأقابله في أحلامي الآن. علي أن أضحك على سخف خيالي، المثير للسخرية، على خبل عقلي، الذي حلق بي في حلم يمثل حياة كاملة لي مع هذا الشخص. هذا الرجل، الذي بمجرد ضربة حظ سيئة، وحسب، لم أقابله وجها لوجه، أبداً.

أتشوق جداً للذهاب للنوم تلك الليلة، ينتابني الفضول مما قد يحدث ومما قد أحلم به. أضحك على نفسي، أسكب لنفسي جرعة ويسكي سخية على أمل أن تحملني إلى النوم بسرعة. المفاجأة أن أحلامي لم تأخذني إلى المنزل ذي الطابقين، بل أخذتني إلى مطعم خافت الأضواء. غطاء الطاولات مربعات ملونة متناظرة، أما الجدران والأرضية فكان لونها أحمر غامق. المطعم مزدحم، يمكنني أن أرى عدة أزواج يقفون إلى جانب منصة المضيفة، ينتظرون أن تفرغ احدى الطاولات. قدرتُ أنها لابد وأن تكون أمسية عطلة نهاية الأسبوع بسبب الزحام والصخب في المكان.

كان لارس إلى يميني، يرتدي بدلة وربطة عنق، ويبدو محترما وسعيدا، ويده اليسرى تلف كتفي العاري وتضمه بشغف. أرتدي فستاناً من دون أكمام

مكتبة

بلون أخضر داكن كخضرة الغابات، مصنوع من الحرير الواسع، يمكنني أن أشعر بانزلاقه على ظهري وعلى ضلوعي. يتم إرشادنا إلى الجلوس في مقصورة مقابل مدخل المطعم. الجانب الآخر من المقصورة فارغ. يقول لارس: "أهلا بعودتك،" وعيناه تلمع وهو يحدق في عيني،" يبدو أنك ابتعدت، لبضعة دقائق، إلى أرض الأحلام هناك". ابتسم وأن أشعر بالإحراج وأقول: "آسفة، لابد وأنها أحلام اليقظة".

لم تكن ابتسامة بل تكشيرة: "تتخيلين لنفسك نمطاً من الحياة أكثر بهجة"؟ تتلاشى ابتسامتي: "مالذي يجعلك تقول هذا"؟ يهز كتفيه وبابتسامتة الحزينة يقول: "لا أدري. ألا يفعل كل واحد فينا ذلك بعض الأحيان؟ خاصة أنت وأنا"

"ماذا يعني ذلك بحق السماء"؟

هناك صوت موسيقى تعزف، أسمعها صادرة من مكبرات الصوت المثبتة في مكان ما فوق رؤوسنا.

الصوت واضح، مفعم بالحيوية لا لبس فيه، انها باتسي كلاين، واحدة من المغنيات المفضلات لدي في كل الأوقات. على الرغم من أن معظم أغانيها تدور حول حسرة القلب، أو ربما لنفس ذلك السبب - أحب إيقاع باتسي، نهجها الموسيقي. أحب الطريقة التي تعرف فيها، من خلال أغانيها فحسب، سبب حزنك أيٍّ كان.

أيا كان سبب حزنك، فإن باتسي ستتعاطف معك. لو تمكنت من الجلوس إليها مع مشروب، في بار ما لرعاة البقر يملأه الدخان ضباباً، وتحدثت عن همك، أؤكد لكم أنه مهما كان، فإن باتسي كلاين ستؤكد لك بأنك ستكون بخير مهما كان هذا الهمّ. وسوف تناولك منديلاً وتطلب لك شراباً من جديد. ستقول لك أنها مرت بنفس التجربة، بل وأسوأ، وأنها خرجت منها بأفضل مما كانت عليه.

لديَّ كل تسجيلات باتسي كلاين. لكنني لم أسمع هذه الغناء الرخيم الحزين من قبل. إنها، مثل معظم موسيقاها، تتحدث عن انكسار العلاقات.

مكتبة

انها تغني فكرة، إنها تفضل أن يتم اطلاعها، لأن تعرف الآن، تفضل ألا تطيل في أمد الوجع، وأن تنتهي منه بسرعة، إذا كان حبيبها يفكر في تركها، "إن كنت قد وضعت الهجر في بالك....أخبرني الآن، لأتخطاه... "أسأل لارس فجأة "هل هذه أغنية جديدة"؟

"ما ذا، حبيبي"؟

أقطب وأقول: "هذه الأغنية. هذه الأغنية التي نسمعها الآن، هل هي إحدى الإصدارات الجديدة لباتسي كلاين؟

فيبتسم قائلاً "أعتقد أنها كذلك. في الواقع، أعتقد أنك أنت من قال لي أن هذه الأغنية هي إصدار جديد، قبل يوم أو يومين فقط، عندما كانت تُبثُّ عبر المذياع في المنزل".

فابتسم بيني وبين نفسي وأقول: حقاً؟ ثم أستعرض في ذهني قائمة الأغاني الأكثر شعبية. كم هو بارع في هذا!

ينظر لارس نحو المدخل، ثم يلقي نظرة على ساعته، ويقول: "ينبغي أن يكونوا هنا في أية لحظة. "ثم يضيف "عادةً، يستجيب بيل بشكل فوري،" ثم يهز كتفيه مرة أخرى ويقول "لكنني لا أعرف شيئاً عن زوجته". فأومئ له برأسي غير متأكدة مما علي أن أجيبه به على ما يقوله.

يحرّك لارس كأسه ليحرك شرابه فيه، ثم يرشف رشفة. "آه. ها هما"، ويقف فيما يقترب الزوجان من طاولتنا. هما في مثل عمرنا، أو ربما أصغر بقليل. المرأة ذات شعرٍ أسود حالك، تضمه بنعومة إلى الخلف بعصابة رأس مزينة بأحجار الماس التقليدية. وتضع وشاحاً مزيناً بالفراء. يرافقها شخص طويل القامة، أطول بكثير من لارس؛ يبدو ذلك واضحاً عندما يقف لارس ليرحب بهما. الرجل ذو وجه مربع ومظهر رياضي، وعلى الأرجح، من نمط الشبان الذين يمارسون كرة القدم عندما كانوا في المدرسة الثانوية. ذلك النمط الذي رغب دائماً بالخروج مع فريدا، مع أنها كانت دوماً تخذله. في الواقع لم تكن فريدا ترغب بمواعدة أيٍ من الشبان، مهما كان وسيماً. يبدو أحياناً، أنها

مكتبة

تحاول أن تجبر نفسها على الخروج- كما فعلت عندما اتصلت ببعض ممن طرحت أسمائهم جانباً، من الذين ردوا على إعلاني الشخصي قبل سنوات. لكن المواعدة عموماً ليست شأناً ذا أهمية في حياة فريدا. يلتفت لارس نحوي قائلاً "بيل، أعرّفك على زوجتي كاثرين". أمدّ يدي من فوق الطاولة – لأن محاولة النهوض من على المقعد ستكون مربكة – فيمسك بيل يدي ويشدّ عليها بقوة. ثم يفلتها وهو يقول:"وهذه زوجتي، جودي"، فنتبادل أنا وجودي التحية، وأنا لاأزال أحاول معرفة مَن يكونا. أهز رأسي متسائلة: أيمكن أن يكونا شريكيه في العمل. أو ربما عميلين لديه؟ ستصبح الأمور أسهل إذا عرفت هذه التفاصيل، ولكن بما أن الأمر صعب المنال، أعتقد أنه لم يكن مهماً ما أقوله أو أفعله. بعد أن قُدم الشراب الذي طلبه "بيل و"جودي"، وطلبنا جميعاً الطعام، رحنا نتبادل أطراف الحديث. علمت حينها أن بيل هو في الواقع عميل. يريد أن يبني مبنىً تجارياً في مركز المدينة، لكنه سيكون أكثر من مجردٍ مبنىً للمكاتب؛ الفكرة تقوم على بناء مكاتب في الطوابق العليا ومحلات تجارية صغيرة في الطابق السفلي. وهذا ما أثار اهتمامي مباشرةً، لا سيما ذلك الجزء المتعلّق بالمحلات التجارية الصغيرة. أليس عليّ أنا وفريدا أن نهتم بمركز المدينة؟ فذلك لم يكن مطروحاً في مناقشاتنا المقبلة. وتساءلت كم ستكون الأجرة في مثل هذا المكان. ربما سأتمكن من معرفة ذلك إن تابع الرجلان حديثهما.

يثني لارس على الفكرة قائلاً "إنها خطوة رائعة"، ثم يضيف "إنها فكرة ناجحة من الناحية التجارية" سوف نصمم بناءً رائعاً وحديثاً، ومع ذلك سنضمن بأن يكون متاحاً لذوي الدخل المنخفض. سنجعله يستقطب كل من رجل الأعمال والمارة على حدٍ سواء- سيكون متاحاً للجميع. لذا يجب أن تكون على أهبة الاستعداد يا بيل حتى قبل أن تفتح الأبواب. فأنت ستبدأ بطرد المستأجرين بالجملة. سترى".

يرتشف بيل شراب السكواتش، قائلاً "أنا أوافقك تماماً، يا لارس ثم

مكتبة

يضع كأسه، ويضيف "يجب أن أقول أنه بعد إجراء الكثير من المناقشات مع المهندسين المعماريين الذين يبدو أنهم يعيشون في العصر الفيكتوري، أقدّر الحديث مع شخص لديه بصيرة ويدرك عواقب الأمور مثلي تماماً".

يضغط لارس على يدي من تحت المنضدة، معبراً عن فرحة الانتصار. فأبادله الضغط على يده.

تقطع جودي لنفسها شريحة من الخبز وتقضمها من دون أن تدهنها بالزبدة، وتقول: "يكفى الحديث عن العمل، يا شباب" "يمكنكما التحدث عن ذلك في وقت لاحق". ثم تبتسم، فأبادلها أنا الابتسامة بصورة تلقائية، على الرغم من أنني كنت منزعجة قليلاً. لأنني كنت أود سماع المزيد عن المبنى الجديد.

ويومئ لارس لجودي برأسه قائلاً "جودي، أنت محقة مئة بالمئة". إنه ذكي. فهو يدرك تماماً بأنه كي يحصل على مشروع العمل من الزوج، يجب عليه أيضا أن يثرثر مع الزوجة. لذا يقترح قائلاً: "دعونا نغير الموضوع". توافقه جودي بكل سرور: "دعونا نغيّر الموضوع، فأنا أود التعرّف على كاثرين. أين تعرفتما على بعضكما أنتما الاثنان؟".

تلتقي عينا لارس بعينيّ. "إنها قصة طويلة".

"لا بأس أنا موافقة، ولأنني لم أكن أعرف كيف أتهرب من الموضوع، أضيف قائلة: "لمَ لا تخبرهما بالقصة، ياعزيزي"؟

يضع لارس يده على يدي ويقول: "صدق أو لا تصدق، هذه السيدة الجميلة كانت تسعى إلى التعرّف على الرجال عبر مراسلة قسم القلوب الوحيدة في الصحيفة". ثم يتابع حديثه عن إعلاني، وعن الرسالة التي أمضى أياماً وهو يكتبها، سعياً منه ليجعلها تبدو رسالةً رائعة. يقول: "انتظرتُ وانتظرت أن تتصل، وخشيتُ أن أكون قد استغرقت وقتاً أطول مما ينبغي في كتابة الرسالة. وربما قابلت هي شخصاً آخر في أثناء ذلك!". يرخى عينيه حزناً، لكنني أستطيع أن ألمح السعادة من تحت أهدابه. ويتابع قائلاً: "ثم ذات ليلة

مكتبة

رن جرس الهاتف. تحدثنا لساعات".

وأتابع أنا الحكاية قائلة: "وخططنا لنتقابل

لا أدري ماذا أضيف بعد ذلك. فالقصة حتى الآن حقيقية، ولكن لا يمكنها أن تنتهي هكذا إلا في الأحلام، وأنا في هذا المطعم في حين أن النهاية الفعلية هي أن لارس متوفى وأنا أجلس وحيدة ذاهلة في أحد المقاهي.

يقول لارس: "بعد ذلك، بينما كنا نتبادل بعض الكلمات في نهاية حديثنا على الهاتف بدأتُ أشعر بألم شديد في صدري، وكنت أعاني من صعوبة في التنفس. لاشك أن كاثرين شعرت بذلك من صوتي لأنها سألتني عما أصابني. فأخبرتها أنني أعاني آلاماً في صدري. فقالت: 'يا إلهي وسألتني: 'أين أنت الآن؟' آخر شيء أتذكره أنني أعطيتها عنواني. ثم فقدتُ الوعي

أحدق فيه وقد عقدت الصدمة لساني، فذلك لم يحدث. ما حدث في الواقع أننا تودعنا وأغلقنا الهاتف. وبعد يومين لم يستطع القدوم إلى المقهى.

الآن كل ذلك يجعل الأمر منطقياً. في الواقع، لم يصب لارس بأزمة قلبية ويتوفى كما نعت الصحيفة. ولكن ما لم أدركه – حتى الآن – هو أن ما حدث في تلك الليلة بالذات. حدث بعد لحظات فقط من انتهاء مكالمتنا الهاتفية. إذن، لو كنتُ أشاهد هذا الجزء من الحكاية – في السينما أو على التلفاز – لضحكت بأعلى صوتي، وهززت برأسي من شدة سخافته. بصراحة، قد أعتقد بأن الأمر سخيف جداً إلى درجة أنه لا يمكن الاستمرار فيه، وسأفكر بأن أنهض من مقعدي وأغادر السينما أو أن أطفئ التلفاز. ولكن لا يمكنني القيام بذلك، إنني مجبرة على التسمّر في مكاني، كحشرة عالقة على مضرب الذباب، لا خيار لي في هذا الأمر. بغض النظر عن مدى عبثية الأمر أو عدم إمكانية تصديقه، يبدو أنني لن أتمكن من المغادرة، ولن أستطيع الخروج من الحلم. تنحني جودي إلى الأمام وتقول: "يا إلهي، يا لها من قصة، أخبريني يا كاثرين ما الذي حدث بعد ذلك"؟

وفجأة، وبسرعة – بطريقة لا تحدث بها الأشياء إلا في الأحلام طبعاً

مكتبة

– أعرف تماماً ما الذي حدث بعد ذلك. بدأتُ كلامي قائلة: "كنت أعلم أنه لابد أن شيئاً خطيراً قد حصل، وكنت أعلم أنه يجب عليّ التصرف بسرعة، فكتبت عنوان لارس بسرعة على ورقة، وأخذتُها وركضت إلى جارتي، أردتُ أن أبقي خط هاتفي مفتوحاً في حال استعاد وعيه. طرقتُ على باب الجارة، وعندما فتحت لي اندفعتُ إلى هاتفها واتصلتُ بالشرطة. وعندما أخبرتهم بما حدث، قالوا بأنهم سيرسلون سيارة الشرطة وسيارة الإسعاف في الحال. وأخبرت جارتي باختصار بالذي حدث.

ثم عدتُ إلى شقتي والتقطت سماعة الهاتف وناديت اسمه، لكنه لم يرد. أخيراً تمكنتُ من سماع صوت أحدهم يطرق باب بيته ثم يقتحم المنزل. سمعتُ الكثير من الجلبة والأصوات، ويمكنني القول بأنهم كانوا يحاولون القيام بأمر طبي لإسعافه، لكنني طبعاً لا أعرف ما هو

كانت عينا جودي تبدوان ضخمتين من وراء كأس شرابها وهي تقول: "يا إلهي، لابد وأن الدم تجمد في عروقكِ من شدة الخوف"!

أومأتُ موافقة: "نعم" وتابعت: "بقيت على الخط محاولةً أن أجد أحداً يكلمني. أخيراً التقط أحدهم السماعة. وعندما أخبرته أنني مَن اتصل لطلب المساعدة قال يبدو على لارس أنه يعاني من نوبة قلبية. سألته إلى أين أخذوه فقال لي إنهم في طريقهم إلى مشفى بورتر. وبدون أي تفكير انتزعت معطفي من على المشجب وطلبت سيارة أجرة – في ذلك الحين لم يكن عندي سيارة – وخرجت من المنزل. وعندما وصلتُ إلى غرفة الطوارئ في مشفى بورتر، أعطيتهم اسم لارس وحاولتُ إيجاد شخص، أي شخص، يخبرني بما يجري، لكنني لم أجد أحداً. لم أكن أعرف ما الذي يمكن أن أفعله بعد ذلك، لذا جلستُ في غرفة الانتظار. لم يكن هناك أحد غيري. وبعد أن شعرتُ بأن الوقت مرّ كأنه دهر، دخل رجل وامرأة إلى غرفة الانتظار. قالت المرأة بأن شقيقها نُقل إلى المشفى لأنه أصيب بنوبة قلبية. ثم أُخذتْ إلى قسم المعالجة حيث يوجد شقيقها. وكان الرجل الذي معها على وشك أن يتبعها، لكنني

أمسكتُ بذراعه.

كنت أود أن أقول أمامها مباشرة: "عينا لارس تفيضان بالحيوية"، لكنني شعرت بأنها الملاحظة ليست في مكانها" ثم قلتُ له بلطف: "أود أن أعرف ما الذي حدث. وأوضحت له من أنا، وأنني اتصلت لطلب المساعدة. قدّم الرجل نفسه لي؛ كان صهر لارس واسمه ستيفن. أخبرني أن أنتظر بينما دخل ليرى ما الذي يجري. فجلست ثانية أنتظر. وقد كاد صبري ينفذ. عندما عاد ستيفن وقال لي أنه استعاد وعيه وحالته مستقرة، وقد أخبره أنه يود رؤيتي.

لذا سُمِح لي برؤيته. كان يستلقي على سرير المشفى في غرفة الإنعاش، وقد وُصلت به جميع أنواع الأجهزة والشاشات. كانت أخته تجلس إلى جانبه، وعندما دخلتُ نهضت وأمسكت بيدي وقالت وهي تبكي: 'شكراً لك، لقد أنقذتِ حياته. عندها فتح لارس عينيه. نظرت إليه ثانية، وحدّقت بلون عينيه الأزرق العميق. كان من الصعب أن أبعد ناظري عنه. وأخيراً عدتُ إلى جودي وبيل وقلت: "التقت عيوننا، ومد يديه ليمسك يدي وهمس لي قائلاً: "شكراً كاثرين، شكراً لك".

أتناول رشفة من شرابي، ثم ابتسم ببهجة لمن يجلسون حول المنضدة. فيقول لارس بحماس: "كان ذلك أمراً جيداً، فقد كانت تزورني يومياً حتى خرجتُ من المشفى. وعندما عدتُ إلى المنزل أصبحت أختي لينيا الممرضة المسؤولة عني، لكن كاثرين كانت هي التي أعادت لي صحتي، صدقاً. فقد أقلعتُ عن التدخين – قمنا بذلك معاً – وبدأتُ أمارس الرياضة بانتظام. وأنا أحب التنزه سيراً على الأقدام، لذلك كنّا نتنزه كثيراً، لاسيما قبل أن نُرزق بالأطفال. كما أننا احترفنا لعب التنس سوياً؛ وما زلنا نشارك في مباريات دوري الزوجي. ولكن طبعاً كي أسهل الأمر على نفسي – غالباً ما ألعب قرب الشبكة، في حين تتولى كاثرين الجزء الخلفي من الملعب". يقول ضاحكاً: "ثقوا بي يا جماعة، فأنتم لن ترغبوا بتلقي تسديدة من يد هذه السيدة".

أحدق فيه متسائلة إن كان يبدو عليّ أنني مرتبكة كما أشعر. فأنا لم

مكتبة

أمسك مضرب التنس منذ صفوف الرياضة في المدرسة الثانوية. ولا يمكنني أن أتخيل نفسي ماهرة في رياضة ما، مثل لعبة التنس.

يربتُ لارس على كتفي ويقول: "لم نفترق أنا وكاثرين، منذ التقينا. وقد تزوجنا بعد أقل من سنة، ونحن سعداء منذ ذلك الحين كطيور القُبَّرة".

تهتف جودي: "يا لها من قصة مذهلة، لا أعتقد أنني سمعت قصة بهذه الرومانسية من قبل!".

يومئ لارس برأسه قائلاً: "يسأل أحدنا الآخر طوال الوقت، ما الذي كان سيحدث لو لم نلتقِ؟ ماذا لو كنّا أنهينا مكالمتنا الهاتفية قبل بضع دقائق؟ الإجابة بسيطة إلى حد مخيف: لم لو يحدث الأمر على ذلك النحو – لما كنت نجوت. ولما كنا هنا الليلة".

ترتجف يداي. ويقشعر جسدي كله بسبب هذه الكلمات.

يستمر الحلم. نستمتع بعشاء لذيذ من السباغيتي مع زجاجة من الشراب. ونسمع كيف تقابلا (قصتهما ليست مشوقة؛ فقد تعرّفا على بعضهما عن طريق أصدقائهما المشتركين في الكلية)، ثم مكث الجميع بعد العشاء لشرب القهوة وتدخين السجائر. وكما ذكر لارس، فهو لا يدخن، ولا أنا كذلك. ويخبر بيل وجودي بأن أطباءه كانوا يدركون مسبقاً دور التدخين في التسبب بمشكلات القلب، ونظراً لإصرارهم، أقلع عنه بعد نوبته القلبية، وأنا فعلت ذلك أيضاً.

عندئذ أتذكر شيئاً: فقد أقلعتُ عن التدخين في خريف عام 1954. ولم أستطع أن أوضح لفريدا سبب قيامي بذلك. في ذلك الوقت بدا أنه أمر يجب، ببساطة، أن أقوم به. والآن تقول فريدا لابد أنه كان لدي هواجس تتعلق بالأبحاث التي يقومون بها هذه الأيام، والتي تربط التدخين بمرض السرطان، وبالنوبات القلبية وبكل أنواع الأمراض. تقول إنها تتمنى لو أنها كانت بعيدة النظر مثلي لتقلع عن التدخين عندما قمتُ بذلك. ولكنها – لإنها تدخن علبتي سجائر يومياً – لم تحاول الإقلاع عنه، وأشك أنها ستفعل يوماً.

خارج المطعم، نتمنى لجودي وبيل ليلة سعيدة ونسير إلى سيارتنا، أتوق

مكتبة

لأرى ما هي. ويتضح لي أننا نملك سيارة كاديلاك حديثة الطراز، لونها أزرق فضي، وفرشها أبيض. قد تكون سيارة لارس، لأنها – لو لم تكن نظيفة ذلك اليوم – كان هناك بضع علامات تدل على أن الأطفال يركبونها في كثير من الأحيان.

هل يعني ذلك أن لدي سيارتي الخاصة، التي أذهب بها إلى محل البقالة وأقوم ببقية المهام وأقِلُّ بها الأطفال إلى كل مكان؟ فإما أن يكون الأمر كذلك أو أننا، أنا والأطفال، سنذهب سيراً على الأقدام، وهذا يبدو مستبعداً. أتساءل كيف تبدو سيارتي، وتعجبني الفكرة، فأنا أعرف القيادة – علمني أبي القيادة عندما كنتُ في الثانوية – ولم تخطر ببالي أبداً فكرة شراء سيارة من أي نوع كان، ولا حتى قيادتها بانتظام. يعلّق لارس قائلاً وهو يخرج السيارة من موقف السيارات: "كانت ليلة جميلة، ما رأيك"؟

فأجيبه: "كان يبدو أنهما مستمتعان".

يهز رأسه موافقاً ويقول: "آمل ذلك. سيكون رائعاً أن أعمل مع بيل فأمسك بيده تلقائياً وأقول له: "ستفعل، متأكدة من ذلك". فيضغط لارس على يدي، تماماً كما فعلنا تحت المائدة في المطعم. ويقول: "أنا ممتن جداً لأنك تؤمنين بقدراتي، هذا يعني لي الكثير، أنت تعرفين ذلك، أليس كذلك"؟

أتردد، بعدها أجيب: "أجل، أعرف".

تنحدر السيارة بخفة نحو جادة الجامعة، وأدّقق النظر في مسار طريقنا فأرى أننا نتجه جنوب الجامعة، ونسلك النفق الذي يمر تحت طريق فالي السريع، حيث ندخل المنطقة الأكثر ازدحاماً حول حرم جامعة دنفر، ونجتاز جادة إفانز؛ لو اتجهنا من هناك نحو اليمين وذهبنا غرباً سنكون متجهين نحو الحي الذي أسكن فيه. لكننا نتابع السير على طريق الجامعة لميل أو ميلين آخرين، ثم نتجه يساراً على طريق دارتماوث، بالقرب من أقصى الطرف الجنوبي للبلدة، حيث توجد هناك الكثير من الأبنية الجديدة. لا أظن أن وسائل النقل العامة تصل إلى هناك. المكان مظلمٌ بالطبع، ومع ذلك بإمكاني أن

مكتبة

أصف مدى جمال المكان، تقريباً يشبه الريف. وقد سُميت الشوارع بأسماء مدن الغرب الأوسط: ميلووكي، ديترويت، سانت باول. نتجه يميناً نحو شارع سبرينغفيلد. كانت المنازل متناثرة في ذلك المفرق، ولم يتم البناء على جميع قطع الأرض. وهناك لافتات على بعض الأراضي الخالية، تعلن عن توفرها للبيع. وتوجد وسط تلك الأراضي بعض المنازل الجديدة قيد الإنشاء؛ يمكنني رؤية ظلالها تلوح في الظلام، وكأنها هياكل عظمية طويل ونحيلة تجتاح الأفق.

نركن السيارة في ممر السيارات الخاص بمنزل ذي طابقين. أحدق في واجهة المنزل محاولة تذكر شكله من الخارج. كان الظلام مخيماً، لذا لم أستطع رؤية الكثير. يبدو لون الآجر برتقالي مائل للوردي. وألاحظ العنوان – 3258 – وقد كُتب بأحرف معدنية بجوار الباب الأمامي ذي اللون الفيروزي.

وفي الداخل، رحبت بنا امرأة في منتصف العمر، ذات بشرة داكنة ترتدي زي خادمة. ألدينا خادمة؟ لم يسبق لي أن حلمت بذلك، لكن الأمر لم يدهشني. ولم أستغرب بأن لدينا خادمة قد تكون من إحدى البلدان الناطقة باللغة الإسبانية – ربما المكسيك– شأنها شأن العديد من الأشخاص في كولورادو، بدلاً من أن تكون منحدرة من عرق آخر. فدنفر لم يكن فيها الكثير من السكان ذوي الأصول الشرقية أو الزنوج. ولأنني لم أكن أفقه شيئاً في مجال المساعدة المنزلية عموماً، فأنا أراهن أن النساء البيض قلما يعملن بوظائف كهذه إن وجدن عملاً أفضل.

ومع ذلك أصبت بخيبة الأمل – ليس لأن عقلي قد تخيّل بأن لدي خادمة، فمن المنطقي أن نحتاج أنا ولارس إلى المساعدة لأننا نعيش في هذا المنزل الكبير وفي هذا الحي الفاخر، بل لأنني كنت أفضل أن تكون شخصيتي متنورة أكثر في عالم هذا الحلم. أعتقد أنه لو كان لدي خادمة كان يجب عليّ أن أتحلى باللباقة الكافية، لأسمح لها بأن تبدل ثياب العمل قبل خروجها من المنزل، لاسيما بعدما تكون قد جالست الأطفال لساعات طويلة.

يسألها لارس: "هل يسير كل شيء على ما يرام يا ألمى"؟

مكتبة

تجيب بلغتها: "نعم سيدي، كل شيء بخير، إنهم نائمون مثل الملائكة"، ثم تجلب معطفها من خزانة الردهة وترفع كتفيها وهي ترتديه. وتلتقط حقيبة كبيرة تبرز منها مجلات تحمل اسم فانيداديز.

يقول لارس وهو يفتح محفظته: "الوقت متأخر، هل سيأتي ريكو لاصطحابك"؟

تقول: "نعم، اتصلت به عندما دخلتما بالسيارة إلى الممر الخاص بالمنزل" وتزرر معطفها حتى تصل إلى الياقة وتفتح الباب.

فأقول لها: "رجاءً انتظري في الداخل وأنا لستُ واثقة إن كانت تلك هي العادة المتبعة أم لا، ولكن بدا لي أنه من القسوة إرسالها إلى الخارج في هذه الليلة الباردة. تهز رأسها وتقول بلغتها: "لا بأس يا سيدتي، سيصل ريكو في أية لحظة، كما أن الهواء المنعش يبدو جيداً" يقول لارس وهو يعطي ألمى رزمة صغيرة من النقود الورقية: "حسناً إذن، تصبحين على خير، نراك يوم الاثنين".

فتقول: "عطلة سعيدة".

قد تتوقعين بأن الحلم سينتهي هنا، لكنه ليس كذلك. بعد أن خلعنا معطفينا وعلقناهما في الخزانة، نشاهد من النافذة الأمامية سيارةً تتوقف وتصعد فيها ألمى. وعندما يطفئ لارس أنوار غرفة المعيشة لا أستطيع منع نفسي من التثاؤب. يربت لارس على كتفيّ بلطف ويقول: "استعدي للنوم، سأتفقد الأطفال".

لذا أتوجه إلى غرفة النوم المطلية باللون الأخضر الباهت وأدخل الحمام. وجدتُ في خزانة الأدوية المعلقة أعلى الناحية اليمنى للمغسلة، كل الأشياء التي سأحتاجها للعناية ببشرتي قبل النوم. الزيت المطري لأزيل به المسكرة. كريم بوند المنظف لأغسل به وجهي. وكريم ليلي خاص اسمه فاونتين أوف يوث، الذي اكتشفته فريدا قبل سنوات في إحدى محال للتجميل في جوسلين؛ ولدى إصرارها جربتُه فتعلقتُ به. تبدو خزانة الأدوية وكأنني أنا التي رتبتها. ولكن طبعاً أنا من فعلت ذلك، أليس كذلك؟

مكتبة

أعلق بعناية الثوب الأخضر الجميل في الخزانة وأرتدي قميص نوم وجدته في أحد الأدراج في الخزانة الطويلة المصنوعة من خشب الجوز. أندس تحت الغطاء منتظرة لارس. وعندما يدخل لارس الغرفة أسأله: "هل هم بخير"؟

يبتسم ويقول: "يغطون بنوم عميق ويحلمون". يذهب لارس إلى الحمام، ويغلق الباب خلفه. لستُ متأكدة مما يجب عليّ فعله، على الرغم من أنني أشعر بالنعاس من تأثير الشراب، وبسبب تأخر الوقت – هذا عدا عن الحقيقة طبعاً، وهي أنني في عالم خيالي – أقاوم إغلاق عينيّ. فأنا أخشى إن أغمضتهما، أن ينتهي الحلم وأستيقظ في سريري ويفوتني ما قد يحدث بعد ذلك.

مما لا شك فيه، أن الأشخاص الذين أحببتهم كانوا قلة، وهؤلاء دخلوا قلبي على سنوات متباعدة، منذ تلك الأحداث التي جرت في خريف عام 1954. فبعد تجربتي (أو عدم تجربتي) مع لارس، فقدت اهتمامي بمراسلة القسم الرومانسي. وألغيتُ إعلاني الشخصي. ورفضتُ العروض في إقامة علاقة مع هذا الصديق أو ذاك. وإن دخل رجل ودود إلى المحل لا يضع خاتم الزواج في إصبعه الأيسر – ابتسم له بلطف، وأساعده في العثور على الكتاب الذي يريده، وأدعه يمضي في طريقه. كنت أقول لنفسي بأن الأمر لا يهمني. ولن أتخذ أي قرار متسرع ثانيةً، أبداً. إلا أنه كان هناك بضع مناسبات نادرة – في إحدى الحفلات أو بين حين وآخر في الحانة أو عندما أخرج مع الأصدقاء – عندما يكون هناك احتمال لأمر سهل وسريع، كنت أسمح لنفسي بإقامة علاقة عابرة. أعترف: أنه طوال تلك السنوات خضتُ علاقتين عابرتين. كانتا نتيجة رغبة جسدية، ونتيجة الإفراط في الشراب. لم أكن أكترث أبداً إن رأيت أولئك الرجال ثانية. فأنا لم أكن أقيم العلاقة لأنني كنت أود أن أجد زوجاً لي. والآن أعلم لماذا. فكل تلك السنوات، كنت أعتقد أن الأمر هو تحوّل تدريجي، تحوّلي من شابة حالمةٍ متفائلة إلى عانسٍ بائرة، وأراه الآن

مكتبة

أنه لم يكن تغييراً تدريجياً على الإطلاق. بل كان مفاجئاً جداً بالفعل. فبعد أن خذلني لارس، (وقد أدركت الآن لماذا)، لم أرغب بالارتباط. بصراحة لم أفكر بالأمر ثانية. وكأن تلك الفكرة ألغيت نهائياً بالنسبة إلي، بعد تلك الليلة التي لم يأتِ فيها لمقابلتي. ومع ذلك، ها أنا ذا في سريره أنتظره أن يأتي إليّ.

يفتح باب الحمام ويطفئ النور. إنه يرتدي سروال البيجاما فقط، ولا يرتدي شيئاً فوقه. ويبدو صدره مكسواً بشعرٍ بنيٍ محمرٍ جميل. أرغب بتمرير أصابعي خلاله بشدة إلى درجة تجعله يتألم. يندس إلى جانبي في الفراش. ويأخذني بين ذراعيه ثم يقبلني بقوة وعمق. يتوقف للحظات، ثم يقول بصوت أجش "كنت أنتظر القيام بذلك طول اليوم". يبدو الأمر مبتذلاً للغاية، ولكن عندما نخلع ثياب النوم ويلتقي جسدينا معاً، بشكل طبيعي – وكأن ذلك يحدث باستمرار منذ سنوات– أدرك حينها لماذا لم يكن يعجبني أي أحد آخر غيره، بعد أن تركني. لأنه هذا هو المكان الذي أنتمي إليه.

مكتبة

الفصل السادس

وأستيقظ في البيت طبعاً، فيسيطر عليّ شعورٌ بالحزن والكآبة. إنها المرة الأولى التي أشعر فيها أنني وحيدة، وأنا في سريري وفي بيتي، منذ أن بدأت تراودني الأحلام. يا له من إحساس مزعج، هذا عدا عن أنه إحساس سخيف. أنهض وأرفع عني الغطاء. وأقول لأصلان: "قد لا يتحقق ذلك أبداً، فهذا عالم الأحلام". يتبعني إلى المطبخ ويلتف حول ساقيَّ طالباً الطعام. أصب له طبقاً من الحليب وأصنع لنفسي القهوة، ثم أطلق تنهيدة عميقة محاولة إجبار نفسي على التأقلم مع هذا العالم.

بعد يوم خالٍ من الأحداث، ومن الربحِ على وجه الخصوص أيضاً، نغلق أنا وفريدا المحل في الساعة الخامسة. عندما كنّا نقفله، يخرج برادلي من المدخل المؤدي إلى شقته التي تقع فوق محلنا. يتوقف ليغلق أزرار سترته الصوفية، الرثة، ذات اللون البيج، المزودة برقع من القماش على الأكمام. يبتسم ابتسامته الودودة، ولكن مع ذلك نتبادل أنا وفريدا نظراتٍ قلقة. برادلي هو مالك محلنا، والمبنى كله، ويعيش في إحدى الشقق التي توجد فوق المحل، ويؤجر الشقق الأخرى، محلّنا، ومكتب المحامي الصغير المجاور لمحلنا.

برادلي في الستينيات من عمره، وهو أرمل وله عدة أحفاد. وهم يقومون بالمرور على المحل عندما يأتون لزيارته، ويلقون نظرة على قسم الأطفال، وفي كثير من الأحيان ندعهم، أنا وفريدا، يختارون شيئاً ما مجاناً. إن برادلي مالك جيد، رجل صادق وأمين. ما يؤلمني هذه الأيام هو أن عائداتنا منخفضة

مكتبة

جداً– وأعلم أن فريدا تشعر كذلك ايضاً. ولا ندري كيف سنوفر أجرة شهر تشرين الأول، التي تستحق الدفع في غضون عشرة أيام.

يقول برادلي: "أمسيةً سعيدة أيتها الفتاتان، استمتعا بالطقس الدافئ، طالما أنه موجود، فالشتاء سيحل فجأة قبل أن تدركا".

ينظر إلينا طويلاً ولا أتمكن من فهم نظرته تماماً؛ مع أنها تجعلني أشعر بالذعر، ويجف حلقي. أتساءل وأنا أبتلع بصعوبة: هل يعلم؟ سيعرف بالتأكيد؟ لديه عينان؛ ويمكنه أن يرى من خلال نافذته. لا شك أنه يرى كل يوم ما يدخل وما يخرج من محلنا – أو ما ينقص فيه –.

على كل حال نومئ له برأسنا أنا وفريدا. وهي تقول: "ولك أيضاً يا برادلي"، ثم نستدير ونبدأ بالسير جنوباً نحو شارع بيرل.

كلانا صامت لبعض الوقت، فانا لا أرغب بالحديث عنه – عن المحل والأجرة – وينتابني شعور بأن فريدا لا ترغب بذلك أيضاً. وبعد بضع لحظات تبدأ التصفير بلحن أغنية "الجندي الشاب" التي تغنيها (شيريلز) على ما أعتقد، لأنه يستحيل التأكد منها بسبب صفير فريدا النشاز. نتوقف عند تقاطع شارعي بيرل وجويل، قبل أن نفترق كل في طريقها، وأقول لها: "ليلة سعيدة" وتجيب: "ولك أيضاً" وهي تبحث في محفظتها عن سجائرها وولاعتها. ثم تقول: "هل لديك أية خطط مهمة"؟ أشيح بنظري عنها وأتمتم: "لا شيء خاص. وأنت"؟

تهز كتفيها وتشعل لفافتها وتقول: "فقط الروتين المعتاد؛ للعانس التي تقرأ وتذهب باكراً للنوم" مكتبة الرمحي أحمد

أبتسم وأعانقها عناقاً صغيراً؛ وتعانقني بدورها بيد واحدة، لأن اليد التي تسمك بها لفافة التبغ تمدها بعيداً عن جسمي. أقول: "حسناً، استمتعي بوقتك، أراكِ غداً". أسير شرقاً نحو شارع جويل، مجتازة المبنى الذي أسكن فيه في "واشنطن" وأنظر إلى الوراء نظرة خاطفة لأتأكد بأن فريدا تابعت سيرها ولن تتمكن من رؤيتي. ثم أجتاز عدة مفارق، سيراً على الأقدام، لأصل إلى شارع داونينغ، وأنعطف إلى اليمين باتجاه جادة إيفانز. أعبر الشارع حتى أنتظر

مكتبة

الحافلة المتجهة إلى الشرق.

وفي جادة الجامعة أغير الحافلة لأتجه جنوباً. لست متأكدة أين سيتوقف خط الحافلة في العالم الحقيقي، إذ لم يسبق لي أن غامرت بالمجيء إلى هذا الجزء من البلدة. وبالرغم من أني أعلم بوجود الكثير من أعمال البناء هنا، إلا أن هذه المنطقة لم تكن تجذبني للمجيء إليها حتى الآن. لا يوجد شيء هنا سوى البيوت الفارهة الجديدة، والمدارس والكنائس الضخمة الجديدة التي نمر بها.

تتوغل الحافلة جنوباً لتصل إلى جادة يال. ينادي السائق: "الموقف الأخير"؛ وأنا الراكبة الوحيدة المتبقية في الحافلة. أترجل من الحافلة.أراقبها وهي تستدير في منطقة خالية لتعود أدراجها نحو الشمال إلى جادة الجامعة.

أتوغل في السير جنوباً باتجاه الجامعة، أستدير شرقاً، بعد عدة مفارق، نحو شارع دارتماوث. هناك لافتة من الحديد (المطاوع) المشغول تُرشدني لأن أدخل حي ساوثرن هيلز. أجتاز مدرسة ابتدائية على يساري، وهي عبارة عن مبنى من القرميد، ذي طابق واحد مترامي الأطراف، يبدو عليه أنه مبنى جديد مثل أي شيء آخر هنا.

أواصل السير حتى أصل إلى شارع سبرينغفيلد، ثم أتجه جنوباً. كل شيء كما كان في الحلم: المنازل المنشأة حديثاً، معظمها بيوت مؤلفة من طابق واحدٍ وحديقة، أو أنها مؤلفة من طابقين، وهناك أبنية قيد الإنشاء فوق الكثير من الأراضي. لا أتذكر بالتفصيل المنازل التي كانت موجودة وتلك التي لم تكن موجودة – لأن الظلام كان حالكاً في الحلم –أشعر بأن الحي كما كان في الليلة الماضية تماماً. مع أنه لم يسبق لي أن زرت هذا الشارع بالذات، من قبل. أنظر إلى الرقم (3258). وأجد رقمي (3248 و3268)، ولا شيء بينهما عدا قطعة أرض مرتفعة خالية من الأشجار. أحدق في المكان فأتمكن من تخيل ذلك البيت، ذي الآجر البرتقالي المائل إلى الوردي.

أتذكر تماماً كيف كان شكل المنزل على الأرض، وسقف الكراج

مكتبة

المنخفض الملحق به، والقسم الرئيسي للمنزل، والسقف العالي للطابق الثاني. يمكنني أن أتصوّر الشتلات المزروعة في فناء المنزل، وشجيرات العرعر بجوار الباب الأمامي. أتخيل الممر الخاص به، الذي أدخل لارس سيارته الكاديلاك عبره بكل سلاسة وركنها هناك. حتى أنني أتذكر عمود الإنارة الخشبي بجانب المكان الذي وقفت فيه ألمى، وانتظرت السيارة لتقلّها إلى منزلها.

لكن لا يوجد منزل هنا، ولا حتى أي مخطط لمنزل ما – أنا لا أرى أي شيء على الإطلاق. لا شيء هنا سوى الأعشاب البرية الجافة والأوساخ والحشائش.

يمر رجل يسير، ويسير إلى جواره كلب صغير بهدوء دون قيد. ينظر الرجل إليّ ويرفع قبعته قائلاً: "مساء الخير سيدتي فيرتفع طرفي شاربه الأشقر الكثيف وهو يبتسم ابتسامة بسيطة.

أهز له رأسي وأقول: "مساء الخير فيلاحظ بوضوح الاضطراب الذي يبدو على محياي، لأنه يسألني: "هل من مساعدة أقدمها لك سيدتي"؟ أحني رأسي وألتفت نحو قطعة الأرض الخالية وأقول: "لقد كنتُ... ربما العنوان خاطئ. كنت أبحث عن العنوان (3258)، شارع ساوث سبرينغفيلد".

ينظر إلى الأرض ويجيب: "حسناً، من المفترض أن يكون هنا، إن كان هناك منزل، ولكن كما ترين لا يوجد منزل". أوافقه: "فعلاً لا يوجد". وأستدير وأنا أنظر إلى الأفق، إلى الجبال الغربية البعيدة.

أسأله: "أخبرني، هل تعيش قريباً من هنا"؟ يهز رأسه مشيراً إلى نهاية الشارع ويقول: "عند المنعطف". أسأله: "هل تعيش هنا منذ مدة طويلة"؟ يجيب: "بيتي قائم هنا عام 1956، وأعيش في المنطقة منذ بضعة أعوام".

"إنها ليست مدة طويلة. ألا توجد هنا في الجوار عائلة تدعى أندرسون؟ عائلة لارس أندرسون"؟

يهز رأسه بالنفي ويقول: "لا أستطيع الجزم بأني أعرف الجميع، لكن

مكتبة

زوجتي تحاول لقاء القادمين الجُدد وتعريفهم بالمكان". ثم يهز كتفيه قائلاً: "ومع ذلك لا استطيع القول بأني سمعتُ بهذا الاسم".

أقول: "وهذه الأرض - هنا - ألم يكن فيها منزل؟ أو أي بناء"؟

يتحرك شاربه ثانية وهو يقول: "ليس منذ عام 1956 سيدتي

فابتسم له في المقابل وأقول: "حسناً، شكراً لك، إذن لابد وأن رقم الشارع قد اختلط عليّ". يقول: "حسناً، حظاً موفقاً في إيجاد منزل لارس أندرسون، سيدتي، ليلةً سعيدة". ثم يسير وبجانبه الكلب.

أقول له وهو يبتعد: "نعم، ولك أيضاً".

لم يعد هناك ما أبحث عنه. أغادر حي ساوثرن هيلز وأنا أشعر بالحيرة والفراغ يملآن قلبي. أسير ببطء عائدة إلى مفترق شارعي يال والجامعة. وبعد انتظار الحافلة لما يقرب من عشرين دقيقة، أدرك بأن الحافلات قد لا تبتعد ليلاً عن المدينة لتصل إلى هذا البقعة. فالجميع هنا لديهم سيارات، على أية حال. أدرك ذلك وأنا أراقب سيارات الفورد، والتشيفي، والدودج حديثة الطراز، وهي تتجاوزني. لذا أستسلم، وأكمل السير شمالاً نحو شارع الجامعة إلى إفانز، حيث أركب الحافلة المتجهة إلى الغرب. مشيت، ربما، ما يقرب من ثلاثة أو أربعة أميال منذ بداية هذه المغامرة، ولم أفكر بارتداء حذاءٍ للمشي. بعد جلوسي على مقعد الحافلة أخلع الحذاء العالي جزئياً بإخراج كعبي قدميّ المتقرحتين. أحدّق عبر النافذة إلى أن تصل الحافلة إلى موقفي. ثم أرتدي حذائي ثانية، وأخرج من الحافلة، وأشق طريقي إلى أول شارع "واشنطن".

وأبدأ بتحريك ذراعيّ وأنا أمشي. وقبل أن أدرك ما أقوم به، أجدني أأرجح ذراعي الأيمن وكأنني أمسك مضرب التنس. في الحقيقة يبدو لي أن تحريك ذراعي بتلك الطريقة يمنحني شعوراً مرضياً إلى حدٍ ما - وبدائياً،غريزياً كذلك، وكأنني أملك القدرة والقوة الطبيعية على القيام بالأمر على نحو جيد. حتى أن قدماي لم تعودا تؤلماني؛ وكأنني لم أقم بتلك النزهة الطويلة هذه الليلة أبداً. أضحك على نفسي وأنا أهز رأسي. هراء، الأمر كله هراء؛ فعقلي يخدعني

مكتبة

ويستخدم جسمي كوسيلة ذكية.

الجو منعش، إنها إحدى أمسيات أوائل فصل الخريف. وبعض جيراني يجلسون في الخارج على شرفات منازلهم. ينادي السيد موريس الذي يسكن عند ناصية الشارع قائلاً: "مرحباً، آنسة كيتي"، وهو يدخن سيجاراً ويتأرجح جيئةً وذهاباً في كرسيه الخشبي الهزاز المتهالك، ذي المسند الخيزراني. يبلغ عمر السيد موريس المائة عام، تقريباً. وقد هاجر إلى هنا من أوهايو، مع والديه وأخواته، في سبعينيات القرن التاسع عشر، وارتاد واحدة من أوائل المدارس الإعدادية في دنفر، وتخرج من جامعة دنفر في بداياتها. عمل في إحدى الصحف، وأنشأ عائلة، وهو يعيش الآن مع ابنه الأرمل الذي لم يعد شاباً بدوره. ويقول السيد موريس أنه يتذكر والده،عندما كان يعود إلى البيت من الحرب الأهلية، مع أنك يجب أن تتساءل وتجري حساباً بسيطاً لتتأكد إن كان الرجل الذي كان يراه هو والده الذي أنجبه بالفعل أم لا.

ألوح له بيدي وأقول: "مساء الخير يا سيد موريس ولكنني لا أقترب من رواق منزله لأدردش معه، وهو أسلوب أتبعه أحياناً. فأنا مشغولة، لدي الكثير مما يشغل تفكيري.

يبتسم لي الجيران الآخرون أيضاً، ويقومون بتحيتي وأنا أمر بهم. فأنا معروفة في الحي. يمكنني أن أتخيل كيف يمكن أن يصفني أحد سكان الحي أمام قادم جديد إليها: (آنسة متقدمة في العمر غريبة الأطوار بالتأكيد، لكنها لطيفة بالقدر المعقول، وهي تدير مكتبة جميلة حقاً في شارع بيرل! في الواقع ينبغي عليك أن تعرّج عليها وتلقي نظرة). في طريق عودتي إلى المنزل، لم أستطع تجاهل الفرق بينه وبين شارع ساوثرن هيلز. فهناك الكثير من الأراضي الشاسعة، لذا من الطبيعي أن تجد مسافة كبيرة بين البيوت، والقليل من الأشجار الفارعة. معظم حدائق المنازل فيها شجيرة أو اثنتين، لكنها ليست أشجار التنوب الشاهقة ولا أشجار الصفصاف التي تصطف على جانبي شارعنا في حي بلات بارك، وهو الحي الذي أسميه موطني، وقد تأسس

مكتبة

منذ بداية القرن. استوطنته بعض العائلات المتدينة التي هاجرت من هولندا إلى هولندا الصغرى، كما تُسمى المنطقة أحياناً حتى الآن. ويتضح ذلك من طراز الأسقف الهولندية للكثير من المنازل، هذا عدا عن الكنائس المسيحية البروتستانتية. واليوم هو حيٌ تقطنه أغلبية من الطبقة الكادحة، عمال الصيانة وعمال التنظيف في الجامعة، والأشخاص الذين يعملون في المصانع الواقعة في ساوث برودواي، وبعض الذين كانوا، في الأيام الخوالي، يعملون في وظائف السكريتارية، أوبيع التجزئة، ويستقلون عربات الترام للوصول إلى أعمالهم في مركز المدينة.

أمّا في هذه الأيام، فالناس يركبون الحافلات طبعاً. الحافلة التي لا تمر بالقرب من مكتبتنا، وبالتالي لا تجلب لنا الزبائن. أعلم أنه عليّ التفكير بحل لتلك المشكلة. وأعلم أن فريدا تفكر هذه الأيام بشي آخر، صغير. ومع ذلك لا أستطيع منع نفسي عن التفكير بشارع سبرينغفيلد، ولا بتلك المنازل الشاسعة ذات الأسقف القرميدية المائلة. يمكنني الشعور بجمالها. كل تلك المساحة. وكل ذلك الهواء النقي للاستنشاق.

وعند اقترابي من منزلي ذي الطابقين، ألمح غريغ هانسن في الخارج أمام المنزل. إنه ابن جيراني الذين يملكون المنزل. الابن الوحيد لعائلة هانسن. ربما هو في الثامنة أو التاسعة من عمره. يضرب كرة مطاطية كبيرة حمراء اللون على حائط المنزل المبني من الآجر – على حائط منزلي، أذكّره والانزعاج بادٍ عليّ، بأنه يستحسن له بألا يدع الكرة تقترب من النوافذ.

يا إلهي، أبدو مثل عجوز فاسدة المزاج.

أقول: "مرحباً غريغ" وأصعد السلم وأتناول صحيفة "بوست"من عتبة الباب. فأنا مدمنة على قراءة الصحف؛ صحيفة في اليوم لا تكفيني، لذا أقرأ صحيفة "روكي في الصباح وصحيفة "دنفر بوست" في المساء. يقول غريغ: "مرحباً آنسة ميلر" ويستمر بضرب كرته المرتدة. وأسأله: "انتبه لما تفعل؟" وأنا أبحث عن مفاتيحي في محفظتي. يهز كتفيه ويقول: "أمي أرسلتني إلى الخارج.

مكتبة

قالت لي إذا لم أقم بكتابة واجبي فعلي أن أغرب عن وجهها حتى لا أعيقها".

أجد مفاتيحي وأغلق مشبك محفظتي وأقول له: "ولمَ لا تقوم بواجبك"؟

يهز كتفيه ثانية ويقول: "لا أحبه". ترتد الكرة على الحائط مرة ومرتين وثلاث مرات. يقول: "لا أحب المدرسة يا سيدتي ثم يحدّق عالياً في السماء ويعقب قائلاً: "يا للعجب، ما أروع لون غروب الشمس، لا أذكر أني رأيته برتقالياً بهذه الدرجة من قبل

أضع محفظتي على كرسي الألمنيوم الهزاز المحبوك من أسلاك النايلون الخضرا والصفراء الذي أبقيه بجانبي على الشرفة، ثم أسير إلى سور الشرفة وأنحني متكئة عليه. غريغ على حق؛ الغروب رائع هذا المساء، إذ تميل السماء إلى التلون بطيف من اللونين البرتقالي الوردي نحو الغرب، بينما تغرق الشمس في وهج قرمزي خلف الجبال. لكنها تبدو ملاحظة دقيقة وغير اعتيادية بالنسبة إلى شخص صغير مثله، أو بالنسبة إلى فتى. أتأمله، ربما كان غريغ فناناً بالفطرة. أنظر إليه بتمعن. إنه طويل ونحيل ذو شعر داكن، يملأ النمش وجهه. ولا يكاد قميصه الأبيض المتسخ وسرواله الفضفاض يعلقان على جسده، لشدة نحوله. وغرته تنسدل على عينيه.

أقول: "غريغ". فينظر إلي، ويعاود للنظر إلى السماء، ثم إلى الحائط.

أسأله: "هل هناك أية مواد دراسية تحبها في المدرسة"؟ يفكر في السؤال، ويلقي الكرة ثانية، ويقول: "الرياضيات لا بأس بها. أحياناً أكون جيداً في الرياضيات". يضرب الكرة، يضربها ثانية. ويكمل: "بقية المواد صعبة فعلاً"

أقول: "ما المادة الصعبة؟ ما المادة التي تجدها أصعب من غيرها"؟

يرفع نظره إليّ ويقول على نحو قاطع: "القراءة، أنا فقط... لا أعرف يا سيدتي، أنا فقط.... لست جيداً في القراءة. إني أقرأ ببطء، و...". يشيح ببصره بعيداً ويبدو عليه الحرج.

أقول: "هل..". وأنا لست متأكدة من كيفية التعبير عن ذلك. "حتماً معلمتك ستقدم لك المزيد من المساعدة"

مكتبة

يقول: "سيدتي، لا أقصد الإهانة لكن معلمتي لديها الكثير من الأطفال في صفها".لا أعرف عددهم لكنهم كثيرون. حتى أنها لا تتذكر اسمي أحياناً".

أومئ برأسي، وأفكر بذلك وأتذكر ذلك الشعور الذي كان ينتابني عندما كنت أعمل بالتدريس. الكثير من الأطفال، وكلهم يحتاجون إلى الكثير من معلمتهم، حتى لو كانوا يكرهون الاعتراف بذلك. كل تلك العيون تحدق في المعلمة. بعضها يخلو من أي تعبير، والعدد القليل منها ليست كذلك. بعض الأطفال يتابعون ما تقوله المعلمة. لكن الكثير من الأطفال لا يتابعونها.

تقع مسؤولية تعليم جميع الأطفال على المعلمة، بغض النظر عن قدراتهم. ومن هي المعلمة التي تستطيع أن تحقق ذلك لكل طفل؟ من هي المعلمة القادرة على ذلك؟ وماذا لو أن غريغ لم يتعلم القراءة؟ ما الذي سيتطلّع إليه إن لم يكن بإمكانه حتى القراءة؟ أناديه بحزم: "غريغ، لدي بعض كتب الأطفال الرائعة في شقتي. بعضها يناسب جداً الفتيان. مثل الأولاد الشجعان – أتعرف هذه السلسلة؟ ولدي بعض الكتب المسلية عن صبي اسمه هنري هاغينز وكلبه ريبسي. أترغب بالقدوم الليلة وإلقاء نظرة عليها؟ ربما نلقي عليها نظرة سويةً، ونرى إن كان هناك ما يجعلك تستمتع بقراءته" أبتسم له وأقول بشكل هادئ ولطيف: "يمكنني مساعدتك، أعتقد... أعتقد أن الأمر سيكون ممتعاً لكلينا فعلاً".

يعود لضرب الكرة بالحائط عدة مرات أخرى وهو يعض على شفته، ويقول: "دعيني أفكر بالأمر من دون أن ينظر إليّ. وبعد دقيقة أو دقيقتين أدخل وأغلق بابي.

بعد العشاء، أطرد من ذهني تماماً التفكير بشارع سبرينغفيلد وبرجل الحلم – وبأطفاله وحتى بمدبرة منزله في الحلم. وأحصر تفكيري في غريغ هانسن الصغير، أبحث في رفوف كتبي وأخرج كل كتب الأطفال التي لدي، المناسبة للقراء المبتدئين. لستُ متأكدة تماماً من مدى الصعوبة التي يعانيها غريغ في القراءة، أو من مدى تأخره في الدراسة، أو ما مدى التأثير الذي

مكتبة

يمكن أن أُحدثه. ولكن إن كان هو على استعداد للمحاولة – فأنا على استعداد لتقديم العون.

أسمع طرقةً على بابي قبيل الساعة الثامنة. أندفع وأفتحه، وأجد غريغ واقفاً هناك في النور الخافت، وهو يبدو تحت ضوء الرواق، ضئيل الحجم وقلقاً.

يقول مرخياً نظره: "أظن... أظن أنك قد تريني بعض تلك الكتب".

"بالطبع" أبتسم وأدعوه للدخول.

مكتبة

الفصل السابع

أطفو في بركة خضراء. وعيناي نصف مغمضتين، لكني ألاحظ من فتحتي عيني المواربتين أن الغرفة التي أُوجد فيها خافتة الإضاءة. أهتز قليلاً وأشعر بالماء الدافئ يندفع فوق جسمي. أفتح عينيّ بالكامل، متوقعة أن أرى الحمّام ذا اللون الأخضر البحري في منزل شارع سبرينغفيلد. لكني بدلاً ذلك أجد نفسي في حمام أصغر حجماً. كحمام البيت ذي الطابقين، هذا الحمام أخضر اللون بجدرانه وتجهيزاته – المرحاض والمغسلة وحوض الاستحمام الصغير، الذي حين أستلقي فيه، يغمر الماء الدافئ نصف جسمي. وعلى صنبور حوض الاستحمام، تم نُقش حرفي C وF المائلين بإتقان. وهناك شمعة صفراء ثخينة في وعاء زجاجي شفاف وضعت على رف خشبي بجوار المغسلة، يومض لهبها في الحمام الظليل. وهناك منشفة مطوية بعناية وضعت على غطاء المرحاض المغلق، تنتظرني لأجفف جسمي بها عندما أنهي استحمامي. وعلى الشماعة خلف الباب عُلِق رداء قصير – مخرّم وصغير ولونه أحمر ياقوتي. أفكر، يا إلهي، من سيرتدي هذا؟

باب النافذة الزجاجي مفتوح قليلاً، ويتناهى إلى سمعي أصوات الباعة في الشارع وصوت موسيقى آتية من الخارج – أكورديون؟ أمر غريب! – كيف تنساب إلى أذنيّ. أمد ذراعيّ إلى الأمام وأحرك يديّ أمامي. أبتسم، معجبة بالخاتمين في يدي اليسرى. الآن أتفحصهما جيداً، أكثر مما فعلت أول مرة لاحظتهما فيها، أول مرة دخلت فيها عالم الحلم هذا. خاتم الزواج ذهبي عريض؛ وأرتدي معه خاتم ذو ماسة رائعة في إطار ذهبي منقوش. لستُ خبيرة

مكتبة

بالماس، لكن حجم هذه الماسة يبدو رائعاً. ليست كبيرةً جداً إلى حد صارخ ومبتذل، لكنها كبيرة حتماً إلى درجة تجعل الخاتم يبدو ثميناً.

يداي بحد ذاتهما تبدوان أفضل من أي وقت رأيتهما فيه - جلدهما غير مجعد، وأظافري مطلية بلون وردي فاتح.

هاتان اليدان أيضاً هما بالتأكيد أصغر سناً وأقل تجعداً عما هما في الحياة الحقيقية.

يُطرق الباب، ويقحم لارس رأسه إلى الداخل متردداً. ويقول: "أردتُ فقط أن أتفقدكِ حبيبتي، وأتأكد أنك لم تنامي هنا".

أبتسم له وقلبي مفعم بالعشق، وأقول: "ادخل وابقَ برفقتي

يضحك ويقول: لا أعتقد أن هذا الحوض الصغير سيتسع. يدخل إلى الحمام ويغلق الباب وينظر في أرجاء المكان الصغير ويقول: "لاشك أن الفرنسيين لا يصنعون شيئاً كبيراً، باستثناء وجبات الطعام، أليس كذلك؟ "ثم يربّت على معدته ويقول: "يا له من عشاء! لا أتذكر آخر مرة تناولت فيها وجبة رائعة هكذا".

أحذره مازحة: "رويدك فقط بالحلويات". لا فكرة لدي عما أقوله أو لماذا أقول هكذا. كانت تخرج مني الكلمات فحسب.

عندئذ فقط ألاحظ أن لارس يبدو أصغر سناً أيضاً. شعر رأسه أكثف وفيه بضع خصلات رمادية فقط. ويرتدي بنطالاً عادياً فضفاضاً وقميصاً أبيض من دون ربطة عنق، ويبدو أنحف وجسده مسترخٍ ومرتاح. عندما يبتسم تظهر تجاعيد حول عينيه الزرقاوين، لكنها ليست عميقة كتلك التي أتذكرها في أحلامي الأخرى.

أقول له: "تبدو رائعاً، تبدو شاباً وبصحة جيدة".

ينحني فوقي ويقبلني ثم يقول لي: "وأنت أيضاً تبدين مذهلة، كل ذرة فيك مذهلة "وهو يتأملني بتروٍ من الأعلى إلى الأسفل وأنا عارية في الحوض

وفجأة أتذكر الصورة المعلقة على حائط غرفة نومنا في شارع سبرينغفيلد

مكتبة

– وأفهم الأمر. نحن الآن في شهر العسل في باريس. أهتف بصوت عالٍ: "أوه".

فيضحك ثانية ويسأل: "هل راودتك فكرة ما؟ وتودين أن أشاركك بها"؟

أبتسم وأقول: "ليس تماماً" ثم أنظر حولي وأقول: "لكني سأخبرك بذلك: أريد حماماً أخضر كهذا يوماً ما. وأريد كل تجهيزات حمامي أن تكون باللون الأخضر البحري مثل هذا. إنه أجمل لون حمام استعملته على الإطلاق".

يقول: "تبدو لي فكرة رائعة". ينظر في أرجاء الحمام، ثم ينظر إليَّ ثانيةً ويقول: "ربما سيكون حمامنا أكبر من هذا بقليل، ألا تعتقدين ذلك"؟

أتحرك في الماء وأقول: "ربما قليلاً"

ثم يقول: "ستتحولين إلى خوخة إن لم تخرجي من الماء"

أقول: "أنت على حق. سأخرج خلال دقيقة". وأختلس نظرة إلى الثياب المعلقة خلف الباب.

يبتسم لي بحنان ويقول: "سأذهب لأسكب كأس الشراب الأخير لنا". ثم يخرج ويغلق الباب بلطف.

أتذكر آخر حلم رأيته، عندما كنّا في السرير وكنتُ أخشى أن أُغمض عينيّ – أخشى إن أغمضتهما أن أغادر هذا العالم الخيالي الجميل، وأستيقظ في بيتي. الآن ينتابني هذا الشعور مجدداً فأشعر أنني أطفو هنا وأستحم، وأسبح، ليس فقط في الماء بل في السعادة أيضاً. ولا أود أن أستيقظ من هذا الحلم داخل حلمي. مع أنني، على ما يبدو، لا أغفو إلا للحظة أو لحظتين على الأغلب. ومع ذلك عندما أفتح عينيّ ثانية، أجد نفسي في الحمام الأخضر الآخر، الموجود في دنفر. في ذلك المنزل الذي لا وجود له، وأعيش فيه مع أشخاص وهميين. أنظر إلى يديّ. الخاتمَان موجودَان، حسناً – لأتأكد! يبدوان أقل لمعاناً، لكنهما نفس الخاتمين. ألاحظ باستياء وجود التجاعيد أيضاً. أنظر إلى معدتي وأرى علامات التمدد على جانبي جسمي. لابد وأننا عدنا إلى عام 1962.

هناك طرقة أخرى، على باب حمام البيت الآخر. أسمع صوت لارس

مكتبة

يقول: "هل أنت بخير كاثرين"؟

أجيبه: "نعم، أنا بخير

فيقول: "أيمكنني الدخول"؟

أجيب: "بالطبع". يدخل لارس الحمام ويبدو الآن أنه في منتصف العمر، وهو لارس الذي اعتدت عليه. ومع ذلك بدا لي رائعاً. قد يكون أصلعاً وكرشه أكبر، إلا أن عيناه الزرقاوان اللامعتان لم تتغيرا. ويمكنني القول أنه عندما ينظر إليّ لا يرى التجاعيد أو علامات التمدد. إنه يراني فحسب، وما يراه ما يزال جميلاً.

وأقول له فجأة من دون تفكير: "أحبك، ولا شك أني أحب كل شيء يتعلق بك بالتأكيد".

يبتسم ويقول: "مهلاً، لا تتحمسي ويسحب منشفة من على الشماعة ويضعها على حافة منضدة التزيين حيث يمكنني الوصول إليها بشكل أسهل عندما أنهي استحمامي. يقول: "أمضيتِ مدة طويلة هنا، ستصبحين خوخة". أضحك وأقول: "آه منك ومن نكت خوخك" ينظر إليّ متسائلاً عما أعنيه، فأتابع: "هل تتذكر شهر عسلنا؟ أتذكر الحمام الأخضر في باريس"؟

يقول: "طبعاً، لذلك أردتِ حماماً أخضر اللون. أردتِ واحداً مثل ذلك الحمام ولكن أكبر

أوافق قائلة: "أجل قلت، وأنت تعرف ذلك، يا لارس؟ أتذكّر أني قلت ذلك. أتذكر تماماً!"

أعلم أنني ربما أبدو مبتهجة ومتصابية. لكني لا أستطيع منع نفسي. يضحك لارس ويقول: "إنني سعيد أن أسمع بأنك تبدين كاثرين التي أعرفها". ثم يخفض صوته ويقول: "لقد كنتُ قلقاً عليكِ للغاية يا كاثرين، كنّا كلنا قلقين".

أسأل: "لماذا؟ لماذا أنتم قلقون"؟

يقول: "عزيزتي ويتقدم نحوي ويقبل جبيني ويتابع: "استرخي فحسب، وأنهي استحمامكِ، المهم ألا تقلقي . أقول: "لستُ قلقة، أنا أحبك". يهز رأسه

ويقول: "إنك جميلةٌ الليلة". يستدير نحو الباب ويقول: "أنهي استحمامك، وسأسكب كأس الشراب الأخير لنا". حلم داخل حلم. حلم بسيط- مع أنه ممتع- بموقف لم يحدث أبداً. كل شيء في الحلم الذي يضم حياة كاملة لن تحدث أبداً. عندما استيقظتُ في بيتي، وحيدةً في سريري، أدركتُ أمراً مزعجاً حقاً. وهو أنني وقعتُ في حب شبح.

مكتبة

مكتبة

الفصل الثامن

عليّ التوقف عن التفكير فيهم، وأن أطرد هذه الأحلام من عقلي الواعي، فهي تثير الحيرة والحزن، ولا تقدم لي أي نفع على الإطلاق. لحسن الحظ أنه لدي اهتمامات أخرى أشغل نفسي بها. إن إبعاد لارس بقوة عن ذهني – يجعلني أشعر بالرضا عن النفس إلى حد الغرور، وكأنني أرفض طبقاً آخر من الحلويات يقدم لي وأنا أحاول التخلص من بعض الكيلوجرامات من أردافي، غير مرغوب فيها– وبدلاً من ذلك أحوّل ذهني إلى الليلة الماضية عندما كنتُ مع غريغ هانسن الصغير. بدأنا بقراءة هاردي بويز وكتب بيفرلي كليري، لكنه عانى في الصفحات القليلة الأولى من كلا الكتابين. نصحته قائلة: "استخدم الصور كمفاتيح، ترشدك إلى ما يقوله النص"، وأتذكر كيف لاحظ غروب الشمس، عرفتُ أن غريغ ربما يتعلم بشكل أفضل عندما يكون هناك تلميحات بصرية.

ولكن، بعد أن نصحته بذلك أدركتُ عدم جدوى هذا الاقتراح. فقد تكون نصيحتي جيدة لو كان غريغ يقرأ كتاباً مصوراً، شيئاً يشبه قصة مادلينز ريسكيو التي كان تقرؤها ميسي في أول مرة حلمتُ فيها بحياتي الأخرى. لكن كتباً مثل سلسلة هاردي بويز وروايات كليري، وهي كتب تضم مواضيع قد يهتم بها غريغ، لا يوجد فيها إلا القليل من الصور المتناثرة على صفحات الكتاب، ولا توجد صور في كل صفحة. وضعت الكتب الصعبة جانباً، وتناولتُ من الرف سلسة كتب "ديك أند جين" القديمة. فسخر غريغ منها عندما رأى الغلاف وادعى قائلاً: "إنها كتب للأطفال. إنها مملة". سألته: "أيمكنك قراءتها"؟ فهز

مكتبة

غريغ كتفيه لامبالياً. فتحتُ أحدها وأشرت إلى الجملة الأولى. فنظر بطرف عينيه إلى الكلمات وقرأ: "'يملك "أرأيتِ؟ يمكنني قراءتها"

أغلقتُ الكتاب بقوة فسمعت صوت صفحاته وقلت: "غريغ، لماذا ينتابني شعور بأنك تصفحت هذا الكتاب من قبل"؟

احمر وجهه وقال مدافعاً عن نفسه: "ربما فعلتُ ذلك، وربما لم أفعل. ولكني قرأته!"

وضعتُ الكتاب على المنضدة الجانبية بجوار أريكتي. وقلت: حسناً، دعني أبحث عن شيء آخر ثم نظرتُ في عينيه وقلت له: "هل سترجع مرة أخرى؟ إن استطعت أن أجد لك كتاباً مشوقاً أكثر لتقرأه".هز كتفيه وقال: "ربما" أتلهف للوصول إلى مكتبتي، هذا الصباح، بعد أن تذكرت الحديث الذي دار مع غريغ ليلة أمس. يصل بريدي في اللحظة التي أهم بها بمغادرة منزلي؛ أتناول البطاقة البريدية التي أرسلتها أمي بسرعة، وأقرؤها وأنا أسير.

عزيزتي كيتي:

لقد شهدنا فترة من الطقس العاصف هنا. ولا بد لي من القول بأن العواصف الاستوائية مفزعة أكثر من تلك التي تحدث في المناطق الداخلية. الطريقة التي تهيج بها الأمواج، والحطام الذي يستقر على الشاطئ بعدها- البارحة، بعد أن انتهت العاصفة، ذهبتُ للسير ووجدتُ عقداً نسائياً على الرمال. مجرد عقد من الخرز الشفاف، بسيط ومتواضع جداً. تركتُه معلقاً على إحدى الشجيرات في أول الشاطئ، مع أني لا أعتقد بأن هناك من سيعود ليبحث عنه. مثل هذه الحوادث تجعل المرء يتساءل ما الأسرار الأخرى المخبأة في أعماق البحر. يا إلهي! يا لها من أفكار سوداوية تكتبها أم تعيش في مكانٍ مثل الجنة، إلى ابنتها!

أتمنى أن يكون يومك أكثر إشراقاً، يا عزيزتي.

مع حبي،

أمك

مكتبة

أمي المسكينة. أشعر بالأسى لأنها تبدو حزينة؛ إنها ليست كعادتها على الإطلاق، أقرر وأنا أفتح باب المكتبة، أن أكتب لها رسالة طويلة هذا المساء بعد العمل.

لا نملك أنا وفريدا مجموعة واسعة من كتب الأطفال، نملك فقط بعض القصص الكلاسيكية وبعض كتب الأطفال الجديدة من قوائم الناشرين، كتب نجدها ممتعة ويمكن بيعها.

ولكن طبعاً، أعتقد أنه عندما أبحث في قسم الأطفال لابد من أن أجد شيئاً ما يعجب غريغ، ويكون مناسباً لمستواه. وأتفاجأ عندما أكتشف بأنه لا يوجد شيء مناسب له. قد يصعب عليه قراءة الكتاب الذي يجده شيّقاً، ولا تجذب اهتمامه تلك الكتب التي بإمكانه قراءتها.

وفي ساعة الغداء، أقصد مكتبة ديكر برانش، التي تبعد بضع مفارق عن شارع بيرل. القصة ذاتها تتكرر لديهم كما في مكتبتنا؛ فهناك الكثير من الكتب للقرّاء المبتدئين... ويُفترض بأن أعمار هؤلاء القراء المبتدئين تتراوح بين الخامسة والسادسة. أتفقد بعض كتب دكتور سويس. أعلم أنها لن ترضيه، ولكن عليّ البدء من مكان ما. وبعد بضع صفحات من كتاب "جرين إغز أند هام" يتذمر غريغ تلك الليلة قائلاً: "هذا الكتاب ليس أفضل بكثير من كتاب الليلة الماضية، آسف يا آنسة ميلر، أعرف أنك تودين مساعدتي، ولكن..

ويطرق ببصره مُحرجاً. فأقول، وقد خطرت ببالي فكرة فجأة: "غريغ، إن أردتَ قراءة كتاب عن موضوع ما، فماذا سيكون"؟ يجيب من دون تردد: "البيسبول، أحب قراءة قصة عن البيسبول".أومئ برأسي وأقول: "سأرى ما يمكنني فعله"

طبعاً ليس هناك قصصٌ عن البيسبول، لأطفال بعمر التاسعة لا يجيدون القراءة. أنظر في قوائم مكتبتنا، وأعود إلى ديكر، حتى أنني أقوم برحلة إلى مكتبة مركز المدينة – وألاحظ أنها المرة الثانية التي أذهب فيها إلى هناك في غضون بضعة أسابيع، وقد لا تكون الأسباب مختلفة كثيراً. لكني لم أجد قصصاً تجذب غريغ. لذا أقرر أن أكتب بعض القصص له. أبدأ بطرح الأسئلة

مكتبة

عليه. "كيف تجري اللعبة بالضبط يا غريغ؟ ما هي قواعدها"؟ يتعجب قائلاً: "الكل يعرفون قواعد البيسبول يا آنسة ميلر

أقول: "حسناً، تظاهر بأني لا أعرف. وتظاهر بأنك تشرحها لشخص لم يسمع عن لعبة البيسبول من قبل أبداً. ربما لشخص من بلد آخر، لا يلعبون فيها البيسبول".

تصيبه الدهشة ويقول: "ألا يلعبون البيسبول في كل مكان"؟

أبتسم وأهز رأسي نافية: "في الحقيقة لا يلعبون".

إنها ليلة دافئة، نجلس في شرفتي، هو على سور الشرفة (الدرابزين)، وأنا على الكرسي الألمنيوم الهزاز. وأضع على حضني دفتراً أدون فيه ما يقول، عندما يتكلّم. فيقول لي: "هناك اثنين من دوري البيسبول الرئيسي، الدوري الأمريكي والدوري الوطني، وأفضل فريق في الدوري الوطني الآن هو فريق سان فرانسيسكو جاينت. إنهم المرشحون للفوز في السلسلة". أسأله: "السلسلة"؟ يهزأ بي قائلاً: "السلسلة العالمية، يا آنسة ميلر". ثم ينظر إلى الأعلى وهو مستغرق في التفكير ويقول: "أتعرفين؟ من المضحك أن يسمّوها السلسة العالمية، إن كانوا لا يلعبون البيسبول في كل أرجاء العالم". يهز كتفيه مضيفاً: "لم أفكر بذلك قبل الآن". أبتسم وأقول: "ولا أنا في الحقيقة"

يلتفت إليّ ثانيةً ويكمل: "على أية حال، لاعبي المفضل هو ويلي مايس. إنه ذو بشرة داكنة، وبعض الصبية في المدرسة يقولون لي عليك ألا تحبه لأن بشرته داكنة، ولكن إن أردتِ معرفة رأيي، هذا تفكير أحمق".تضيق عيناه وهو يكمل القول: "إن كان اللاعب قادراً على تسديد الكرة، فمَن يأبه بلون بشرته؟ أنا لا يهمني هذا. يجب أن تشاهدي ويلي مايس وهو يسدد الكرة. فما إن يسددها حتى يصل الهتاف إلى خارج ملعب كانديليستيك بارك – وهو المكان الذي يلعب فيه فريق الجاينت، في سان فرانسيسكو

يحدّق غريغ عالياً في حمرة السماء ويقول: "إنني مستعد أن أفعل أي شيء – أي شيء – مقابل أن أحضر مباراة الدوري الرئيسي، ولو مرة واحدة

مكتبة

فقط، في ملعب البيسبول، وأرى مايس يسدد ضربةً ساحقة".

أكرر ما قال: "أي شيء". ثم أسأله وأنا أدوّن في دفتري: "ألا يعني لك ذلك شيئاً"؟ بعد ليلتين، أطرقُ باب عائلة هانسن. فيفتح غريغ. أعطيه مجموعة من الصفحات المخروزة والمكتوبة بخط اليد وأقول له: "أعتذر، فالصور بسيطة جداً، أنا لستُ رسامة. ومع ذلك، أعتقد أنك ستستمتع بهذه القصة على أية حال". أبتسم وأكمل: "حتى لو كانت الرسومات سيئة، سيكون أمراً رائعاً. إن تمكنت من إيجاد بعض الصور الملائمة للقصة".

وخلافاً للكتب الأولى - كتب بيفرلي كليري، وقصص هاردي بويز - حاولتُ أن أقرأ معه الكتاب الذي كتبتُه له. وقد أدرجتُ في كل صفحة رسمة على الأقل. فأخذ غريغ يقلّب الصفحات ويتمعن في الرسومات، وربما - ربما - حتى يتمعن في الكلمات ويقول: "إنه عن البيسبول". أهز رأسي بالإيجاب.

يقلب صفحة بعد صفحة ويقول: "إنه عن ويلي مايس! أعرف كيف أقرأ اسمه من العناوين في قسم الرياضة في الصحيفة. لقد كتبتِ قصة عن مايس... و... و... "ينظر بتمعن إلى الصفحات. ويكمل: "واسمي موجود في القصة أيضاً" يرفع نظره إليّ ويقول: "ماذا أفعل في القصة"؟ أبتسم وأقول: "حسناً، أعتقد أنه يجب عليك قراءتها لتعرف".

يقول غريغ وهو يبتسم ابتسامة عريضة: "لم يسبق لي أن رأيتُ كتاباً عن البيسبول سهل القراءة، ولم يسبق لي أن رأيت قصة فيها ويلي ميلر وأنا فيها"

أمد يدي إلى جيب ثوبي وأخرج شيئاً آخر: رزمة من اثنتي عشرة بطاقة مفهرسة، تقريباً. كنت قد ثقبت كل بطاقة وجمعتُها معاً بخيط. وكتبتُ على كل بطاقة كلمة واحدة: يمرر، الرامي، ضربة، ممسك الكرة. ولكل كلمة رسمتُ صورة - صورة سيئة أيضاً - تعبّر عمّا تعنيه الكلمة. ثم شرحت لغريغ قائلة: "ستساعدك هذه البطاقات في قراءة الكتاب، إن وجدت كلمة صعبة، ابحث في هذه البطاقات وانظر إن كنت ستجد تلك الكلمة. وحالما تتعلم تمييز هذه الكلمات في كل مرة تراها ستصبح القراءة أسهل، لأنك لن تضطر إلى التوقف

مكتبة

والتفكير بمعنى الكلمات التي تعرفت عليها مسبقاً". يأخذ رزمة البطاقات التي أقدمها له، ويغلق الكتاب، ويضع الاثنين تحت ذراعه. ويقول لي: "شكراً لك آنسة ميلر، لا أستطيع الانتظار حتى أبدأ بالقراءة".

كان وقع كلماته كالموسيقى في أذنيّ. بغض النظر عن فرحتي بتعليم القراءة لطفل، كان هناك فائدة أخرى: وهي أن الأحلام اختفت لما يزيد عن أسبوع حتى الآن. وفي كل ليلة من ليالي هذا الأسبوع كنت أنام جيداً، وبعمق، دون أن تراودني الأحلام، أي كانت. وأثناء النهار تكون طاقتي عاليةً. أثير صخباً كبيراً في أرجاء المكتبة، أعيد ترتيب كل شيء وأبتكر عرضاً خريفياً على الواجهة: أقص أوراق أشجارٌ من الورق المقوى باللون الأحمر والأصفر والبني وأنثرها على نحو فني (أو هذا ما أقوله لنفسي) على رف الواجهة، وأعرض الكتب الأكثر مبيعاً في مجموعات، وأُضع لافتة كُتب عليها: الطقس البارد قادم! دفئ نفسك مع كتاب جيد!. تنظر فريدا هنا وهناك وتخبرني أنني أصبح مزعجة بكل معنى الكلمة. تقول: "كنتُ أحبك أكثر عندما كان مزاجك سيئاً مثل مزاجي فأجيبها: "سآخذ ذلك بعين الاعتبار

ينهي غريغ قراءة كتابه في يوم واحد، ويقول لي بفخر: "قرأته من البداية إلى النهاية، والكلمات التي على البطاقات ساعدتني فعلاً. أعرفها كلها الآن. بعد أن قرأتُ الكتاب، قرأته ثانية، ثم قرأته لأمي، هي...... يرخي ببصره خجلاً وقد احمر وجهه، "هي تقول أنها فخورة بي فعلاً".

أقول له: "أنا فخورة بك أيضاً، فخورة جداً". وأضع يدي برفق على كتفه. ثم أسأله: "هل أكتب لك قصة أخرى؟ أتحب ذلك؟ يمكنني أيضاً صنع المزيد من البطاقات. وبإمكاننا أن نضيفها إلى مجموعة الكلمات التي تعرفها".

يرد غريغ: "أود ذلك، شكراً لك آنسة ميلر. شكراً جزيلاً لك". ويكافئني بابتسامة عريضة، ثم يقفز بحماس عبر الردهة المشتركة بين المنزلين ليدخل بيته، ويغلق الباب خلفه بمرح.

مكتبة

الفصل التاسع

بعد ذلك، وبعد مرور أكثر من أسبوع على النوم بلا أحلام، تعاودني رؤاي الليلية. نحن خارج المنزل ثانية، أنا ولارس. يا إلهي، نحن شخصان اجتماعيان جداً، في هذا العالم الخيالي. إنني، في حياتي الحقيقية، لا أخرج من المنزل في المساء إلا، ربما، مرتين أو ثلاث مرات في الشهر. أذهب بين الفينة والأخرى لمشاهدة فيلم مع صديقاتي القديمات من أيام التدريس، لكن الكثير منهن عليهنّ أن يخططن قبل أسابيع ليتمكّن من تمضية ليلة خارج المنزل بدون أزواجهن أو أولادهن. كذلك قد نتعشى أنا وفريدا بين حين وآخر في أحد المطاعم، ونحضر كل مدة توقيع كتابٍ في إحدى المكتبات الكبرى أو في متاجر الكتب الضخمة التي تتناثر في أرجاء البلدة. وغالباً ما تكون هذه المتاجر موقعاً لمثل هذه الأحداث؛ في حين أن مكتبتنا الصغيرة لا تجذب الكتّاب المشهورين – ولا حتى المغمورين منهم، لإقامة حدث كهذا. وهكذا، أقضي معظم الليالي في البيت، مستلقية على الأريكة أقرأ أو أشاهد التلفاز، وأصلان بجانبي. أفكر بذلك، وأتساءل إن كانت تمنياتي في اللاواعي هي أن أتأنق وأن أمضي المزيد من الوقت خارج من المنزل، كما أفعل في حياة الأحلام. ففي أي مناسبة، أجد نفسي أقف بجانب لارس في حفلة كوكتيل. هو يرتدي بزة رسمية وربطة عنق، وأنا أرتدي فستان سهرة من الساتان مرجاني اللون – إنني أحب هذا اللون نوعاً ما في حياتي الحقيقية مع فتحة ياقة على شكل قلب، وتنورة طويلة وعقدة عريضة عند الخصر. إنه يذكرني بفستانٍ رأيت جاكي كينيدي ترتديه في مجلة "لايف" منذ مدة قصيرة؛

مكتبة

بصراحة، عندما أتسوق ثيابي في هذا العالم أتبع موضة الأزياء التي ترتديها السيدة الأولى. وأنتعل حذاءً بكعب عالٍ من نفس لون الفستان – والموسيقى تصدر من مكبرات خزانة مسجل الستيريو البراقة في زاوية الغرفة، وفرقة "كينغستون تريو تغني بأن المرء لا يحتاج إلى الشراب كي يكون سعيداً؛ فرؤية حبيبته تبتسم تجعله سعيداً، كأنه يحتسي نفس ذلك الشراب القوي. حسناً، لست متأكدة من أن شخصيتي في الحلم توافق على ما يقولون في الأغنية. في يدي كأس نصف فارغ من شراب المارتيني، مع أنني قلما أشربه في الحياة الحقيقية، على عكس فريدا التي تعشق شراب المارتيني الجيد، ومع ذلك أتناول رشفة منه. يبدو لذيذاً على نحو يفاجئني. لابد أن يكون فيه شيء آخر إلى جانب مكوناته الأساسية. أتناول رشفة أخرى، معتقدة أنه بإمكاني اعتياد ذلك الأمر، إن كان حقيقياً طبعاً. نقف أنا ولارس مع سيدة ذات شعر أحمر ترتدي ثوباً ضيقاً من الحرير الأسود وتمسك كأساً من شراب المارتيني، مثلي أيضاً. تمتلئ الغرفة بالأزواج، الرجال يرتدون البزات الرسمية، والنساء يرتدين فساتين السهرة. أتفحص الغرفة باحثةً عن بيل وجودي، اللذان تناولنا معهما طعام الغداء قبل بضعة (أحلام). أشعر بالسعادة بيني وبين نفسي؛ فمن الرائع رؤية وجه مألوف حتى في الحلم. لكني لا أراهما. نحن في منزل ليس منزلنا. إنه يشبهه على أية حال؛ لكنه عصري أكثر، وذو سقفٍ مائل. تمتد غرفة المعيشة على عرض واجهة المنزل، وفيها صف من النوافذ الممتدة من الأرض إلى السقف تطل على الشارع. أنظر إلى الخلف فألمح غرفة الطعام مفتوحة على المطبخ، الذي يحتوي بدوره على باب زجاجي جرار من المفترض أنه يؤدي إلى فناء خلفي فسيح ولا شك، شأنه شأن كل شيء آخر في هذا العالم.

تقول لي السيدة ذات الشعر الأحمر: "كاثرين، يبدو ذلك اللون رائعاً عليك"، الأمر الذي يلفت انتباهي إلى الحديث الذي يجري أمامي، فأبتسم وأحتسي رشفة من شرابي اللذيذ، وأجيبها: "شكراً.."..

طبعاً ليس لديّ فكرة عن اسمها، لذا لا أستطيع أن أناديها به، وهذا

مكتبة

ما يزعجني كثيراً. لطالما كانت أمي تؤكد على أهمية معرفة – واستخدام – أسماء الأشخاص الآخرين. كانت تقولي لي، طوال سنوات صباي: "إن تذكرتِ أسماء الأشخاص سيكون لديك دائماً الكثير من الأصدقاء والدعوات الاجتماعية". لستُ متأكدة إن كانت محقة في ذلك أم لا، لأنني أحفظ الكثير من الأسماء، لكن حياتي الاجتماعية غير موجود' أساساً، على الأقل في العالم الحقيقي. أطلق ضحكة صغيرة، وأدرك فجأة أنني أشعر بدوار بسيط. أتساءل كم كأس شراب احتسيت!

يمسك لارس مرفقي بلطف وثبات. ويقول: "جين! دائماً أقول لكاثرين أنها تبدو جميلة في اللون الوردي". ثم يرفع حاجبيه مضيفاً: "طبعاً أخبرتُها بذلك الليلة قبل أن نغادر المنزل، وهي تصر على أن لون الفستان الذي ترتديه مرجانيٌ وليس وردياً". ويرفع كتفيه مازحاً كما يفعل الرجال قليلو الحظ. ويقول: "من هو الرجل الذي نتوقع أن يعرف شيئا من هذا القبيل"؟

أضحك بمرح وأقول: "جين" محاولة تثبيت الاسم في ذهني، وأتابع: "أتقولين أن هذا اللون أقرب إلى المرجاني أم إلى الوردي (الفاتح)؟ قالت عليه البائعة أنه وردي، ولكن.." أتابع وأنا أتلمس قماش تنورتي الساتان بيدي، "أعتقد أنه أقرب إلى المرجاني

تقول جين مؤكدة: "إنه مرجاني، اللون الوردي أفتح، وهو ليس مناسباً لهذا الوقت من العام. لكن هذا..". وتنظر إليّ من الأعلى إلى الأسفل وتقول: "في غاية الروعة يا عزيزتي وتلقي نظرة على الظلام في الخارج من النوافذ الأمامية وتقول: "تأكدي فحسب أن تدفئي نفسك جيداً قبل ذهابك إلى البيت. يا لها من عاصفة! هل جئتما سيراً على الأقدام"؟ يجيب لارس: "طبعاً، المنزل على بعد مبنى واحدٍ فقط".

يقترب رجل ذو شارب ويقدم إلى جين كأساً جديداً من الشراب، ويقول لها: "يبدو أنك عطشى"، ويأخذ من يدها الكأس الفارغة. ألاحظ أن أصابعهما تتلامس لثوانٍ. تقول جين: "نعم يا جورج"، وتنظر إلى الرجل بجرأة من

مكتبة

فوق حافة كأسها وهي تشرب، وتبدو عيناها الخضراوان واسعتين من تحت الرموش الاصطناعية وتضيف قائلةً: "يا لك من مضيف مجامل

وفجأة أدركت من هو، إنه الرجل الذي يملك الكلب، الرجل الذي رأيته في الشارع عندما كنت أسير وحيدة في المكان الذي ينبغي أن يكون فيه منزلنا أنا ولارس، وقد حدث ذلك في العالم الحقيقي.

حتى الأشخاص الحقيقيون الأحياء يوجدون في عالم الأحلام أيضاً. يبدو الأمر مسلياً، فأضحك بصوت عالٍ. وينظر إليّ الجميع بحيرة، فتسألني جين: "هل قلتُ شيئاً مضحكاً"؟

فأجيب بسرعة: "لا، بالطبع لا، إنني فقط بمزاج جيد الليلة". وأرفع كأسي وأقول: "إنه أمر رائعٌ أن أكون معكم جميعاً، هنا".

يسألني لارس وهو لا يزال ممسكاً ذراعي بإحكام: "كاثرين، أترغبين بالجلوس؟". فجأة أشعر أنني بحاجة ملحة للذهاب إلى الحمام. أيعقل أن يحدث ذلك وأنا نائمة؟. أضحك ثانية، وأتسأل بحماقة إن كنتُ قد بللتُ فراشي في الحياة الحقيقية. أقول لـ لارس: "لا، شكراً، سأذهب إلى حمام السيدات". وأخلّص نفسي من قبضته وأترنح متجهةً إلى القسم الخلفي من المنزل، وأنا أتخيل أنه لابد من وجود حمام في مكان ما في الجوار، وسأجده إن أبقيت عينيّ مفتوحتين جيداً.

أجد في المطبخ مجموعة من الخادمات يحضرن الطعام ويضعنه على الصواني. ولدهشتي أرى ألمى مدبرة منزلنا بين العاملات. كل الأخريات كنّ مكسيكيات مثل ألمى. حتى وأنا ثملة في عالم الأحلام أعتبر أن هذا الوضع مؤلم. في هذا العالم، وفي هذا المكان، يقوم ذوو البشرة الداكنة على خدمة ذوي البشرة البيضاء. إنني لا أعيش هكذا في حياتي الحقيقية. أعترف أنه في العالم الذي أكون فيه كيتي لا أعرف شخصياً العديد من الأشخاص من أعراق أخرى، ولكني أعتقد بأنني أعامل الجميع بطريقة واحدة على حد سواء. عندما يمر بنا زبون من ذوي البشرة الداكنة إلى المكتبة، أعامله بطريقتي المعتادة التي

مكتبة

أتعامل بها مع الشخص الأبيض. هذا ما نشأتُ عليه. إنه أمر يتعلق بالذوق السليم وبكون المرء إنساناً لطيفاً، هذا ما كانت أمي تقوله دائماً، وهي محقة في ذلك. لقد عمل أبي، في مجال عمله، مع رجال ونساء من كل الأعراق؛ وتعتني أمي بأطفال من كافة الألوان، أثناء عملها التطوعي في المستشفى. ربما أكون قد تخرجتُ من الجامعة، وربما أكون قد تجوّلت في أوساط مثقفة أكثر مما فعل والديّ، لكن نشأتي في حي لعمال من الطبقة الكادحة، جعلني كما أنا عليه الآن؛ ما أنا عليه في حياتي الحقيقية.

على أية حال، أشعر بالسعادة لأنني رأيت وجهاً مألوفاً في الحفلة. أهمس: "ألمى"، محاولةً لفت انتباهها. فتقترب إلى حيث أقف بالقرب من منضدة غرفة الطعام، وأنا أسند نفسي عليها بيد واحدة.

تقول: "هل أنت بخير سيدتي؟ هل تستمتعين بالحفل"؟

أقهقه وأقول: "أنا بخير، إنني أمضي وقتاً رائعاً!".

تقول: "هل هناك مشكلة سيدتي"؟

ألوح بذراعي وأوشك على إيقاع صينية المقبلات الموضوعة على المنضدة. فتهرع ألمى إليها بسرعة وتمسكها.

أقول متلعثمة: "أنا لدي... وررر... ورطة، لا أستطيع... حياتي... أتذكر أين... أين هو وأنظر حولي ثم أقول: "أقصد الحمام، هل تعرفين أين هو"؟

تبتسم ألمى.

تملك ألمى وجهاً لطيفاً وابتسامة دافئة تكشف عن أسنان بيضاء كبيرة. إنها مثلي، أصبح لديها تجاعيد حول عينيها عندما تبتسم، وأتساءل بحيرة، بيني وبين نفسي، إن كانت تعلم بوجودها كما أعلم بوجود تجاعيدي، ثم تقول بلغتها: "اتبعيني سيدتي أتبعها إلى الرواق. وألاحظ على نحو غير واضح وجود عدة لوحات تجريدية ضخمة على الجدران، مضاءة بمصابيح فنية صغيرة معلقة فوقها. وهناك عدد من الأبواب المصقولة من دون أي لوحات معلّقة عليها وكلها مغلقة. أفترض أنها خزائن أوغرف نوم، وهي مصنوعة من خشب متين

ومطلية بلون داكن. تطرق ألمى الباب الثالث من جهة اليمين، بلطف، فلا يجيب أحد، فتفتحه لي، وتقول: "الحمام" ثم تتابع وهي تطمئن عليّ: "هل أنت بخير"؟

أقول: "طبعاً يا عزيزتي. أنا ممتازة". أتسلل إلى داخل الحمام وأغلق الباب خلفي. وبعد أن أفرغ من عملي، أغسل يديّ وأرش القليل من الماء البارد على وجهي. ثم أبحث في محفظتي- الصغيرة الذهبية البراقة الجذابة، ذات مشبك الماس التقليدي – فأجد علبة تجميل صغيرة وأحمر شفاه. أنثر شيئاً من مسحوق التبرج على أنفي وألاحظ تورّد وجنتيّ الشديد ثم أضع أحمر الشفاه الذي يناسب لون ثوبي بعناية. ألاحظ أن شعري يبدو رائعاً على نحو غير اعتيادي. فغرّتي مرتبة ومصففة على شكل أمواج كبيرة ومثُبِتة بكثير من الرذاذ المثبت للشعر. لابد وأني صففت شعري هذا المساء، هذا ما أعتقده، ثم أجدني أشكر آلهة الأحلام أو أياً مَنْ وضعني في هذا العالم المجنون، لأنه على الأقل يجعل شعري يبدو مذهلاً عندما أقضي أمسية خارج المنزل. أتعثر في الرواق المظلم وأنا عائدة، وأصطدم بشخص يتوارى في الظل وهو يتلمس طريقه نحوي. فأسأل: "أهذا أنت يا لارس"؟

يقول بصوت مبتهج: "لا، إنني مضيفك الودود، قادم لأتفقدكِ". ويقترب مني، ويظهر لي أنه جورج صاحب الشارب وصاحب الكلب الصغير. أقول له: "أنا بخير، شكراً لك".

ولكنه يسد طريقي قبل أن أتمكن من تجاوزه.

يقول بصوت خافت: "كاثرين، تبدين جميلة الليلة" ثم يضع يده بخفة على جانب وركي الأيمن ويصرّ على إبقائها هناك. فأجفل من تصرفه وأبتعد عنه قائلة: "نعم، قال زوجي الشيء ذاته". أشعر أن كلمة 'زوجي' غريبة عليّ؛ وكأنني أتحدث لغة أجنبية. مع أني أدرك مدى قوتها. وأتذكر مدى الرضا الذي شعرتُ به عندما كنت في المدرسة الثانوية، وطلبت مني معلمة اللغة الإسبانية، السيدة تيريز، الاشتراك في مسرحية باللغة الإسبانية فأديت الدور بكل ثقةٍ وعلى شكل كامل وصحيح. ينزل جورج ذراعه قائلاً: "حسناً، لا بأس

مكتبة

عليكِ، إنها مجرّد مجاملة. لا تأخذي الأمر على محمل الجد".

ويرتفع صوت حاد من خلفه قائلاً: "جورج"، فيتنحى جانباً. تقترب سيدة بسرعة إلى الرواق وهي ترتدي ثوباً ضيقاً أسود اللون ومخططاً، وتسألني: "هل أنت بخير، كاثرين"؟

أجيب: "طبـ... نعم، طبعاً". هل هي مضيفتي؟ يا إلهي، يا له من موقف مزعج. تقول: "جورج، اذهب إلى الفناء الخلفي، نحن بحاجة إلى مزيد من الثلج من المُجمِّدة الموجودة في الفناء". يرمقها بنظرة إدانة وينسحب بعيداً.

تمسك السيدة بذراعي وتقول وهي تهز رأسها: "إنه أمر مخجل، سأقول لك بأن زوجي دائماً تجذبه النساء الجميلات، ولكن أتتصورين أن يحدث ذلك في بيته... وأنت على هذا الحال أيضاً" ثم ترمقنيّ طويلاً بنظرة تنم عن القلق، وتتابع: "أخبريني يا عزيزتي، كيف تواجهين الأمر"؟

كيف أواجه الأمر؟ أتعني كوني ثملة؟ يا إلهي، يا له موقف مخزٍ.

أقول: "أنا... أنا حقاً بخير. أحتاج فقط إلى بعض الماء". تلين نظرتها وتقول: "طبعاً، دعينا نرجع إلى المطبخ وأحضر لك كأساً طويلاً رائعاً من الماء المثلج". تمسك ذراعي وتقودني إلى القاعة. ثم تقول وهي تنحني نحوي: "كاثرين، لا أعرف كيف يمكن أن أشكرك لأنك أعرتني ألمى. يا لها من عاملة جيدة تلك الفتاة!". أنا لا أعرف عمر ألمى بالضبط، ولكن أعتقد أنها تكبرني بخمس أو عشر سنوات – وأعتقد أنني على الأقل أكبر من مضيفتي بعدة سنوات. وبالتالي لستُ متأكدة كيف يمكن اعتبار ألمى "فتاة". لكنني أبتسم فقط وأقول: "على الرحب والسعة".

تنتهي الحفلة بعد ذلك بقليل، وتأمر المضيفة – التي أزعجني كثيراً عدم معرفة اسمها – بجمع أحذية السيدات الطويلة الرقبة وأحذية الرجال المطاطية. وتحضر الخادمات المعاطف من غرفة النوم وتسلمها لأصحابها؛ فيأخذها معظمهم دون أن تصدر منهم أي كلمة. تعطيني ألمى معطفي فأقول لها بلغتها وبصوتٍ عالٍ بعض الشيء: "شكراً ألمى! شكراً جزيلاً لك". فيحدق بي الجميع وأنا لا أهتم.

مكتبة

ننزل أنا ولارس عبر ممر السيارات والثلج يعصف حولنا. فينبهني وهو يمسك بذراعي: "احذري هناك، ربما كان علينا أن نحضر السيارة". يوجهني نحو الشارع ونمشي بتثاقل في الثلج الكثيف. البيت لا يبعد أكثر من مبنى واحد. لا يمكن أن أفكر بشيء أسخف من فكرة قيادة السيارة إلى هذه الحفلة. وعند باب بيتنا، أدخل إليه، في حين ينتظر لارس في الخارج. تنهض جليسة الأطفال – التي تبدو أنها فتاة في الثانوية العامة – عن الأريكة وتسير نحو التلفاز. تقول وهي تطفئه: "مرحباً سيدة أندرسون" وقبل أن ينطفئ الجهاز ألقي نظرة خاطفة عليه فألمح باول نيومان وجوان وودورد وهما في عناق حميم. أعتقد أنه فيلم (الصيف الطويل الحار) وهو مقتبس عن رواية فولكنر التي صدرت قبل عدة سنوات. ولابد أن الفيلم يُعرض ضمن برنامج (ليلة السبت في السينما)، الذي أعرفه في حياتي الحقيقية. فأنا أقضي معظم ليالي السبت في المنزل وحيدة أشاهد أي فيلم تعرضه قناة إن بي سي. تسألني الفتاة: "كيف كانت سهرتكم"؟ فأجيبها: "جيدة تماماً". وأتساءل لمَ لا يدخل لارس إلى المنزل، وأيضاً فيما إذا كان عليّ أن أدفع الأجرة للفتاة، وإن كان ذلك، فكم سأدفع؟ فأنا لا أعرف شيئاً عن هذه الأمور. أسألها: "كيف كانت ليلتك؟" وأنظر عبر الباب الخارجي فأرى لارس يجرف الثلج من المدخل الأمامي بضربات سريعة وفعالة.

تبتسم لي وتقول بلطف: "كل شيء كان على ما يرام. ما من مشكلة، تعرفين، إنهما حقاً طفلان طيبان". وبدل أن يطمئنني هذا، أجدني أتساءل إن كان الآخرون يعتقدون أنهما طفلان سيئان. وإن كان ذلك صحيحاً، فلماذا يعتقدون ذلك؟

أسحب المعطف من على كتفيّ وأقول: "حسناً. شكراً لك". ومن خلال الباب الخارجي، أرى لارس وقد أنهى جرف الثلج وهو يقف بلا حراك عند عتبة الباب الأمامية المسقوفة، محدّقاً بالثلج العاصف. وكتفاه يرتفعان وينخفضان بسرعة مع حركة تنفسه، فأخشى على قلبه. وأتساءل من جديد لماذا لا يدخل، ثم أدرك أنه لابد سيوصل جليسة الأطفال إلى بيتها سيراً

مكتبة

على الأقدام أو بالسيارة. تفتح الجليسة خزانة المعاطف وتأخذ سترة صوفية بنية اللون للفتيات، عليها من الخلف أحرف إسبارطية مطرّزة باللون الذهبي. يزيّن جانبها الأيسر ومن الأمام مجموعة دبابيس صغيرة تمثل بعض الأنشطة والرياضات مثل البيسبول والهوكي وفرق التشجيع. أمّا جانبها الأيمن فقد تم تطريز اسم تريشا عليه بخيوط ذهبية مناسبة.

أقول لها: "شكراً لك تريشا، هلا تطلبين من السيد أندرسون أن يدفع لك أجرتك؟ ليس لدي ما يكفي من المال في محفظتي أهنأ نفسي بصمت على هذه الفكرة التي ابتكرتها. تزرر تريشا معطفها حتى الأعلى وتنتعل حذاءها. وتقول: "بالتأكيد سيدة أندرسون، ليلة سعيدة".

فأجيبها: "ليلة سعيدة لك أيضاً، دفئي نفسك". أفتح لها الباب، وتخرج إلى حيث يقف لارس ويثبّت المجرفة على الدرجات الإسمنتية ليزيل كتل الثلج المتراكمة. يقول: "سأعود في غضون عشر دقائق"، وينحني ليعطيني قبلة سريعة. فأشير إلى محفظتي وأهز له رأسي نافية، ويومئ لي أنه قد فهم قصدي. أتعجب من هذا التواصل الصامت بيننا؛ إن لم تكن تعرف عنا أكثر من ذلك فقد تظن بأننا نقوم بهذا الأمر منذ سنوات. أراقبه وهو يقود تريشا عبر الممر المغطى بالثلج. وبعد أن أعلق معطفي في الخزانة وأخلع حذائي أتجه مترنحة نحو غرفة النوم. تبدو إضاءة الغرفة خافتة ولا يوجد فيها سوى ضوء مصباح صغير على التسريحة. وأفاجأ بأصلان يغفو على السرير. تشعرني رؤيته براحة هائلة، وكأنني التقيت صديقاً عزيزاً بعد سنوات طويلة من الفراق. أندفع إليه قائلة: "هرّي العزيز"، وأجلس إلى جانبه وأمرر يدي على فرائه الأصفر الناعم. ينظر إليّ بعينيه الخضراوين الكبيرتين وهو يهرُّ بصوتٍ عالٍ.

لا أزال جالسة هناك مع القط، عندما أسمع لارس يدخل المنزل. أبقى حيث أنا أتأمل أصلان وأداعبه وأستمع إلى خطوات لارس وهو يصعد الدرج إلى الطابق الأول ويفتح أحد الأبواب لمدة قصيرة ثم يغلقه، ثم يفعل نفس الشيء مع باب آخر. ثم يرجع وينزل. وأسمع صوت تدفق مياه في المطبخ

مكتبة

ثم توقفها. أتمكن من رؤية مصابيح الإضاءة عبر البهو وهي تُطفأ الواحد تلو الآخر، حتى لا يبقى هناك أي ضوء في المنزل سوى ضوء المصباح الخافت على منضدة الزينة في غرفة النوم. في ظل هذا الضوء الخافت يدخل لارس إلى غرفة نومنا، فتلتقي عيناه بعينيّ وأنا أنتظره. يسألني وهو يحمل كأساً من الماء بيده: "أتشعرين بأي تحسّن"؟ ثم يقدمه لي قائلاً: "ظننت أنك ربما تحتاجينه".

أقول: "شكراً" وآخذ الكأس وأشربه. وفجأة أشعر بالحرج بسبب الدوار الذي أصابني، حتى لو لم يكن حقيقياً، بل مجرد حلم. أقول له: "أعتذر لأني أسرفت في الشراب". يهز كتفيه ويقول: "أنا متفهم يا كاثرين لا أدري كيف أجيبه، لذا أبقى صامتة. أراقبه وهو يحل ربطة عنقه ويفك زر قبة قميصه، ثم يفتح باب الخزانة ويعلق فيها معطفه وربطة عنقه. وعندما يعود إلى غرفة النوم، أنظر إلى نفسي في المرآة المعلقة فوق منضدة الزينة، وأقول برقة: "لارس"، فيجلس بجانبي ويسألني: "ماذا هناك"؟

أمسك بثوبي وأنا ما أزال أنظر إلى انعكاس صورتي في المرآة. ويبدو لون الثوب في الضوء الخافت مبهراً، وكأن إحدى الممثلات ترتديه، أو إحدى راقصات الباليه، في ليلة الافتتاح.

أسأله: "أتعرف من أين اشتريتُ هذا الثوب"؟ فينظر إليّ متسائلاً: "اشتريته من محل (ماي دي أند إف)، حيث تشترين معظم ثيابك؟" أهز رأسي ببطء، وأسأله، وأنا أتلمس تموجات شعري المثالية: "وشعري؟ مَن يصفف شعري؟ ما صالون التجميل الذي أذهب إليه"؟ يبتسم محتاراً من سبب أسئلتي ويقول: "كاثرين، أنت تذهبين إلى مركز برودواي بالطبع. إنه مركز التجميل الذي تعمل فيه لينيا. إنها هي من تصفف لك شعرك منذ التقينا". أتأمل لحظة وأسأله: "لينيا، أختك، أليس كذلك"؟

يطوقني بذراعيه قائلاً: "كاثرين، أنت فعلاً شربت كثيراً، أليس كذلك"؟

أهز رأسي وأضحك قليلاً ثم أجيبه: "حسناً أعتقد أنني فعلت".

أعانقه بشدة وأرفع ذقني وفمي استعداداً لتلقي قبلته.

مكتبة

الفصل العاشر

ليس من الصعب إيجاد مركز التجميل في برودواي. لكن الصعب هو الحصول على موعد مع لينيا هيرشل. فعندما اتصلت لتحديد موعد لغسل شعري وتصفيفه، قالت لي موظفة الاستعلامات "أعتذر، مواعيد لينيا محجوزة لغاية أسبوع كامل اعتباراً من يوم الخميس"، كنت ضمنياً أعتذر بشدة من فيرونيكا التي كانت تصفف الشعر في صالون (مودرن هير) الذي أتردد عليه بانتظام طوال السنوات الماضية. ثم أسأل موظفة الاستعلامات: "أيمكنني ترك رقمي في حال أُلغي أحد مواعيد لينيا؟ لأنه يمكنني الحضور في أي وقت كان".

أتوقف عن الكلام قليلاً ثم أضيف: "نصحتني إحداهن كثيراً بالذهاب إليها" قالت الموظفة: "دعيني أتأكد فقط"، وُوضع الهاتف قيد الانتظار، وانتظرتُ عدة دقائق، ثم عاد صوتها وهي تقول: "أيمكنكِ القدوم بعد ظهر الثلاثاء في الساعة الواحدة والنصف؟ أظن بإمكانها أن تضغط مواعيدها من أجلك، إن كان ما تريدين عمله سريعاً لايتطلب وقتاً"

أبتسم وأرفع قبضتي بإشارة صغيرة على النصر، وأقول للفتاة: "أجل يمكنني القدوم"، وأعطيها اسمي.

وبعد بضعة أيام، بينما كنت انتظر موعد مركز التجميل، يروق لي الذهاب إلى مركز المدينة، فأقصد محل (ماي دي أند إف) وأتجه مباشرة إلى قسم ملابس السهرة. أبحث في كل ركن، ولكن لا أجد الفستان ذا اللون المرجاني. تسألني البائعة: "أيمكنني مساعدتك"؟

فأجيبها: "أبحث عن فستان... كانت ترتديه إحدى صديقاتي أصف

مكتبة

الفستان بدقة وأذكر لونه قائلة: "لونه مرجاني، أو قد يمكن تسميته وردي فاتح". تنظر إلى البائعة بكل احترام وتقول: "بصراحة، لا يبدو هذا الوصف مألوفاً، أمتأكدة أن صديقتك اشترته من هنا"؟

أقول: "حسناً، هذا ما قالته لي

تقول: "ومتى كان ذلك"؟

يتضح لي بأنني لا أعلم متى حدث ذلك. بالنظر إلى العاصفة الثلجية الهائجة، فلا بد أن الطقس كان شتاءً. ولكن هذه أول مرة منذ أن بدأت تراودني الأحلام أدرك أنها قد لا تكون بالضرورة في عام 1962. من الواضح أن العاصفة ليست الآن، ليست في أول أسبوع من شهر تشرين الأول. قد تشهد دنفر أحياناً تساقط الثلج في تشرين الأول، ولكن لا تشهد عاصفة قوية كتلك – ولا تشهد عاصفة بعد أخرى، كما يحدث في الحلم. أشد العواصف وأكثر الأيام هطولاً للثلج تكون في نهاية فصل الشتاء، في شهر شباط أو في شهر آذار. لذا إن كانت الأحلام تحدث حالياً فإما أن يكون وقتها بعد بضعة أشهر من الآن أو أنها كانت في الشتاء الماضي.

أو قد تكون في فترة مختلفة تماماً. إنه مجرد حلم. قد يكون في أي زمان، أو قد يكون خارج الزمان تماماً. ثم أقول لها بروية: "تعرفين، الآن أدركت الأمر، قد لا يكون من محل (ماي دي أند إف) كما قالت. ربما اشترته من مكان آخر

فتقول لي: "حسناً، لدينا مجموعة جديدة رائعة، ستكون مناسبة تماماً لحفلات الأعياد. وأصبحت المجموعة الأولى من القطع، متوفرة لدينا فعلاً، ونتوقع وصول المزيد. أو إن كنت استطيع أن أفيدك بأي شيء آخر.."

أهز رأسي نافية وأقول: "لا، ليس الآن، شكراً لكِ". وأتجه نحو السلم الكهربائي مضيفةً: "أشكرك على وقتك"

"بالتأكيد، عودي بعد بضعة أسابيع يا عزيزتي، عندها ستجدين كل ثياب عيد الميلاد والسنة الجديدة".

مكتبة

أشعر بالتوتر وأنا في طريقي إلى مركز التجميل في برودواي، وكأنني سأذهب في أول موعد لي. المحلّ من الداخل مطلي باللون البنفسجي الفاتح مع نقوش باللون البنفسجي الغامق. يبدو محلاً كبيراً؛ أجد فيه ثمانِ منصات لتصفيف الشعر. تشغل السيدات معظم المنصات. وهناك قسم لتجفيف الشعر على امتداد الحائط الخلفي، ويعج المكان، تقريباً، بالنساء وهن يثرثرن سعيدات. تضع الفتاة التي تقلّم الأظافر الطلاء بعناية على أظافر إحدى النساء اللواتي يجففن شعرهن؛ والأخريات يجلسن تحت مجفف الشعر يشغلن أنفسهن بتصفح مجلات الأزياء أو بقراءة صفحات التسلية في الصحف.

تأخذ موظفة الاستعلامات اسمي، وترشدني إلى منصة خالية ثم تبتعد بصمت. أنتظر وأنا أنظر إلى صورتي المنعكسة في المرآة. تظهر بشرتي باهتة تحت الأضواء على جانبي المرآة. أقرص وجنتيّ محاولة إضفاء بعض اللون عليهما. كان ينبغي أن أضع المزيد من أحمر الشفاه. وبينما أفكر في هذا، تظهر في المرآة امرأة متوسطة العمر ذات شعر بني وهي تقترب مني من الخلف. أضع كعبيّ على الأرض وأدير الكرسي قليلاً لنصبح أنا وهي وجهاً لوجه. تصافحني وتقول: "أنا لينيا هيرشل"، تظهر لكنة بسيطة في كلامها- لا شك أنها بقايا لهجة طفولتها السويدية. وتكمل: "أنت كيتي، أليس كذلك"؟ أومئ برأسي، وابتلع ريقي بصمت. عندما اقتربت يبدو الشبه بينها وبين لارس ملفتاً للنظر. لها ذات العينين الزرقاوين اللامعتين، ونفس الابتسامة الساخرة، ونفس الأنف المدبب. تكاد الدمعة تنفر من عينيّ لدى رؤيتها. لا أصدق أنني أنظر إلى قريبة الرجل الذي أراه بمنامي، بلحمها ودمها.

بعد أن ترى لينيا شدة حزني، تحاول أن تخفف عني وتقول: "دعيني أحزر "إنها المرة الأولى التي تزورين فيها مصفف شعر جديد، منذ سنوات طويلة". ترفع حاجبيها، ثم تنزلهما قائلةً. "هل أنا محقة"؟

ابتسم رغماً عني وأقول. "أمم... نعم هذا صحيح". ثم تقول: "حسنا، استرخِ". وتدير الكرسي الذي أجلس عليه فأصبح مقابل المرآة، ثم تمرر

مكتبة

أصابعها بخفة عبر خصلات شعري المجنونة. "من السهل أن تختاري ما أسميه" بتسريحة مملة، ولكن عندما تعتادين على واحدة، فإنه من الصعب عليك تغييرها. ويمكن أن يكون ذلك مزعجاً. تحني رأسها، وتنظر بعناية إلى صورتي المنعكسة في المرأة. "ومع ذلك، أعتقد أنك تودين العثور على طريقة ما، لتحسين هذا المظهر المزعج لشعرك، ومنحه القليل من الأناقة".
أومئ برأسي قائلةً: "أجل، من فضلك، هذا هو فعلاً ما أريده".

وهكذا أخذ نفساً عميقاً، محاولةً الاسترخاء والاستمتاع بالتجربة كما هي. حتى يدا لينيا تذكراني بلارس: فهما قويتان وماهرتان، إلى حد أنه يمكن للمرء أن يضع حياته كلها عليهما ولا يخشى من أن يصيبه أي مكروه، أبداً. إنني معجبة بما تفعله، حتى من قبل أن تنتهي وتغسل شعري بالشامبو.

ترجع إلى مكانها، وتمرر المشط بعناية في شعري، ثم تبحث في كومة من بكرات لف الشعر، تم وضعها في عربة جانبية. تنظر إلى رأسي بعناية، وتقول بأنها ستجرب في البداية حجماً واحداً، ثم حجماً آخر، وبعد ذلك ستحاول العثور على البكرات الصغيرة المناسبة لبعض المناطق، وأن البكرات الوردية من أجل تموجات الشعر الكبيرة في الأعلى. تغرس أصابعها في إناء كبير يحتوي على مستحضر لونه أخضر، فتضعه على شعري ثم تلف الخصل بمهارة وتثبتها بدبابيس الشعر.

بمجرد أن بدأ يظهر أنها مرتاحة في عملها، أفتح فمي وأتجرأ على التعليق، وأقول بتردد: "لينيا، هذا اسم جميل. وغير مألوف". ترفع رأسها، وتنظر في المرأة، وتبتسم قائلةً: "إنه اسم سويدي" "هاجرت إلى هنا من بلدة صغيرة بالقرب من مدينة بوروس، التي تعد أيضاً مدينة صغيرة، لم يسمع بها معظم الأميركيين، وجئت إلى هنا وأنا طفلة".

أشبك يديَّ معاً بإحكام كي أمنعهما من الارتجاف. "انتقلت من مكانٍ بعيدٍ جداً!" ثم أضيف: "هل عائلتك... انتقلت معك إلى هنا"؟

تومئ برأسها بالإيجاب وهي تحاول لف خصلة من شعري حول بكرة

مكتبة

صغيرة زرقاء ثم تثبتها بمشبك البكرة. تعض على شفتيها وتقول: "والدَاي وأخي ماتوا، جميعاً".

"آوه، آسفة، كم هو محزن بالنسبة إليكِ!" ثم أسألها وأنا أرتجف: "أ كانوا... مرضى"؟

تهز لينيا رأسها ثانية. وتقول: "لم ينجح والداي في العمل هنا. بدأنا في ولاية أيوا، حيث كان لدينا أقارب من درجة بعيدة. كان هناك كساد اقتصادي، ولم يكن العمل متوفراً بسهولة، وقلب والدتي... حسناً، قلبها لم يقوَ على تحمّل ذلك"

تشيح بنظرها عني، ومن ثم تلتفت إلى شعري. "يمكن القول بأن نفس الأمر حصل مع والدي، على ما أعتقد".

صعب عليَّ أن أستوعب الأمر. لا أستطيع فقدان والديَّ في أقسى مشهد يمكن أن أتخيله. ربما لأنهما صغيران في السن – فأمي لم تبلغ الستين بعد – ولكن من الصعب عليّ أن أتصوّر حياتي من دونهما. وحتى فترة الشهرين التي ابتعدا فيها عني، كانت صعبة أكثر مما كنت أتوقع. مجرد التفكير بأنهما بعيدان عن المنزل آلاف الأميال، بدأ يرهقني. ثم أتذكر البطاقة البريدية التي وصلتني من أمي هذا الصباح.

عزيزتي كيتي:

نحن بعيدون جداً عن المنزل. البارحة، سألتُ ماي كم تبعد هونولولو عن دنفر، فقالت أكثر من 3000 ميل. افكر بالأمر فأرى أن محيط الأرض يبلغ نحو 25000 ميل؛ إذن نحن نبعد ثُمْنَ محيط الأرض، تقريباً، عن المنزل.

بعض الأحيان في الصباح، أستيقظ مع شروق الشمس، فأتجه ناحية الشرق، وأفكّر بك. ولدى قيامي بذلك، يكون قد انتصف النهار عندك، وربما كنت تحتسين القهوة مع فريدا في مكتبتك الصغيرة الجميلة.

هل تعلمين كم أنا فخورة بكم، حبيبي كيتي؟

مع حبي،

مكتبة

أمك

عند قراءة تلك الكلمات في المنزل هذا الصباح، لم أستطع منع نفسي من التقاط سماعة الهاتف والاتصال، غير مبالية باختلاف التوقيت الزمني بين المناطق ورسوم الاتصال الخارجي. أردت فقط أن أسمع صوت والدتي. أنا فعلا رفعت السماعة وبدأت أطلب الرقم، ولكن، لأني أعلم بأن الوقت هناك أبكر بعدة ساعات، وأنها لا تزال نائمة، أجبرت نفسي على إغلاق الهاتف قبل استكمال المكالمة.

بالعودة إلى الحديث مع لينيا، أخشى من سؤالي التالي، ولكن لابد من أن أسأله. فآخذ نفساً عميقا، وأسأل: "وأخوك؟ ماذا حدث له"؟

تهز لينيا رأسها وتجيب: "مشاكل القلب مرة أخرى"، "يا للأسف... كان شاباً، في الرابعة والثلاثين من "فأهمس قائلةً" أنا آسفة جداً،لينيا، أنا آسفة جداً".

ترجع خطوة الى الوراء وتهز رأسها كما لو أنها تصفي ذهنها. وتقول مبتسمةً: "اسمعي"، "أنا أكسر أول قاعدتين يعلمونهما لك في مدرسة التجميل. القاعدة الأولى: لا تخبري الزبون عن نفسك حتى تعلمي كل ما يجب معرفته عن الزبون. والقاعدة الثانية: إذا كنت تتحدثين عن نفسك، تأكدي من التحدث عن الأشياء السعيدة فقط".

أبادلها الابتسامة وأقول "أنا آسفة لأننا تعرفنا بطريقة خاطئة، أخبريني بعض الأشياء المفرحة عنك". تشير بإصبعها إلى صورتي المنعكسة في المرآة. وتقول بثقةٍ: "أوه، لا، ألست، كيتي ميلر؟ لن أخبرك قبل أن أعلم عن كل شيء عنك أولا".

وهكذا أطلعها على أخباري، وأخبار والديَّ، وأحدّثها عن رحلتهما الطويلة. فتقول لابد وأنهما في غاية السعادة، لأنهما تمكنا من السفر إلى مكان مدهش مثل هاواي، وزيارة العائلة والإقامة هناك مجاناً. أومئ لها برأسي مبتسمة وأنا أفكّر في كلمات والدتي. تقول لينيا أنها لطالما حلمت بالسفر، ولكن، مع تربية طفلين وشراء المنزل ودفع الفواتير، كان أفضل ما استطاعت

مكتبة

أن تخطط له مع زوجها خلال السنوات الماضية هو القيام برحلة في السيارة من حين لأخر. لقد أصبح جو في العشرين من عمره وغلوريا في السادسة عشرة. "جو يدرس شمالاً في جامعة بولدر تحرك لينيا كتفيها بهزة خفيفة وتقول: "أعتقد أن المكان جميل هناك. وحرم الجامعة لائق. أتمنى أن يتم تعليمه، هذا كل ما أفكر به". وتهز رأسها مضيفةً "أمّا غلوريا تلك. يا إلهي كم تبقى مشغولة، بين المدرسة والأصدقاء والنوادي والشبان. تتجوّل بشكلٍ محمومٍ كدجاجة منتوفة الريش، من مكان إلى آخر، على غير هدى. أنظر إليها في المرآة متسائلةً. فتهز كتفيها لا مبالية ثانيةً وتقول "هل قلت شيئاً خاطئاً"؟ "أتعرفين أنني أعيش في هذا البلد منذ ما يقرب من ثلاثين عاماً وأتحدث اللغة الانكليزية، وما زلت حتى الآن لا أجيد استخدام بعض التعابير على نحو صحيح". أبتسم وأضحك، وتضحك معي.

أجدني أحب ضحكة لينيا. تبدو تماماً وكأنها نسخة مؤنثة عن ضحكة لارس. أحدثها عن المكتبة، وأطلعها على أخبار فريدا وكيف افتتحنا المكتبة بعد أن فقدنا الأمل في تحقيق ما لدينا من خطط في مهننا الأصلية. تقول لينيا "يا له من أمر رائع، أن تتبعا شغفكما بتلك الطريقة. أخبريني، ما هي أنواع الكتب التي تبيعانها؟".

أجيبها، وأنا أدخل يدي في جيب سروالي الفضفاض، لأخرج بطاقة تعرّيف بـ 'مكتبة الأخوات' :"جميع أنواع الكتب، كتب الخيال العلمي، والرحلات، والتاريخ، والشعر، والفن" تسأل لينيا وهي تأخذ البطاقة من يدي "كتب الأدب الكلاسيكي؟، أنا أحب الأدب الكلاسيكي" أبتسم وأسألها "أحقاً؟ من هو كاتبك المفضل"؟

تلوّح لينيا بيدها الأخرى التي لا تحمل فيها بطاقتي قائلةً :"أوه، من الصعب اختيار كاتب مفضل، ربما شكسبير. أنا أحب قراءة قصائد شكسبير (السوناتات) وبعض مسرحياته، مع أن بعض مسرحياته حزينة جداً. كما أنني من أشد المعجبين بـ هنري جيمس. أحب رواية "صورة سيدة". ومن الكتاب

مكتبة

الجدد، أظن أن جون شتاينبيك هو الكاتب المفضل لدي. لقد انتهيت للتو من قراءة رواية "شتاء الأحزان". ثم تقطب حاجبيها قائلةً: أعرف أن الكثير من القراء لم يهتموا بقراءة هذه الرواية، وأتفهم ذلك، لأنها قصة حزينة، لكني أعتقد أن السبب كونها تظهر الجانب المخيب للآمال في الحياة الأمريكية". ثم تضيف بتمعنٍ "ربما لايريد الأميركيون أنفسهم أن يقرؤوا عن ذلك".

أومئ برأسي موافقة، فقد كان لدي نفس الانطباع عندما قرأت رواية "شتاء الأحزان" عند صدورها العام الماضي. وبعد قراءة العديد من الآراء النقدية التي أدعت بأن أخلاق شتاينبك الإباحية المنعدمة الحياء، جعلته يتراجع في مسيرته المهنية، كنت أتساءل عن نفس الأمر مثل لينيا: أترانا لم يعجبنا الموقع العالي الذي تحدث منه المؤلف؟ أم أنه كان مصيباً تماما، لكن موضوع روايته الجديدة جعلنا منزعجين؟ "تخبرني لينيا قائلةً "تعلمت اللغة الإنجليزية من خلال القراءة، إنها أفضل طريقة، حقاً".

فأقول "حسناً، لدينا الكثير من كتب شكسبير، وكتب جيمس، وكتب شتاينبك، وأي شيء آخر تريدينه، أيضاً. وأي شيء تريدينه ولا يوجد لدينا في المكتبة، يمكن أن نطلبه لك. يجب أن تزورينا يوماً ما". أسمع نبرة التوسل في صوتي، فأدعو الله بأن تكون لينيا منهمكة في عملها كي لا تلاحظ ذلك بنفسها. ثم أتابع قائلةً "سيكون من دواعي سروري أن أطلعك على ما في المكتبة".

تضع بطاقة تعريف المكتبة بعناية على منضدة جانبية. وتعدني قائلة: "سأفعل ذلك، وسأحضر معي جلوريا. إنها أيضاً تحب القراءة. "ترجع لينيا إلى الوراء، وتنظر إلى رأسي المغطى ببكرات لف الشعر، ثم تهزّ رأسها معبرة عن استحسانها. وتقول "حسناً إذن كيتي، أعتقد أنك جاهزة لتجفيف شعرك".

أرجع إلى المكتبة، فتصيح فريدا معلّقة على تسريحتي الجديدة: "إنها مذهلة"، ثم تحدق بي وتقول: "بصراحة كيتي، لم يسبق لي أن رأيتك بهذا الجمال من قبل تبحث تحت المنضدة عن حقيبتها وتسحب علبة التبرّج وتضع شيئاً من مسحوق بودرة المكياج على أنفها ثم تبتسم معتذرةً وتوضح

مكتبة

ما تفعله قائلةً: "لقد جعلتني أرغب بالتجدد والانتعاش تغلق علبة التبرج بضغطةٍ قوية، وتقول: "ألم أقل لك منذ سنوات أن تتخلصي من فيرونيكا تلك وتبحثي عن مصفف جديد لشعرك"؟

"أخاطبها وأنا أتأمل صورتي المنعكسة في المرآة المعلقة فوق المنضدة، "لقد قلتِ لي"؟ لا أستطيع التوقف عن التحديق في نفسي، أبدو تماماً كما كنت في الحلم. باستثناء الرصانة التي تطغى عليّ الآن، وملابسي البعيدة عن الأناقة.

تخرج فريدا من وراء المنضدة وتنحني لتستعيد كتاباً سقط من على رف كتب الأدب الكلاسيكي، أنه كتاب – حكايات كانتربري– لمؤلفه تشوسر، وهو مجلد ضخم ليس له مثيل، حتماً من غير المتوقع أن يسقط من مكانه. ربما يقع اللوم على تلك العجوز المتصابية في حكاية "زوجة باث".

"أوه، كدت أنسى أن أخبرك".

تقوم فريدا بكلتي يديها بإعادة الكتاب وتسويته. أفكر في لينيا وأتسأل، بما أنها تحب شكسبير، فهي قد تقرأ لتشوسر. وأفكر باستعراض رفوف المكتبة واختيار مجموعة من الكتب لها، لـ تشوسر وربما لـ إدموند سبنسر إذا كانت تحب الأدب الكلاسيكي ولـ جوزيف كونراد وربما أيضاً لـ جورج برنارد شو، إذا كانت تستمتع بقراءة أدب نهاية القرن، ومن الممكن أيضاً أن أضع بعض أعمال الكاتبات المعاصرات مثل كاثرين آنّ بورتر وفلانري وأوكونور، لأنه يبدو أن لينيا تقرأ للكتّاب الرجال، في المقام الأول.

تقول فريدا: "لقد جاء ذلك الفتى، ابن عائلة هانسن، إلى هنا، الفتى الذي يعيش بجوار منزلك. وطلب مني أن أخبرك بأنه يشكرك مرة أخرى. وقال أنه يواصل القراءة مراراً وتكراراً. وقال بأنه لا يستطيع أن يتوقف عن قراءة المزيد". ترجع فريدا إلى الوراء وتنتظر لترى ما إذا كان كتاب تشوسر سيسقط مرة أخرى، ولكن يبدو أنه ثابت الآن. ثم تلتفت إلي وتسألني "ما هذا كله"؟

مكتبة

مكتبة

الفصل الحادي عشر

"ماما".

أفتح عيني وأنظر حولي. يبدو كل شيء مشوشاً.

"ماما، هل تستطيعين سماعي؟ هل أنت بخير"؟

أشعر بتربيت خفيف على كمي الأيمن. أحاول التركيز، فيظهر لي وجه ميسي بوضوح. إنها تحدق بي خائفةً وجلة. نظراتها تذكرني بممثلٍ كنت قد شاهدته مرة على التلفاز في دور طبيب نفسي. في تلك القصة، تكون المريضة امرأة قد تعثرت على الرصيف فارتطم رأسها بالجدار الحجري؛ ففقدت ذاكرتها كلياً حتى أنها عجزت عن تذكر اسمها. في المشهد الذي أستذكره الآن، كان الطبيب ينظر إلى المريضة كما لو أنه لا يشعر بالقلق على حالتها وحسب، بل ويهيمن عليه شعور بالأسف بشأنها.

تنظر ميسي إلي بذات الطريقة تماماً. لفائف شعرها الأشقر المائل للاحمرار، مجدولة بضفيرتين على جانبي رأسها، مربوطة بشرائط حمراء تتناسب مع فستانها المنقوش. يجعلها عبوس حاجبيها تبدو أكبر من عمرها،ويثير قلقيَ إدراكي بأنني لا زلت لا أعرف عمرها. قدرت أن عمر الأطفال يتراوح مابين حوالي الخمس أو الست سنوات، ولكنني لا أملك أدنى فكرها عن عمرهم بالتحديد، أو عن موعد عيد مولدهم. حتى أنني لا زلت أفترض أنهما توأمان – لا شيء حتى الآن يجعلني أغير افتراضي – ولكنني لا املك ما يؤكده. يا لها من مخيلة خرقاء تلك التي أمتلكها. تجعلني أظل أحلم باستمرار بعائلة مختلقَة بالكامل، أيعقل أن يكون لشخص عائلة كاملة

مكتبة

مختلقة، ومع ذلك لا يعلم كم عمر أطفاله، أو تواريخ ميلادهم، أو حتى ترتيبهم من أكبرهم لأصغرهم!

"أنا.. أنا بخير يا عزيزتي" أنظر حولي. بدأت الرؤية تتضح لدي، وأستطيع ان أرى أننا في قسم الأحذية في متجر كبير. لم يكن متجراً مألوفاً بالنسبة إلي. فانا أقوم بالتسوق غالباً في متجر "مونكي وردز" في "برودواي" أو في "مي دي أند اف" في وسط المدينة، المتجر الذي قصدته في حياتي الحقيقية لأبحث عن الفستان الأحمر المموج. بدا هذا المتجر شبيهاً بـ "مي دي أند اف" قليلاً، لكنه لا يشبه أياً من أقسامه التي كنت أقصدها. يمكنني معرفة ذلك من ألوان رفوف العرض المتوهجة بالأصفر والأحمر والأزرق، ومن الجلود المتقنة الصنع، والمرتبة بعناية، وأحذية التنس، والجزمات المطاطية، وأننا في قسم يعرض أحذية الأطفال فقط. في كل تلك السنوات التي كنت أتسوق فيها من متجر "مي دي أند اف"، لا أظن انني وطئت قسماً لأحذية الأطفال– ولكنني أعلم مكانه تماماً، إنه في الطابق الثاني بالقرب من قسم الفساتين والمعاطف الجاهزة. لم أرَ أياً من هذين القسمين في الجوار سابقاً، مما يدعوني للاعتقاد بأننا في متجر مختلف تماماً.

يقترب البائع بخفةٍ منا، وهو يحمل بين ذراعيه صناديق ملونة بألوان براقة من الورق المقوى.

تقول بطاقة الاسم التي يعلقها بأن اسمه ريتشارد، وفوقها أرى علامة "مي دي أند اف" التجارية الزرقاء، يفصل بينهما رسم صغير لسقف وسط المدينة الثلاثي المذهل.

إذاً فهو متجر "مي دي اند اف" لا أصدق أننا في وسط البلد، إلا إن كانوا قد قاموا بإعادة تنظيمه مؤخراً. أتساءل أين نحن على وجه التحديد، ولكن لا سبيل للسؤال طبعاً، فإن سألت سأبدو ساذجة.

يخبرني ريتشارد: "لقد أحضرت لك عدة موديلات لكل طفل من الأطفال"

مكتبة

وللمرة الأولى أنظر إلى يساري فألاحظ أن ميتش يجلس هناك، يؤرجح قدمه، التي يرتدي جوربا عليها، بهدوء ويدير بصره في المتجر محدقاً حوله.

"أتيتِ في الوقت الملائم لعروض الأحذية المدرسية.هناك تصفية على معظم موديلات الخريف الماضي، ولم تصلنا بعد أحذية الربيع. لذلك ستحصلين على عرض أسعار ممتاز، سيدتي

ابتسم قائلة: "حسناً، لا داعي لأن أخبرك كم تنمو أقدام الأطفال بسرعة، لذا نحتاج إلى زوج جديد من الأحذية كل مرة".

هذه العبارة – كحال كثير من العبارات التي أقولها في أحلام كهذه – تصنف في فئة تساؤلاتي: "كيف لي أن أعرف شيئاً مثل هذا بحق الإله"؟

"لنبدأ مع الآنسة الصغيرة.. يقول ريتشارد وهو يفتح صندوقاً ويسحب منه زوجاً من نوع "ماري جينس بلون بني. يسحبه بخفة وأناقة وكأنها "سندريلا" أمام حذائها الزجاجي تمد ميسي قدمها. ينكبّ البائع فوق الحذاء مثبتاً إبزيمه حول مشط قدمها. تملك ميسي قدماً جميلة وأنيقة مشابهة لقدمي. لطالما كنت أعتد بشكل قدمي؛ فهي واحدة من أفضل ملامحي.

وبالنظر إلى ملاءمة الحذاء لقدمها بشكل لطيف، فالمرجح أن ابنتي الخيالية ستكون مثلي.

يقوم ريتشارد بالضغط على أصابع ميسي من فوق الحذاء. أتساءل عن سبب ذلك؛ فلا أحد منا نحن الكبار يقوم بهذا حينما نشتري حذاءً. أدرك حينها أنه لا بد وأن السبب هو التأكد من أن الحذاء ملائم لقدمها.

"كيف تجدين الحذاء يا عزيزتي"؟ أسألها بينما يقوم ريتشارد بتعديل فردة الحذاء الأخرى على قدمها الثانية.

تقول: "جميل" ثم تقف: "مريح".

يقترح ريتشارد: "جربي المشي فيه".

فتمشي ميسي من أول قسم الأحذية حتى نهايته.

يخبرني ريتشارد: "لدينا زوج آخر من نفس الموديل باللون الأسود، إن

مكتبة

كنتِ تفضلينه" فأهز برأسي بالرفض "لا، اللون البني جميل

تعود ميسي وتجلس بجواري. وتقول "إنه جيد، ولكن هل لي بتجربة الآخر تحسباً فقط"؟

ابتسمت. ذلك بالضبط ما أفعله عندما أقوم بالتسوق. فحتى لو كنت راضية عما أجربه، إلا أنني أرغب في تجربة كل الخيارات المتاحة، في حال وجدت شيئاً يثير اهتمامي أكثر. بعد تجربة زوجين آخرين تعود ميسي لخيارها الأول. كل ما كنت أفعله، على ما أظن، هو هز رأسي بالموافقة.

حتى اذا ما انتهت ميسي، التفت مع ريتشارد إلى ميتش. فيقوم بتجربة عدة أزواج من الأحذية ذات الأربطة، ولا يجد أي منها مريحاً. أنظر في عينيه بينما يراقب ريتشارد وهو يحاول بصعوبة ربط حذاء بعد الآخر على قدمه.

أقول وأنا أتفحص المعروض من الأحذية أمامنا: "ميتش، ما رأيك بزوج من الاحذية (لوفر) من دون كعب أو ربطات؟" وابتسم متابعة: "ستنزلق قدمك فيه بسهولة، ولن تحتاج إلى أربطة".

يبدو الارتياح على وجهه. "سيكون ذلك رائعاً يا أمي

أقول لنفسي أن الأمومة ليست قضية بتلك الصعوبة. أستطيع القيام بذلك إذا تحتم عليّ الامر، على طول الوقت. كل ما أحتاجه هو قليل من الحدس والمقومات اللازمة للاهتمام بالتفاصيل.

يقول ريتشارد عندما انتهينا: "ستنادي عليكِ بيتي عند صندوق الدفع".

ثم يتوقف لالتقاط الصناديق الفارغة. ويتابع: "لديك أطفال لطفاء، سيدتي. لا بد وأنك فخورة بهم".

أجيب مبتسمة "أنا فخورة بهم بالفعل وهذا حقيقي. إنني فخورة بهذين الطفلين الصغيرين الخياليين إلى حد كبير، حدٍ غير منطقي.

أفتش في حقيبة يدي فأجد دفتر شيكات باسم كل من "لارس كي أندرسن" و"السيدة كاثرين أندرسن" موقعاً أعلى زاويته اليسرى.

أثناء كتابتي الشيك لمتجر "مي دي أند اف" بثمن الاحذية، أدرك أنني لا

مكتبة

أعلم تاريخ اليوم؛ فأخط في تلك الخانة ببعض أرقام غير مقروءة.

أقتطع الشيك من الدفتر وأعطيه لـ بيتي فتاة المبيعات عند صندوق الدفع.

"ألا ترغبين باستخدام حسابك سيدة أندرسون"؟ تسألني بينما تأخذ الشيك.

"حسابي أنا؟!".

"أجل، حسابك الرئيسي

"أوه" أشعر أن وجهي يتورد خجلاً. من المؤكد أنني أمتلك حساباً رئيسياً هنا.

أقول وأنا أبتسم لها بعذوبة: "لا، ليس اليوم". ثم تسلمني وصل البيع.

يجذبني ميتش بقوة من كم معطفي بينما أعيد دفتر الشيكات إلى حقيبتي. ويسألني: "هل كنا مهذبين"؟

"عفواً"؟

"هل كنا مهذبين؟ ميسي وأنا، هل كنا مهذبين"؟

"بالطبع كنتما مهذبين" أجيبه مبتسمة، بينما أفكر فيما قالته المربية في حلمي السابق. (أتعلمين أنهما طفلان مهذبان حقاً.) بالطبع هما مهذبان؛ أليس ذلك بواضح؟ فما الذي تتكلم عنه بحق السماء؟

يتقافز ميتش فرحاً "يبييي!" ويسأل" فإذاً، نستطيع الذهاب، أليس كذلك"؟

ليس لدي أدنى فكرة بشأن ما يقصده، فاكتفي بهز رأسي مظهرة حيرتي.

"إلى متجر ألعاب بلوبيل" تقول ميسي شارحة. "ألا تذكرين يا ماما؟ لقد وعدتنا في حال كنا مهذبين أثناء شراء الأحذية أنك ستصحبيننا لمتجر ألعاب بلوبيل و.. حسناً، تعرفين. أنظري حولك".

هل وعدتُ بذلك؟ هل وعدت بأنني سأشتري لهما شيئاً؟ هل يحصلان على لعبة عندما يحسنان التصرف في مهمة مثل هذه؟ ليس لدي أي فكرة بشأن التقليد المتبع في هذه الحالات. أتمنى لو كان لارس هنا لمساعدتي في خوض غمار تلك التجربة الغريبة. "حسن، أجل لقد وعدت" أجيبهما وأردف "هيا يا صغار، فلترشداني إلى المكان".

مكتبة

نهبط السلم الكهربائي. أتفحص الطابق الأول أثناء نزولنا، تبحث عيناي بشكل تلقائي عن قسم الكتب. في متجر "مي دي أند اف" في وسط المدينة قسم أساسي كبير للكتب. يقومون فيه باستضافة الكتّاب ومناسبات توقيع الكتب – شيء سنحب أنا وفريدا ان نقيمه، إلا انه من المستحيل أن يأتي كاتب شهير عالمياً، أو حتى إقليمياً، لزيارة مكتبتنا الصغيرة؛ سبق وأن حاولنا، ودائماً ما كان يأتينا الرد مقتضباً على مناشدتنا خبراء النشر المسؤولين عن الكتّاب. إنه أمر محبط. من عدة نواحٍ، أكثر ما يشكل منافساً لنا هو قسم الكتب في المتاجر الكبيرة – بالإضافة إلى الصيدليات التي تبيع القصص المصورة القديمة – حتى أنها منافسة لنا أكثر من متاجر بيع الكتب الصغيرة الأخرى.

ننزل أنا والأولاد، على السلم الكهربائي، متوجهين نحو بوابة خروج ضخمة، تفضي بنا إلى الخارج كما يبدو، إلى المتاجر الأصغر في مركز التسوق. تجربة مركز التسوق بأكملها غريبة عليّ. لا أتسوق بهذه الطريقة في حياتي الواقعية.

قبل أن نصل إلى البوابة تشير ميسي إلى قسم الألبسة النسائية الجاهزة و تصيح :"انظري ماما، ها هو فستانك. الفستان الذي ارتديته في تلك الليلة "تتابع مبتسمة.

تقول موضحةً: "حسنٌ، هو ليس فستانك بالضبط" ثم تتابع "فستانك في المنزل طبعاً، في خزانتك. ولكن هذا الفستان مشابه له تماماً".

إنها على حق. هناك على الرفوف، ذلك الفستان المرجاني الذي لم أستطع ان أجده في متجر "مي دي أند اف" في وسط المدينة ذلك اليوم. إنه بلا شك نفس الفستان تماماً – ومع ذلك فلم أستطع إلا أن ألاحظ أنه هناك على رف التصفيات.

أسأل ميسي".هل تذكرين عندما قمت بشراء ذلك الفستان"؟

تجيب "بالطبع، كان ذلك بعد عيد الشكر. وقد ارتديته في حفلة عيد الميلاد التي أقيمت في مكتب أبي. ومن ثم قمت بارتدائه تلك الليلة لحضور

مكتبة

الحفلة في منزل آل نيلسن". أطرق محاولة التفكير في ذلك. لا بد ان هذا الفستان جزء من صف الأعياد من قسم الألبسة الجاهزة الذي ذكرته موظفة المبيعات في فرع وسط البلد. إن كان في رف التنزيلات الآن، فهذا يعني بأننا في عالم الأحلام هذا قد انتقلنا إلى المستقبل، كما كنت أظن على غير يقين.

ولكن كم نبعد في المستقبل يا ترى؟ أتساءل. هل نحن في العام 1963 فحسب، أي بعد عدة أشهر فقط من الآن؟ أم أننا أبعد من ذلك؟

"إليكم هذه الأحجية" أقول للأطفال بينما كنا خارجين. الهواء بارد، ولكن أشعة الشمس المتوهجة تدفئ وجوهنا. فأتابع: "هل تستطيعون أن إخباري من هو رئيس الولايات المتحدة الأمريكية"؟

ينفجر كل من ميتش وميسي بضحكات عالية. "بالطبع نستطيع، ماما" ويجيب ميتش: "إنه السيد.كينيدي. وللسيد والسيدة.كينيدي طفلة صغيرة وطفلٌ رضيعٌ أيضاً".

تضيف ميسي، مطلقة كلماتها بحماسة من دون أن تلتقط أنفاسها، مثل ماء متدفق من صنبور مكسور: "وأنت ترددين دائماً أن كل ما ترغبين به في حياتك هو أن تكوني بمثل أناقة السيدة.كينيدي".

أهز رأسي، مدركة كم هو سخيف أن أختبر الأولاد بهذه الطريقة. اسم الرئيس لم يثبت شيئاً. قد نكون في 1963 أو 1965، أو حتى في 1968.

على الرغم من مخاوف الجميع بشأن قضايا كوبا والدول الشيوعية، إلا أنني لا أشك للحظة بأن "جاك كينيدي" سوف يعاد انتخابه في 1964. إن أحداً لم يكن ليشك في ذلك. ولهذا فقد نكون في أي عام من الأعوام التي لا زال فيها رئيساً للبلاد.

عليّ ببساطة أن أسال كلاً من ميتش وميسي بشكل مباشر في أي عام نحن. لكن ذلك سيبدو سؤالاً غبياً. فقد يظنان أنني مخبولة أكثر مما قد تصورا.

رحنا نتمشى خلال الممر الإسمنتي الخاص بمركز التسوق. رنين موسيقي يتسرب من مكان فوق رؤوسنا، أظن أنها تلك الأغنية التي تتحدث

عن الأزهار والفتيات والجنود، تلك الأغنية التي كتبتها "بيتي سيجر وقام بتسجيلها العديد من الفنانين. أغنية لطيفة ومثار طرب، وتجعلك – حتى في يوم بارد كهذا اليوم – في مزاج مناسب لنزهة على الأقدام واستعراض الواجهات التجارية، والشراء، إن توَفَرَ الحظ كما يأمل التجار حتماً. أتساءل ما إذا كان علينا أنا وفريدا أن نأخذ بعين الاعتبار مسألة وضع بعض الموسيقا اللطيفة كخلفية في مكتبتنا. أتراها ستحمل الزبائن على الإقبال على تصفح الكتب، وبالتالي على الشراء؟

يسحبني الصغار وراءهم بحماس،خلال الشارع الواسع. أجمات كبيرة من شجر العرعر في أحواض حجرية لونها بيج، موزعة، تبعد الواحدة عن الأخرى بضعة أقدام. نسوة يتحادثن بحيوية، بينما يتفرّسن في واجهات المتاجر المضيئة. أولاد يتراكضون أسفل الممر الواسع مطلقين صرخات عالية بهيجة، يتلقون توبيخاً حاداً من أمهاتهم وينسحبون عائدين.

لا أرى إلا عدداً قليلاً من الرجال. من الواضح أنه عالم نسائي بحت. أدرك الآن ما كانت تقصده فريدا عندما اقترحت إغلاق متجرنا في شارع اللؤلؤة والانتقال إلى مركز تسوق مثل هذا. إننا في المكان الخاطئ. ذلك العالم – عالم الترامووي حيث نشأت كل منا،قد انتهى اليوم. هذا هو العالم الجديد – هذه المراكز التجارية اللامعة والمتألقة بمتاجرها الحديثة وممراتها البراقة. لربما إن أردنا أن نحافظ على وجودنا، فهذا هو المكان الذي ينبغي علينا التواجد فيه.

"ها هو ذا!" يصيح ميتش وميسي بأعلى صوت أمام لافتة متجر متلألئة: "ألعاب بلوبيل مكتوبة بأحرف فضية ضخمة. أسفل اللافتة هناك باب مزدوج مفتوح على مصراعيه برغم لسعة البرد الخفيفة، مؤدياً إلى عروض من الألعاب الباذخة التي لا تقاوم.

وقد صممت العروض بطريقة تبدو من مجرد إلقاء النظرة الأولى على المدخل، وكأنها كائنات حقيقية، تمد أذرعها الطويلة محاولة شد انتباه الأطفال

مكتبة

بخفة لدخول المتجر.

"هيا يا أمي!" يصيح ميتش وميسي وهما يسحبان يديّ بنزق، وندخل المتجر.

"ألعاب بلوبيل هي جنة الطفل الخاصة. من ألعاب المنضدة، الدمى، بنادق الفلين، إلى كافة أنواع الدمى الخاصة بلعبة الأزياء، ابتداءً بزي الأميرات وانتهاء بالأزياء الغربية. يتوجّه ميتش مباشرة نحو قسم السيارات والشاحنات، ويبدأ بتحريك شاحنة نفايات معدنية فوق الأرضية المغطاة بالسجاد. ميسي تدخل حالمةً إلى جناح دمى الباربي، متفحصة رفوف الملابس التي صمِّمَت بشكل خاص لتلك الدمى البلاستيكية العصرية الشابة.

بمقدوري رؤية كليهما من المدخل الأمامي للمتجر، فألزم مكاني أنظر هنا وهناك علّيَ أجد مكتبة ما. أهذه هي كل الكتب التي لديهم؟ لم أشاهد مكتبة في متجر "مي دي أند اف"، ومع هذا فقد يكون هناك واحدة في الطابق الأعلى. أتساءل فيما إذا كان هناك مكتبة أخرى في مركز التسوق، ذات خيارات أوسع لكل من الأطفال والبالغين.

أهم بسؤال موظفة الصندوق عن هذا الأمر عندما يناديني صوت عالٍ من خلفي "كاثرين! لا أصدق أنك هنا!"

استدير لأجد نفسي وجهاً لوجه مع السيدة التي كانت تستضيف حفل كوكتيل "سنو بلون" في حلمي السابق. وبدل الفستان الحريري المقلم، ها هي ترتدي اليوم معطفاً بنياً متواضعاً ووشاحاً حريرياً باللون العنابي، وترتدي نظارات بسلسلة تتدلى حول عنقها. ما جعلها تبدو أكبر عمراً، رغم أنني أشك في كونها – كما لاحظت يوم حفلتها – أصغر مني بحوالي عشر سنوات. تمسك بيد طفل صغير – أكبر من الرضيع ولكنه أصغر من أولادي.

أقول "مرحبا" ولا أزال أجهل اسمها بالطبع. ألاحظ عيني ميسي تتجه إلينا، علها تستطيع أن تنقذ الموقف. تتقدم ميسي بلطف قائلة: "مرحبا سيدة نيلسن" وتنحني تحيي الطفل الصغير "ومرحبا بك كيني، كيف حالك اليوم؟"

مكتبة

وتمد يدها نحو خده الصغير وتقرصه مداعبة كما تفعل الجدات مع أحفادهن. إنها لنعمة أن تمتلك تلك الفتاة روحاً أكبر من عمرها لم يسبق لي أن رأيت مثلها. تذكرني كثيراً بطفولتي، لا أستطيع حبس مشاعري. أريد أن أحتضنها وأن أتشبث بها إلى الأبد. عليّ أن أقاوم رغبتي في الانحناء أمامها ولف خصرها بذراعيّ، وغمر وجهي بخصلات شعرها.

تتلبسني فكرة وأنا أنظر إليها. وهي أنني مستعدة لأن أهب أي شيء في حياتي في سبيل أن تكون طفلة قلبي هذه حقيقية، وأن تكون لي.

مناداة ميسي لتلك المرأة بـ"السيدة نيلسن" لا يساعدني على الإطلاق.

أنا والسيدة "نيلسن" جيران وراشدون – ولا أخفي أن زوجها قد حاول مرة التودد إليّ ذات مساء في ردهة بيتهم المعتمة. من البديهي أننا سننادي أنفسنا بأسمائنا الأولى. ولأن ميسي طفلة لبقة، من الطبيعي أنها ستدعو المرأة بكنيتها. إنه أمر مستفزّ.

تسألني السيدة "نيلسن": "أنت هنا للتسوق أم لمجرد الاستطلاع"؟

تتطلع ميسي إلي بترقب، منتظرة جوابي.

ليس عليّ أن أفكر طويلاً. فجأة لم أعد مهتمة بما قد يظنه لارس، أو كيف عليّ أن أتصرف هنا. إنهم أطفال مهذبون ويستحقون مكافأة.

"بل للتسوق" أجيب بنبرة حزم. "ميسي، لمَ لا تختاري واحداً من أزياء "باربي هذه. وأخبري ميتش ان بإمكانه اختيار سيارة أو شاحنة صغيرة على ألا تزيد عن ثلاثة دولارات" ليست لدي أدنى فكرة عما يمكن شراؤه بثلاثة دولارات من ناحية ألعاب الأطفال، ولكنها تبدو أنها كافية لشراء شيء معتبر.

تسأل السيدة "نيلسن" مجدداً حالما تبتعد ميسي.: "هل من مناسبة خاصة"؟ "إنه ليس عيد ميلادهما، أليس كذلك"؟

آها! فإذاً هما توأمان كما كنت أظن.

أهز كتفي بالنفي وأجيب: "ما من مناسبة معينة".

"علينا أحياناً أن ندللهم قليلاً وحسب.. أليس كذلك"؟ أقول جملتي

مكتبة

الأخيرة بوهن، فما اقترحه تمسحه قلة خبرتي، يشبه الأمر الكثير من النفايات في مزراب المطر. لربما أنني ارتكب زلة كبيرة هنا.

ترفع السيدة "نيلسن" حاجبيها قائلة:

"حسناً، في تلك الحالة إنني أوافقك بالتأكيد". وتضع يدها على ذراعي وتتابع: "أتعرفين يا كاثرين" وتقول بصوت منخفض أكثر: "لا بد لي أن أذكر، أنني رأيت لارس مصطحباً الأولاد إلى درس الغولف، في ذلك اليوم بعد حفلتي. كم كان منظرهم مبهجاً حين كانوا متجمعين مع بعضهم يجرون زلاجاتهم وراءهم. ولم ألحظ عودتهم إلا بعد أكثر من ساعتين. حسناً أنا أعلم أن "كيني مجرد طفل صغير. فتنظر إليه نظرة محبة؛ وهو يحاول التملص من يدها، ولكنها تشد قبضتها متمسكة به. وتتابع "ومع ذلك، فلا أستطيع تصور أن "جورج" قادر على العناية به طوال فترة ظهيرة كاملة كما فعل زوجك" تحرك كتفيها وهي تقول: "إنه أمر غير ممكن، ليس في منزلي على الأقل

يبدأ "كيني بالبكاء، فتحمله السيدة "نيلسن" على خصرها.

تقول لي: "لارس رجل طيب" وكأنني لا أعرف ذلك مسبقاً. وتتابع "الديك رجل طيب، كاثرين. ليسوا جميعاً....". يشتد عويل "كيني يبدو أن يرغب في التراكض في أرجاء المتجر مع باقي الأطفال. فتنزله السيدة "نيلسن" ثانيةً وتتابع "الأزواج ليسوا كلهم كزوجك". وتختتم قائلة "أنت محظوظة جداً كما تعلمين".

"محظوظة" أجل، أعتقد بأني كذلك. أو أنني أرغب في أن أكون، لو أن أياً من هذا كان حقيقياً.

"أوه!" تصيح السيدة "نيلسن" وتضع يدها على فمها. "أوه، أنا لم أقصد أن....". ويبدأ وجهها بالاحمرار. "أنا آسفة، لم يكن لطيفاً مني أن أقول ذلك"

حقاً؟ لكنه بدا لي لطيفاً. تتابع: "أعني، بعد.. كل ما جرى" تهز كتفيها باستهجان، ومن الجلي أنها تشعر كمن ورّط نفسه في أمر ما، إلا أنني لا أدرك لماذا. تردف على عجل: "أنا أعني فقط أن لارس رجل طيب، وأب جيد. أنا أعلم أننا جميعاً نمتلك أشياء تستحق الامتنان، وأشياء.. أشياء.

مكتبة

ينقذها "كيني الصغير من المزيد من الإحراج. فيبدأ بالبكاء عالياً بحيث لم تعد أي منا قادرة على متابعة الحديث حتى لو رغبنا في ذلك.

تقول السيدة نيلسن وهي تحمله: "من الأفضل أن أخرجه من هنا". "هذا الصبي بحاجة إلى العشاء باكراً ثم الخلود إلى النوم باكراً"

أومئ موافقة: "أجل، أتفهم ذلك".

"إنني متأكدة من ذلك. انظري إلى حالي مع طفل واحد فقط. لا أستطيع أن أتصور كيف كانت سنوات الحبو في منزلك!" وترفع أصابعها بتحية صغيرة.

"الى اللقاء كاثرين، استمتعي ببقية يومك" وتغادر قبل أن أتمكن من الرد بشيء.

بعد أن انتهينا من شراء ما انتقاه الأولاد – وأعتقد أن ميتش وميسي يشعران كما لو أنهما أحرزا الجائزة الكبرى بشراء لعبة جديدة من دون أي مناسبة. نعود أدراجنا من خلال الممر الاسمنتي نحو باحة موقف السيارات. أنظر حولي وفجأة أدرك أين نحن، إنه مركز تسوق "يونيفيرستي هيلز" في جادة "كولورادو"، في الجانب الشرقي من المدينة. هذا المتجر كان قيد الانشاء منذ حوالي عقد من الزمن، ولكن "مي دي اند اف" افتُتِحَ منذ بضعة أعوام فقط. كنت قد أتيت إلى هنا مرة أو مرتين، ولكن، في الحقيقة من الأسهل عليّ أن أستقلّ الحافلة إلى وسط المدينة أو أن أمشي إلى "برودواي". هذا المكان ملائم فقط إن كان لديك سيارة.

وهو شيء لا بد أنني أمتلكه في هذه الحياة. "هل تعلمان أين قمنا بركن السيارة"؟ سألت ميتش وميسي.

كانت الشمس قد توارت خجلى خلف الغيوم، فأنحني لإغلاق أزرار معطفها، وأعدل وضعية قبعته الصوفية حول رأسه حماية من الريح.

"يا لماما المضحكة" يقولان وهما يؤرجحان أكياس ألعابهما بمرح، ويمسكان يدي باليد الأخرى. وبينما أحاول أن أوازن حمل أكياس التسوق مع صناديق الأحذية بداخلها، حول ذراعيّ، أتركهما يقوداني إلى سيارة خضراء داكنة من نوع "شيفروليه" العائلية ذات أبواب بألواح خشبية.

مكتبة

يصيح ميتش: "أنا سأركب في المقعد الأمامي!" ويفتح الباب الجانبي الأمامي ويتسلق المقعد البني المغطى بالفينيل، بسعادة.

تتذمر ميسي، من أن ذلك غير منصف. فأرمقها بنظرة تأنيب، فتفتح الباب الخلفي على مضض وتنسل داخله، وتبدأ بفتح أكياسها متفقدة فستان السهرة الذي اختارته لدمية "باربي

بعد أن أجد المفاتيح في حقيبتي، أجلس في كرسي القيادة. يبدو ذلك غريباً لي. لم أقد سيارة منذ سنوات، منذ أن كنت أنا و"كيفين" مع بعض؛ اعتاد أن يعيرني سيارته أحياناً، عندما لا يكون بحاجة لها.

أدير المفتاح في مشغل السيارة وكلي أمل أن أتذكر كيفية التعامل مع ناقل السرعة ومزامنته مع دواسة القيادة. إنني أبلي حسناً، تصيبني نوبة هلع، وأنا آخذ طريقي خلال باحة الموقف. أدفع قدمي بقوة على المكابح، وأنسى أثناء ذلك أمرناقل السرعة وأكشاك السيارات تماماً.

"ماما!" يصرخ الطفلان مندفعين بقوة إلى لأمام، أمد يدي تلقائياً أمام المقعد الأمامي لأمنع ميتش من الارتطام بالزجاج.

"هل انتما بخير"؟ أسأل. "آسفة... لم أقصد أن أتوقف فجأة بهذه الطريقة. إنه فقط...إنه فقط.". وفجأة أجد أني لا أعرف ما عليّ قوله. وهم ينتظرون متسائلين وقد اتسعت عيناهما يحملقان.

أكمل بصوت أضعف: "الأمر أن.. فجأة.. إنني لا أستطيع التذكر.. أين مايكل؟ لم ليس برفقتنا"؟

مايكل؟ من هو مايكل؟ ما الذي أتكلم عنه؟

تهز ميسي رأسها: "مضحكة انت يا ماما" تقولها مقتربة إلى الأمام وهي تربت على كتفي بحب. "أنسيتِ حقاَ؟ لقد عاد أبي من عمله باكراً اليوم، لتتمكني من اصطحابنا لشراء الأحذية". تترك كتفي وتنحني عائدة إلى كرسيها. وتتابع "كل شيء على ما يرام ماما" تؤكد لي بلطف: "مايكل بأمان في المنزل مع أبي

مكتبة

مكتبة

الفصل الثاني عشر

"يا إلهي! كم هو مقلق ومتعب". أقول لـ أصلان حين أستيقظ: "من الجيد أنني هنا من جديد، حيث لكل شيء معنىً". ينظر إليَّ أصلانُ محدقاً بعيون خاوية، ثم يقف ويدور مرتين، ثم يعود نحو الستائر، صوت خرير عالٍ. إنها تمطر ديمةً خفيفةً متواصلة. الصباح الممطر في "دنفر يعني عموماً أنها ستمطر طوال اليوم. من الشائع هنا أن تفاجئك العواصف الرعدية ظهراً، خصوصاً في الصيف وبدايات الخريف. لكنها تكون مفاجئةً وعنيفة تنهمر سريعاً في مزراب الماء المتدلي من السطح في دلاء، فتحدث، أحياناً، نهراً مثل نهر"ساوث بليت"، وقد تتسبب بفيضان قنوات المياه عند بعض الجيران.

من النادرهنا أن يكون يوماً ممطراً لطيفاً. لم نشهد إلا قليلاً من هذه الأيام، في الواقع إنني أعتبرها مثل نعمةٍ من نوع ما. نهضت وارتديت ردائي القطني، الذي بدا رثاً أكثر من الآخر الأزرق المبطن، الذي كنت أراه في الأحلام. ولكنه كان غنياً بالألوان أكثر، بلون بنفسجي مشرق مع رسم بلون زهر الكرز حوله. في الحمام قمت بثني الوشاح الذي كنت أضعه على رأسي ليلاً لحماية عمل "لينيا" الاستثنائي. لم يمضِ سوى عدة أيام على آخر موعد لي في صالون الحلاقة، لكنني أنوي أن أتصل وآخذ موعداً جديداً قريباً.

من دون شك أعود، إنني الآن في عهدة "لينيا أندرسون هيرشال".

أخرج لاحضار البريد، أشعر بالحزن لأنني لا أجد أي رسالة من أمي. التقط صحيفتي،"أخبار جبل روكي"، المبللة من فوق منصب الجرائد في مقدمة المحل، وآخذ في تقليب صفحاتها بالرجوع إلى الداخل. اعتدت أن

مكتبة

أقرأ الصفحة الرياضية قبل أي شيء آخر. "غريغ" كان محقاً؛ لقد فاز فريق "تجيانتز" بالبطولة، متغلباً الليلة الماضية على فريق "لوس أنجلوس دودجرز" بأربع جولات في الشوط التاسع.

المنافسة العالمية التي سيلعب فيها فريق "تجاينتز" ضد فريق "يانكي النيويوركي، بدأت لتوها.

يفاجئني الأمر. كنت أظن أنهم سيمنحون بعض الوقت كاستراحة. ولكن ما أدراني أنا بالرياضة في كل الأحوال؟ لقد تعلمت أشياء عن رياضة "البيسبول" في الأسابيع الماضية من "غريغ"، أكثر مما كنت أعرفه طوال حياتي.

أدخل المطبخ لإعداد الفطور، وأحلم بكل القصص التي سأكتبها لـ"غريغ" بمجرد أن تبدأ المنافسة العالمية. ميتش، ميسي – ومايكل الغامض، أياً تكون هويته – يتبخرون من ذهني تماماً.

أمام مدخل المتجر، أهز مظلتي لأنفض عنها قطرات المطر. ما إن أصبح في الداخل أخلع معطفي وقبعتي المطرية، وأعلقهما في الغرفة الخلفية. ألقي نظرة في المرآة المعلقة فوق مغسلة الحمام، أشعر بالإعجاب بشعري مرة أخرى. أنفض بعض قطرات المطر عن أطراف تنورتي الزرقاء، التي لاءمتها مع كنزتي الخضراء المفضلة، مع عقد طويل من اللآلئ الزرقاء والصفراء؛ مظهر مشرق يساعد على إضفاء البهجة على يوم ممطر كئيب.

فريدا عند منضدة البيع، تتناول القهوة وتدخن. ألوح بيدي أمامها وأقول: "أتمنى حقاً ألا تدخني داخل المتجر تسحب نفساً من سيجارتها وتنفخه. وتجيب "وصباح الخير لك أيضاً".

أسكب لنفسي فنجاناً من القهوة، متخذة مكاني بعيداً عن اتجاه نفث دخانها، وأجلس قائلة: "بكل صراحة، إنه ينفر الزبائن من المتجر، فريدا".

تطلق ضحكة مكبوتة وترد: "منذ متى"؟

"منذ الأزل" لا أدري لمَ أفتعلُ شجاراً معها. إلا أنني أشعر بالغضب وحسب، وبعدم الارتياح.

مكتبة

فريدا تفرش الجريدة أمامها على المنضدة، تتفحص قسم المساعدة. "أتبحثين عن وظيفة"؟ أسألها، وأنا سعيدة لإيجاد عذر لتغيير الحديث.

تهز رأسها بالنفي وتجيب: "بل أبحث عن إلهام ما". تلقي نظرة حول المكان ثم تتابع: "علينا أن نفعل شيئاً ما، كيتي. فنحن بالكاد حصلنا على إيجار هذا الشهر؛ لا أعرف كيف سنبلي في شهر تشرين الثاني، وإن كنا لن نبقى هنا، فعلينا أن نخبر "برادلي فوراً".

إنها على حق. لقد استطعنا جمع إيجار شهر تشرين الأول حقاً، ولكن ذلك كان بشق الأنفس. تقول فريدا أن علينا أن نؤجل دفعة القرض هذا الشهر، على أمل أن نلمس تحسناً ما في رأس مال المتجر قبل أن يستحق موعد دفعة القرض، في الخامس عشر من الشهر. لكني سعيدة أننا استطعنا أن ندفع لـ "برادلي على الأقل.

على الرغم من أننا قد نتأخر أحياناً بالدفع أو لا ندفع على الإطلاق، إلا أنني على يقين أنه سيخيب أمل "برادلي لخسارتنا. فأغلب الظن أنه لن يأتي بعدنا مستأجر جديد مع تراجع حركة العمل في شارع "بيرل" هذه الأيام.

أقترح: "ربما نستطيع أن نفاوضه على خفض قيمة الإيجار، ذلك أفضل بالنسبة إلى "برادلي من مغادرتنا لمتجره، أليس كذلك"؟ تهزفريدا كتفيها باستهجان. "لا أدري"

ثم تتابع باقتضاب: "وبكل الأحوال ما الفائدة المرجوة من ذلك"؟ ثم تلقي نظرة حولها مرة أخرى وتقول، "كم من الوقت سيمكننا البقاء هنا من دون عمل في كل الأحوال؟ أسألي نفسك هذا السؤال يا كيتي".

أفكر في "يونيفيرسيتي هيلز" المجمع التجاري الذي في أحلامي. إلا أنه ليس مكاناً مُخْتلقاً بالطبع. إنه مجمع موجود بالفعل.

أسأل فريدا. "هل سبق لك الذهاب إلى مجمع يونيفيرسيتي هيلز"؟

"أتقصدين المركز أسفل الطريق جنوباً، في جادة كولورادو"؟

تقول وهي تطفئ سيجارتها: "مرة واحدة فقط". "لقد بدا لي بعيداً جداً

مكتبة

خارج المدينة" تفكر بعمق ثم تتابع "ولكن كل شيء بعيد عن المدينة هذه الأيام، أليس كذلك"؟

أومئ بالموافقة. "هناك متجر في مركز تسوق "مي دي أند إف" ولربما كان لديهم كتباً، ولكني أتساءل فيما إن كانت هناك مكتبة أخرى في مركز التسوق". تنظر فريدا إلي باهتمام، وتسأل: "هل ألقيت نظرة في داخله"؟ ثم تقول مستدركة: "لقد صرفت النظر عن فكرة الانتقال إلى مركز التسوق – لقد قمتِ برفض الفكرة عدة مرات يا كيتي   ثم تقف وتلقي نظرة على المطر في الخارج، وتختم كلامها: "ما سبب هذا التغيير في تفكيرك"؟

أهز كتفي باستهجان، ثم أسألها بهدوء "الأمور تتغير باستمرار، أليس كذلك؟". أتابع مقتربة من فريدا أكثر"العالم يتغير"، مستشعرة دفء جسمها بجانبي، أشم رائحة دخانها المختلط بعطرها، رائحة سيئة ولكنها مألوفة: "علينا أن نواكب الوقت. وإلا علينا أن نخرج من المنافسة ونسمح لغيرنا بتجاوزنا".

في ذلك المساء، نغلق المتجر باكراً ونتجه في رحلة قصيرة نحو "يونيفيرسيتي هيلز" علينا أن نستقل حافلتين للوصول إلى هناك، والمطر مستمر، نصل مبللتين تماماً. أثناء نزولنا من الحافلة نلقي نظرة متفحصة على باحة الموقف الواسعة. "كل هذه السيارات"، تقول فريدا وهي تهز رأسها بدهشة "من أين تأتي كل هذه"؟ أشير نحو الغرب الجنوبي، حيث الأحياء الحديثة والمنازل التي تنمو كنبات الهندباء في حديقة، وأقول "من هناك. لن تصدقي ذلك حتى لو رأيته بنفسك".

تنظر إلي فريدا وتقول: "هل رأيتها"؟ أومئ بالموافقة، آملة أنها لن تسأل أكثر. المطر يتوقف، وتبدأ الشمس تشق الغيوم. ننعطف ونبدأ السير عبر الممر. مركز التسوق يبدو كما أتذكره في حلمي تماماً. المزروعات في الأحواض الحجرية، الموسيقا القيثارية. الأمهات والأطفال المتراكضين. حتى أني أكاد أتوقع أن أشاهد نفسي، مع ميتش وميسي برفقتها يتجهان نحونا.

هناك خريطة توجيهية خاصة بمركز التسوق بجانب واحدة من أحواض

مكتبة

النباتات، فأتوقف أنا وفريدا نتفحص الخريطة، بحثاً عن مكتبة. لا نجد شيئاً. تهمس فريدا باقتراح: "دعينا نرى إن كان هناك أي أماكن شاغرة".

وما إن نمشي معاً حتى تمسك بيدي فجأة وتقول: "كيتي، شكراً لأنك تقومين بذلك معي أهز كتفي وأقول "أعلم أن هذا ما تريدين" وأضغط على يدها بلطف وأتابع "كما أننا نستطلع الأمر فقط؟ لا ترفعي آمالك كثيراً" تومئ فريدا ببطء، ولكنني أرى بريق عينيها. "نحن نستطلع فحسب" وتردد حالمة "فقط نستطلع".

مكتبة

مكتبة

الفصل الثالث عشر

أستيقظ وحيدة في غرفة نومي الخضراء بلون نبتة الميرمية. جانب السرير الذي ينام عليه لارس فارغ، وأغطية السرير متجعّدة. أمد يدي أتحسس الدفء تحت الأغطية حيث كان مستلقياً، أعتقد أنه نهض منذ برهة قصيرة فقط. أترك يدي هناك لوقت يبدو لي طويلاً.

أنهض وأضع ردائي عليَّ، أدخل الردهة وأتجه نحو غرفة المعيشة. إلى يساري أرى غرفة الطعام. ليست غرفة منفصلة، بل هي امتداد لغرفة المعيشة، بذات الشكل الذي كانت عليه في منزل آل نيلسن، بالشكل المتعارف عليه في هذه المنازل العصرية.

جدران غرفة المعيشة وغرفة الطعام بلون ذهبي باهت وقد غطى هذا اللون السقف أيضاً. يتماشى لون السجاد الخفيف مع لون الباب الأمامي، ألاحظ ذلك بإعجاب. تحتوي الغرفة على منضدة لامعة من خشب السنديان، وستة كراسي حولها، منجدة بقماش أزرق نافر. أرى قرب مقدمة المنضدة تحت النافذة، مقعد مدرسة خشبي صغير، لكنه لا يشبه مقاعد المدرسة التي كانت تملأ الصفوف في أيامنا.

مكتبة الرمحي أحمد

هناك رائحة لاذعة، نوعاً ما، في الهواء، لكنني لا أستطيع أدراكها أو تمييزها. وهناك مجموعات من المفروشات مصنوعة من الخشب الداكن، على طول الجدار الخلفي لغرفة الطعام، أبوابها على شكل مصاريع النوافذ؛ اثنان منهما بارتفاع خزانة، مع منضدة تبرز من أسفلها، والباقي على طراز باب خروج متحرك، أفترض أنه يقود إلى المطبخ. مصاريع الخزانة مغلقة، ولكني

مكتبة

أستطيع تصور أنه حين تفتح، ستشكل مدخلاً من المطبخ إلى غرفة الطعام. إنه شيء مفيد جداً على ما أظن، فهو يمكّن الطاهي من تحضير الطعام في غرفة وتقديمه في الغرفة الأخرى.

خلف الأبواب، ومن خلال ثقب الباب، أسمع صفير رجل مبتهج، أشبه بصفير فريدا. مجرد التفكير بذلك يجعلني أبتسم. أجتاز الغرفة وأدفع البوابة المتحركة. يقف لارس هناك، بكامل رونقه وعينيه الزرقاوين. اندفع إليه وأعانقه، وألصق جسدي بجسده. يهمس لي :"حسناً، مرحباً أيتها الجميلة. أتشعرين بأنك أفضل هذا الصباح"؟

أقول: "إنني بأفضل حال" وأرفع رأسي للأعلى أتلقى قبلته. قبلة فم طويلة متواصلة من النوع الذي لا أرغب في أن تنتهي. أستطيع القول أن لارس كذلك. فهو لم يسحب شفتيه عن شفتي إلا بعد مقاومة شديدة.

يقول حابساً أنفاسه: "واو! يا له من ترحيب!"

أجيبه: "اشتقت إليك..... أردت فقط.. أن أشعر بك" أضمه بشدة مرة أخرى وأتابع :"أن أحسك...أن أشعر كم أنك حقيقي

يقول ضاحكاً "أنا حقيقي، وعلى أفضل ما يرام". ثم يعود الى مقدمة المنضدة ويلتقط غلّاية القهوة الكهربائية ذات اللون الأخضر ويقول: "أجاهزة أنت لتناول بعض من القهوة، حبيبتي"؟

"نعم لو سمحت". أدور ببصري في أنحاء المطبخ أثناء صب القهوة. أسطح الرفوف من خشب الفورميكا الايطالي بلون برتقالي؛ أما الموقد والثلاجة فكلاهما باللون البيج. نافذة فوق الحوض تسمح بدخول ضياء الصباح؛ وعلى حافتها هناك جرة فخارية، مُلِئتْ حتى نصفها بالعملات المعدنية. الستائر فوق النافذة متلائمة تماماً مع ألوان ورق الحائط؛ ويُظهر كلاهما تسلسلاً مبهجاً لرسومات الفاكهة – موزاً، تفاحاً، برتقالاً، وليموناً – على خلفية بلون رمادي. الخزائن الخشبية ذات لون بني داكن، بسيطة جداً، بمقابض نحاسية ناعمة ومن دون أي زخرفة على الخشب. أول ما يخطر ببالي هو ما أسهل تنظيف

مكتبة

هذا الخشب. فقد كنت أفرك الأطراف المزخرفة باستمرار، لخزائن المطبخ في منزلي ذي الطابقين، الواقع في شارع "واشنطن"، ومهما كنت أحاول لم أستطع أن أزيل طبقات الأوساخ القديمة من بين الشقوق.

أجول عائدة عبر الأبواب المتأرجحة، أجتاز غرفة الطعام، وأدخل غرفة المعيشة. تلفت نظري نافذة واسعة تطل على الشارع، فأتقدم لألقي نظرة من خلالها. إنه صباح شتوي مشرق. لماذا أجد أن الطقس هنا هو طقس الشتاء، بينما هو خريف في عالمي الحقيقي؟ لا أستطيع فهم ذلك. الثلج الناصع البياض في مقابل عتمة الأشجار الخالية من الأوراق، زرقة السماء الرائعة، منظر الجبل من بعيد، وصف المنازل الطويل؛ كل ذلك يجعلني أستنشق نفساً عميقاً، متلذذة بعذوبته. يتقدم "لارس من خلفي قائلاً: "هاكِ القهوة" ويناولني كوباً دافئاً من القهوة. فأمسكه بكلتي يدي وأقول "هل تلاحظ أي شيء جديد مثير؟" وأومئ برأسي وأنا أرتشف قهوتي. "إنه جميل أيضاً" أتابع. يطوق خصري بذراعه ويقول "بالطبع. أنا أعشق هذه الإطلالة" أضحك وأسأله "الإطلالة على منازل الجيران"؟ يهز برأسه بالنفي "بل على الاحتمالات، على المستقبل يقول وهو يعتصر كتفي، ثم يدخل الى المطبخ. وفي الوقت الذي أفكر فيه عن السبب الذي يدفع لارس لإعداد الفطور بدلاً مني – أليست تلك مهمة الزوجة؟ – أفاجأ بهجوم مباغت. "ماماماماماماماماما!" أحاول التشبث بكوب قهوتي، ولكن القهوة الساخنة تتناثر منه. لحسن الحظ، لا تصيبني أنا أو مهاجميّ، ولكنها تنسكب على النافذة وعلى السجاد. التفت لأرى أمامي صبياً صغيراً يرتدي نظارات مع ابتسامة عريضة على وجهه. ولكن ابتسامته كان فيها شيء غريب. وكبداية أدركت من هو: فبالرغم من أنه كان مبتسماً إلا أنه لم يكن ينظر مباشرة إلي. كان ينظر في كل جانب من خلال عدسات نظاراته السميكة، إلى الأريكة، إلى منضدة القهوة، إلى الأرض ربما. إلى الفراغ. "يا إلهي!" أصرخ في وجهه. وأقول "ما الذي تظن أنك تفعله؟" وعندها يصدر الصبي صراخاً عالياً، حتى أنه لم يبدُ بشرياً. صيحاته كتلك

مكتبة

التي تصدر عن حيوان متألم إثر سقوطه في شرك، وعلى وشك أن يلتهمه كائن مفترس، وهو مدرك لمصيره إدراكاً يقينياً. سبق لي وأن شاهدت نوبات غضب مزعجة للأطفال، في المطاعم وما شابه من هذه الأماكن، ولكنني لم أسمع في حياتي طفلاً يصرخ بهذا الشكل. أتراجع بذهول إلى الخلف وأنا أحدق فيه. فيدخل لارس مسرعاً من المطبخ. وفي ذات الوقت يصل ميتش وميسي، يهبطون السلالم نحو غرفة الجلوس. يسحب لارس الطفل الصارخ من كتفيه بحزم. ويمسك به بإحكام، لكنني ألاحظ أنه لا يعانق الصبي، أو يقترب منه أكثر من مسافة ذراع. وبدلاً من ذلك يردد بهدوء "اذهب إلى النهر، اهبط إلى النهر، اذهب إلى النهر، اهبط إلى النهر..".

أخطو إلى الخلف، وقد شلت الدهشة حركتي. يقترب ميتش بهدوء ويقف بجواري. أهمس لـ ميتش :"هل هو دائماً على هذه الحال؟". فيومئ أن أجل، ويتابع كلانا تحديقه. وفي النهاية، وبعد وقت بدا طويلاً جداً، إلا أنه فعلياً لا يتجاوز عدة دقائق، يخمد الصراخ متحولاً إلى أنين. ومن ثم يعم الهدوء.

يفلت لارس كتفي الطفل ببطء. ويقول موجهاً كلامه للطفلين: "ميتش، أنت وميسي، لمَ لا تأخذان مايكل إلى الأعلى؟" ويزم شفتيه مع بعضها. "سأنتهي من إعداد الفطور في خلال دقائق".

وكأنهما والدين حريصين، ولكن صغيرين بحجم عقلة الإصبع، يرافق كل من ميتش وميسي الطفل الثالث خارج الغرفة. لهم، ثلاثتهم، نفس لون الشعر؛ ورؤوسهم، ثلاثتهم، بنفس مستوى الطول تماماً. أراقبهم كيف يصعدون السلالم بهدوء. يحدق بي لارس دون أن يقول شيئاً. تضيق عيناه الزرقاوان؛ للمرة الأولى في هذا العالم، أرى لمعان غضب فيها. عيون تركز في عيني لا ترمش. فجأة أدرك، أن غضب لارس ليس موجهاً إلى الطفل الذي غادر الغرفة. بل هو موجه إلي.

"كاثرين"، وينطق أخيراً: "ما ذا دهاكِ بحق السماء؟"

مكتبة

الفصل الرابع عشر

ومرة أخرى وقبل أن أتمكن من الرد – ينتهي كل شيء. أنا في شقتي من جديد. أستيقظ وأجدها مظلمة وصامتة. أنظر إلى ساعة المنبه ذات الإضاءة الخضراء، بجانب سريري. إنها الرابعة فجراً. أصلان يغط في نومه باطمئنان إلى جانبي. أتقلب وأعدل من وضعية الأغطية وأنا أحدث نفسي بالعودة إلى النوم. "إنه مجرد حلم سخيف" أتمتم لـأصلان. "إنها مجرد أحلام، لا تعني شيئاً". ولكنها حقيقية إلى درجة كبيرة. أشعر وكأنني اختبرت حقاً كل شيء في ذلك العالم، عالم الحلم. أعلم تماماً كم كان دافئاً ذلك الرداء المبطن، وهو يلتف حول جسدي. باستطاعتي تذكر مذاق قبلة لارس، دفء ونعومة فمه على فمي. الثلج على حافة النافذة في الخارج– بإمكاني رؤيتها بعين مخيلتي. لا زلت أستطيع الشعور بطعم القهوة في فمي. بإمكاني رؤية هؤلاء الأطفال الثلاثة. الاثنان المبهجان والثالث المخيف. أهز رأسي في العتمة وأخبر نفسي بأن ذلك ليس عدلاً. فلم يكن لدي أدنى فكرة عن السبب الذي جعل ذلك الطفل يتصرف بتلك الطريقة. هناك شيء غريب بشأنه بالفعل. هناك شيء ما غير طبيعي في رأس ذلك الصبي. تستطيع معرفة ذلك بمجرد النظر إليه، من خلال ملاحظة أن عينيه لا تنظران في عينيك. وكيف بدا أنه يميل إلى جانب واحد وكأنه غير قادر على حمل نفسه.

وذلك الصراخ! لم أسمع في حياتي شيئاً يشبه ذلك الصراخ. ولكن الطفل – كما هو الحال بالنسبة إلى لارس، وكل من ميتش وميسي – من اختراع مخيلتي فقط. كل ذلك لا يعدو كونه مجرد تلاعب ذهني بي، من قبل مخيلتي.

مكتبة

إن كان لدي أدنى شك بشأن ذلك سابقاً، فلم يعد لدي أي شك الآن.

فأي أم تلك التي تعجز تماماً عن تذكر طفلها؟ أي نوع من الأمهات سأكون - إن كنت حقاً أماً، وإن كان ذلك العالم حقيقياً - إذا كنت قد نسيت بطريقة ما أن مايكل موجود أساساً؟

لم يحدث أن تساءلت عما إذا كان مايكل طفلي أم لا. فأنا أعلم - وقد عرفت دائماً منذ بداية أحلامي - أن ميتش وميسي هما أولادي في عالمي الخيالي. وأعلم الآن أن مايكل هو ابني كذلك. ليس لدي فكرة كيف أعرف كل ذلك، ولكنني أفعل. في ذلك العالم، العالم الذي ليس له وجود، هؤلاء الأطفال الثلاثة لي. ولارس لي. وثلاثتهم في سن واحدة؛ إنهم توأم ثلاثي. أنا متأكدة من ذلك.

أخرج يدي وأربت على فرو أصلان الدافئ، استشعرت بنيته القوية تحت يدي. وأتغلغل ببساطة وجوده الأصيل. لا بد لي أن أضع ذلك العالم جانباً. وأن أنسى هذا الموضوع. أغمض عيني وأغرق في غفوة عميقة وخالية من الأحلام.

في المتجر، في وقت لاحق، أقلب صفحات الجريدة بينما تؤدي فريدا مهامها في وقت الغداء.

أمر سريعاً على أخبار استيلاء الشيوعية على كوبا- حيث قررت اللجنة الفرعية لمجلس الشيوخ أن مسؤولاً واحداً على الأقل في وزارة الخارجية ينبغي أن يكون على علم، وأن يحذر رؤساءه قبل ذلك بوقت كافٍ- وأنتقل إلى قسم الرياضة. أخبار رائعة: بعد تأجيل دام لأربعة أيام سببته الأعاصير المطرية المستمرة، تستأنف المباراة السادسة من البطولة العالمية، نشاطها أخيراً الليلة الماضية في سان فرانسيسكو. فريق "تجاينتز" يتوج باللقب حاسماً المنافسة بثلاث مباريات مقابل ثلاث. لا بد أن "غريغ" يحلق من السعادة، أفكر وأنا أتفقد تفاصيل المباراة. أبدأ بتصور شكل الكتاب الذي سأكتبه له حول هذه اللعبة، وكيف أن معجبي الفريق في سان فرانسيسكو ومن ضمنهم

مكتبة

"غريغ" بالطبع قد نالوا مكافأة على صبرهم الذي طال لأيام بانتظار أن تبدأ المباراة.

بعد برهة أضع الصحيفة جانباً، وأطلب رقم العمة "ماي" التي تعيش على مسافة بعيدة من "هونولولو"، على عجل. ستقوم فريدا بقطع رأسي إن علمت أنني أقوم باتصال شخصي خارجي من المتجر، ولكنني لا أكترث.

"إلى من أدين بهذا الشرف"؟ سألت أمي عندما سمعت صوتي. أضحك قليلاً وأقول: "ليس إلى أحد على الإطلاق". "لقد اشتقت إليك فحسب يا أمي؟ لا يسعني الانتظار حتى أراكِ".

"أنا أيضاً لا أستطيع الانتظار" تقول. "هذه الرحلة رائعة حقاً، لكن أظنني اكتشفت أنني شخص (بيتوتي)" تتوقف قليلاً ثم تتابع "اشتقت الى المنزل واشتقت إليكِ". يقرع الجرس الذي فوق الباب ويدخل زبون إلى المتجر. إنها امرأة بقبعة زرقاء ترتدي طقماً، لا تختلف كثيراً عما كنت أرتديه في تلك الصورة في مكتب لارس. عجباً، الجميع يريد أن يتشبه بـ"جاكي كينيدي"، أليس كذلك؟

تمسك المرأة بيد طفلة صغيرة، ربما أكبر قليلاً من أطفالي في أحلامي. للطفلة ضفائر شقراء؛ وترتدي فستاناً وردياً متلائماً مع كنزة الصوف ذات الأزرار اللؤلؤية الأمامية. تحدق في جانب من المتجر ثم تنظر أرضاً. ابتسم وألوح للزبونة، فتومئ لي. تبدأ باستطلاع المكان ساحبة الطفلة معها. أعود إلى الهاتف وأقول لوالدتي "حسناً، لقد قاربت رحلتك على الانتهاء، ويبدو أنك جاهزة للعودة إلى المنزل" فتضحك. كم أحب ضحكة أمي؛ إنها الصوت الأكثر بهجة في العالم. بنغماتها السريعة بين الارتفاع والانخفاض، هي أشبه بالاستماع إلى جمهرة من الأجراس منطلقة من عدة كنائس، تقرع في وقت واحد.

ترد "أجل أنا مستعدة". ثم تتابع: "برغم أني لا أستطيع القول بأنني أتطلع إلى قدوم الشتاء، بعد مكوثي هنا. وكذلك والدك. ولكننا سنقاوم العاصفة. أم علي

مكتبة

أن أقول العواصف. سيكون من اللطيف أن نعود إلى منزلنا وأشيائنا الخاصة".

أسمع خشخشة كما لو أنها تنقل السماعة من أذن إلى أخرى. ثم تسألني:

"هل تقومين بسقاية نباتاتي"؟ ليست أمي ذلك البستاني الماهر، ولكنها تملك بضعة نباتات منزلية - شبث ولبلاب وشجرة الحب القلبية - وأنا الموكلة، رسمياً، بالاعتناء بها حتى موعد عودتها.

أجيبها: "مرتين في الأسبوع. إنها منتعشة تماماً".

"انت فتاة طيبة، كيتي

أسمع صوت تحطم، ومن ثم صوت عويل حاد، وطويل، آتياً من اتجاه رفوف العرض حيث تقف المرأة وطفلتها.

"أمي، علي أن أقفل الخط. لدي زبون" وقبل أن أغلق السماعة أضيف "أنا أعد الأيام إلى موعد عودتك يا أمي. لقد اشتقت لك".

بعد انتهاء المكالمة، أتجه نحو موقع الرفوف. حيث لا تزال الطفلة تبكي بصرخات عالية النبرة تذكرني بتلك التي سمعتها في حلمي في الليلة السابقة. الطفلة تجلس على الأرض، وساقاها متقاطعين بشكل غريب وكأنهما ساقا ضفدع وليس طفل. تتأرجح من جانب إلى آخر وأمامها دزينة من الكتب المتناثرة على الأرض. هذه الكتب كانت تشكل سابقاً المجسم الهرمي الذي صنعته منذ أيام فوق رف مفتوح في نهاية الممر - قبل أن أدرك الآن أن شكله غير ملائم - هناك عدد من نسخ رواية "ربيع صامت"، التي وصلت نهاية شهر أيلول كما كان متوقعاً، وعناوين صادرة حديثة، وسلسلة المستقبل المثيرة "سبعة أيام في أيار"، وفيها يستولي الجيش على السلطة بعد أن يوقّع رئيس خيالي على وثيقة نزع الأسلحة مع الاتحاد السوفييتي. يحظى كلا الكتابين بالكثير من الاهتمام حالياً، وقد كان غرضي من ترتيب نسخهما بهذا الشكل، أن يتمكن الزبائن من إيجادهم وشرائهم. بالطبع. لم يخطر ببالي طبيعة هذا الترتيب التي قد تكون خطيرة.، تجلس المرأة منحنية فوق طفلتها وظهرها مواجه لي، ثم تقول "كل شيء على ما يرام. أرجوكِ توقفي. أرجوكِ، فقط توقفي

فيزداد صراخ الطفلة شدة. أقف متجمدة، لا أدري إن كان عليّ أن أتدخل أم لا يبدو أن المرأة تحس بوجودي، فتستدير نحوي وتنظر إلي بأسىً. "إنني آسفة حقاً" تقول بصوت يحاول أن يعلو على الضجيج. وتبدأ بالتقاط الكتب، مما يجعل الطفلة تصرخ بمزيد من التأجج وتتشبث بذراع والدتها. فتسقط كل الكتب التي كانت قد جمعتها على الأرض.

أقول لها:"لا تقلقي بشأن الكتب، هل من شيء أستطيع فعله"؟

تهز المرأة برأسها وتقول: "هي – ممم – لقد أسقطت الكتب من غير قصد، وأعتقد أن الضجة أفزعتها" تزم شفتيها. وتحيط الطفلة بذراعيها، فتهدأ الطفلة شيئاً فشيئاً خلال لحظات. ثم تغلق عينيها وتسند رأسها على كتف أمها.

تقول المرأة، بصوت هامس، تقريباً: "ما كان عليّ أن آتي إلى هنا". "كل ما في الأمر أننا كنا نقضي يوماً ممتعاً. لقد كانت مستمتعةً بيومها. وقد فكرت.. فكرت فقط، لدقائق.. أن هناك رواية أرغب بشرائها، رواية حديثة للكاتبة "كاثرين آن بورتر"؛ كان أحدهم قد نصحني بقراءتها. وقد فكرت، لبرهة.. ثم يخونها صوتها.

أجيبها: "لا بد أنك تقصدين رواية (سفينة الحمقى)، لقد سبق لي وأن قرأتها. إنها رواية جيدة بالفعل، أجمع أغلب النقاد على ذلك. لدي نسخة منها على المنضدة" وأومأت برأسي نحوها. "بإمكاني لفها لكِ.. دعيني أتأكد من السعر.".

تهز المرأة رأسها وتقول "أعتقد أنه من الأفضل أن أغادر، قد آتي في يوم آخر" ثم ترفع طفلتها، بساقيها الطويلتين، على ذراعيها؛ فتتشبث الفتاة بها كدمية من قماش وتلف ساقيها الحافيتين حول خصرها. "أعتذر بشأن الكتب على الأرض" تقول الأم من فوق كتف ابنتها. فأندفع أمامها لأفتح لها الباب. والطفلة تلهو بقبعة أمها، وهي مستمرة بالدوي بهدوء مثل النحلة. "هل هي.. أعلم أنه من الفظاظة أن أسأل سؤالاً كهذا.. . فترمقني المرأة بنظرة حادة وتقول

مكتبة

"إنها مصابة بالتوحد". ثم تسرع خارج المتجر دون أن تلتفت إلى الخلف.

التوحد! لقد سمعت بذلك، على ما أظن. أعرف أنه نوع من الاضطراب العقلي. لكنني لست متأكدة تماماً ما يعنيه ذلك. لحسن الحظ أنه لدي الوسيلة المناسبة لمعرفة ذلك.

الهدوء يخيم على المتجر، فأتوجه نحو قسم علم النفس. إنه ليس بالقسم الضخم لأننا مكتبة صغيرة، متنوعة المواضيع، وهي تحتوي في أغلب المواضيع، على الأساسيات فقط عدا الروايات الخيالية. لدينا تلك العناوين التي تلائم القارئ العادي فقط. بإمكاننا أن نطلب ما نشاء من عناوين، وغالباً ما نفعل ذلك من أجل زبائننا الدائمين. أما بالنسبة إلى الكتب التي نعرضها فنختارها مما يتلاءم مع المستطلعين العاديين، المرأة القارئة والمتابع العادي. لا شيء أكاديمي بعمق. أتفقد رفوف قسم علم النفس. على خلاف قسم الأدب الذي تم تنظيمه بحسب اسم الكاتب، كنت قد قمت انا وفريدا بتنظيم باقي الأقسام بحسب الفئة – مثل علم النفس – ومن ثم بحسب عنوان الكتاب. عبر سنوات تعلمنا أن الزبون يميل أكثر لإيجاد ما يبحث عنه من خلال العنوان لا الكاتب، لأن أسماء العديد من الكتاب – عدا الأدباء – غير معروفه لجمهور القراء العاديين. اخترت كتاباً بعنوان "مقدمة تمهيدية في علم النفس الحديث". أفتح صفحة الفهرس، فأجد بحثاً وعدة مقالات تخدم غرضي.

"التوحد، ويدعى أيضاً بالفصام الطفولي، هو عبارة عن اضطراب يتمثل بوجود صعوبات في المهارات الاجتماعية والتواصل مع الآخرين لدى الأطفال والرضع. ويبدي المصابون، في عدد من الحالات الموثقة، حدة مفرطة في المزاج، وحركات إيقاعية مبالغ بها. الأطفال والرضع المصابون بالتوحد لا يستجيبون عادة عندما ينادى عليهم بأسمائهم. وهم نادراً ما يبتسمون أو يتواصلون بصرياً مع غيرهم؛ وليست عندهم قدرة على ملاحظة الأطفال الآخرين أو البالغين حتى يتمكنوا من تقليدهم. يبدو أطفال التوحد غير قادرين على استيعاب دلالات القواعد الاجتماعية الأساسية أثناء فترة

مكتبة

نموهم. وكثيراً ما يجدون صعوبة في المشاركة والتفاعل مع الآخرين. وهم، بشكل عام، لا يجدون أي متعة في ممارسة الألعاب التخيلية. أطفال التوحد كثيراً ما يتعرضون لانفجارات عاطفية من دون أن يكون هناك سبب واضح لمثل تلك الانفعالات. إن هذا يفسر الكثير لي. إنها شبيهة بحالة مايكل، وحالة تلك الفتاة الصغيرة في المتجر اليوم. إلا أن قراءتي للسطر التالي استوقفني وأرعب قلبي. أسباب مرض التوحد غير واضحة. إلا أن هناك فكرة شائعة بأن التوحد قد ينتج عن الانفصال العاطفي بين الأبوين، وغالباً من ناحية الأم".

مكتبة

مكتبة

الفصل الخامس عشر

"ماما".

أفيق مذعورة عائدة إلى وعيي. "ماما". هذه المرة النبرة ملحة أكثر. أدير وجهي وأراه. الصبي الصغير المخيف. مايكل. أتقصّد النظر في عينيه، ولكنه يرفض النظر مباشرة إلي. ومع ذلك، أستطيع أن أرى عينيه خلف النظارات، عينين زرقاوين كعيني لارس وميتش وميسي. من الواضح أن لا أحد في عالم الأحلام هذا قد ورث عني لون عيني العسليتين. لا أدري إن كان السبب هو النظارات السميكة، أم أن لون عيني مايكل ليس غامقاً كما هو الحال بالنسبة إلى الآخرين. لكن، وعلى أي حال، تبدو عيناه خلف النظارات مكفهرة، وغير قادرة على التركيز. يبدأ بهز كتفي، ويضغط بأصابعه النحيلة والطويلة؛ أشعر وكأن شفرات سكين صغيرة تتغلغل في لحمي. أمد يدي وأفرك كتفي قائلة: "أوو! مايكل لقد أوجعتني يتجاهل كلامي ويقول: "ماما، لقد كنت أناديك ولم تجيبي

"إنني آسفة" أقول له بالرغم من أنني لا أشعر بالأسف على الإطلاق.

أنظر حولي، نحن نجلس على مقعد قريب من ساحة الألعاب، وهناك بحيرة صغيرة إلى يسارنا. أتلفت حولي بحثاً عن الجبال في جهة الغرب – إنها الطريقة الأفضل لتحديد موقعك في "دينفر وبإيجادها أتتبع الاتجاهات لمعرفة أقرب منظر طبيعي لها. البحيرة إلى شمالنا. وإلى الشرق والغرب تمتد أحياء سكنية وصفوف من المنازل. وفي الجنوب، أرض قاحلة مغطاة بالثلج، وبحيرة صغيرة أخرى بحجم الأولى خلفه. أكاد لا أستطيع تمييز طول سلسلة

مكتبة

الأسوار حول مجموعة من ملاعب التنس في أقصى نهاية البحيرة الجنوبية. ومن بعيد أرى برج ساعة قرميدي يتعالى من خلف الأشجار.

أدرك أخيراً أننا في حديقة "واشنطن". وبرج الساعة ذاك يقع في الثانوية الجنوبية، المدرسة التي تخرجت منها منذ أكثر من عشرين عاماً مضت. المدرسة في الجهة المقابلة للشارع من الناحية الجنوبية للحديقة؛ كنا نقصدها طلاباً لحضور صفوف التربية البدنية، ونقوم بعدة لفات على الممشى الذي يلتف حول الحديقة أو نجري بعض التمارين في ملاعب التنس.

هناك، على الأغلب، ما يقرب من خمسة أو ستة أميال تفصل المكان عن المنزل في شارع "سبرينغفيلد" الذي أعيش فيه مع لارس والأطفال في حياتي المُتَخَيَلَة. ولكن بضعة مربعات سكنية فقط هي ما يفصل المتنزه عن منزل والديَّ في شارع "يورك". الصورة المعلقة في بهو منزلي في شارع "سبرينغفيلد" – صورة لي مع والديَّ أثناء قيامنا بنزهة – أُخذت في هذا المتنزه. لم آت إلى هنا منذ سنوات، ولكنني أمضيت الكثير من الأوقات السعيدة في حديقة "واشنطن" عندما كنت طفلة، سواء باللعب في هذا الملعب أو في السباحة في البحيرة. بحيرة "سميث"، هكذا كانت تدعى. عندما كنا صغاراً، كنا، أنا وأبناء الجيران، نخّوف، أحدنا الآخر، بقصص وحوش البحر التي تعيش في بحيرة "سميث".

"لا تبتعد كثيراً" كنا نقول كي يغيظ بعضنا البعض الآخر. "سيفترسك الوحش ذو العين الواحدة". الحديقة والملعب تغيرا كثيراً بمرور الزمن. تبدو الأراجيح حديثة، وقد أقفلت البلدية شاطئ السباحة منذ عدة سنوات؛ فالبحيرة صغيرة جداً، وعدد الناس الذين يسبحون فيها كبير فأصبحت مياهها موحلة. بت أظن الآن أنه لربما كنا على حق، أنا وأصدقائي، بشأن الوحش الذي يعيش في تلك المياه المعتمة، العكرة.

أنني مع مايكل، الوحيدان الموجودان في الملعب. والبحيرة متجمدة، تقريباً، الهواء بارد، والسماء غائمة. لا يتساقط الثلج، ولكنه يبدو وكأنه معلق

مكتبة

بالغيم. أرفع أنفي وأتحسس وجوده، كما يفعل كلب الحراسة عندما يحس باقتراب شخص دخيل. أسأل مايكل ما الذي نفعله هنا؟ وأين الطفلان الآخران؟ "مايكل، أين ميتش وميسي؟.

يقلب عينيه ولكن لا ينظر باتجاهي، لأنه لا ينظر إلي، بل إلى الأراجيح التي على بعد عدة أقدام عنا ويقول "أنت تعلمين أين هما، ماما. إنهما حيث يكونان دائماً في هذا الوقت من النهار": أقول "وأين يكون هذا المكان"؟ فيكشر ضاحكاً، لا بد أنه يظن بأنني أمازحه. أقول له متوسلة: "أنا جادة بسؤالي، أين يكون هذا المكان"؟

"ماما!" ينفجر ضاحكاً. أفاجأ بأني أجد ذلك مبهجاً. فلضحكته نبرة رنانة مبهجة؛ تذكرني على الفور وبشكل غريب بضحكة أمي.

– "ماما السخيفة! إنهم في المدرسة بالتأكيد"

– "أوه" أقول وأضع يدي على جانبي من المقعد الأخضر. ثم أسأله "وأنت؟ لم لست في المدرسة أيضاً"؟ فيضحك من جديد ويقفز من دون تفكير، من على المقعد. ويقول "حسناً، الآن أصبحت تتصرفين بجنون!.. أنت تعلمين أنني لا أذهب إلى المدرسة يا أمي!" ثم يبتعد عني ويتجه نحو الأرجوحة. يركب فيها ويبقى مكانه بلا حراك. من الواضح أنه لا يعرف كيف يهز نفسه فيها، "ادفعيني يا ماما" أنهض من مكاني واتجه نحوه. أمسكه من خلفه وأبدأ بدفعه بخفة على ظهره. لست واثقة إلى أي حد يريد أن أرفعه إلا أني بقيت أدفعه أكثر قليلاً في كل مرة. فيضحك بابتهاج. وما إن وجدت أنه يبدو مستمتعاً، أتوقف عن دفعه محتفظة بما يكفي من الإيقاع الذي يبقيه متأرجحاً دون أن يشعر باختلاف.

– "وييييي!"، يصرخ مايكل بمرح بينما تحلق الأرجوحة في الهواء.

أنظر إليه بتمعن. إنه يرتدي بنطالاً قطنياً، وسترة صوفية ذات مربعات، وقبعة زرقاء سميكة محبوكة تغطي أذنيه. أتساءل، مع إحساس مبهم ما إذا كانت أمي هي من قامت بصنعها. نظارته السميكة ذات الإطار العريض مثبتة

مكتبة

بإحكام على وجهه. أعتقد أنه لا يستطيع الاستغناء عنها.

بنية جسمه أضعف من ميتش وميسي، اللذين ورثا على ما يبدو بنيتهما الممتلئة من لارس ومني. أما مايكل فرشيق؛ بإمكاني رؤية ساقيه النحيلتين من خلال بنطاله، وكيف تبرز أكواعه من أكمام سترته. أتساءل بيني وبين نفسي، هل هذه هي بنيته الطبيعية، أم أنه طفل نيق في طعامه فحسب؟ لون شعره وملامحه مطابقة تماماً لملامح ميتش؛ هناك احتمال كبير أنهما توأم حقيقي. ليس لدي أي فكرة عن احتمالات الحمل بتوأم ثلاثي، أو أنه من الطبيعي أن يكون اثنان منهما متطابقين. هذه الأشياء لم يسبق أن خطرت على بالي في عالمي الحقيقي.

أغمض عيني وأمرر أصابعي بخفة على بطني. أحاول أن أتخيل كيف قد يكون شعوري بأن أكون حاملاً بثلاثة أطفال في وقت واحد. لا أستطيع أن أتخيل هذا. يجعلني ذلك أفكر في مسرحيات المدرسة الثانوية، كيف كانت مدربة المسرح الآنسة "بوتس" تخبرنا دائماً "استشعروا الشخصية التي تؤدونها. كونوا هذه الشخصية". فريدا كانت تحب تلك النصيحة وتحفظها عن ظهر قلب، متحولة بحماس إلى "ليدي ماكبث" الدرامية أو الشجاعة، تطمح إلى تقليد الممثلة "تيري راندال" في مسرحية "بوابة المسرح" ولكنني لم أكن بارعةٌ في ذلك. لقد كنت مدركة جداً، وبغض النظر عن أي دور أؤديه على المسرح، أن "كيتي البسيطة القديمة ذاتها ستبقى قابعة تحت الأزياء التنكرية وطبقة المكياج السميك.

هذا ما أشعر به الآن، حين أتخيل نفسي أنني كنت حاملاً بثلاثة أطفال. وكأنها شخصية إن أديتها فلن أتمكن من أن أستغبي أحداً بأدائي. الجميع سيعرف أن ما من أطفال في بطني، وإنما مجرد وسادة أحشوها تحت ملابسي. أرفع يدي عن بطني وأواصل دفع الأرجوحة. وفجأة، تراودني فكرة فأقول "مايكل"؟ فيردّ دون أن يلتفت إلي: "ماذا"؟ فأتابع: "عندما كانت ماما تتصرف بسخافة..

- أعلم أنني أجازف في ذلك الأمر، فأتردد. فأنا لا أعلم، وليس لدي أدنى فكرة، كيف سأتعامل معه بمفردي إن قام بإثارة مشهد محرج. ومع ذلك، آخذ نفساً عميقاً وأضيف: "عندما كانت ماما تسألك تلك الأسئلة السخيفة.. هل أحببت ذلك"؟ فيهز كتفيه قليلاً ويقول بلا تفكير "لا أعلم".

"هل بإمكاني.. أعني هل تمانع أن أسألك المزيد من تلك الأسئلة السخيفة"؟ يهز كتفيه مجدداً ويكرر "لا أعلم".

أعتقد أن عدم تواصلنا البصري كان مريحا لكل منا: "لنحاول قليلاً" اقترح عليه وأتابع "ما رأيك بهذا؟ كم عمرك يا مايكل"؟ فيصمت، انتظر حابسة أنفاسي وأنا آمل ألا ينفجر بالغضب.

"مايكل؟ هل تسمعني؟" فيصرخ "إنني أفكر! ألا ترين أنني أفكر ماما"؟

يشير إلي بأن أدفعه من جديد، أشعر بنفور فتتراجع يداي وتضيع الدفعة، فأهمس "أنا آسفة". لم ينطق كلانا بكلمة لدقائق. استرد تركيزي وأتابع دفع مايكل الذي يسأل فجأة "هل تعلمين كم الساعة الآن"؟

أنظر إلى معصمي لأرى إن كنت أرتدي ساعة، أجد أنني أرتدي واحدة بالفعل، فاخرة ومرصعة بالجواهر برباط أسود مخملي. أقول: "إنها العاشرة والنصف" فيقول "العاشرة والنصف تماماً"؟ أجيب ضاحكة "حسناً، إنها العاشرة واثنين وثلاثين دقيقة"

فيقول "حسناً، إذاً عمري هو ست سنوات وثلاثة أشهر وأربعة عشر يوماً واثنتي عشر ساعة وخمسة عشر دقيقة. ميسي عمرها ست سنوات وثلاثة أشهر، وأربعة عشر يوماً واثنتا عشرة ساعة وإحدى عشر دقيقة. أنا الأكبر!" يختم متفاخراً.

أجد نفسي عاجزة عن الكلام. يدير رأسه قليلاً، ينظر باتجاه الغرب بدلاً من الجنوب أمامه. ويقول "ماما، هل لديك أي أسئلة أخرى"؟

"أجل أجيب. "في أي يوم نحن"؟

"اليوم هو الأربعاء، السابع والعشرين من شباط".

مكتبة

"في أي عام؟" يجيب مقهقهاً "نحن في 1963 ماما"

1963..أي أننا على بعد بضعة أشهر فقط في المستقبل. أحاول تغيير الموضوع فأسأل "حسناً، وما الذي نفعله عادة في الصباح، أعني فيما عدا اللعب في الحديقة"؟ تتجمد كتفاه بعناد "ماما، إنه الأربعاء". انتظر قليلاً. فيكرر ببعض الحدة "إنه الأربعاء"

"تذكر يا مايكل، إنها قوانين اللعبة" أقول وأسأله "لذا دعني أسألك: ما الذي نقوم به في يوم الأربعاء"؟ يقهقه من جديد ويقول "أوه! نذهب لشراء الطعام، ماما"

– أهاا! أسأل: "وهل تعد ماما قائمة تسوق؟" فيجيب "بالطبع ماما. كل الأمهات تعدُّ قوائم للتسوق"

أفترض أنهن يفعلن ذلك. إذ أن نساءً غير متزوجاتٍ في الثامنة والثلاثين من أعمارهن، لا يحضرن قوائم تسوق عادة. بل يدخلن إلى متجر الطعام عندما تفرغ خزائنهن وثلاجاتهن من كل شيء، ويشترين ما يجدنه جيداً دون أن يتطلب ذلك الكثير من التحضير، ويأخذنه الى المنزل.

"من الذي يطهو في منزلنا"؟ أسأل "أنا أم ألمى؟"..

يقول مايكل: "أحياناً أنت، وأحياناً ألمى

"وهل تأتي ألمى إلى منزلنا كل يوم"؟

فيجيب بضجر كما لو أن ما سألته سخيف لدرجة كبيرة "بالطبع لا!.. هي تأتي ثلاثة أيام في الأسبوع؛ الاثنين والأربعاء والخميس. تصل في التاسعة صباحاً، وتغادر حالما تنهي إعداد العشاء. ما عدا بعض الأحيان التي تأتي فيها أيام الجمعة عوضاً عن الخميس، فعندها تبقى حتى المساء، في حال كنت وأبي تخططان للخروج من المنزل. ولكنكما لم تخرجا أبداً.". يتوقف لبرهة ثم يكمل: "إلا بعد أن آوي إلى الفراش

مممم هذا مثير للاهتمام. أقرر أن أغير الموضوع من جديد: "فإن لم تكن ألمى موجودة في الصباح قبل أن يغادر بابا إلى عمله... أو ميتش وميسي إلى

مكتبة

المدرسة، هل تقوم ماما بإعداد طعام الفطور"؟

أفترض الوضع ولكني لا أستطيع تخيل نفسي وأنا أقوم بإعداد وجبة إفطار جيدة وصحية لخمسة أشخاص. بالكاد كنت أحضر لنفسي البيض مع الخبز، في العديد من الصباحات في حياتي الحقيقية، وقد أتناول بعض الفاكهة في كل صباح.

إلا أن مايكل يهز برأسه مؤكداً "أجل أنت تعدين الفطور. فيما عدا أيام العطل وعطلة نهاية الأسبوع، حيث يقوم بابا بإعداد الفطور" لا يمكنني رؤية وجهه، ولكني استطيع أن أشعر به يتهلل مشرقاً، مثلما قد تلمح الشمس أحياناً من خلال طبقة رقيقة من الغيوم.

"الفطائر السويدية أيام السبت والفطائر المحلاة أيام الأحد".

"أحقاً ذلك"؟ أقول مبتسمة وأنا أحاول أن أتخيله؛ لارس يرتدي مئزراً، خليط الفطائر في المقلاة، وهو يقلبها ببراعة حتى تصل إلى درجة مناسبة من النضج. لا بد أنه كان يوم عطلة في ذلك اليوم الذي كنا فيه في المنزل، ذاك الصباح الذي رأيت فيه مايكل للمرة الأولى، عندما كان لارس في المطبخ.

يقودني ذلك إلى سؤال آخر فأهمس له بهدوء "مايكل! أنت تحب بابا كثيراً أليس كذلك"؟

يتنهد بسعادة ويجيب "أجل، أوه أجل أتمنى لو أسأله إن كان يحبني أيضاً. لكنني لا أستطيع أن أسأل هذا السؤال. أخشى جوابه كثيراً. وبدلاً من ذلك أقول "لدي سؤال سخيف آخر أنظر حولي وأتابع "هل نأتي إلى هذه الحديقة كثيراً يا مايكل"؟ فينحني إلى الأمام باتجاه الهواء البارد ويقول "لم نكن كذلك، ولكننا نفعل ذلك كثيراً مؤخراً". أغلق عيني وأركز تفكيري في دفع الأرجوحة. بانتظار أن ينتهي هذا الحلم، لأن هذه الأحلام عادة ما تنتهي في لحظة حساسة مثل هذه. ولكنها لا تنتهي هذه المرة. أفتح عيني لأجد أنني لازلت في الحديقة، لا زلت أشعر بلسعة البرد تخترق معطفي، لا زلت أدفع مايكل النحيف في هذه الأرجوحة الخشبية.

مكتبة

يسأل مايكل: "ماما، هل أصبحت الساعة الحادية عشرة"؟

أتفقد ساعتي وأجيب "تقريباً" فيقول مؤكداً "نحن نذهب للتسوق عادة في الحادية عشرة". "أوه هذا صحيح. هيا اقفز من الأرجوحة ودعنا نذهب لنستقل السيارة"، فيقفز أمامي ويقودني نحو موقف السيارات، حيث سيارة الشيفروليه العائلية. ثم يتسلق المقعد الأمامي.

أشغل السيارة، ثم أقول وأنا ألقي نظرات من طرف عيني عليه "هل علينا.. هل ترى أنه ينبغي علينا أن نذهب لزيارة منزل الجد والجدة، بما أننا في الجوار"؟

لا يلتفت إلي؛ ولا يعني ذلك بالطبع أنني أتوقع منه ذلك. "إذا كنت ترغبين بذلك" يتمتم مايكل وهو يحدق في أرضية السيارة. فأبدأ بقيادة السيارة بحذر خارج المنتزه. آخر مرة قمت فيها بقيادة سيارة، كانت خيالية كهذه، منذ عدة أشهر مع ميتش وميسي، قبل أن أدوس على الفرامل متسائلة أين هو مايكل، وهكذا انتهى ذلك الحلم. أما اليوم فالحلم لا ينتهي؛ يتوقف الزمن بي خلف المقود. أتذكر دروس القيادة التي تعلمتها من أبي منذ سنوات، بسهولة اكثر مما كنت أتوقع. شيء يشبه ركوب الدراجة على ما أعتقد. تدفعني الفكرة للابتسام، لأنني في عالمي الحقيقي أقوم بقيادة دراجتي في أغلب الأوقات التي لا أمشي فيها، أو أستقل الحافلة. أتساءل ما إذا كنت أمتلك دراجة في هذه الحياة. اتجه شرقاً، ثم انعطف جنوباً في شارع "يورك" على بعد بضعة مربعات سكنية، أركن السيارة أمام منزل والديَّ القرميدي في الجانب الغربي من الشارع.

المنزل هادئ. والستائر مسدلة. هناك من قام بجرف الثلج عن الرصيف أمام المنزل. فيما عدا الأربع خطوات المؤدية إلى المنزل، وماعدا الممر الأمامي للشرفة أيضاً؛ تلك مغطاة تماماً بطبقات من الثلج المتجلد الذي يبدو انه تجمع قبل وقت طويل. بدأت أعتاد المنزل وأحظى بكثير من السكينة فيه. لقد أصبحت أشعر بذلك في كل مرة كنت أذهب فيها لسقاية النباتات منذ سافر

مكتبة

والديَّ في عطلتهم الطويلة. ولكن ألا ينبغي أن أكون قد انتهيتُ من ذلك الآن؟

كنت أخطط أن أركن السيارة، أدخل المنزل، وأرى وجه والديَّ. في طريقي إلى البيت أحس ببعض الخفة والإنتعاش في روحي بسبب التفكير بأصواتهم المألوفة. تقودني رائحة مألوفة تعبق في المنزل دائماً، لا أستطيع تبينها على وجه التحديد؛ كل ما استطيع تمييزه منها عبارة عن خليط غريب من القرع المشوي وزهر الخزامى المجفف. أتخيل الطريقة التي قد تلمع فيها عينا أبي لمرآنا أنا مايكل ندخل المنزل. أفكر بما تمنحه ضمة أمي: قوية ودافئة، وصوف شالها الناعم على وجنتي، الوشاح الأصفر المشغول باليد الذي تلقيه على كتفيها في المنزل، لأن أبي يبقي درجة حرارة موقد التدفئة منخفضة توفيراً للمال. هل ينسجم والديَّ مع مايكل؟ هل يدركان الأشياء الصحيحة التي ينبغي قولها أو فعلها حتى لا يثيران غضبه؟ لا أستطيع معرفة ذلك على وجه التأكيد، ولكنني أشعر بثقة أنهم كذلك. لا أدري كيف أدرك ذلك، ولكنني متأكدة بأن مايكل يحب والديَّ، وأنه يشعر بالأمان والراحة بجانبهما، بذات الطريقة التي يشعر بها مع لارس. فجأة تباغتني ذكرى.. لمحة من حادثة متخيلة.

إنها ذروة أيام الصيف، الشمس ملتهبة، والهواء دافئ، والشجيرات الكثيفة مثقلةٌ بأوراقها الخضر التي تحمي مع هذا الطقس الحار. وأنا أتسلق السلالم نحو منزل والديَّ، ساحبة أطفالي الثلاثة. لارس خلفنا، وقد نزل من على مقعد القيادة في سيارتي. لارس وأنا نرتدي ثياب التنس البيضاء ونحمل مضارب التنس في جعبها على أكتافنا. نبتسم جميعاً ابتسامة عريضة حالما يُفتح الباب ويطل والدي من خلفه. يخطو بسرعة عبر الدرجات الأمامية وينحني ليأخذ الأولاد الثلاثة بين ذراعيه. فيلتفون حوله، يعانقونه بلهفة بما فيهم مايكل.

"أه، يا أحبائي" يقول والدي وهو يفلتهم بأنفاس متقطعة. "متى كانت آخر مرة رأيتكم فيها؟ يبدو وكأنه منذ الأزل" فتضحك ميسي وتقول: "لقد كان ذلك الأسبوع الماضي يا جدي"

مكتبة

"منذ نهاية الأسبوع الماضي فقط"؟ يقول متصنعاً نظرة مبالغة في الصدمة. "من المؤكد أن ذلك غير صحيح يا ميسي، لا بد أن ذلك كان في العام الماضي. أو حتى العام الذي قبله". فيضحك مايكل فألاحظ أنه ينظر إلى أبي مباشرة، ينظر في عينيه مباشرة. ويقول بجدية "جدي، كم أنت مضحك".

تخرج أمي وهي تلقي نظرات خاطفة علي وعلى لارس، ومن ثم تنظر في ساعتها. وتقول "هيا انطلقا أنتما الاثنان، ستتأخران على المباراة". وتضع يداً على كتف مايكل والأخرى على كتف ميتش، وتقودهما بلطف نحو الداخل. بينما يمسك أبي بيد ميسي.

"سنكون كلنا على ما يرام" تقول لي أمي مطمئنة "كما هي العادة يا عزيزتي... سنكون جميعاً بخير فأومئ برأسي موافقة "أعلم أنكم ستكونون كذلك"

نقبل الجميع ونخرج من المنزل ويدي بيد لارس، متجهين نحو المتنزه. أتنهد بسعادة، وأشعر براحة البال والخفة. "ماذا كنا سنفعل لولاهم"؟ أقول وانا ألقي نظرات خلفي على منزل والديَّ. "ما الذي كنا سنفعله من دون والديَّ"؟ فيوافقني لارس بحركة من رأسه ويشد على يدي بشكل أقوى.

لا أستطيع منع نفسي من الابتسام وأنا أفكر في هذا الآن. وبرغم ذلك، أجد نفسي غير راغبة في الدخول إلى منزل والديَّ إطلاقاً. ليس اليوم على الأقل، لست متأكدة من السبب الذي يمنعني، ولكنني فجأة أشعر أن هذا هو آخر مكان قد أرغب في التواجد فيه.

"أتعلم؟ بعد التفكير، أعتقد أنه علينا أن نذهب للتسوق فقط". أقول لمايكل وأنا أرفع قدمي عن المكابح وأتوجه بالسيارة بعيداً. لا ينظر إلي ولا يجيبني بشيء. انعطف يساراً نحو جادة "لويزيانا"، ثم أتوقف عند الإشارة الضوئية في جادة الجامعة. فأقول:

"مايكل، بما أنك بارع جداً في الإجابة على الأسئلة، دعني أرى إن كنت تستطيع الإجابة عن هذا السؤال؛ ما هو أفضل طريق للوصول إلى متجر الطعام

مكتبة

من هنا"؟ فيوجهني نحو متجر "سيفويه" وهو مكان ليس ببعيد عن مركز "يونيفيرسيتي التجاري حيث كنت مع "ميتش وميسي، وليس بعيداً أيضاً عن المنزل في شارع "سبرينغفيلد". نتوقف في باحة المرآب، فأبحث في حقيبة يدي عن قائمة التسوق. أنا متأكدة من وجود قائمة ما. وأنني قد دونت باهتمام، في قسمها الأيمن، قائمة عشاء تكفي لأسبوع، حيث اسم اليوم بخط بارز والوجبة الرئيسية والطبق الجانبي مدوناً تحته. وفي الجانب الأيسر من القائمة قسمت المشتريات بحسب الفئة كالفاكهة والخضار، الألبان، واللحوم، وقد دونت ما أحتاجه لإعداد وجبات العشاء المدرجة، والأمر نفسه بالنسبة إلى متطلبات وجبات الفطور والغداء كالخبز، وزبدة الفول السوداني، والبيض. أرشد مايكل نحو المتجر، وأنا مبهورة بقدراتي التنظيمية.

إننا نبلي بلاءً حسناً ونحن نتجول بين الممرات، انعطف عند الزاوية لأسمع من ينادي باسمي. "كاثرين، أهذه أنتِ"؟

بطبيعة الحال، أنا لم أرَ سابقاً امرأة تناديني باسمي لا في حياتي الحقيقية ولا في أي من أحلامي السابقة. امرأة بشعر داكن مشدود خلف رأسها بشكل كعكة مضفورة، بشكل متقن في مؤخرة عنقها. وترتدي معطف سيارة أزرق داكناً مع ياقة من الفرو الأسود. وتتوهج شفتاها وأظافرها باللون الأحمر.

"لقد خمنت أنها أنتِ. كم تسعدني رؤيتك" تقول لي ثم تبتسم لـ مايكل قائلة "وكيف حالك اليوم"؟

فينظر نحو الأرض ويتمتم بكلام غير مفهوم. فتنظر إلي من جديد وتهمس بشكل درامي ولكنه مسموع "أنا آسفة جداً، لم أكن أعي ما أفعله. فيصرخ مايكل "بإمكاني سماعك!.. بإمكاني سماعك، بإمكاني سماعك، بإمكاني سماعك!" وأثناء هياجه ينظر نحو الأرض باستمرار. تتوقف عربات التسوق وتتجه الأنظار نحونا. "لابأس أقول وأنخفض نحوه. "النهر أقولها بجنون وأنا أسترجع ما فعله لارس.

"النهر، النهر، مايكل. "أنت لا تقولينها بالشكل الصحيح!" يقول

مكتبة

ويهرب مني مغرقاً الممر بدموعه، وهو يطرق على عروض مبيعات علب حبوب الافطار ثم ينعطف نحو الزاوية. ويشد مقبض الباب هارباً. "يا إلهي! أنا.". وقبل أن أكمل أهرع خارج المتجر، تاركة عربة التسوق في وسط الممر. أبواق السيارات تتعالى بينما يركض مايكل بتهور عبر موقف السيارات. أتوقع أن يتجه نحو موقع سيارتنا، ولكنه يتجه في الاتجاه المعاكس. إنه سريع بشكل مدهش؛ لم أكن أتوقع ذلك. لقد كنت أظن أنه أضعف وأقل براعة من أن يكون بهذه اللياقة، ولكن ساقاه بدتا وكأنما دبت فيهما حياة أخرى منفصلة عنه.

أركب السيارة بذعر وأقودها باتجاهه، وأنا أدعو ألا تصدمه إحدى السيارات قبل أن أصل إليه. أقطع الطريق عليه فيوشك أن يصطدم بمقدمة السيارة. فأنزل وأمسك بذراعه وأسحبه نحو السيارة. فيصرخ بكلام غير مفهوم، بينما أصلي أن ينتهي هذا الحلم. أشد حزام الأمان عليه في السيارة، على أمل ألا يعرف كيف يفتحه. أقفل الباب الجانبي وانطلق حول السيارة مسرعة. لانزلق داخلها وأغلق الباب بعنف وانسحب خارجة من موقف السيارات.

بعد أن أصبحت على معرفة جيدة بالمكان الآن، اتخذ طريقي نحو المنزل في شارع "سبرينغفيلد". ومع أن الطريق لم يكن طويلاً إلا أن هذه الدقائق كانت الأسوأ في حياتي، الواقعية منها أو المتخيلة. صراخه عال بشكل محموم؛ ليس بمقدوري سماع حتى صوت أفكاري، ودماغي يكاد ينفجر في الوقت الذي نصل فيه إلى مدخل البيت. لا بد أن ينتهي هذا قريباً، أقنع نفسي. سوف أستيقظ في أية لحظة الآن. ولكنني لا أفعل. أطفئ محرك السيارة وانتظر لأرى ما الذي سيفعله مايكل. فيتابع الصراخ. لا ينطق بأية كلمات، فقط صرخات حادة تنطلق من رئتيه. لا أدري إن كان علي أن أدخله للداخل، أم أن علي فقط أن أتركه حتى يهدأ. بينما أفكر في ذلك، يفتح الباب الأمامي وتطل منه ألمى، وهي تدفع ذراعيها داخل أكمام معطفها لترتديه. فأفتح نافذة السيارة وأنحني. "سنيورا أندرسن" تناديني بالإسبانية "أأنت بخير"؟ أشعر بالدموع

مكتبة

تتدافع في عيني. ولكني أقول "أنا بخير، ممتازة" ثم أنظر نحو مايكل وأقول متوسلة "ولكن فقط هل لك أن تخبريني كيف أستطيع أن أهدئ من روعه"؟

فتهز كتفيها وتجيب وكأنها تصرخ: "سنيورا، أنا لا أعرف، أنت تعلمين أنك لا تسمحين لي بالاقتراب من الطفل

أحقاً ذلك؟ لماذا لا أفعل؟ "حسناً، في هذه الحالة.". أفتح باب السيارة وأقف بجانبها في الممر "إن كان هذا طفلك، ماذا كنت ستفعلين"؟ فتهز كتفيها من جديد وتقول "أعتقد أنني كنت سأفعل ما يفعله سنيور أندرسون".

"أتقصدين أغنية النهر؟ لقد جربت ذلك ولكنه لم يحبها".

"أحقاً"؟ تقول وتلف ذراعيها حول نفسها. ثم تتابع "وكنت تحملينه"؟

"لقد خفت أن ألمسه!" أجيب.

"سنيورا أندرسن.. سنيورا، أعلم أنك لست مرتاحة لفعل ذلك، ولكن سنيور أندرسون كان يحمله".

تباً. هذا صحيح. أنا لا أشعر بالارتياح لذلك.

ثم تهز رأسها قائلة "سنيورا، لقد تركت المكواة في الداخل. أستميحك عذراً سأعود إليها"؟

أوافق قائلة "أجل ألمى، اذهبي

"أتريدين أن أتصل بـ سنيور أندرسون"؟

أتوقف لثانية لأفكر في الأمر. هل أريد منها حقاً أن تتصل ب لارس؟ هل سأرغب في الاعتراف أمامه – حتى لو كان كل ذلك مجرد خيال – بأنني غير قادرة على تولي الأمر بنفسي؟

أقول بهدوء: "لا، لا، شكراً لك، أشكرك ألمى فتدخل إلى المنزل.

أدور حول السيارة باتجاه الجانب الذي فيه مايكل. استخدم مفاتيحي لفتح الباب، ولكنني وقبل أن أفتح أنقر على النافذة وأقول "مايكل، عزيزي، أتسمعني"؟

وإذا به بسرعة البرق وبقوة مذهلة، يلكم بقبضته الصغيرة النافذة. حتى

مكتبة

أنني خشيت أن يحطم الزجاج. إنه صغير الحجم ربما، ولكنني أدرك الآن أن ذلك لا يعني أنه ضعيف بالمرة. أفتح الباب وانحني باتجاهه.

إنه مستمر باللكم ولكنه هذه المرة يضربني أنا عوضاً عن النافذة. أتراجع إلى الخلف قليلاً وأنا أفرك أعلى ذراعي. كيف أتوقع أن أحمله، في حين أنني كلما اقترب منه يقوم بدفعي؟

في النهاية اتجه نحو كرسي القيادة. بسرعة قبل أن يتمكن من ضربي أكثر، وأضغط زر حزامه فأحله.

"ترغب في الصراخ، فلتبق خارجاً هنا ولتصرخ كما تشاء" أقول له. ثم أتابع "ولكني حللت حزام الأمان والباب مفتوح اذا كنت ترغب بالدخول".

ثم أتركه وصرخاته تصفعني واتجه إلى الداخل تاركة الباب الامامي مفتوحاً على مصراعيه.

ألمى تقوم بكي الملابس في غرفة المعيشة، والتلفاز مشغل بدل لمبة إرشاد فقط. ترفع نظرها إلي حين أدخل ولا تنطق أي منا بكلمة.

اتجه عبر الممر نحو مكتب لارس. أتوجه مباشرة نحو المشرب وأصب لنفسي كأساً كبيرة من الويسكي. آخذها إلى المطبخ وأضيف إليها الماء والثلج، ثم أحرك المزيج بسكين زبدة نظيفة أجدها في حامل الصحون. أحاول أن أبتعد عن ألمى فأقف أمام الواجهة الزجاجية، منتظرة لأرى كيف سيتصرف مايكل.

لا يحدث شيء خلال برهة من الوقت. بإمكاني سماع صرخاته المكتومة من خلال الزجاج السميك. وعلى الأرجح أن جميع الجيران كذلك. ولكنني لا أهتم.

"كم من الوقت تعتقدين أنه سيبقى على هذه الحال"؟ أسأل ألمى وأرتشف شرابي. تهز كتفيها وتقول دون أن ترفع نظرها "لقد شهدنا ما هو أشد من ذلك سنيورا، أليس كذلك"؟

أضغط شفتي على بعضهما. ويبدأ المشروب بتهدئتي. آخذ نفساً عميقاً

مكتبة

وأقول لها بينما لا تزال مطرقة "لقد حاولت أن ألمسه، ولكني لكمني تومئ ألمى ولكنها لا تجيب بشيء.

ثم أنظر في وجهها وأقول "لن يهرب بعيداً أليس كذلك"؟ فتجيب "لم يفعل ذلك من قبل، أليس كذلك"؟

"لا". ثم أنهي آخر رشفة في كأسي وأتابع: "حسناً، لا يوجد لدي أي حل آخر. حان الوقت للاتصال بزوجي

مكتبة

مكتبة

الفصل السادس عشر

ولكنني لا أحظى بفرصة لذلك لأن الحلم ينتهي أخيراً.

"حسناً، لقد كان ذلك حلماً غريباً" أقول لأصلان، الذي يتثاءب مظهراً أسنانه الصفراء المتشققة. ثم يقف ويقوم ببعض حركات التمدد، ومن ثم يعود للاستلقاء على سريري. كم أنت طويل ونحيف، دائماً أخبره بأنه - آلة قتال ضعيفة مخططة بالأصفر. إنها مجرد نكتة بيننا، لأنه قد يكون أي شيء إلا أن يكون آلة قتال طويلةً ونحيلة. إنه بعمر مقارب لعمري، أصلان المكتنز لم يعد قادراً على التقاط ذبابة.

هاأنذا، حيث المكان لطيف وهادئ، وأنا حرة بنكاتي الخاصة بيني وبين قطّي. أعود إلى حيث كل شيء حقيقي في العالم الواقعي.

ابتسم بيني وبين نفسي وأنا أفكر أن المكان هنا لا يبدو سيئاً على الإطلاق.

"أنت في مزاج جيد" تعلق فريدا ملاحظة ذلك، بعد بضع ساعات. أدندن بينما أنفض الغبار عن الرفوف العلوية من المتجر. وهي جالسة عند الصندوق تعمل على قوائم الجرد.

"لم أكن أنام بالقدر الكافي مؤخراً - ولكنني أعتقد أنني نلت كفايتي من النوم في الليلة الفائتة، أخيراً" استمتع بتلك الفكرة؛ ففي الحقيقة، أنا متأكدة من أني لم أنم جيداً أبداً. فمن الواضح أن أي شخص قد يحلم بهذا النوع من الجنون الذي أحلم به لن ينام بشكل جيد على الإطلاق. هذه السلسلة من الأفكار تدفعني لإطلاق ضحكات مجلجلة. فتبتسم فريدا وتهز رأسها، وتعود إلى كتبها.

مكتبة

لدينا جهاز فونوغراف، قمنا بشرائه بناء على اقتراحي، من دكان الرهونات في جنوب برودواي. وأحضرت كلتانا أكواماً من الأسطوانات من منزلها. وها نحن الآن لدينا خلفية ناعمة من الموسيقى تعزف يومياً في المتجر. في هذه اللحظة تصدح أغنية قديمة لـ "إيللا فيتزجرالد"، تصف كم هو لطيف أن يكون الوقوع في الحب هو الاحتلال الوحيد للروح.

أهز برأسي أثناء عملي، منصتة إلى الكلمات. يبدو ذلك جميلاً في الأغاني يا "إيللا" ولكن بأمانة، في العالم الواقعي، كل شيء يعود إلى الظروف المحيطة، أليس كذلك؟ أحول نظري باتجاه فريدا. بجانبها على المنضدة، أرى رواية "سفينة الحمقى موضوعة على رف العرض الخشبي، الرواية التي كنت أريد أن أبيعها للمرأة التي جاءت إلى المكتبة في ذلك اليوم. تلك التي كانت بصحبتها طفلة مصابة بالتوحد. أطبع لافتة بحروف دقيقة صغيرة وأضعها أمام الرواية تقول: الرواية الموصّى بها والأكثر مبيعاً!

"كاثرين آن بورتر" كاتبة القصة القصيرة والصحفية، هي من قامت بتأليف هذه الرواية. سبق لي قراءتها في وقت سابق من هذا العام. من وجهة نظري رأيت أن الراوي يبدو كالسفينة تماماً، هائماً على غير هدى في بعض الأحيان – لكنني أظن أن ذلك كان عن عمد، وهو شيء لم يضعف بالتأكيد من تأثير معاناة الشخصيات. بل إن "بورتر قام بعمل رائع في استكشاف كيف أن أشخاصاً موجودين في حيز مغلق، قد يدفعون لمعرفة أشياء عن بعضهم البعض أكثر مما قد يرغبون.

هناك مشهد في الرواية حيث تقول إحدى الشخصيات شيئاً من قبيل "أرجوك لا تخبرني شيئاً عنك؛ لن أنصت إليك، لا أريد أن أتعرف عليك؛ لن أتعرف عليك" ليست تلك الكلمات حرفياً، ولكنه كان شيئاً مشابهاً لذلك. ذلك المشهد يجعلني أفكر في عائلتي الخيالية. العائلة التي في عالم أحلامي، أحاول أن أعرف إن كنت أريد التعرف عليها أم لا

سمعت أن الكاتبة "كاثرين آن بورتر"،في فترة ما من الثلاثينيات كانت

مكتبة

على متن سفينة مشابهة لتلك التي تصورها في روايتها؛ من الواضح أنها تكلمت قليلاً مع المسافرين، ولكنها أخذت ملاحظات وافية منهم. لقد تركت الملاحظات هاجعةً لسنوات قبل أن تكتب الرواية. لطالما كنت معجبة بأعمال "بورتر ولربما أنني أشعر نحوها بشيء من القرابة لأنها عاشت لفترة من حياتها في "دنفر في الواقع لقد سمعت أنها توفيت هنا في 1918 في العام الذي اجتاح فيه المنطقة وباء الانفلونزا الاسبانية.

أتأمل في ذلك. لو أن "بورتر ماتت في 1918 لما كانت كتبت رواية "سفينة الحمقى وفي تلك الحالة، لم تكن تلك المرأة لتأتي إلى متجري بحثاً عنها. ولما كنت قد وقعت في حرج سؤالها عن علة طفلتها. ولما كنت عرفت – على الأقل ليس بتلك الطريقة – ما هي علة ابني في حياتي الخيالية.

كم هو غريب – كيف تتوضح الأحداث بسهولة في لحظة ما، أليس كذلك؟ وعلى نفس المنوال، لو أنني ولارس بقينا على الهاتف للحظات أطول تلك الليلة – لو أنني سمعته حين أصابته النوبة القلبية، لو أنني كنت منقذته – لما كان حدث شيء مما يحدث الآن. لا شيء من هذه الحياة سيكون حقيقياً. بل على العكس، لكانت حياتي معه ومع الأطفال هي حياتي الحقيقية.

أهز رأسي وأنا أهبط السلم المعلق. اتجه نحو منضدة الصندوق والتقط جريدة، وأقلب أوراقها حتى قسم الرياضة. أريد أن أعرف ما الذي حصل الليلة الفائتة في المباراة النهائية من البطولة العالمية. "تباً – لقد خسروا!" أقول بتعجب. تنظر فريدا إلي وتقول "من الذي خسر"؟

فأجيب "فريق (جاينتز) لقد خرجوا من التصفيات في المباراة السابعة. الآن ما الذي سأكتبه ل (غريغ)"؟

تهز رأسها باستغراب وتقول "ما الذي تتكلمين عنه"؟

"انسي الأمر أرد بتجهم واتجه نحو الباب. إنني بحاجة إلى بعض الهواء النقي. أخرج لأكنس الدرجات الأمامية للمتجر. إنه يوم خريفي جميل، وأنا سعيدة بكوني أستمتع به هنا من جديد في عالمي الحقيقي. لا أدري لمَ تقع

مكتبة

أحداث الحلم في المستقبل؛ الآن وبعد أن أعطاني مايكل التواريخ بشكل دقيق، أستطيع أن أرى أن ذلك يحدث بعد بضعة أشهر فقط من الآن. إنه شيء غير منطقي. ولكن مرة أخرى، إنه حدث متخيل فلم يجب أن يكون منطقياً؟

أسأل فريدا عندما أعود إلى الداخل:

"أترغبين في الخروج لتناول العشاء الليلة"؟

تسألني "من أجل ماذا؟"

أهز كتفي قائلة "بلا أي سبب. ولكننا لم نحظ بموعد منذ وقت طويل، يا أختاه".

كنت وفريدا قد اعتدنا أن تنادي إحدانا الأخرى "أختاه" معظم حياتنا. ومن هنا جاء اسم متجرنا، بالطبع – كان خياراً طبيعياً لاسم متجر، شيء اخترعناه سويةً عندما كنا نناقش فكرة افتتاح المكتبة للمرة الأولى معاً. اختيارنا لذلك التعبير بدأ منذ كنا في المدرسة الثانوية، عندما كنا نتمنى لو أننا كنا أختين فعلاً. لقد كانت هي الأكبر بين أربعة أولاد، والبنت الوحيدة في العائلة؛ بينما كنت الطفلة الوحيدة التي كانت – لولا خسارة أمي لثلاثة أطفال – ستنشأ في أسرة مشابهة لأسرة فريدا. ولذلك فقد كان أكثر ما نرغب به في طفولتنا هو أن يكون لكل منا أخت.

التقيت بـ فريدا للمرة الأولى في يوم من أيام أيلول عام 1938. كنا طلاباً جدد في الثانوية الجنوبية، وكان ذلك يومنا الأول في المدرسة. كانت الثانوية حديثة، تقريباً، حينها؛ لم يمض على تأسيسها أكثر من عقد. كانت أرضية الممرات المصقولة لا تزال براقة وقتها، والنوافذ لامعة دون أي خدش، والقرميد الذي لا يزال متألقاً أعطى المدرسة لوناً أحمر ملائماً، بحيث لم تتمكن الأضرار التي قد يخلفها الطقس والزمن أن تطال من المبنى. كنا نحن الطلاب الجدد الذين وقع علينا الاختيار في ذلك اليوم الأول نتبع طلاب السنوات الأعلى الذين بدا أنهم يعرفون طريقهم جيداً فيها، كما لو أنهم ولدوا داخل ذلك المبنى. كان أولئك الطلاب الأكبر سناً يتكلمون بحماس

مكتبة

مع بعضهم. وكانت صيحات البهجة تعلو عندما يلتقون ويحتضنون بعضهم البعض، والكثير منهم غمرته السعادة لتجمع شملهم بعد عطلة الصيف. ولا زال البعض الآخر يضحك من ذكريات الصيف التي قضوها معاً "أتذكر يوم الرابع من تموز؟ أترانا سنحظى بذلك القدر المرح من جديد؟ أبداً"؟

كطلاب مستجدين، كنا نحسد أولئك الطلاب الكبار، كنا نشعر جميعاً بعدم الترابط. بعض الأحاديث التي كنا نتبادلها فيما بيننا كانت محرَجة وموجزة. "آمل أنك قد قضيت عطلة لطيفة" "أتعلم أين يمكنني أن أعثر على الغرفة 106"؟ لقد استنتجنا على الفور عندما كانت الحشود تتجمع داخل المبنى، أن أماكننا في هذه القاعات الضخمة لم تتحدد بعد. ولم نكن على يقين أبداً أن ما تنعمه علينا الأقدار ستكون هي ما سنختاره لو كنا نملك الاختيار. دخلت فريدا إلى هذا المزيج من انعدام الأمان وعدم التآلف، برأس مرفوع، وشعر بني طويل رفعته عن جبهتها العريضة وعقصته برباط زينة. كانت ترتدي تنورة رمادية ملساء، وقميصاً عاجياً من دون أكمام يظهر كتفيها، الذين اكتسبا بعض السمرة والنمش. عيناها الداكنتان كانتا تشعان بالغموض والسحر. لم يقتصر الأمر على الطلاب الجدد فحتى الطلاب الأكبر كانوا يحدقون بها أثناء عبورها الردهة. لم أستطع رفع عيني عنها؛ بقيت أحدق بها حتى دخلت الصف واختفت.

ومن حسن الحظ، وجدت نفسي متجهة نحو ذات الغرفة. وعندما خطوت للداخل، لاحظت – وكأنها معجزة – أن المقعد الذي إلى جانبها كان خالياً. جلست في ذلك المقعد بجرأة، من دون ان أعرف من أين أتتني تلك الشجاعة، ومددت يدي نحوها قائلة "أنا كيتي ميلر. سعيدة بلقائك".

فأومأت. كانت كفها دافئة وقوية. "فريدا غرين. سررت بلقائك أيضاً"

قمنا بمقارنة جداول حصصنا، التي أرسلت لنا بريديا من مكتب المدرسة في الأسبوع الماضي. وجدنا أننا نتشارك، تقريباً، أغلب الحصص. "كم هو مريح" قالت فريدا. ثم انحنت نحوي وهمست بتواطؤ "لقد كنت خائفة قليلاً

مكتبة

من ان أجد نفسي وحيدة هنا، ألم تكوني كذلك"؟

أجل بالطبع كان لدي ذات المخاوف. لكنني كنت مذهولة من صراحتها في الإقرار بذلك. استعدت انتعاشي وأومأت مبتسمة لها "ما رأيك أن نبحث عن طريقنا معاً؟". فابتسمت لي بالمقابل وقالت "علينا ذلك فعلاً، كيتي ميلر

مع مرور الوقت، عرفت كل ما يجب علي معرفته عن فريدا. كانت تنحدر من عائلة ثرية؛ جدها لأمها كان قد صنع ثروة في مجال السكك الحديدية في ثمانينات القرن التاسع عشر، وتمتلك عائلة أبيها شركة مقاولات ضخمة. ساهمت عائلته، في بداية تأسيس المدينة، عندما كانت "دنفر مدينة حديثة، قيد الإنشاء، وقد تربعوا على القمة منذ ذلك الوقت.

كانت قد ارتادت مدرسة خاصة في الصف الثامن، ولكن والدها رأى أنها تحتاج أن تكمل تعليمها في ثانوية عامة، حيث سيمكنها ذلك من الاختلاط مع الناس من كل الطبقات. كانت نظريته أن من الأفضل لأبنائه، وبرغم تميزهم، أن يبنوا شخصياتهم عن طريق الاختلاط والتفاعل مع الآخرين ممن ينتمون إلى خلفيات متنوعة. وبينما كانت ترتاد ثانويتنا المتوسطة الصارمة، فقد كانت فريدا تعيش مع والديها وأخوتها في منزل قرميدي ضخم مكون من ثلاثة طوابق في ناحية "كنتري كلوب" من المدينة – منطقة منازل فخمة تنتمي إلى الطبقة الراقية على بعد بضعة أميال شمال مقاطعة "ميرتيل هيل المتواضعة التي نشأت فيها عائلتي. في المرة الأولى التي زرت فيها منزل فريدا، اندفعت بتسميته "قصراً"، مما دفعها للضحك. قالت وهي تتشبث بذراعي بمحبة "كم أنت لطيفة كيتي ميلر

طوال تلك السنوات التي مضت، لا أزال أذكر شعوري بقبضتها على ذراعي وكم كان ذلك مستحوذاً – وباعثاً على السرور في الوقت ذاته. بالرغم من كل ما كانت تمتلكه، كل ما كانت عليه، فريدا غرين – بطريقة لا يمكن تصديقها – أرادت أن تكون صديقتي.

لقد استغرق مني الأمر شهوراً قبل أن أمتلك الشجاعة لأسألها عن ذلك.

مكتبة

ما هو الأمر تحديداً الذي قد يدفع فريدا لأن ترغب بأن أكون أنا صديقتها العزيزة والمقربة، في الوقت الذي تستطيع فيه أن تكون صداقات مع فتاة مستجدة أخرى، أو حتى مع فتيات من صفوف أعلى، لو أرادت ذلك؟

ضحكت فريدا من سؤالي وقالت "أنتِ هي أنتِ، كيتي قالتها ببساطة. "كان بإمكاني أن أعرف منذ المرة الأولى التي التقيتك فيها بأنك ستكونين مخلصة وصادقة، وأنك ستقفين إلى جانبي

لقد كان يوماً دافئاً على غير المعتاد، في شهر تشرين الثاني، اليوم الذي سألتها فيه ذلك السؤال، وقد كنا نقف في حديقة المدرسة بين الصفوف. فريدا لوحت بذراعيها النحيلتين بشكل حاد، كما لو كانت تشير إلى كامل الطلاب، معظم من يتسكعون حولنا ويستمتعون بالشمس والدفء. وقالت "لم يسبق لي وأن رأيت هذا الإخلاص في أحد آخر. ليس من النظرة الأولى على الأقل ثم هزت كتفيها وتابعت "لذلك، فلا فائدة من السماح لنفسي بالشعور بخيبة الأمل عندما يتخلى عني الآخرون".

كيف أستطيع منع نفسي من حب شخص يتكلم عني بهذه القوة؟ لا أحد آخر، فيما عدا والديَّ، تكلم عني بهذا الشكل في حياتي.

وبالنسبة إلى فريدا – فكيف لها ألا تحب شخصاً مخلصاً جداً لها؟ إذ أنها كانت محقة. فلن أقوم أبداً ولا بأي حال من الأحوال بأي شيء قد يغدر بها.

وكم كان مدهشاً، كنت أفكر وأنا أتجه نحوها عند منضدة الدفع في متجرنا الصغير - كم هو مدهش أننا وبعد كل تلك السنين، لا نزال يجمعنا الحب أكثر من أي شخص آخر خارج عائلتينا.

نحن أخوات حقاً.

وفجأة، أتذكر شيئاً مزعجاً: في الأحلام، لا أعرف أين هي فريدا. من الواضح، في حلمي السابق، عندما كنت مع مايكل، أنني لم أكن أمضي ساعات الصباح الأسبوعية في المتجر. هل يعني ذلك أنني لا أمضي أي ساعة في المتجر؟ هل لدينا متجر حتى في ذلك العالم؟

مكتبة

ارتعد بمجرد التفكير بذلك. فأنا لا أستطيع أن أتخيل حياتي من دون المتجر، ومن دون أن أكون إلى جانب فريدا طوال النهار، وكل يوم.

الحمد لله!.. أفكر في الوقت الذي كانت تقترح فيه أسماء مطاعم – "روكي بيلت؟ أترغبين في تناول البرغر؟ أم ماذا عن حانة (سي جاي)؟ أعرف أنها ستكون رحلة بعيدة قبل أن نصل هناك، لكنني أعشق الطعام المكسيكي، ماذا عنكِ"؟ الحمد لله أنني أقوم فقط باختراع ذلك العالم في رأسي.

حانة (سي جاي) وعلى الرغم من تسميتها، وعلى الرغم من وجود صالة صغيرة منفتحة على قاعة العشاء، إلا أنها ليست في الواقع حانة.

إنها مطعم مكسيكي في "سانتافي درايف". علينا أن نستقل ثلاث حافلات للوصول إلى هناك، ولكنه، وكما تقول فريدا، يستحق العناء. لا يمكنك أن تنشأ في "دنفر دون أن تتعلم حب الطعام المكسيكي. وكانت (سي جاي) تقدم أطيب طبق من (تشيللي رينيو) في المدينة.

فريدا وأنا مستمتعتان بالعشاء. إنني ممتنة للغاية لكوني هنا معها، من دون أن أضطر للتفكير بشيء آخر في هذا العالم. أما بالنسبة إلى فريدا فهي تبدو سعيدة وخالية البال. أعلم أنها قلقة بشأن المتجر، لذا من المطمئن رؤيتها مفعمة بالحيوية بهذا الشكل.

نتكلم عن الواجهة المتوفرة التي رأيناها في مركز التسوق في "يونيفيرسيتي هيلز". منذ بضعة أيام اتصلت فريدا بالمدير وأخذت لنا موعداً للاطلاع على المتجر من الداخل. "ليس بالأمر المستحيل، تعرفين"، تقول. "سيكلفنا أكثر مما ندفع الآن من إيجار. أكثر بكثير. ولكن إن قمنا ببعض الحساب.. كنت أقوم ببعض الحسابات سواء في ذهني أو على الورق، وأعتقد أنه لن ينقضي أكثر من بضعة أشهر قبل أن نبدأ بجني الأرباح".

"وماذا سنفعل حتى ذلك الوقت"؟ أسألها. "من أين سنأتي برأس المال"؟

تأخذ رشفة من شرابها وتقول "لن أستطيع طلب المال من والديَّ. علينا ان نجد مصرفاً آخر للقرض وقبل أن أتمكن من إبداء أي اعتراض، أتابع "أعلم

ان أبي هو من كان ضامناً لقرضنا الماضي. وأعلم أن البنك قد يرفض طلبنا من دون توقيعه على قرض جديد. ونعم - لا نزال مدينين للقرض السابق. أعرف كل ذلك" تضع كأسها ثم تتابع "ولكن إن استطعنا أن نقنع المصرف بأننا نمضي في الاتجاه الصحيح، بأن هذه الخطوة ستحمينا من التراجع.. ثم تهز كتفيها وتختم كلامها "ألا تعتقدين أنهم سيفضلون أن يمددوا لنا مدة القرض، بدلاً من الحجز على أملاكنا"؟

ابتلع جرعة كبيرة من شرابي. تبدو مهمة شاقة. ويبدو لي أنها اللحظة الكبرى. كما لو أننا سنقوم بمجازفة كبيرة، أكبر بكثير مما فعلنا عند افتتاح مكتبتنا الصغيرة منذ ثمان سنوات.

تقول فريدا بعينين حالمتين: "بإمكاننا النجاح، تعرفين ذلك" ثم تميل نحوي وتتابع "قد تكون هذه البداية فقط. هناك مراكز تسوق تنشأ في كل مكان. والمتاجر الأخرى التي تجني الكثير من المال - لديها معادلة معينة، تعلمين، أسلوب معين، شيء يجعل الناس تأتي إليهم لتراه" تهز كتفيها ثانية وتقول "أعلم أن ذلك لا ينطبق على مجال بيع الكتب، ليس في "دنفر على الأقل، ولكن ذلك من الممكن أن يتغير، أليس كذلك؟ من قال أن سلسلة من المكتبات لن تنجح؟ إن كانت متاجر بيع الطعام والمعدات الكهربائية نجحت في ذلك، فما الذي يمنع المكتبات من ذلك"؟

حقاً لم لا؟ معها حق. لديها وجهة نظر صحيحة. لا أستطيع أن أنكرها.

ومع ذلك فهي تتكلم وكأن الأمر يعنيها وحدها. وكأنها قادرة على فعل ذلك بوجودي أو عدمه. إنها تمتلك كل تلك الثقة المتوهجة، ولطالما امتلكتها؛ بمقدورها استخدام تلك الثقة لكتابة أي قصة نجاح ترغب في تحقيقها.

"يبدو أنك فكرت في ذلك كثيراً، أليس كذلك"؟ أسألها.

تهز كتفيها وتقول "لقد كنت أفكر في ذلك منذ سنين يا كيتي

لا أعرف بم أجيب على ذلك الكلام. آخذ قضمة من شطيرتي وأبعثر الرز في صحني.

مكتبة

تلقي فريدا نظرة من فوق كتفي وتهمس "لا تلتفتي إلى الخلف، ولكن احزري من الذي يجلس وحيداً عند البار

"من"؟

ترفع حاجبيها قائلة "كيفين".

كيفين؟ يا إلهي! لم أره منذ أكثر من عشر سنوات. أسأل فريدا: "كيف يبدو"؟ تقول وهي تراقبه بطرف عينها "متعب. وعجوز" تبتسم وتتابع "يبدو عجوزاً يا كيتي. ينبغي أن تكوني مسرورة لذلك"

أضحك وأقول "حسناً إنني أبدو متقدمة في العمر أيضاً"

تَعُبُّ فريدا كأسها وتشعل سيجارة قائلة "ليس مع هذه التسريحة المذهلة، مطلقاً!".

أتحسس شعري بيدي. تسريحة "لينيا" ما تزال جيدة، رغم أنني على موعد معها الأسبوع القادم. صحيح أنني عندما أنظر في المرآة هذه الأيام، أرى كيتي جديدة أكثر نضارة وجاذبية مما رأيتها في حياتي كلها. ولكني أتساءل كم من ذلك يعود سببه لتسريحة شعري؟ وكم منه يعود إلى حقيقة أنني في كل ليلة عندما أكون نائمة، أكون مع زوج أحلامي المثالي الذي أحبه بجنون؟

"أعتقد أن كيفين انتبه لوجودي" تقول فريدا "وأنت أيضاً. لقد نهض!" ثم تتابع مخفضة نبرة صوتها "خذي نفساً عميقاً أختاه. إنه قادم باتجاهنا".

تنظر إليه وتبتسم، ما يمنحني ذريعة لألتفت إليه. أدعي المفاجأة ولكني متأكدة أنه لم يخدع بذلك.

"مرحبا، لقد عرفت أنكما أنتما اللتان تجلسان هنا" يقول كيفين وهو ينحني باتجاه طاولتنا. لايزال ذا طول فارع كما كان سابقاً، بتلك الكتفين المائلتين. ما تزال بنيته متينة كشاب يافع. أدرك أنني أصبحت معتادة على كتفي لارس العريضتين، بحميميته التي تلائمني. إنني وكيفين لم نكن متكافئين جسدياً أبداً.

كان يبدو طويلاً بالنسبة إلي حينما نرقص؛ ولم تكد ذروة رأسي تصل

مكتبة

حتى أعلى كتفه، وكنت أحس أنني أجهد عنقي وأنا أحاول النظر إليه. كان دائماً ما يحملني على ارتداء أعلى كعب ممكن، لأحاول الوصول إلى طوله. كان ذلك لا يزيد الأمر إلا سوءاً؛ فألم أقدامي كان يقتلني وبالكاد أتمكن من الاستمرار حتى نهاية الأمسية. كان يعتقد أنني ممتلئة بعض الشيء، مع أنه كان يثني على صدري المكتنز. وبرغم هذه الأساسيات الهامة كان يصر على دفعي للقيام بحمية غذائية.

كان كيفين محافظاً على شعره عبر كل تلك السنوات، على عكس لارس، ولطالما كان شعره كثيفاً، داكناً ومتموجاً، ولازال كذلك.

عيناه لاتزال بنية دافئة كما كانت دوماً، لكنها بدت جامدة. عرفت أنه قد تناول الكثير من الشراب.

تنتقل فريدا إلى الكرسي الخالي بيننا، وتطفئ سيجارتها في المنفضة التي بجانبها وتقول "تفضل بالجلوس كيفين". فيسحب الكرسي ويجلس. أنظر إلى فريدا نظرة تساؤل. فتنظر نحو يديها المطويتين أمامها، وتشير قليلاً بحركة من أصبعها الأيمن نحو أصبعها الأيسر. اختلس نظرة ليد كيفين اليسرى فأجد أنها بلا خاتم.

أها! أتراها رأت ذلك من على بعد عبر القاعة؟ أم أنها انتبهت له حين تقدم نحونا من تلقاء نفسه؟ الرجال المتزوجون – السعداء منهم إلى حد ما –لا يجلسون بمفردهم في حانة في هذا الوقت المتأخر من الليل. بل يكونون في منازلهم مع زوجاتهم وأطفالهم وفي معظم الحالات المثالية، مع كلب العائلة أيضاً.

"لقد مضى وقت طويل يقول كيفين. يحضر مشروبه ويكرعه ويشير إلى النادلة لتحضر له كأساً آخر. "أيتها الجميلات ما رأيكنَّ بمشروب على حسابي"؟

هذا أمر مفاجئ بالنسبة إلي. كل علمي به أنه كان بخيلاً. لم يكن لا يدفع أثناء مواعيدنا، ولكنني كنت أشعر دائماً أنه يدعوني إلى أفخم الأماكن

مكتبة

التي يستطيع التملص من الدفع فيها، وأنه كان ينفق علي أقل ما يمكنه. حتى في أعياد ميلادي أو الأعياد الرسمية، كانت هداياه تقتصر على زجاجة صغيرة من العطر أو وشاحٍ أو قبعة رخيصين. كان يقول لي دائماً أنه يدخر من أجل مستقبلنا. حسناً، لا يبدو لي الآن أن ذلك كان دقيقاً. أليس كذلك؟

تومئ فريدا برأسها بقبول عرض الشراب. تحضر النادلة كأساً آخر من الويسكي لـ كيفين وزجاجة لتملأ أقداحنا. "على حسابي يقول موضحاً. فتتصنّع النادلة الابتسام لي ولـ فريدا، ثم تنصرف عن المنضدة.

يقول كيفين وهو يسند ظهره لكرسيه مسترخياً: "كيف هي الحياة معكما يا فتيات؟"، فأظن للحظة أنه قد يسقط إلى الخلف.

يا إلهي، كم كأساً تراه تناول حتى الآن؟ قد تظن أنه في ليلة عمل في بحر الأسبوع، كونه طبيب يجلس في مكان عام؛ لم أنسَ ذلك. قد تظن أن طبيباً يعاني من مشاكل مع الشرب، سيكون أكثر تحفظاً منه.

"إننا نبلي بلاء حسناً" تجيب فريدا. "لدينا مكتبة في جنوب شارع بيرل".

يومئ كيفين برأسه استحساناً؛ ويسحب علبة سجائر من جيب معطفه ويشعل واحدة. فتنضم إليه فريدا فوراً بانتقاء سيجارة من علبتها على المنضدة. يشعل قداحته لها، فتنحني باتجاهه لتشعل سيجارتها. أراقبهما بصمت، محاولة أن اهدئ من حدة توهج وجهي، وعبوس حاجبي

"لقد سمعت بمكتبتكما" يقول كيفين وهو يغلق قداحته. "كنت أنوي المرور بها منذ وقت طويل

أحقاً ما تقول؟ أحدق به وآخذ رشفة من شرابي. لا أستطيع فهم سبب شعوري نحوه بالعداوة. لقد مضى على ذلك وقت طويل. وبالنظر إليه الآن أفكر؛ هل كنت حقاً أرغب بالزواج من هذا الرجل؟

بالطبع لا. أريد الزواج من ذلك الرجل الذي ليس له وجود. أرغم نفسي أن اكون ألطف وابتسم لـ كيفين وأسأله "وأنت؟ كيف أحوالك"؟ يحدق بي طويلاً كما لو أنه يحاول أن يعرف كيف سيجيب. ثم يقول أخيراً:

مكتبة

"أوه. أعتقد بأنني أبلي جيداً. أخذت تدريباً جيداً، تمريناً في الطب الداخلي وعملت عليه في مشفى سانت خوسيه" يهز كتفيه ويتابع "وإنني أدير المشفى الخاص بي الآن. لربما سمعت بذلك".

فأهز رأسي قائلة "لا، إنني لم أسمع بشيء".

"حسناً" يقول وهو يحرك شرابه بإصبعه. لطالما كان يفعل ذلك، أذكره تماما. يقول بابتسامة كالحة: "بعض الأشياء لا يكتب لها البقاء". "ولكنني حظيت بطفلين جميلين من تلك التجربة. أترغبين بمشاهدة صورهم"؟

لا أريد بصراحة، ولكن فريدا تجيبه بلطف "بالطبع نرغب في ذلك". يخرج كيفين محفظته ويفتحها. ليظهر لنا وجهان مبتسمان لطفلتين صغيرتين في صورهما المدرسية؛ الصغرى منهما تفقد سنيها الأمامية. "هذه بيكي؛ عمرها 10 سنوات" يقول كيفين وهو يشير إلى الكبرى. "وهذه نانسي في الثامنة".

"هذا رائع" تقول فريدا حين تقترب لأخذ نظرة سريعة، ثم تميل ظهرها إلى الوراء وتسحب نفساً طويلاً من سيجارتها، مركزة نظرها على عيني بانتباه. "أجل، كم هما جميلتين. إنني متأكدة من أنك فخور جداً بهما يا كيفين".

يومئ برأسه موافقاً ويقول "حسناً، قليلاً ما أراهم – فوالدتهما تحيطهما بحراسة مشددة – أجل، يبدو أنهما على ما يرام" يهز كتفيه وهو يطفئ سيجارته. ويكمل

"زوج أمهما؛ رجل محترم في الواقع. إنه معهم أفضل مني، فعلاً".

يا إلهي! كم يبدو ذلك مبتذلاً، وكأنها قصة فيلم من أفلام الدرجة الثانية. لقد قمت بالخيار الخاطئ، أليس كذلك يا صاحبي؟ وانظر الآن إلى أين أوديَّ بك! سكيراً وحيداً في حانة، تهرع نحو صديقاتك من أيام الدراسة، اللواتي من الواضح أنهن كن سيقدرن قيمتك أكثر من تلك المتسلطة التي تزوجتها.

تطرق بالي تلك الفكرة المضحكة، فأخنق ضحكة. وأضع يدي على فمي بتململ، على أمل ألا يلاحظ كيفين ذلك.

مكتبة

ولكنه يلاحظ. يحدق بي بتجهم ويسألني "هل هناك ما يضحك يا كيتي"؟

أهز رأسي بالنفي: "لا، بالطبع لا يؤسفني أن زواجك لم ينجح"

يأخذ جرعة كبيرة من الويسكي ويقول ببرود: "أجل، إنني متأكد من أنك كذلك". ثم يقف ويفرغ كأسه في فمه ويقول بتهكم "لم يكن علي أن آتي. لا أعرف ما الذي جعلني أفعل ذلك. أعتذر عن مقاطعة عشائكما يا فتيات". يخبط بكأسه الفارغ على طاولتنا وينسحب بهدوء، عائداً نحو البار. نراقب صامتين عندما يدفع حسابه ويلتقط معطفه وقبعته، ثم يسرع خارجاً دون أن يلتفت إلى الوراء.

"حسناً، يا إلهي" تقول فريدا بنعومة. أومئ برأسي موافقة، وكلانا يراقب الباب حيث اختفى.

"صبي مسكين" تقول فريدا بعد لحظات. تنظر إلي من خلال كأسها وتتابع "لا بد أنه منحك شعوراً جيداً، رغم ذلك".

فأقول "في الحقيقة، لم يفعل أضع وجهي بين راحتي وأقل "فريدا، إنني مرهقة. لقد تناولت الكثير من الشراب. أحتاج أن أعود إلى المنزل".

فتقول "و أنا أيضاً يا أختاه. أنا أيضاً".

مكتبة

الفصل السابع عشر

في المنزل، أزحف إلى السرير أعدل الأغطية حولي بانتظام، ثم أسحب أصلان نحوي واحتضنته قريباً من صدري. أطفئ المصباح الذي إلى جانب سريري وآخذ نفساً عميقاً، مستمتعة بالسكينة والعزلة التي أعيشها.

أنني على قناعة أن تلك الأحلام لن تعود لتراودني مرة أخرى. فلقد شاهدتها كلها الآن، أليس كذلك؟ لقد عرفت أي نوع من الأطفال هو مايكل. لقد رأيت ما سيكون علي أن أتعامل معه لو كانت حياة أحلامي هي حياتي الحقيقية.

أقول بصوت عالٍ في الظلام "لقد فهمت". يبدو أمراً سخيفاً أن أقول ذلك بصوت عالٍ، ولكنني أريد لعقلي الباطن أن يفهم.

لا وجود لشيء اسمه حياة مثالية. ليست الحياة كاملة هنا، وليست كاملة هناك.

إنني حقاً لا أتوقع أني سأستيقظ هناك من جديد. في المنزل مع لارس والأطفال، ومع حياتي الأخرى.

ولكن هذا ما يجرى بالفعل. هذه المرة نحن نتناول ما يبدو أنه الغداء، جالسين حول منضدة غرفة الطعام. والأبواب المؤدية نحو المطبخ مفتوحة، وأنا أراقب ورق الحائط المزين بالفاكهة، الشمس تلتمع من خلال النافذة المواجهة للجنوب. وكل العائلة كانت تجلس معي على المنضدة: لارس، ميسي، ميتش، ومايكل.

أنظر إلى الطرف الآخر من المنضدة فتلتقي عيناي بعيني لارس. فيسأل

مكتبة

"كيف كان الأمر؟ في ذلك العالم الآخر"؟

"ماذا"؟ أصرخ مذعورة، ومسببة الذعر للجميع بردي الحاد. يحدق الأطفال بي وهم يأكلون الشطائر التي يمسكونها بأيديهم. ينظر لارس إلي بفضول ويقول "أنا آسف، ولكنك كنت تبدين شاردة الذهن وكأنك على بعد آلاف الأميال. وكأنك في عالم آخر تماماً"

مكتبة الرمحي أحمد

"أوه. أعتقد أنني كذلك" أقول مبتسمة.

يتابع الأطفال تناول شطائر زبدة الفول السوداني ومربى العنب، يبدو ذلك من وجوههم الملطخة باللون الأرجواني. في صحن كل واحد منهم كومة من أصابع الجزر وبقايا رقائق البطاطس؛ من الواضح أنهم تناولوا البطاطس أولاً، قبل الشطائر والخضار. ميتش وميسي يأكلون بكياسة، حاملين شطائرهم بأطراف أصابعهم، كجرو دب صغير يلعق يده المملوءة بالعسل. مايكل لم يكن يأكل شطيرته؛ كان يقطعها، بدلاً من ذلك، إلى قطع صغيرة ويكورها على شكل كرات، ثم يرتبها بدقة حول حافة صحنه. أشيح بنظري بعيداً عنه، على أمل ألا يفضحني شعوري بالقرف. وكارهة نفسي بسبب شعوري بذلك تجاه طفلي، حتى لو كان خيالياً.

أنظر نحو صحني وصحن لارس. نحن نتناول سلطة الشيف. أتراني أنا من قمت بإعدادها؟ إنها معدةً بإتقان، مع زينة أنيقة من شرائح الجبنة السويسرية، والبيض المسلوق، والزيتون، وبعض شرائح اللحم والديك الرومي الشهية فوق كومة من الخس الطازج. في حياتي الحقيقية، لم أكن لأعد شيئاً فاخراً كهذا للغداء. أنا وفريدا عادة نشتري بعض الشطائر من محل في آخر الشارع، أو قد أحضر معي شطائر معدّة بما يأكله الأطفال اليوم، زبدة الفول السوداني والمربى.

"حسناً، ما هي خططنا لفترة ما بعد الظهر"؟ يسأل لارس. ويضع شوكته فوق طبقه الفارغ ويمسح فمه بمنديل ورقي مزركش بالأزهار الزرقاء.

"سليبرتي لينز، بابا!" يصيح ميتش وتومئ ميسي برأسها موافقة بحماس.

مكتبة

يظل وجهه مايكل خالياً من التعابير، كما ألاحظ.

كنت قد سمعت عن المكان، ولكن لم يسبق لي الذهاب إليه. يقع في جادة كولورادو، ذات الشارع الذي يقع فيه مركز يونيفرسيتي هيلز التجاري، على بعد بضعة أميال إلى الشمال منه. افتُتح قبل بضعة أعوام. أعتقد أن اسمه الرسمي مركز سليبرتي الرياضي. بالإضافة إلى صالة البولينغ، هناك بركة سباحة، وألعاب ملاهي، وغيرها من وسائل الترفيه. أنا متأكدة من أنه مكان ممتع إن كان لدى المرء أطفال أو إن كان يحب لعبة البولينغ. وبما أنني لا املك أياً منهما في حياتي الحقيقية، لم تسنح لي فرصة لزيارة المكان من قبل. بالإضافة إلى أنه – كما حال مركز التسوق – يصعب الوصول إليه من دون سيارة.

تقول ميسي: "قد يكون ميكي هناك"، وأذكر أنني قرأت في صحيفة "دنفر بوست" أن شركة والت ديزني هي من تملك المكان، وأن شخصيات عالم ديزني تظهر في المكان باستمرار. يميل لارس برأسه مفكراً. ثم يقول "سيكون المكان مزدحماً. قد نقف وقتاً طويلاً في طابور الانتظار

تَعدُه ميسي: "سنكون صبورين، في كل أحوال، هناك الكثير من الأمور لنفعلها أثناء الانتظار

أقول مصححة :"على كل حال، وليس في كل أحوال، بل على كل حال ميسي

تنكس رأسها وهي تشعر أن هذا توبيخاً، وتقول: "أعتذر ماما"

يبتسم لارس ويقول: "ماما المعلمة". تلمع عيناه وهو ينظر إليَّ عبر المنضدة الطويلة. ثم يقول :"عندما تكون معلماً مرة، ستبقى معلماً على طول العمر. أليس كذلك كاثرين"؟

أرفع حاجبي وأقول "لقد كان ذلك منذ وقت طويل

يرفع كأسه ويأخذ رشفة من المياه ويقول "منذ حياة كاملة أخرى". لا أجيب. وبدلاً عن ذلك أنهض لتنظيف المنضدة. وأثناء نهوضي، يحرك مايكل

مكتبة

ذراعه أمامه، فينسكب كأس الحليب.

أقول بقسوة "مايكل!". يتغضن وجهه، وأشعر أنه على وشك الصراخ. أضع يدي على فمي وأسرع بالقول مُلاطِفَةً. "لا بأس

يقول لارس "تحدث مثل هذه الأمور، عادي، وسنقوم بتنظيفها". ثم يقترب من المنضدة ويضع كلتا يديه على كتفي مايكل، محاولاً تهدئته قبل أن ينفجر بالصراخ.

أعبر الأبواب المتأرجحة إلى المطبخ. وبينما ألتقط قماش التنظيف من المغسلة، يظهر لارس من خلفي ويضع ذراعيه حول خصري.

"هل كل شيء على ما يرام هناك"؟ أسأل.

"أجل، إنه بخير. لقد أدركته في الوقت المناسب"

أومئ برأسي بارتياح. يدلّك لارس عنقي ويقول "لا يبدو أنك تشعرين بالحماس لمخططنا المسائي

فأهز كتفي. يقول: "حبيبتي وهو يديرني لأصبح في مواجهته. "دعيني أصطحب الأطفال. وخذي اليوم إجازة. اذهبي وقومي بعمل شيء يسعدك".

يشرق وجهي مبتهجاً، أشعر بهذا، فأقول: "أ حقاً؟ هل أنت متأكد"؟

فيقول ضاحكاً "بالطبع. أنت بحاجة إلى هذا حبيبتي. لقد كان أسبوعاً متعباً بالنسبة إليك".

أعض على شفتي وأقول "لقد كان كذلك حقاً.. وهناك أشياء.. أحتاج ان أقوم ببعض الأشياء، لذا أجل.. شكراً، لارس

"خذي كل ما تحتاجين من الوقت" يقول لارس. "خذي سيارة الكاديلاك. اذهبي للتسوق. اذهبي لمحل "لينيا"، وصففي شعرك".

ولكن التسوق وتصفيف الشعر، حتى عند "لينيا" من أتوق لرؤيتها في هذا العالم، إن لم يكن من أجل أي سبب كان، فإنه من أجل أن أرى كيف تبدو مقارنة ب"لينيا" التي في عالمي، كل ذلك كان آخر ما أفكر به. ومع ذلك فإنني أخطط للذهاب إلى متجرٍ محدد بعينه. إن كان ذلك المتجر موجوداً بالفعل.

مكتبة

كنت أرغب بسؤال لارس في أي يوم نحن، لكنني سأشعر بأنني سخيفة إن فعلت. بما أنه في المنزل خلال النهار فلا بد أنه يوم عطلة. آمل أن يكون اليوم هو السبت وليس الأحد. إن كان السبت فإن محل "أخوات" ينبغي أن يكون مفتوحاً. منذ عدة سنوات قررنا أنا وفريدا أن نفتح أيام السبت. ذلك يقطع علينا عطلتنا طبعاً، ولكنه كان مربحاً من الناحية التجارية. مع كثرة النساء في طبقة القوى العاملة هذه الأيام، أردنا أن نلبي احتياجات الجميع، ليس ربات البيوت فقط، بل والمرأة العاملة. لذلك فإن محل "أخوات" يفتح من الثلاثاء حتى السبت كل أسبوع. ولا نزال نغلق أيام الأحد، كما هو الحال بالنسبة إلى جميع المتاجر في شارعنا. نحن نغلق أيضاً أيام الاثنين للتعويض عن أيام السبت.

بعد توديع العائلة، اتجه نحو المرآب وأجلس وراء عجلة القيادة في سيارة لارس، بخفة، أعود بها بحذر إلى الوراء،لأخرجها من المرآب.

تعتبر قيادة سيارة كاديلاك حلماً، يبدو أنها تحتوي كل وسائل الراحة الخيالية: مقاعد متينة ومريحة في نفس الوقت، من الجلد الصناعي، نظام تدفئة يدور بسرعة ويبدأ بالتدفئة خلال دقائق من تدوير المحرك، وناقل سرعة أوتوماتيكي. كل ما عليك فعله هو وضع ناقل السرعة على زر الإرجاع لإخراجها من الممر ثم نقلها إلى زر الانطلاق للتقدم إلى الأمام. مقبض التوجيه سهل الاستجابة بشكل ملحوظ؛ بينما أقوم بالانعطاف نحو جادة "دارتموث"، تستدير السيارة بنقرة على العجلة. لا بد أنه نظام التوجيه الجديد الذي ذكره أبي ببعض الأسى؛ فرغم أن عمل أبي كان شاقاً إلا أنه لم يستطع أن يؤمن لنفسه ثمن سيارة جديدة إلا بعد اثنتي عشرة سنة أو أكثر. ابتسم متسائلة ما إذا كان يسمح للارس، في هذا العالم الافتراضي، بقيادة الكاديلاك. سيشعر أبي أنه في الجنة لو أمكنه أن يقود هذه السيارة.

أدير المذياع وأوجهه إلى محطة (كي آي إم إن). إنهم يبثون تلك الأغنية الجديدة لـ "باتسي كلاين"، الأغنية التي سمعتها ولارس عندما كنا في المطعم

مكتبة

تلك الليلة مع زبائنه. أدندن معها بصوت هامس.

تنساب السيارة بسلاسة حتى جادة "يونيفرسيتي آخذ يساري عند "إيفانز" ثم اتجه غرباً. كل شيء يبدو على حاله، كالعادة. إنها نفسها، ذات الحانات في جامعة دنفر، وذات الصيدليات، ومحطات الوقود، وذات المباني في الحرم الجامعي. ألاحظ ذلك مع شعوري ببعض الدهشة؛ حياتي أصبحت مختلفة، لكن العالم لم ينقلب بأكمله رأساً على عقب بسبب ذلك.

في شارع "بيرل"، انعطف إلى اليمين ثم اتجه شمالاً. لا يوجد الكثير من الإشارات الضوئية. إنه نهارٌ صحو ومنعش – لا ثلوج في الجو، وأعتقد أن نشرات الطقس لم تتنبأ بهطولات ثلجية أيضاً، على الأقل هنا في هذه المدينة. الثلج الحديث المتساقط على الجبال يسطع من على بعد، من جهة اليسار، وحتى من هذا البعد، يمكنني رؤية انعكاس سطوع الشمس عليها.

عندما أصل إلى مربعنا السكني، أتجول حوله ببطء. انا مستاءة ولكن ما أراه لا يفاجئني، متجر "الأخوات" للكتب ليس هنا. مكتب "بينيت وأبناؤه"، للمحاماة لا يزال محتفظاً بمكانه في الجانب الأيمن من المبنى. ولكن واجهة العرض من جهتي وجهة فريدا، مغطاة بألواح، وهناك لوحة مكتوبة بخط اليد، معلقة على الباب تعرضه للإيجار، ورقم هاتف "برادلي مدون أسفل الكلمات. اللافتة مهترئة ومجعدة؛ كما لو أنها هنا منذ وقت طويل. منذ أشهر علي أقل تقدير، أو ربما منذ سنوات.

أركن السيارة على الطرف الآخر من الشارع واتجه نحو المكان الذي كان مكتبتي. لا أعلم ما علي فعله بالضبط. الباب الزجاجي الأمامي لم يكن مغطىً بالألواح، فأحدق في الداخل. إنه خالٍ، كل ما على الرفوف، منضدة البيع – كل شيء قد تلاشى تماماً. الأرضية المصقولة خالية؛ السجاد التركي المستعمل الذي اشتريناه من مركز التوفير كان قد اختفى. الملصقات على الحائط والتي تعلن عن أحدث الكتب والأفلام – تلاشت. باب غرفة تعليق الملابس الخلفية مفتوح، والمكان مظلم جداً لا أتمكن من رؤية ما وراءه.

مكتبة

ولكنني أعرف ما الذي قد يكون هناك – اللا شيء.

اتجه نحو الباب الرئيسي في جانب البناء. الذي يقود إلى بضع درجات إلى شقة "برادلي فوق المحل. رقمه مدون على لافتة عرض الإيجار؛ ما يعني أنه لا زال يمتلك المبنى. هل ما زال يقيم في الأعلى، أيضاً؟ أخطو بحذر فوق كل درجة، ثم أقرع باب شقته. لا أحد يجيب لمدة خمس دقائق كاملة. أهم بالمغادرة، لكن الباب يفتح أخيراً ببطء. "برادلي يبدو هنا في هذا العالم أكبر سناً عما هو عليه في العالم الآخر. لقد تقوس ظهره، وتغرق عيناه البنيتان اللطيفتان بعمق في محاجر رمادية خلف نظاراته. يستغرق دقيقة، تقريباً، ليتمكن من معرفة من أنا. ثم يقول أخيراً "حسنٌ، لا أصدق عيني! إن لم تكن هذه الآنسة كيتي!".

سماع شخص ينطق باسمي – اسمي الحقيقي، في هذا العالم الخيالي – يجعلني أرغب بالبكاء، فأرمش بعيني عدة مرات لأخفي دموعي. وأقول بصوت متهدج بعض الشيء "برادلي! إنني سعيدة برؤيتك"

يفتح الباب على مصراعيه ويقول "وإلام أدين بهذا الشرف"؟

أهز كتفي وأقول "لقد كنت... في الجوار، وأردت فقط.". أخفض نظري، أنظر بعيداً ثم أنظر إليه مجدداً "فكرت أن علي أن أمر بك".

يدخل المطبخ، فألقي نظرة حولي. لم تتغير شقته – ألاحظ ذلك بارتياح –. ذات الأريكة الرمادية القديمة بحشوها المنفجر خارجها، ذات الكرسي المغطى بالصوف بجانب النافذة، وقد سحب أقرب قليلاً إلى التلفاز كما أذكر. نفس منضدة العشاء الخشبية الصغيرة المكسرة مع أربع كراسٍ ما يكفي، كما يقول دائماً، له ولأحفاده الثلاثة ليجلسوا معاً.

يظهر برادلي، مع كوبين من الشاي يرتجفان في كلتا يديه. أتقدم وأخذ واحداً منهما. تتلامس يدانا؛ يداه خشنة من برودة الشتاء ومن تقدمه في السن.

"تفضلي اجلسي" يقول وهو يشير نحو المنضدة. اتخذ كرسياً أجلس عليه، فيضع برادلي كوبه ويسحب كرسياً ويجلس قبالتي.

مكتبة

"كيف حالك"؟ يقول وهو يستقر في مقعده. "وماذا عن الزوج اللطيف، والأطفال كيف حال الجميع"؟

ابتسم وأخذ رشفة من الشاي وأقول "كلنا بخير برادلي، بأحسن حال" أضع كوبي وأكمل "كما ترى، انا أشعر ببعض الارتباك، وآمل أنك تستطيع مساعدتي. لست متأكدة ما الذي حصل أو لماذا لم نعد نملك المحل أنظر أرضاً ثم أتابع "أو أين هي فريدا" أرفع رأسي وأكرر "أنا لا أعلم أين هي فريدا!"

لا أستطيع أن أصدق أنني أجري هذه المحادثة – ولكن صدقاً، ما الذي يعنيني؟ كل ذلك سينتهي قريباً بكل الأحوال، وسأكون آمنة في منزلي. لذلك يمكنني أن أقول ما أريد.

ينظر إلي برادلي مطولاً ثم يقول "ألا تعلمين أين هي فريدا"؟

أهز رأسي بالنفي.

"هل من خطب يا كيتي؟ هل من شيء يجعلك.. لا تتذكرين الأشياء"؟

انفجر قائلة: "لا أعلم!". "أعتقد بأنني أحلم يا "برادلي هذا مجرد حلم أليس كذلك؟ إنه ليس حقيقة، بل شيء يختلقه عقلي، وأنا أساير الأمر فقط. ولكن في بعض أجزائه.. بعض الأجزاء.. أحرك رأسي غير مدركة ما أريد قوله: "بعض الأشياء في هذا العالم منطقية تماماً، ومدهشة" ثم أتابع "لارس – زوجي – إنه رجل رائع. رائع بالفعل. لم يسبق لي أن التقيت بشخص مثله. أنا أحبه من أعماق قلبي أشعر بوجهي يتوهج بالسعادة عندما أقول ذلك، وابتسم رغماً عني، متخيلة رجل أحلامي الجميل. "وأطفالي – حسناً، اثنان منهما، ميتش وميسي، هم قرة عيني. ومايكل.. مايكل.

يومئ برادلي موافقاً، وعندما لا أستطيع إكمال كلامي، يقول بهدوء "لا بأس كيتي. أنا أعلم ما هو مايكل

هذا الإقرار، هذا التفهم الحاني من ذلك الرجل الرقيق، يمنحني راحة أكثر من أي شيء اختبره أثناء هذا الحلم – ما عدا تفاني لارس الواضح معي.

أرغب بأن أعانق برادلي، عليّ أن أبقي ذراعي على جانبي بحزم لأمنع

مكتبة

نفسي من عناقه. "أشكرك" أقول له بهدوء "شكراً لك على.. لا أعرف ما علي قوله، فاختتم بقولي "على الشاي".

يبتسم برادلي ويقول "على الرحب والسعة".

أسأله "أأنت بخير.. أعني من دون مستأجرين للمتجر"؟

يهز كتفيه ويقول "أنا على ما يرام. لقد دفع الإيجار للمبنى منذ مدة طويلة. كل ما علي دفعه هو قيمة الضرائب وخدمات المرافق، الإيجار الذي يدفعه لي آل "بينيت" وإيجار الشقة المقابلة يغطي لي ذلك، تقريباً. يريدني ابني أن أبيع المبنى، ولكنني أحب المكان هنا. لا أريد أن أطرد خارجه، ولا أريد أن.". يتابع مبتسماً "يعلم الله كم أحب أحفادي. ولكنني لا أريد أن أعيش معهم".

ابتسم بالمقابل وأمد يدي لأمسك بيده الجلدية..أسأل بهدوء "أين هي فريدا؟ أخبرني أين هي فريدا وأين هي مكتبتنا"؟

يشد برادلي على يدي ثم يطلقها. ويقف يلتقط كوب الشاي الفارغ ويقول "لقد انتقلت، إلى مكان أكبر وأفضل يا كيتي

يهز رأسه وهو ينظر من خلال النافذة ويتابع "ليس بإمكاني ان أخبرك إلى أين تحديداً، لأنني لا أعلم.. لقد أقفلت المحل هنا وفتحت في ذلك المركز التجاري الحديث في جادة كولورادو ثم ينظر إلي ويقول "ولكنني أعتقد – وهذا مما سمعته من الناس فقط – أعتقد أنها كانت البداية فحسب".

أغادر شقة برادلي واستقل الكاديلاك. ألقي نظرة أخيرة على ذلك المبنى القديم الهادئ وأشغّل السيارة.

ولكن لم يبقَ شيء لرؤيته هنا، فأشيح بوجهي، ناقلة السيارة إلى وضعية الحركة وانطلق.

انعطف عند الزاوية اتجه شمالاً نحو شارع "واشنطن". بعد بضعة مربعات سكنية، أركن السيارة مقابل منزلي القديم ذي الطابقين. الأشياء صامتة هنا أيضاً. تلك الستائر الأرجوانية المعلقة على النوافذ،غير موجودة في عالمي الحقيقي. وعوضاً عنها هناك ستائر باللون الأزرق الفاتح مزركشة بأزهار

مكتبة

الأقحوان. أجد منظرها عبثياً، لا يشبه شيئاً مما قد أختاره بنفسي.

في أعلى البناء، عند قسم آل هانسون، مصاريع النوافذ مغلقة. أتساءل ما إذا كانوا مايزالوا يقيمون هنا. في العالم الواقعي، منزل آل هانسون كان معتماً الليلة الماضية في الوقت الذي عدت فيه من عشائي مع فريدا، لذا فلم تكن لدي فرصة لرؤية غريغ ومواساته بشأن خسارة فريقه "تجاينتز" في البطولة العالمية. أتساءل ما الذي بإمكاني أن أثير انتباهه إليه الآن. كرة القدم ربما؟ لنأمل بذلك. أضحك على نفسي وأنا أفكر في ذلك. لست مهتمة على الإطلاق بكرة القدم. ولكن إن كان غريغ مهتماً، فلم إذاً لا أصبح مهتمة أيضاً.

أتساءل كيف يبلي غريغ في القراءة، في عالم الأحلام هذا. أشعر بالفضول لمعرفة ما إذا كان هناك شخص ما يساعده، بما أنني في هذا العالم لست موجودة لمساعدته.

شاهدت أنا وكيفين فيلماً بعد الحرب بعدة سنوات، قصة عيد ميلاد تسمى "الحياة الرائعة". يقوم فيها جيمي ستيوارت بأداء دور رجل يفكر بالانتحار في ليلة الميلاد، فيتم منحه الفرصة لرؤية كيف سيكون شكل العالم لو أنه لم يولد. أثناء خروجنا من السينما بعد انتهاء العرض، قال كيفين أن الفيلم رومانسي لدرجة كبيرة، مع حبكة مكشوفة وشخصيات غير واقعية. لقد كان يسخر من القصة على أنها ابتذال خاص بالأعياد هدفه الوحيد هو بيع التذاكر.

هذا صحيح، وافقت مسلمةً بالأمر، ولكن علينا أن نعترف أنه منحني شيئاً يستحق التفكر.

قلت: "إنه يمنحك فرصة للتوقف والتفكير في حياتك"، ثم أضفت "وبمن تؤثر عبر السنين" هز كيفين رأسه وأدار عينيه في محجريهما: "الأفلام تُصنع من أجل النساء، فجنسكم بأكمله شاعري جداً يا كيتي

أبتسم الآن متذكرة تلك المحادثة، وأتذكر الفيلم، وأفكر كيف رأيت كيفين في المطعم الليلة الماضية. وأتساءل إن كان ما يزال يفكر بتلك الطريقة، ليته يشاهد ذلك الفيلم اليوم بعد مرور كل تلك السنوات.

مكتبة

وأنا؟ ما رأيي أنا؟ هل لدي ذلك التأثير على الآخرين كما أرغب؟ أنا أساعد غريغ في العالم الحقيقي. بل وأستمتع بذلك تماماً.

في الحقيقة، لا شيء آخر يجري هناك الآن - لا متجر "الأخوات"، ولا فريدا، ولا حتى التفكير بعودة والديَّ إلى المنزل قريباً - لا شيء يمنحني السعادة التي أجدها في رؤية غريغ يتعلم القراءة، ورؤية عالم الأدب يفتح أبوابه له.

ألقي نظرة أخيرة على منزلي، ثم انطلق مغادرة. عندما أمر بجانب منزل السيد موريس، أبطئ سيري والتفت لأرى ما إذا كان جاري التسعيني يجلس على كرسيه الهزاز على الشرفة. لكنه ليس هناك، فأسرع من جديد. أركز بصري للأمام، وكذلك أوجه مقدمة سيارتي، أسرع بمغادرة شارع "واشنطن" والحي القديم ورائي.

في مركز التسوق، اتجه مباشرة إلى الواجهة التي كانت شاغرة، والتي كانت فريدا تنوي الحصول عليها. بالطبع لا أتوقع أن أجدها شاغرة في هذا العالم. لم تكن هناك مكتبة فحسب، بل هي مساحة تعادل ضعف المساحة التي كانت معروضة في العالم الحقيقي. لابد أن فريدا قد استولت على المحل المجاور له أيضاً. على واجهة المحلين معاً هناك لافتة ضخمة: "غرين للكتب والمجلات"

هذا بديهي. فهذا المحل لها وليس لنا. إنه ملك لـ فريدا غرين. وليس ملكاً لاثنتين هما أقرب إلى أختين. تغيير الاسم لم يشكل مفاجأة بالنسبة لي.

أحدق من خلال الزجاج، محاولة أن اكون غير مرئية، أراقب الرفوف المعروضة في الداخل. المحل مكتظ، والزبائن تستطلع عشرات الرفوف المليئة بالكتب، والمجلات، والصحف، يقرأون مواداً من كل الأصناف. إلى يميني أرى موظفاً شاباَ يساعد احدهم بإحضار كتاب من رف عال. وبالقرب، في قسم الخيال العلمي، تجتمع امرأتان في متوسط العمر، تقارنان ما بين أغلفة الروايات، في محاولة لاختيار ما يبدو أكثر إثارة.

مكتبة

تحمل واحدة منهما كتاباً على غلافه أحرف كبيرة ونجمة يهودية. أحدق وأحاول التكهن، أتمكن من قراءة العنوان فقط، "شخص الملك". تفتح المرأة الكتاب وتتصفح صفحاته الأولى، ثم تتكلم مع صديقتها التي تهز كتفيها وتأخذ الكتاب من يدها. تقلب الكتاب وتقول شيئاً ما لصديقتها قبل أن تدس الكتاب تحت إبطها، بنية شرائه كما يبدو. تمشي السيدتان كتفاً لكتف، تَمِلْنَ برأسيهما على بعضها، وتتكلمان بشأن الكتب، تذكراني بـ فريدا وبنفسي. فريدا وأنا في عالمنا الحقيقي، ذاك. تحزنني رؤيتهما؛ فأعض على شفتي وأستدير مبتعدة.

اختلس نظرة الى منضدة البيع. فتتسارع دقات قلبي في صدري. أتوقع أن أرى فريدا، بكل ثقتها وشعرها المتهادي، تدير معرضها. ولكني لا أراها، على الأقل ليست في مكان يمكنني رؤيتها منه. هناك مبيعات فتاة تجلس بدلاً منها، خلف صندوق الدفع، على كرسي عال، وعينيها إلى الأسفل، تطالع شيئاً ما أمامها على المنضدة.

آخذ نفساً عميقاً وأدخل المكتبة. أمشي باتجاه قسم التسجيل، ويرتدي وجهي ابتسامة نشيطة كما آمل، ثم أقف أمام فتاة المبيعات التي تقول "هل أستطيع مساعدتك"؟

برغم شجاعتي، إلا أنني الآن مرتبكة: "كنت فقط... كنت أبحث عن." أنظر حولي بيأس، وكأنما، إن قمت بمطالعة المكان المتألق بالإضاءة، بالنظر حولي، سيظهر الجواب أمامي. ألتفت إليها وأهز كتفي "أعتقد أنني أفضل أن أستطلع المكان"

فتبتسم وتشير بيدها قائلة "تفضلي سيدتي. وإن كان لديك أي سؤال لا ترددي في سؤالي   ثم تلتفت لتأخذ طلب زبون ظهر خلفي فجأة.

أمشي نحو الرفوف الأمامية. لقد غادرت السيدتان، وكل هذه المساحة لي. الرفوف مليئة بنسخ من أفضل الكتب مبيعاً، والروايات العاطفية، والكتب ذات الأغلفة الملونة. أبحث فوراً عن المختارات الجديدة للكاتب "جي دي

مكتبة

سالينجر"، التي كنا قد سمعنا أنها ستصدر قريباً في بداية عام 1963. في هذه المكتبة الجديدة المتألقة، تحتفظ فريدا برف كامل، تقريباً، من نسخ سالينجر الجديدة للعرض، وقد تميزت بأغلفتها الملونة بالأصفر، بعناوينها البسيطة، ونصوصها الحديثة دوناً عن غيرها من الأعمال الفنية. هناك نسخ عديدة من "سبعة أيام في أيار"، الفيلم المشوق عن الحرب الذي كان يكتسب زخماً كبيراً من جديد في عالمي الحقيقي. أبصر رفاً مليئاً بروايات أخرى عن مواضيع الحرب النووية، مثل "صمام الأمان"

قمت مع فريدا، في العالم الحقيقي، بإرسال طلبية من عشرين نسخة من ذلك الكتاب، والذي من المقرر صدوره في أي يوم الآن. من الواضح أن "صمام الأمان" قد حفر علامة فارقة في مخيلتي عام 1963. ربما، أفكر بروح مرحة، ربما علي أن أزيد كمية الطلبية منه، في العالم الحقيقي.

أختار نسخة من الكتاب الذي كانت تنظر السيدتان فيه، واشترته واحدة منهن "شخص الملك" ل جوانا غرينبرغ. هناك ما يقرب من الاثني عشر كتاباً مصفوفة على الرف. وإلى يسارها ملصق صغير معلق على لوح إعلانات يحمل عبارة "صدر حديثاً! كاتب محلي وعلى غلافه صورة لامرأة شابة ذات نظرة، على طول الإعلان التعريفي اللامع للكتاب بتاريخ السابع عشر من شباط لعام 1963، صحيفة دنفر. لم يسبق لي وأن سمعت بهذه الرواية، ولا بـ جوانا غرينبرغ، ولكنني أسجل ملاحظة ذهنية في بالي بأن أعرف أكثر عنها عندما أعود لحياتي الحقيقية. ثم ابتسم في باطني؛ كم هو مثير أن اكون قادرة على التنبؤ بالمستقبل – حتى وإن كان مستقبلاً متخيلاً – وان أراه بهذه الدقة المفعمة بالحياة! ربما لو سمحت لتلك الأحلام أن تأخذ مجراها، لو تماشيت معها ببساطة كما كنت في البداية، لكنت استمتعت بها أكثر.

لفتت نظري نسخة ضخمة من تحفة "هنري ماتيس –ذات غلاف من الورق المقوى المفرّغ – بدرجات من ألوان الأسود النابض والأزرق والأخضر والأصفر– معلقة بين رفين للكتب طويلين. لقد عرفتها في الحال؛

مكتبة

بل إنني أعرف اسمها "أحزان الملك". ماتيس أبدع تلك التحفة في 1952، قبيل نهاية حياته، فقد عمل في قص الورق بدلاً من الرسم. ليس لدي أدنى فكرة كيف أعرف كل هذا؛ فأنا لم أرها من قبل. إنها معلومة وليدة اللحظة، تماماً كنوع الأشياء التي كانت فريدا ستعشقها.

وعندها، أدرك أنني رأيتها من قبل. نسخة من "أحزان الملك" منقوشة على الحجر كانت معروضة على واجهة في معرض في باريس، عندما كنت أنا ولارس هناك في شهر العسل. أتذكر وقوفي في الشارع مع زوجي الجديد، وذراعي متعلقة بذراعه، محدقين بها، ومأخوذين بجمال هذا الشكل البسيط، بالألوان، السواد في منتصفها. "إنها لا تفارقك" همس لارس. "أغلقي عينيك كاثرين، وسترين أنك لا زلت قادرة على رؤيتها في ذهنك. لا زلت قادرة على رؤية الألوان".

أغمضت عيني وضغطت على ذراعه محاولة استيعاب الأمر. "ستحب فريدا هذه التحفة" قلت ذلك ثم فتحت عيني "علي أن أخبرها عنها عندما نعود إلى الوطن" أجل أتذكر ذلك.

ألقي نظرة نحو منضدة البيع، حيث فتاة المبيعات قد أنهت توضيب مشتريات الزبائن الذين وقفوا بالانتظار. أمشي عائدة نحوها وأقول "يا لها من مكتبة جميلة. هل تعملين هنا منذ وقت طويل"؟

تهز كتفيها وتجيب "منذ بضعة أشهر. إنه مكان لطيف للعمل فيه، وخاصة إن كنت من عشاق الكتب". وتبتسم من جديد؛ تمتلك ابتسامة جميلة، بأسنان ناصعة البياض. "صديقي الذي يعمل في فرع "بير فالي غرين" أخبرني عن الوظيفة. قال أن علي أن أتقدم إليها. فقمت بذلك، وكنت محظوظة لحصولي عليها".

"في فرع.. أقول وأنا أهز رأسي بارتباك.

"مركز بير فالي" تقول الفتاة بأناة. "أتعرفينه؟ مركز التسوق الذي في لايك وود"

أقطب جبيني مستهجنة: "المعذرة، لم يسبق لي السماع به".

مكتبة

تنظر إلي الفتاة بفضول وتقول "حسناً إنه واحد من فروعنا الستة".

"فروعكم الستة"؟

"ست مواقع لسلسلة غرين للكتب والمجلات" تقول موضحة. أشعر بأنني لا أستوعب ما تقوله للحظة. "أنا آسفة، هل تقولين أن..".

"أن هناك ستة محلات" تقول وهي تناولني كتيباً توضيحياً، ثم تردف "هذا المحل الذي نحن فيه هو الفرع الأصلي

أنظر إلى الكتيب. إنه يضع في رأس القائمة هذا المحل في يونيفرسيتي هيلز، بالإضافة إلى موقع في وسط مدينة دنفر؛ الفرع الذي ذكرته الفتاة في بير فالي؛ واحد آخر في ثورنتون، في ضاحية دنفر إلى الشمال؛ واثنين آخرين في كولورادو سبرينغز. صور الفروع الأخرى تظهر في مواقع جديدة متألقة في مراكز التسوق أو في أسواق مكتظة.

بالطبع لن يكون هناك صورة لذلك المحل الصغير المتواضع المغلق منذ وقت طويل في شارع "بيرل".

"هذا المكان أصبح واسع الانتشار جداً" تتنهد الفتاة. "الآنسة غرين أرسلت رسالة لكل موظفيها في الأسبوع الفائت بشأن افتتاح فرع جديد في الربيع القادم في بولدر. تقول أننا سنتوسع أكثر فأكثر

"الآنسة غرين.. أتقصدين فريدا غرين"؟

"أجل، إنها هي. أتعرفينها مدام"؟

"كنت أعرفها" أقول بهدوء. "كان ذلك منذ وقت طويل أحاول تصويب الأمر وأنا أنقر على الكتيب. ثم أسألها "أخبريني، أين يمكن لي أن أجد الآنسة غرين هذه الأيام؟ هل تعمل في واحد من هذه الفروع"؟

تضحك الفتاة وتقول "بالطبع لا، فلديها مكتب كبير في وسط المدينة، ال... ماذا يدعى؟ المقر الرئيسي للشركة. إنه في ذات المربع السكني الذي يقع فيه مركز غرين في وسط المدينة. لقد ذهبت إلى هناك في حفلة الميلاد الخاصة بالشركة".

مكتبة

تبتسم بخجل وتتابع "شعرت وكأني فأر الكنيسة؛ لقد كان الجميع في غاية الأناقة".

آخذ نفساً عميقاً آخر وأضيف مجدداً "هل لديك.. قد يكون هذا السؤال سخيفاً، ولكن هل لديك أية فكرة بشأن... الآنسة غرين كان لديها شريكة. الآنسة ميلر. كيتي ميلر.

تجهم وجه الفتاة وقالت: "الجميع يعرف الآنسة ميلر

"أوه" أقول بارتياح. "أوه أحقاً ذلك؟ ما الذي تعرفينه عنها"؟

تنظر الفتاة حولها وتقول "لا يجدر بي أن أثرثر في هذا مع زبونة، ولكن لا بأس" تنحني نحوي وتقول "وقع شجار رهيب بين الآنسة ميلر والآنسة غرين قبل بضعة سنوات. الآنسة ميلر.. حسناً، كانت قد تزوجت حينها، كنيتها بعد الزواج كانت السيدة اندرسون، وبصراحة أنا لا أعرف كامل القصة، ولكنني أعتقد أن الشجار كان بسبب زواجها وما إلى ذلك". ثم تتابع بنبرة أخفض "المهم، لقد كانوا يديرون مكتبة صغيرة لا تجني أية أرباح. وكانت غارقة في الديون، وقد تشاجرتا بسبب ذلك. فما كان من السيدة ميلر إلا أن رحلت تاركة كل تلك الفوضى على عاتق الآنسة غرين".

تهز كتفيها وتكمل "فقامت الآنسة غرين بتجميع خساراتها وبنت منها نجاحاً، كما ترين. ولكنني سمعت أن الآنسة غرين لم تسامح شريكتها القديمة مطلقاً" ثم تنظر نحو كتابها، ويبدو أنها محرجة أنها قد تكلمت أكثر مما يجب، ثم تعود بسرعة للنظر إلي وتقول "ولكن ليس لدي أية فكرة بشأن ما جرى للسيدة أندرسون أو الآنسة ميلر، إن أردت تسميتها بذلك"

أجلس في كرسي القيادة في الكاديلاك، ممسكة رأسي بين يدي. الفكرة التي اكتشفتها أثناء تجولي في مكتبة فريدا، مفهومي بشأن أن كل تلك الأحلام لا تعني شيئاً – انها موجودة فقط لتسليتي والترفيه عني – تحطمت كلياً، كنت كورقة شجرة سقطت ودفنت تحت الثلوج الثقيلة في مطلع الشتاء.

فريدا، فريدا، ما الذي فعلته؟ ما الذي فعلته؟ ما الذي حدث بيننا؟

مكتبة

الفصل الثامن عشر

استيقظت فزعة من جديد. كان الظلام شديداً في غرفتي. الساعة تشير إلى الثانية وخمس وأربعين دقيقة بعد منتصف الليل. أصلان هنا، يَهِرُّ بسلام، سعيداً وهادئاً. أحياناً أتمنى لو أنني كنت أصلان.

أنهض من السرير، وألبس رداء النوم الأرجواني والخفين واتجه نحو غرفة المعيشة متعثرة بالظلام. أضيء المصباح الذي على مكتبي وأجلس. أتناول سماعة الهاتف وأطلب رقم فريدا. لكنها لاتجيب إلا بعد الرنة السابعة تقريباً. نوم فريدا ثقيل؛ ولطالما كانت كذلك.

"هاههههه.." تقول، شيئاً يخرج ما بين الشخير وكلمة مرحبا.

"فريدز" أقول بعجالة. "فريدز، أنا آسفة لاتصالي بهذه الساعة المتأخرة.

"كيتي؟ ما الخطب؟ هل انت بخير"؟ ترد بصوت متنبه على الفور، مما يمنحني الدفء. قدرتها على الانتقال من النوم العميق إلى الاهتمام البالغ بي، بمجرد سماع صوتي – يمنحني الكثير من الراحة، وأشعر بالاسترخاء في كامل جسدي.

"أنا آسفة" أقول مجدداً. "أنا بخير. إلا أنني..". أقرب السماعة من فمي وأهمس "لقد راودني حلم سيء" يبدو ذلك سخيفاً حينما أقوله، فاستدرك قائلة "حلم مريع جداً".

ثم أجد نفسي أبتسم، لأن حلمي بالطبع لم يكن مريعاً بالمعنى المتعارف عليه: لا وحوش، ولا رجال مقنعون يحملون مسدسات، ولا إعصار يقتلع السقف من فوقي.

مكتبة

"أوه" تقول فريدا وتتنفس الصعداء، أستطيع سماعها تعدل من جلستها. بإمكاني أن أتخيلها متكورة تحت كومة من البطانيات في غرفتها، الستائر مغلقة، والمصباح مضاء إلى جانبها. أسمع صوت طقطقة قداحتها ونفس السيجارة الطويل الذي تسحبه. ثم تقول "هل ترغبين بالحديث عنه"؟

هل أرغب بإخبارها عنه؟ يا له من سؤال مثير. لا أعلم ما إذا كنت أرغب في إخبارها. من جهة، سيكون أمراً رائعاً لو أنني أخفف الحمل الذي أحمله في قلبي. وخاصة إن بحت به لشخص مثل فريدا، التي ستنصت إلي وتقدم نصائح عملية – ومن ثم لربما ستنتهي كل محنتي وإلى الأبد. ومن جهة أخرى فإن الحماقة الكلية في الموضوع تجعلني أتردد في صوغه على شكل كلمات. حتى مع فريدا، التي أأتمنها على حياتي.

"كيتي؟ أما زلتِ على الخط؟ هل كان حلمك عن المشاكل في كوبا؟ وما قاله الرئيس في الأخبار، بشأن الصواريخ الروسية؟ أذلك ما يخيفك"؟

تقول وتتنهد، بإمكاني سماعها، تقريباً، وهي تصر على أسنانها. وتتابع "لأن ذلك الوضع بمجمله، وبصراحة، شيء مرعب حقاً"

ترتفع زوايا فمي بابتسامة زائفة، تلك الابتسامة التي تقوم بها عندما لا تشعر بأنك تبتسم حقاً. وأقول "في الواقع، لست خائفة من ذلك على الإطلاق"

لا أستطيع أن أشرح لها لم لست قلقة بشأن كوبا. الجميع يكاد يموت من الخوف من هذا الأمر. ومع ذلك فإن لدي هدوء طبيعي حوله. لا أدري ما السبب وراء ذلك، ولكنني متأكدة من أنه سينكشف قريباً، أيضاً.

"لست خائفة من ذلك"؟ تقول فريدا وتبدو أنها تفاجأت. "ما الأمر إذاً؟.. أأنت بخير يا اختاه"؟

أحدق في ظلمة الشارع الذي أمامي في الخارج. ليس بإمكاني إخبارها. كل ما يمكنني فعله هو ان أرجو أن تنتهي تلك الأحلام لوحدها. قد يكون لديها المزيد من الاحداث لتخبرني بها. ستتوقف الأحلام بمجرد أن تنتهي القصة.

مكتبة

أنطق أخيراً وأقول"إنني بخير "إنما.. كنت في حاجة لسماع صوتك فقط. كنت أحتاج أن أتأكد أنني عدت إلى هنا. وأنني بأمان".

"أ أقفلت الأبواب جيداً"؟ تسأل فريدا وهي تنفث دخان سجائرها.

فأضحك؛ فالأبواب المقفلة لن تحميني بالطبع مما يتسلل إلى داخل عالمي. ثم أقول

"أجل. أنا وأصلان في أمان تام"

"حسناً، فلتعودي إلى النوم إذاً، وحاولي أن تنعمي ببعض النوم الهانئ. أراكِ صباحاً"

"حاضر أقول كطفل تطمئنه امه. "فريدا.."

"نعم أختاه"؟

"أشكرك" أهمس. "أراكِ صباحاً"

مكتبة

مكتبة

الفصل التاسع عشر

أعود إلى سريري وأغمض عيني، منتظرة أن أغط في النوم. راجية أن يكون نوماً مظلماً، فارغاً، خالياً من الأحلام. ولكن ذلك لا يحدث.

أعود إلى حياة الحلم، أعود من جديد. إلى ذلك العالم الآخر. لم تعد عودتي إلى عالم الأحلام مفاجأة بالنسبة إلي. ما يفاجئني هو أنني لا زلت جالسة في سيارة الكاديلاك في الموقف الخاص بمركز التسوق. يبدو أنه ذات اليوم، بل وذات الساعة. الشمس على وشك الغروب. أرتدي ذات المعطف بلون جلد الجمل والقفازين الذين يتماشيان مع لونه، والسيارة مركونة في نفس الموقف. وكأن الوقت لم يمض أبداً. ولكن وبالطبع لا يوجد أي سبب لتغير الوقت هنا. ليس هنا، حيث كل شيء جيد أو سيء - هو كله محض تخيل. أشغل المحرك وانسحب خارج المرآب، وأقود عائدة نحو شارع "سبرينغفيلد" أرى أن لارس والأولاد قد عادوا إلى المنزل؛ فالسيارة العائلية مركونة في الممر، أسرع إلى الداخل وأنفض عني كل البرد، أعلق معطفي في خزانة البهو الأمامي، أوضع قبعتي وقفازاتي وحقيبتي على الرف في أعلى الخزانة.

"ماما!" يصيح ميتش وميسي ويعانقانني من خصري. فانخفض حتى مستوى طولهما وأعانقهما بالمقابل.

تفاجئني القوة التي أعانقهما بها، وكيف أغلغل أنفي بعمق في شعورهم الناعمة وأتنشق الرائحة النظيفة العطرة له. في حياتي الحقيقية، لا أحمل الأطفال هكذا عادة. لم أكن أعلم، قبل الآن، كم هو جميل ذلك الشعور.

مكتبة

قلائل هم الأطفال في حياتي. هناك غريغ هانسن، بالطبع، ولكن علاقتي به أقرب بالموجه والتلميذ، ليست علاقة ذات عاطفة ملموسة. في بعض المناسبات ألتقي بأولاد أخوة وأخوات فريدا، وأحفاد برادلي يمرون بمحلنا باستمرار. ولكن لا أحد من هؤلاء هم أطفال قد أشعر بالراحة عند احتضانهم بهذا الحماس. لو فعلت ذلك فجأة لتبدد القلق بلا شك في كلا العالمين. من الواضح بالنسبة لهذين الطفلين أنهما لا يرغبان بذلك الرابط معي فحسب، بل وينتظرانه أيضاً. تلك الفكرة تدفع دقات قلبي للتسارع قليلاً.

وأخيراً أفلتهما من بين ذراعي وأسألهما "هل استمتعتم يا صغاري"؟

"لقد حظينا بالكثير من المرح" تقول ميسي. "لقد فزت في المباراة الأولى وفاز أبي بالثانية". "وقد ربحت أنا في ضربة حظ!" يضيف ميتش وهو يتقافز للأعلى والأسفل. "ماما، لقد أنزلت كل الدبابيس دفعة واحدة!".

"أحسنتما كليكما" أقول لهما ثم أسأل "أين بابا ومايكل"؟

ترد ميسي. "في الأعلى، بابا يقوم بعمل حمّام لمايكل في منتصف النهار! يبدو ذلك غريباً.

أصعد نحو الطابق العلوي وأطرق باب الحمام قائلة "إنها أنا"

"ادخلي يقول لارس. إنه يصب الماء بهدوء وتناغم من خلال كوبين بلاستيكيين، على ظهر مايكل النحيل العاري. أستطيع رؤية عظامه الصغيرة البارزة من عموده الفقري، كخرزات تحت الجلد. يغمض مايكل عينيه ويدندن، وابتسامة على وجهه. أنظر إلى لارس محاولة أن أفهم ما يجرى. فيقول بصوت منخفض "لقد كان يعاني من وقت عصيب، فعدنا إلى المنزل. تعلمين كم تساعده المياه الدافئة على الهدوء".

أومئ موافقة، ليس لكوني مدركة لتلك الطريقة بتهدئة مايكل، بل لأن ذلك يبدو منطقياً. أنا أيضاً أجد الحمام الدافئ فعالاً عندما لا أكون في أفضل حالاتي. الحرارة ورشقات المياه اللطيفة. لها أثر مريح، لا يماثله شيء.

"هل أمضيت وقتاً ممتعاً"؟ يسأل لارس.

مكتبة

"أجل، لقد كان كذلك.. أقول وأجلس على مقعد الحمام المغلق وأنظر حولي.

هذا الحمام، ومع أنه أصغر من حمامنا أنا ولارس، فإن فيه نفس الخزائن ذات المقدمة المنحرفة فوق المغسلة؛ ولكنها هنا مطلية باللون الأبيض. والجدران مطلية باللون الأزرق مع ملصقات لسمك أبيض يسبح على طول الجدار الأطول من مستطيل الحمام، ملصقة على فقاعات منسقة بمرح فوقها. المغسلة، وحوض الاستحمام، والمرحاض باللون الأبيض، والأرضية من البلاط الابيض النظيف.

بينما أشاهد سيلان الماء على ظهر مايكل، أقول مجازفة أخيراً: "لقد ذهبت إلى المحل، محل فريدا ومحلي.. مكتبتنا القديمة"

ينظر إلي لارس ويقول "هل فعلت ذلك الآن"؟ بصوت خال من التعبير، بشكل لا أستطيع أن أفهم رأيه بشأن هذه المعلومة.

"إنه مغلق". بإمكاني رؤية وجهي في المرآة فوق المغسلة، تبدو عيناي فارغتين. "لقد أغلقت المحل في شارع بيرل. لديها ستة محلات أخرى، وقد غيرت الاسم إلى (غرين للكتب والمجلات)، ولم تكن هناك حتى عندما ذهبت إلى الفرع الذي في مركز التسوق، و..

أتوقف عن الكلام. لا بد أنني أبدو سخيفة بالنسبة إليه.

عينا لارس مثبتتين علي. يقول أخيراً "كاثرين". "لقد كان ذلك منذ وقت طويل

ثم ينقل تركيزه نحو مايكل ويتابع "أنت تعرفين ذلك. أنت تذكرينه أليس كذلك"؟

أهز رأسي قائلة "أنا لا أذكر ذلك. انا آسفة لارس، لازلت لا أذكر.. لا أذكر." أعض على شفتي وأنظر إلى وجهي المتجهم في المرآة. "أنا لا أتذكر الكثير من...التفاصيل

"حسناً" يقول بصوت محايد ولكنه دافئ. "هذا مفهوم يا حبيبتي

مكتبة

"أوه لارس وأشعر فجأة أنني أنهار. تنهمر دموعي على خدي.

فيقف لارس ويقترب مني. ويضع يده على كتفي يفركه بلطف. "لا بأس ياحبيبتي يقول هامساً. "لا بأس بأن نشعر بالسوء حيال ذلك. حتى بعد كل تلك السنوات".

"ما الذي فعلته"؟ أسأله، وأعلم أنه سيظن أن سؤالي مجرد تعبير بلاغي. ولكنه لم يكن كذلك بالطبع.

"لقد فعلت ما كان عليك فعله" يقول لارس بصوت ثابت. "لقد قمت بما يتحتم عليك من أجل عائلتك ومن أجل طفلك. ثم يرفع رأسي للأعلى لأتمكن من النظر في عينيه. "أنا أعرف كل ما تخليت عنه.. من أجلنا.. ومن أجله" يصبح صوته هامساً، ويلتفت نحو حوض الاستحمام، حيث مايكل لا يزال يدندن بهدوء ويلعب بالكوبين.

"أعلم بم ضحيتِ. إياك أن تشكي للحظة يا كاثرين.. كم أنني ممتن لك من أجل ذلك".

أذهب إلى غرفة نومي لأستلقي. لربما إذا ما نمت، قد أستيقظ مجدداً حيث أنتمي، حيث كل شيء منطقي ولا شيء يثير الحيرة كما هو الحال هنا.

ولكنني لا أستطع النوم. أغلق عيني، ولكن النوم يجافيني. وبدلاً من ذلك تفاجئني الذكريات.

كتلك المرة التي كنت فيها في المغطس الأخضر، أو تلك الليلة في المطعم مع زبون لارس وزوجته. شعرت، بشكل مفاجئ، أنني أتذكر الأشياء بشكل واضح.

أتذكر كيف بدأت زياراتنا الدورية لطبيب التوليد. بل أنني أتذكر تاريخ ذلك اليوم: السادس من تموز عام 1956. كنت قد على مقربة عدة أسابيع من النصف الثاني من حملي؛ كنت ولارس نتوقع قدوم الطفل في فترة الأعياد. وأنا أعاني من بعض القلق لأنني كنت أبدو أضخم من اللازم. شعرت بالتعب والتوعك، أخبرت الطبيب أنني أشعر وكأنني على وشك الولادة الآن، على

مكتبة

الرغم من أن ذلك كان مبكراً جداً بالطبع.

"دعينا نتفقد ضربات قلب الجنين من جديد" قال الدكتور سيلفر. "أعلم أننا حاولنا أن نسمعها قبل ذلك، وأننا تفقدناها مرة أخرى عندما كنت هنا منذ بضعة أسابيع. لابد وأن نجدها الآن قطعاً". وضع السماعة على بطني، وأخذ ينصت، ثم حركها وأنصت من جديد، ثم حركها من جديد. استمر ذلك لحوالي خمس دقائق، دون ان ينطق بكلمة.

وقف أخيراً وقال: "سأعود خلال لحظات، سيدة أندرسون. أرغب بأن أحضر الدكتور إنرايت ليستمع معنا، أيضاً".

كنت مستلقية هناك أتصبب عرقاً مخدرة الذهن. ليس هناك دقات قلب؟ كنت أفكر بأنه لم يستطع سماع دقات قلب، وهو يخشى أن يكون الطفل ميتاً. يريد طبيباً آخر ليتأكد من ذلك.

دخل الطبيبان، وأخذ الدكتور إنرايت يخز بطني بسماعته أيضاً. نظرا إلى بعضهما وأومآ، ثم أخذا يتشاوران فيما بينهما وهم يديران ظهريهما نحوي. بدأت بالبكاء؛ لم أستطع منع نفسي من ذلك. كيف سيكون بإمكاني أن أخبر لارس بأن طفلنا قد مات؟ هذا الأمر سيدمره. استدار الطبيبان بوقت واحد. عند رؤية وجهي أمسك الدكتور سيلفر بيدي بين يديه قائلاً "سيدة أندرسون، من فضلك لا تبكِ. الأخبار سارة ودعيني أكون أول من يقوم بتهنئتك.

"لقد كان الدكتور إنرايت وأنا واثقين من أنك تحملين توأماً!"

طرت من المركز الطبي إلى المنزل. كان عقلي يترنح من الإثارة.

توأم! كم نحن محظوظان! نلتقي ببعضنا في وقت متأخر جداً من حياتنا – عندما كان كل واحد منا، لأي سبب أو غاية، قد فقد الأمل من العثور على شريكه. لم نكن لنتقابل، لو أننا لم نبقَ على الهاتف مدة كافية مكنتني من سماع حادثته الطارئة ومن ثم إنقاذه. ثم نجد نفسينا متلائمين بشكل تام، ونقع في حب بعضنا بسرعة، نتزوج سريعاً، نؤسس عائلة باكراً. والآن هذا!

لا يمكن أن تكون الأمور مثالية أكثر من ذلك.

مكتبة

كنت متأكدة أنهما صبي وبنت.

كنت لا أزال أعمل في محل "أخوات" في تلك الأيام بالطبع، ولكنني هاتفت فريدا وأخبرتها بالموعد الذي سبب لي الإرهاق، ودفعني للعودة إلى المنزل لأخذ قسطاً من الراحة. لم أخبرها بالطبع، بخبر التوأمين. كنت أتوق لذلك، ولكنني كنت أريد أن يسمع لارس الخبر أولاً وليس فريدا.

عدت إلى المنزل، وفي مطبخ شقتنا الصغيرة، قمت بإعداد كمية من خليط الكعك الأبيض، وقسمته إلى قسمين، صبغت الأول ببضع قطرات من ملون الطعام الأحمر محولة المزيج إلى اللون الزهري؛ وصبغت الآخر باللون الأزرق. ثم سكبت المزيج في صينيتين منفصلتين. وعندما بردت طبقات الكعك، قمت بتكديسها وتغطيتها بشكل كامل بالكريمة البيضاء.

ثم قمت بتحضير العشاء: سلطة من خضار الحديقة الطازجة، رقائق من اللحم المقدد المحشوة بفتات الخبز والسبانخ، والبطاطا المهروسة. أحضرت قالب الحلوى بعد العشاء، وقلت لـ لارس: "قم بتقطيعه، سيخبرك إن كنا سننجب صبياً أم بنتاً"

فنظر إلي لارس نظرة سخرية قائلاً: "اعتقدت أنك ذهبت إلى الطبيب اليوم وليس إلى العرافة" إلا أنه ابتسم وتناول السكين. كنت أراقب تعابير وجهه بانتباه عندما سحب قطعة من الكعكة، ثم نظر إلي بحيرة.

"مبارك، بابا" قلت له. "سنرزق بتوأم!"

فضحك وهو يهز رأسه وقال: "هذا مذهل!" وسحبني فوق حجره، وبطني الكبير بارز بيننا. "وكيف تعرف زوجتي الجميلة، على وجه التأكيد أنهما ليسا صبيين أو بنتين"؟

فابتسمت قائلة "أنا أعرف وحسب. من هنا" ووضعت يدي على قلبي. ثم وضعت يدي على صدره وهمست له "وهنا أيضاً"

أتمنى لو كان بإمكاني تذكر ردة فعل فريدا على خبر التوأم. أنا متأكدة أنها كانت تتكلم كثيراً عن وضعنا الحالي. ولكنني لا أستطيع تذكر ما قالته.

مكتبة

ما أذكره أننا وقبل الخبر الكبير، بالعودة إلى الوقت الذي كنا نظن أنه طفل واحد، كنت اخطط لإحضاره معي إلى المحل بينما لا يزال رضيعاً. فريدا، كما أذكر، ظننت ان ذلك سيكون جيداً. كنت أتصور كل ذلك في ذهني: مهد في الزاوية، حيث يغط الطفل في النوم بسلام بينما أقوم وفريدا بالعناية بالمحل. "حالما يبدأ الطفل أو الطفلة بالحركة، سأقوم باستئجار جليسة أطفال" كنت أقول مؤكدة لـ فريدا. "سيكون كل شيء بخير. وكل شيء هنا سيبقى على حاله كما هو دائماً".

أومأت موافقة وقالت: "أنا مسرورة بذلك" ثم شدت على يدي وتابعت "لا تتركيني يا أختاه. لا تتخلي عني

أخبرتها بحزم "مطلقاً، سنعمل على إنجاح الأمر

قالت: "سأساعدك في العثور على أحد الأشخاص، عندما يتطلب الأمر، مع كل علاقات والديَّ وصلاتهما.

ستحتاجين لشخص كفؤ، يا كيتي. شخص مؤهل، شخص تستطيعين الوثوق به. سأساعدك. أريدك أن تكوني واثقة مما تقومين به".

كنت أومئ بامتنان. "سيكون ذلك رائعاً يا فريدا. أشكرك" نعم.. أذكر تلك المحادثة جيداً.

بعد إعلان خبر التوأم، حذرني الدكتور سيلفر من العمل المجهد. وأقنعني بتخفيض ساعات دوامي في المحل إلى الفترة الصباحية فقط. وعدت فريدا بأنني سأعود للعمل بدوام كامل في أقرب وقت ممكن. مع طفلين، لم يبدُ لي الأمر عملياً بإحضارهما إلى المحل، لذلك سنقوم، ببساطة، بتسريع أمر استئجار جليسة أطفال.

وبسبب ذلك الوعد لم تكن فريدا مستاءة كثيراً عندما بقيت في السرير في الأسبوع الثامن والعشرين من الحمل بناء على أمر الطبيب. لم يكن الوضع خطيراً جداً. لكنني لم أقدر على مغادرة شقتنا، كان مسموحاً لي بمغادرة السرير صباحاً والانتقال إلى الأريكة. كان بإمكاني القيام ببعض المشي أحياناً

مكتبة

من غرفة إلى أخرى، فقط لأمدد ساقي، ومسموح لي أن أعد الغداء لنفسي في حال كنت وحيدة في المنزل.

و كان ذلك نادراً. كانت أمي تأتي يومياً، تقريباً. تعتني بي وتحضر لي الوجبات، وتبقى بصحبتي. أتذكر أنني كنت أشكرها يومياً، تقريباً، على ذلك، وأذكر كيف كانت ترد على وجه التحديد: "لا حاجة للشكر يا حبيبتي. أي أم تلك التي لن تفعل غير ما أفعل؟ ما الذي تظنين أنني كنت بانتظاره كل تلك السنوات؟ على الأقل سأصبح جدة!"

يعود لارس إلى المنزل مساءً محملاً بالقبلات والابتسامات، والأزهار غالباً. وكان يحضر لي بشكل دوري روايات أو مجلات للتسلية، تحتوي على الكلمات المتقاطعة، شيء ما لإبقائي منشغلة. وكان يتصل بي عشرات المرات في اليوم، من أجل الإطمئنان علي.

"لا أرغب إلا بسماع صوتك" كان يقول لي على الهاتف.

أصلان، عزيزي أصلان، كان مرافقي طوال الوقت، يهرُّ بجانبي باستمرار. كنت أقول ممازحة لارس وأمي "لو كان الأمر يعود لـ أصلان، لرغب بأن أبقى على هذه الأريكة أحمل الأطفال إلى الأبد".

هل قامت فريدا بزيارتي في سجن الأريكة هذا؟ لا أستطيع تذكر أنني رأيتها هناك، ومع ذلك فلا بد أنها قد أتت بين الحين والآخر. كم مرة تحديداً؟ ليس لدي أدنى فكرة.

كنت أبحث في كتب أسماء الأطفال، وفي كل ليلة كنت أتشاور مع لارس بشأن هذا الموضوع. كنت أرفض أن أختار أكثر من اسم صبي واحد وبنت واحدة، واثقة جداً بأن الطفلين سيكونان كما اعتقدت. بعد الكثير من النقاش، اتفقنا أخيراً على (ميتشيل جون وميليسا كلير). اسم ميتشيل الأوسط كان تيمناً باسم والد لارس، واسم ميليسا الأوسط كان تيمناً باسم والدتي. وسندعوهما بـ ميتش وميسي.

بالرغم من أني بذلت أقصى ما أستطيع كي يستمر حملي سليماً إلى نهاية

مكتبة

الحمل، إلا انني لم أستطع ان أفعل أكثر من أربع وثلاثين أسبوعاً – أي أكثر من سبعة أشهر ونصف. وفي أمسية الثاني عشر من تشرين الثاني، وبينما كنت متمددة على الأريكة أشاهد التلفاز مع لارس، شعرت بمياه دافئة تندفع من جسدي. ومن ثم بدأت أشعر بأول التقلصات المؤلمة.

قلت وأنا ألهث "لارس، الأطفال.. أعتقد أنهما على وشك الخروج"

"لا يمكن ذلك!" قال لارس. استطعت استشعار الذعر في نبرة صوته الهادئة. "الوقت مبكر جداً"

هززت كتفي. حتى انني ضحكت: "وجه لهم ذلك الكلام!".

أخبرونا في المستشفى أن الولادة يجب أن تتم عبر عملية جارحة قيصرية. "قد لا ينجو الأطفال في ولادة طبيعية" أخبرنا الدكتور سيلفر بذلك بحزم.

حاولت ان أقنع نفسي بالمنطق بأن الدكتور لم يقصد أن يبدو كما لو أنه يوبخني، إلا أنه كان يبدو كذلك فعلاً.

أتذكر لارس وهو يمسك بيدي قبل أن ادخل إلى غرفة العمليات، ثم يفلتها ببطء بينما كنت أُنقل بعيداً. أتذكر طبيب التخدير، رجل مسن ذو مظهر لطيف. "عدي بشكل عكسي من عشرة إلى واحد، عزيزتي قال لي. وصلت حتى ستة، وكان ذلك آخر شيء أتذكره.

عندما استيقظت كنت في غرفة مشفى عادية. أشعر وكأن بطني يحترق من الألم، فجفلت، أدرت رأسي وأغمضت عيني مرة أخرى. وعندما فتحتها رأيت لارس يجلس بجانبي. همست بضعف "الأطفال.. هل هم بخير"؟

ابتسم ابتسامة غريبة وقال: "إنهم بخير. إنهم في العناية المكثفة، لأن رئاتهم ما تزال صغيرة وتحتاج بعض المساعدة للتنفس. ولكنهم يبلون بشكل حسن، ويقول الطبيب أنهم سيكونون على ما يرام".

"وقد كنت محقة أليس كذلك؟ صبي وبنت"؟

فهز رأسه وقال: "لقد كنت محقة، تقريباً"

"تقريباً؟ ماذا يعني ذلك"؟

مكتبة

"بنت، يا حبيبتي. وصبي. و.. صبي

لم أنبس بكلمة للحظة. لم أكن متأكدة من أنني قد فهمت ما يعنيه. ثم بدأت أستوعب الأمر. "هل تقول أنهم كانوا.. ثلاثة توائم"؟

"كانوا وما زالوا. أجل. ثلاثة توائم. يقول الطبيب أن واحداً كان يختبئ خلف الاثنين الآخرين، وهذا ما جعله يسمع نبض قلبين فقط". أطلق لارس نفساً طويلاً، ثم أخذ يدي قائلاً "إذاً أصبح عندنا ميتش وميسي. والآن ماذا سنسمي زميلهم الثالث"؟

أتذكر كل تلك الأحداث وأنا مستلقية على السرير في غرفة نومي الخضراء، وكأنها حدثت البارحة. وكأنها حدثت بالفعل.

أفكر في مايكل، وكيف كان دائماً ذلك "الزميل الثالث" غير المخطط لقدومه. وغير المتوقع نهائياً، حقاً.

وبمجرد أن أصبح هنا، بالتأكيد لم يكن متوقعاً أن يكون على هذا الوضع الذي اتضح لاحقاً.

للحصول على كتبنا قبل الجميع
بروابط تحميل مباشرة
تابعونا
على فيسبوك
مكتبة الرمحي أحمد
facebook.com/ktabpdf
على تيليجرام
telegram @ktabpdf

مكتبة

الفصل العشرون

عندما أستيقظ أجد نفسي في المنزل، إن كنت أستطيع حقاً أن أسميه منزلاً؛ هذه الشقة الهادئة، مع هذه الجدران الصفراء المفعمة بالأمل وذلك الإحساس الزائف بالسكينة.

هل هو مزيف؟ أفكر في ذلك أثناء نهوضي من السرير. هناك جزء مني بدأ يتساءل ما هو الحقيقي وما هو المُختلق. فقد بات الأمر يبدو مستحيلاً. هل من المحتمل أن يكون شيء واقعي كالعالم الذي اتشاركه مع لارس والأطفال، خيالياً؟

أنفض الفكرة عن رأسي وأعدّ لنفسي بعض القهوة لتنظيم تفكيري. إنه صباح الاثنين، الحمد لله، وافق الاتحاد السوفييتي البارحة على نزع الأسلحة النووية من كوبا، وقد تنفس الجميع في الولايات المتحدة كلها الصعداء. وقد انضممت إليهم في تنفس الصعداء بالتأكيد؛ ذهبت إلى منزل فريدا، وأخذنا نشاهد إعادة بث الأخبار على جهاز تلفزيونها، جالستين جنباً إلى جنب على أريكتها بينما نتناول الشاي بالعسل من دون قشطة. لم تكن فريدا تشتري القشطة أبداً، وهذا ما يقهرني.

"الشكر لله" قالت فريدا وهي تدخن بشراهة وبالكاد تتناول الشاي الخاص بها. "الشكر لله"

برغم الراحة التي كنت أتقاسمها مع كافة الشعب، كان صحيحاً ما قلته لـ فريدا في منتصف الليل الأسبوع الماضي – لم أكن خائفة أبداً من المسألة الكوبية. لربما يعود الأمر إلى أنه بدا لي عصياً على الفهم، أن تكون الحرب

مكتبة

العالمية الثالثة على وشك الاندلاع، وأنه لا يوجد أي شيء لإيقافها. أو لربما أن عقلي كان مشغولاً جداً هذه الأيام بخصوصية حياة أحلامي، تاركة لي مساحة ضئيلة جداً للتفكير بأشياء ذات نطاق أوسع. ومهما كان السبب، فأنا لم أعتقد أبداً أن التهديد كان ضخماً ووشيكاً بالشكل الذي كان يعتقد به الجميع؟ وقد اتضح أنني كنت على حق.

أتأمل سلسلة الأحداث هذه وأنا أتناول قهوتي. أتذكر اتصالي بـ فريدا ليلاً؛ أتذكر كلماتها المريحة. أتذكر البارحة سماعي للأخبار عن كوبا وذهابي إلى منزل فريدا لمشاهدة التلفاز. ولكن ماذا عن الأيام التي بين الحادثتين؟ هززت رأسي. لا أستطع تذكر شيء من هذه الأيام. لا أملك أية فكرة بشأن ما فعلته أو مع من تكلمت أو ما فكرت به.

ابتلعت ما تبقى من قهوتي وأنا أشعر ببعض الذعر، كيف يمكن ذلك؟ أبحث في ذهني عن ذكريات حديثة، ولكنني لا أجد. أبحث في سلة المهملات عن صحيفة من الأسبوع الماضي، لكن كل ما أجده هو عدد البارحة، مجعداً ومكدساً تحت طبقة من فتات الخبز، وأغلفة لألواح سكاكر "هيرشي أنا لا أذكر حتى أنني تناولت لوحاً من السكاكر. متى حدث ذلك؟ أين كنت، وما الذي كنت أفعله، ومن أين اشتريت لوح السكاكر؟ يبدو لي أن تذكر هذه التفاصيل هو غاية في الأهمية، ولكن عقلي خالٍ من الإجابات.

إنني بحاجة إلى تجميع أفكاري، أفكر بذلك أثناء خروجي لإحضار البريد. وجدت بطاقة بريدية من والدتي، بطاقة من الواضح أنها كتبت قبل وقت طويل من انتهاء الأزمة الكوبية البارحة.

عزيزتي كيتي

أفترض بأنك الآن قد سمعت بالأخبار بشأن الأسلحة في كوبا. إنه أمر مريع أليس كذلك؟ لا بد لي أن أقول أننا نشعر بالعزلة الشديدة هنا. وأني مذعورة من أجلك، يا حبيبتي. لا أظن أن ذلك المجنون كاسترو قد يطلق

مكتبة

صواريخه كل تلك المسافة حتى هاواي. ولكن على الجزيرة الرئيسية، حتى لو أنك......، لحسن الحظ، بعيدة عن الشاطئ الشرقي آلاف الأميال – إلا أننا، قلقين أنا ووالدك.

يبحث أبوك على رحلات جوية لك لنحضرك إلينا، بدلاً من عودتنا نحن الأسبوع القادم. فكري في الأمر يا حبيبتي.

مع حبي،
أمك

أهز رأسي. أنا أعشق أمي، وأحب كم تقلق بشأني. ولكن بأمانة، هل تعتقد حقاً أنني سأنهض وأغادر بهذه البساطة؟ أستقل طائرة وأطير بعيداً عن فريدا، والمكتبة، وأصلان، وحياتي بأكملها؟ من الجيد أن تلك الحادثة الكوبية قد انتهت، محولة ذلك إلى نقطة خلاف.

اليوم هو يوم إجازتي من العمل لحسن الحظ. لقد خططت أن أمضي اليوم في فتح منزل والديَّ والقيام بتهويته. سأقوم بتنظيفه من الغبار، وآمل أن أجد وقتاً لأكنس الأوراق من باحتهما أيضاً. أريد أن يكون كل شيء رائعاً – من أجلهما – عندما يصلان إلى المنزل. مع حل المسألة الكوبية، لن يكون هناك تغيير بالخطط؛ سيغادر والدايَّ هونولولو ليل الأربعاء وسيصلان إلى هنا يوم الخميس.

أرتدي بنطالاً قديماً خاصاً بركوب الدراجات وقميصاً من الجينز، وأعقص شعري إلى الخلف بواسطة منديل، وأستعيد دراجتي من السقيفة التي خلف المنزل. إنه يوم بارد وغائم، بعد اجتياز طريق الوادي السريع على جسر شارع "داونينغ"، أتسلق التلة البسيطة، وأنعطف يميناً، وأقود دراجتي نحو جادة "لويزيانا"، على طول الحافة الجنوبية لحديقة "واشنطن" الحديقة التي ذهبت إليها من مايكل في عالمي الخيالي منذ عدة أحلام.

أمر بدراجتي بجانب الثانوية الجنوبية، مدرستي الأم. إنها عبارة عن برج

مكتبة

جرس يعلو فوق المنازل والأشجار، الساعات على جانبي البرج تشير إلى تمام الثامنة. هناك أصوات جلبة خفيفة تصدر من الطلاب المتجهين نحو مبنى المدرسة لبدء يومهم الدراسي.

يبدو هؤلاء الطلاب هادئين على نحو غير عادي بالنسبة إلى ساعة مبكرة كهذه، على الأقل في ذكرياتي عن الثانوية، كان الجميع يفيض بالبهجة مع إحساس بالترقب يثير الصخب لذاك اليوم القادم.

أراقب الطلاب وأنا أبتعد بدراجتي، غارقة في أفكاري. أتذكر نفسي كطالبة هنا – بشخصية مراهقة قلقة – كنت أنظر إلى المدرسة على أنها أشبه بحجرة تعذيب، صممت بشكل خاص لزيادة معاناتي. كل الأمور كانت تسير عكس ما أرغب تماماً، كنت أقول ذلك لنفسي وكأنني الشخص الأكثر تعذيباً وتحطيماً من أيٍّ من شخصيات الكاتب "تشارلز ديكنز".

لم يلاحظ وجودي إلا بضعة صبية فقط، ولم أكن ممن يحظون بسرب من الصديقات، على النحو الذي كانت عليه الكثير من زميلاتي في الصف.

حتى أساتذتي كانوا نادراً ما يتعرفون عليّ. أذكر على وجه التحديد حادثة محرجة حيث قامت معلمة الجبر "السيدة باركر بمناداتي على نحو خاطئ باسم واحدة من أقل الفتيات شعبية في صفنا "مالفينا جونز"، والتي لم تكن في الصف يومها أصلاً. "مالفينا" كانت فتاة مهملة، بدينة، ترتدي نظارات طبية؛ ويضاف على تلك الصدمات اسمٌ كـ "مالفينا"، وقد كانت الفتاة المسكينة محكومة بالفشل الاجتماعي. من سوء حظي أن لـ "مالفينا" أيضاً شعراً مجعداً أشقراً، شبيهاً بشعري. لم تكن المعلمة تظن أنها مخطئة عندما نظرت إلي بشكل مباشر ونادت باسم "مالفينا"

"قالت السيدة "باركر بسرعة متداركة خطأها. "أوه! لا أنتِ لستِ "مالفينا". قصدتُ كيتي.. أعتذر يا "كيتي هلا أجبتِ على السؤال الثاني عشر في الصفحة الثامنة والتسعين؟ تعالي إلى السبورة وأطلعينا على إجابتك من فضلك" عندما قمت بذلك كان وجهي يتوهج خجلاً، ابتسمت السيدة

مكتبة

"باركر معتذرة؛ فأطرقت بخجل، بينما كانت زميلاتي يتهامسن ضحكاً فقد كان واضحاً أن الأذى قد طالني.

لولا وجود فريدا لكانت تلك السنوات التي لايمكن احتمالها. أفكر فيما كانت عليه فريدا حينها، عن حجم ثقتها التي كانت تنثر ما يشبه الغبار السحري على فتاة في حكاية خرافية يضرب بها المثل بالخجل.

كنت واثقة أن صداقتي مع فريدا هي الشيء الوحيد الذي يميزني، ولو بالقدر القليل، عن أمثال "مالفينا جونز"

في فترة ما من تلك السنوات، أتذكر قراءتي لمقال في قسم علم النفس من كتاب الصحة الخاص بي، يقول أنه مادام لدى الانسان صديق واحد جيد فهو ليس مختلاً. أنهيتُ الفقرة بتنهيدة رضى؛ إذاً لدي فريدا، وطالما بقيت متمسكة بها، فسأكون على ما يرام.

التفكير بتلك الأوقات جعلني أشعر بالأسى. أتمنى لو أمكنني العودة إلى ذلك الوقت لأخبر نفسي ذات الخمسة عشر عاماً آنذاك، أن ذلك المقال كان محقاً، وأن كل شيء سيكون على ما يرام. وأنني سأكبر وأغدو سعيدة. وأنه يوماً ما، سيكون لدي كل شيء أردته.

ولكن هل هذا صحيح؟ لم أعد واثقة أبداً بشأن ذلك الـ "كل شيء". نعم أنا قانعة. لقد كان عليّ أن أواجه بعض الآلام، والخسارات، ولكن ما لدي الآن – المحل، وفريدا، ووالديَّ، وأصلان، وحياتي الخالية من التعقيد– يبدو أكثر من كافٍ. والحياة الأخرى؟ ماذا عنها؟

أهز رأسي وأضع قدمي اليمنى بثبات على مبدل الحركة في دراجتي، أسرّع من رحلتي. أتوق إلى الوصول إلى منزل والديَّ، أتوق لأنغمس في التنظيف والتعب. أحتاج لأن أركز على العالم الحقيقي الملموس أمامي. أحتاج أن أتوقف عن كل هذه التكهنات الفارغة.

داخل المنزل يبدو كل شيء مقفلاً وثقيلاً كأنه نعش. يزعجني الظلام، فأفتح الستائر والنوافذ. تبدو النوافذ متسخة، فأقوم بخلط بعض الماء الدافئ

مكتبة

بقليل من الخل وعصير الليمون في دلو وأبدأ بتنظيفها بقطعة قماش قديمة. الطقس في أواخر الخريف يكون بارداً ورطباً، لذلك فإن جهودي في التنظيف لن تعطي مفعولاً كبيراً، ولكنني أتابع العمل على أية حال.

نسيم خفيف، ممزوج برائحة الليمون المنبعثة من دلو التنظيف، يمنح المنزل رائحة عذبة، كرائحة طفل بعد الاستحمام. تلك الفكرة تجعلني أبتسم لا شعورياً. فما الذي أعرفه بشأن رائحة الأطفال بعد الاستحمام، ولم يسبق لي وأن حممت طفلاً من قبل؟

و بينما أنهمك بالتنظيف، أرى فريدا قادمة باتجاه المنزل. لا اتوقع قدومها، ولكنه لا يفاجئني. فهي تعلم أنني سأكون هنا أقوم بالتنظيف، وحتى في أيام العطل، كنا كثيراً ما نقضي جزءاً منها على الأقل معاً.

انحني خارج النافذة وأناديها عندما تقترب؛ فتلوح لي وتسرع خطواتها بينما تقفز من الرصيف نحو الممر المؤدي إلى المنزل. أترك مكاني لأرحب بها.

أقول لها وأنا أضمها من كتفيها بقوة: "كيف حالك يا أختاه؟".

تقول وهي تضمني: "ممتازة"، ثم تتركني بعد لحظة وتتابع: "في الواقع أنا أستمتع بمنظر الغيوم. أليس غريباً كيف تغير الطقس بعد كل تلك الأيام المشمسة"؟ تتابع من دون توقف "انظري لقد اشتريت أفضل تفاح في العالم" وتغوص يدها في حقيبتها الجلدية الرمادية الضخمة ثم تخرج تفاحتين بلون أخضر مشرب بالحمرة. "هل رأيت من قبل شيئاً بهذه الروعة"؟

أهز رأسي قائلة: "رائعة!" تعطيني واحدة منها ونجلس على الأريكة جنباً إلى جنب نستمتع بمذاقها.

تسأل فريدا "هل الجميع مستعد للعودة العظيمة؟".

فابتسم قائلة "كم هو مثير للشفقة؟ أنا في الثامنة والثلاثين من عمري، ولا زلت أشعر بالفرح لأن والديَّ عائدين إلى المنزل من إجازتهما".

تهز كتفيها وتقول: "لا أرى ذلك مثيراً للشفقة. بل أجده لطيفاً في الحقيقة".

مكتبة

فريدا ليست مقربة إلى والديها كما هو حالي. ولا يعني هذا الأمر أن علاقتها بـ (مارجي ولو) غير جيدة؛ إنما هي لا تجد الكثير من الأشياء المشتركة بينها وبينهما. لم تتفهم مارجي رغبة فريدا بأن تصبح سيدة أعمال على الإطلاق. كانت مستاءة لأن فريدا لم تنجح بالحصول على "زواج لائق" من شاب مناسب ذو سمعة حسنة من أعلى طبقات المجتمع؛ تقدم الكثيرون لخطبتها على مر السنين، وكان والداها مستعدين للترحيب بأي واحد منهم وضمه إليهم كفرد في عائلتهم.

قالت مارجي في أكثر من مناسبة: "هذا ليس صواباً، فتاة جميلة مثلك، فتاة تمتلك كل ما تملكين، تضيع نفسها في محل صغير كهذا" لم تكن مارجي تقول ذلك بشكل مباشر، ولكنه من الواضح لي أنها كانت مشغولة التفكير فيه طوال الوقت.

أما بالنسبة إلى "لو"، فهو مهتم أكثر بأبنائه وعائلاتهم، وخاصة أحفاده، أكثر من عالم فريدا المتعلق بالكتب. كان "لو يلعب كرة القدم أيام الجامعة، حتى أنه كان يلعب ظهيراً خلفياً في فريق "بيرز"، أول فريق كرة قدم محترف في دنفر، قبل أن يعتزل الرياضة الاحترافية ويصبح رجل أعمال. أما في التجمعات العائلية، فستجده غالباً مايزال في الباحة يلعب الكرة مع الأولاد. حياة فريدا التي كانت تتركز بشكل أساسي حول المحل، والكتب، وحولي، كانت منطقية، نوعاً ما، بالنسبة إليه. لم يكن لدى فريدا سوى طريقة واحدة لمحاولة الدمج بين هذين العالمين وذلك عبر إحضار كتب له عن الرياضة أو الصيد؛ كان يشكرها عليها بمودة ثم يأخذها ويتنحى بها جانباً. أخبرتني فريدا أنها وجدت تلك الكتب بعد ذلك مرتبة بعناية على رف الكتب في بيت والديها، مغطاة بالغبار.

برغم كل ذلك – كان لديهم الكثير من المال ليعوضها. ما كنا حققنا شيئا أصلاً، من دون ثروة والديها.

عندما افتتحنا مكتبة "الأخوات"، قدم والديَّ لنا مبلغاً صغيراً من المال، إذ

مكتبة

أن حجم مدخراتهما كان ضئيلاً. كان المبلغ عبارة عن بادرة لطف أكثر من أن يكون قوة تحدث تأثيراً اقتصادياً. لكن مساهمة والديّ فريدا كانت، فعلياً، من استطاع مدّنا بالدفع للانطلاق. أتذكر اليوم الذي وقعنا فيه على أوراق قرضنا، أتذكر جلوسي في المصرف إلى جانب فريدا، ووالدها إلى الجانب الآخر، الضابط المشرف على القرض يحدق بعينين واسعتين فوق مكتبه أمامنا قائلاً "إذاً يا (لو) أنت تقبل المراهنة على هاتين الفتاتين. هل أنت متأكد من أنها فكرة صائبة"؟ ثم لوى فمه بشكل مفتعل، ولكنه كان يمزح بالتأكيد؛ وفي نفس الوقت،أنا متأكدة أنه كان يظن بأنها فكرة غير صائبة على الإطلاق.

أجاب لو بخشونة: "زوجتي تتفق معك في الرأي، ولكن دعنا نقوم بذلك على أية حال".

كنا نسدد قرضنا بالتزام كل شهر، إلا أننا كنا نتأخر أحياناً بالدفع بسبب نقص بسيط في السيولة النقدية. سددنا نقود والدينا أنا وفريدا، حالما تمكننا من ذلك. ومن بعد ذلك لم نعد نسأل من أحد فلساً آخر. لم يكن والداي يملكان فائضاً من المال، بينما والدا فريدا كانا موسرين ولكن أموالهما كانت تشعرها بعدم الارتياح. كانت تعتبر أنه من الأفضل لنا لو أسسنا عملنا بالاعتماد على أنفسنا بدلاً من الاعتماد عليهما.

"هذه المرة فقط" أتذكر ما همست لي أثناء مغادرتنا المصرف في اليوم الذي حصلنا فيه على القرض، بينما يسلم والدها على موظف البنك وراءنا. "هذه المرة فقط يا كيتي. لن تتكرر أبداً".

في مرة من المرات منذ عدة سنوات، عندما كنا نواجه بعض الصعوبات المادية في أمور المكتبة المالية. كان ذلك بعد فترة قصيرة بعد تغيير خط الحافلة؛ لاحظنا نقصاً حاداً في المدخول وارتفاعاً في مستوى الدين. أتذكر أنني سألت فريدا إن كانت تنوي أن تطلب من والديها قرضاً آخر، وقد هزت رأسها بالرفض وقالت بحزم: "سنجد حلاً آخر، ينبغي علينا أن نفعل

يمكننا اعتبار الأمر صدفة أو قدراً ما، لا يمكنني معرفة ما كان – ولكن

مكتبة

بعد ذلك بمدة وجيزة، توفيت جدتي لأمي، تاركة لكل حفيد من أحفادها، ومن ضمنهم أنا، ألف دولار.

ذلك المبلغ ساعد المحل ليبقى واقفاً على قدميه، وسمح لنا بإكمال القرض والدفع لـ برادلي أجرة الشهرين الذين ندين له بهما. وأعدنا تنظيم أسهمنا، ونشرنا بعض الاعلانات في الصحف المحلية، وقد أسعفنا القليل من الحظ العابر – فقد افتتح محل لبيع الشطائر قريباً من المحل، بالإضافة إلى مطعم كامل الخدمات، في المربع السكني المجاور. هذين المنشأتين جلبا علينا زبائن جدد، وقد أصبح بعضهم زبائن دائمين. لحسن الحظ، كنا قادرين على المحافظة على تجارتنا. كما أن ميراثي الصغير، وفر على فريدا الحاجة لطلب المال من والديها. لقد كانت ممتنة لذلك، أعلم ذلك. "سأفعل أي شيء لأمنع نفسي من حاجتي للاعتماد عليهم" أخبرتني مرة. "أي شيء سيساعد"

فوق منضدة البيع في المكتبة، كانت تمسك يدي بين يديها بإحكام، وتدلك أصابعي بين أصابعها. ثم قالت: "شكراً لك يا كيتي

والآن، في منزل والديَّ، كنت منهمكة بقضم تفاحتي، وأسأل فريدا "هل تذكرين أني أكلت لوحاً من الحلوى؟ البارحة؟ ولربما اليوم الذي قبله"؟

فتهز رأسها وتقول "ما الذي تتحدثين عنه"؟

"لوح من حلوى هيرشي   أسمع الإلحاح في نبرتي يبدو أحمقاً وغير منطقي، وأتابع "لوح من حلوى هيرشي بالحليب والشوكولا. هل أكلت واحدة منها أمامك، في وقت ما من اليومين الماضيين"؟

تبتسم فريدا وتأخذ قضمة أخرى من التفاحة. وتقول "بصراحة لا أذكر شيئاً كهذا".

"ما الذي تذكرينه إذاً"؟ أسأل مستفسرة. "ما الذي تتذكرينه من اليومين الماضيين"؟ ألقي نظرة في أرجاء غرفة معيشة أمي المألوفة – الكراسي المخملية المتداعية، ولكنها مريحة، الطاولات الجانبية ذات الطراز الفيكتوري

مكتبة

المخدوشة ولكنها مرتبة، والسجادة الرثة. ثم أكمل "لأنني لا أستطيع تذكر شيئاً.

فريدا تهز كتفيها وتقول: "لقد أتيت إلى منزلي، وقد شاهدنا التلفاز طوال نهار البارحة. أنت تذكرين هذا، أليس كذلك"؟ ثم تبتسم وتقول "أرجوك اخبريني بأنك تتذكرين أن بلادنا لم تعد مهددة بهجوم نووي مباشر

أومئ وأقول "أتذكر ذلك. ولكن لا شيء آخر. ما الذي فعلناه يوم السبت، أو الجمعة؟ أو منذ عدة أيام قبل ذلك؟ لا أذكر شيئاً منذ التقينا مصادفة بـ كيفين تلك الليلة"

فريدا تجلس قبالتي وتسألني بهدوء "هل أنت بخير يا أختي"؟

ومن جديد أجد نفسي لا أستطيع مقاومة ميلي إلى إخبارها بكل شيء. كل شيء عن الأحلام، عن الذكريات المختلطة. ولكنني لا أستطيع. أهز كتفي وأجيب "بالتأكيد أنا بخير. دعينا نتكلم بشأن شيء آخر تحدق فريدا في أرجاء الغرفة وتقول "يبدو المكان في حالة جيدة".

أتأوه وأقول "لا زال أمامي ساعات من العمل فتهز رأسها وتقول "لا، إنه يبدو جيداً. سيكونان مسرورين" ثم تبتسم من جديد وتتابع "تعلمين أنهم لن يهتما، أليس كذلك"؟

انا أعلم ذلك فعلاً. ولكن هناك شيء ما يتعلق برغبتك بإسعاد والديك، حتى عندما تكون راشداً، حتى وإن كنت في منتصف العمر، شيء لا يختفي أبداً، على الأقل بالنسبة إلي.

فريدا تقضم ما تبقى من تفاحتها. "حسناً لقد انتهيت" تقول واقفة. "علي أن أذهب للقيام بالتسوق. هناك تنزيلات في محلات "بيني . أحتاج إلى معطف جديد للشتاء".

أومئ وأقول "أتمنى لو كان بإمكاني مرافقتك. استمتعي بوقتك". فتعانقني قائلة "وأنت أيضاً أختاه"

بعد مغادرة فريدا، أتابع عملي بحماس، وبحلول منتصف الظهيرة يبدو

مكتبة

المكان نظيفاً تماماً. أنظر حولي وابتسامة رضا على وجهي. لقد قمت بعمل جيد. سيكونون سعيدين بذلك.

أفكر في ذلك البيت الخرافي في شارع "سبرينغفيلد". أتساءل كيف تستطيع نسختي الأخرى أن تحافظ على نظافته، حتى بوجود "ألمى المتفانية في المساعدة على هذا الأمر. ثم أضحك قليلاً. من السهل أن يبقى بيت خيالي نظيفاً، أليس كذلك؟

وعلى الرغم من عزمي على عدم الخوض في حياة الأحلام، أجد نفسي منساقة إلى التلال الجنوبية مجدداً. أقنع نفسي بأنه مجرد شيء أفعله، لتمضية أمسية تبدو باردة ولكنها ليست شتوية بعد. أقود دراجتي نحو المنزل انطلاقاً من بيت والديَّ، وخوفاً من بذل المزيد من المجهود، استقليت الحافلة ونزلت في "ييل ثم مشيت باتجاه الجنوب ومن ثم إلى الشرق.

أتمشى ببطء خلال الشوارع المجاورة. وأتخيل الناس الذين يقطنون في كل من تلك البيوت. وأفكر في حياتهم، وعائلاتهم، وأطفالهم.

ذلك المنزل هناك، ذو القرميد الأحمر مع أشجار العرعر على طول الممر، لا بد أن لديهم أولاداً مراهقين. هناك شبكة كرة سلة معلقة فوق باب المرآب، وكومة من الدراجات – بدت كلها كبيرة على أطفال صغار– ملقاة على العشب تحت الشرفة الأمامية. العائلة موجودة في المنزل ذي الأبواب البنية – أفكر بسيارتهم لا بد وأنها من الطراز الحديث. إنها حمراء بسقف أبيض، وتتوهج وكأنها خرجت من صالة العرض لتوها. يقف رجل المنزل بجانب السيارة، يمسح على لوحتها الجانبية بمودة، بالطريقة التي قد يداعب به وجنة طفل رضيع.

هؤلاء الناس يملكون أسماءً، حتى لو كنت أجهلها. يملكون تاريخاً. قد يكونون ممن نشأوا في الأحياء القديمة مثل "ميرتل هيل حيث نشأت. وارتادوا المدرسة الثانوية، ولربما ذهبوا إلى الجامعة. لقد التقوا بأزواجهم أو زوجاتهم؛ وأنجبوا أطفالاً. وهم قرروا بأنفسهم أن هذا الحي ببيوته المبنية

مكتبة

حديثاً سيكون مريحاً، دافئاً وآمناً لتربية أولا دهم فيه. لا بد أنني ولارس، قد اتخذنا ذات القرار، في ذلك العالم الخيالي.

في حال كان ذلك العالم الخيالي حقيقياً، فقد يكون هؤلاء الناس هم أصدقائي وجيراني. أمشي باتجاه منزل آل نيلسون، ممتنة لأنني أعرف على الأقل اسم عائلة واحدة منهم، برغم أنهم لا يعرفونني في هذا العالم، لكن هذا الإمتنان غير منطقي. جورج في الفناء يكنس أوراق الأشجار. السيدة نيلسون – لا أزال أجهل اسمها الأول – تطل خارجة من الباب الأمامي، تحمل حقيبتها على معصمها، الذي تتدلى منه مفاتيح سيارة. كلبهم الاسباني الصغير يركض نحوي ويبدأ بالنباح.

يناديه جورج "باستر"، فيعود الكلب نحو سيده. يقول جورج".أعتذر عن ذلك، سيدتي

يلوح لي كل من جورج وزوجته بنصف تحية بينما أمر من جانبهما. تلك التحية من النوع الذي نحيي به الغرباء. وليست تلك التي تؤديها لجيرانك.

أهز رأسي بينما أقترب من الفسحة الخالية التي من المفترض أن يكون فيها بيتي. ومن ثم أسرّع خطواتي.

علي أن أخرج من هذه السخافة، أقول ذلك لنفسي.

أشعر بسعادة كبيرة لعودة والديَّ من السفر. من الواضح أنني أحتاج إلى ما يشتت انتباهي.

مكتبة

الفصل الحادي والعشرين

ثم بعد ذلك، أجد نفسي واقفة في الطريق، تماما حيث كنت أقف في الحياة الواقعية، في البقعة ذاتها، ولكنها لم تعد الحياة الحقيقية بعد الآن.

المنزل أمامي الآن، وأنا أنظر إليه، وعائلتي معي. الطقس يميل للدفء، ومع ذلك لابد من أنه فصل الشتاء، لا أرى الثلج على الطريق إلا أنه يذوب في برك موحلة فوق العشب. زاوية انعكاس الظلال على الثلج تجعلني أخمن أن الوقت قد يكون منتصف الظهيرة.

ولكن، كيف بدأت أحلم هذه المرة؟ لا أتذكر أنني ركبت الحافلة وصولاَ إلى الحي الذي يقع فيه منزلي. ليس في ذاكرتي قيامي بإعداد العشاء، أو القراءة قبل النوم، أو مشاهدة التلفاز، ولا القيام بتدريس غريغ، تلك الأمور التي أقوم بها عادة مساءً في المنزل. ولا أتذكر إطفاء مصباح الشرفة، أو إطعام أصلان، ولا حتى ارتداء ملابس النوم. لا أذكر إغلاق عينيّ، ولا غرقي في النوم، لكن لا بد وأنني قمت بكل هذه الأمور. أو أنني فعلت شيئاً ما. شيئاً ما.

ميتش وميسي يقودان دراجتيهما، ذات العجلتين، بارتباك، الخضراء لميتش والوردية لميسي. لارس يمشي إلى جانبيهما يساعدهما، الواحد تلو الآخر، على تعلم قيادتها. أعتقد أن عجلات التدريب أزيلت حديثاً، لأن الولدان مازالا يقعان كثيرا. تسقط ميسي أرضاً على مرفقها وتصرخ متألمة، يسرع إليها لارس قبل أن يتسنى لي الوقت لأقوم بأي ردة فعل. ينحني لارس ليساعدها على النهوض. يقوم بتحريك ساعدها برفق، للأمام والخلف عدة مرات ليتأكد من أن أداء مرفقها طبيعي. يقول لها "لا تستسلمي، الأمر يتطلب

مكتبة

الكثير من التدريب "يعدّل وضع الدراجة، ويساعدها على ركوبها.

يبتسم لارس وعينه في عيني. ثم يتحول جانباً ويأرجح ذراعه، كما لو أنه يضرب كرة تنس. أفعل الشيء نفسه تلقائيا، أتحول جانباً أيضا. لارس أعسر وأنا أستعمل اليد اليمنى، لذلك نشكل فريقاً كشريكين، كما لو كنا نلعب زوجي ضد زوجي منافس وهمي. أدرك فجأة أنني ولارس نقوم بهذه الحركة الإيمائية من وقت لآخر. هي طريقتنا الصامتة في التواصل لنخبر بعضنا بأننا فريق واحد ليس في لعبة التنس فحسب بل في كل شيء. أومأت برأسي إليه، فأعاد انتباهه إلى ميتش وميسي.

عندها ألاحظ أن مايكل لا يركب دراجته. إنه يجلس في ممر السيارة يحدق في نسيج سرواله المتجعد، وإلى جواره تقف دراجة هوائية زرقاء للفتيان ولا تزال عجلات التدريب مثبتة عليها.

أقف للحظة، ثم أمشي وأجلس بجانبه. أتردد عند سؤاله: "مايكل؟ ألا تريد أن تركب دراجتك"؟ يهز رأسه بالنفي دون أن ينظر إلي. أقول له بلطف "أنت تعرف أنه بإمكانك أن تحاول،" أعرف أنه لا يستطيع القيام بكثير من الأمور لكنني واثقة من أنه يستطيع تعلم ركوب الدراجة.

يهز برأسه مجدداً دون أن يجيب أو دون أن ينظر في عيني.

أتحقق من دراجته. إنها جميلة وتبدو أنها من ماركة حديثة، لا تزال لامعة دون أي خدش فيها. أذكر أن عيد ميلاد التوائم الثلاثة في تشرين الثاني. ربما كانت هذه الدراجات هدايا عيد ميلادهم عندما أصبحوا في السادسة من العمر.

ألقي نظرة سريعة إلى الخلف، إلى المرآب المفتوح، ببابه المزدوج، وأقول لمايكل "سأعود على الفور ثم أنهض وأنفض تنورتي.

أذهب إلى المرآب وأنظر حولي. سيارة الدفع الرباعي مركونة هنا؛ وكذلك الكاديلاك. إنه مرآب كبير، يتسع لجزازة العشب، الزلاجات، والدراجات بالإضافة إلى السيارتين.

أجد دراجتي بسهولة. انها نفس الدراجة الحمراء القديمة التي أمتلكها

مكتبة

في الحياة الحقيقية. أظن أنه في مرحلة ما أثناء زواجنا، عرض لارس شراء دراجة جديدة لي. ولكنني رفضت هذه الفكرة بشدة. قد يكون قادرا على أن يشتري لي سيارة وملابس جميلة وخاتم من الماس، ولكن هذه دراجتي، وقد رافقتني لفترة طويلة. اشتريتها خلال الأيام الأولى من ممارستي مهنة التدريس، حتى أقودها إلى المدرسة. لم أكن قادرة على التخلي عنها بلامبالاة.

أخرج الدراجة وأقودها في الممر وأقف أمام مايكل وأقول له "ستركب ماما الدراجة معك" ولكنه لا يرد.

أدرك أن عليَّ تركه وشأنه ولكنني لا أستطيع ذلك ببساطة، يبدو هذا مهماً للغاية بالنسبة إلي لأسباب لا أستطيع فهمها، من المهم أن ينشأ هذا الرابط بيننا. أن يركب الدراجة برفقتي. أن يصبح ركوب الدراجة هو الأمر الذي يجمعنا معاً. مددت يدي إليه محاولة إيقافه.

كان من المفروض أنني بت أفهمه بشكل أفضل بعد مرور كل هذا الوقت!

صرخ مايكل، الأمر الذي جعلني أرجع للوراء وأنزل عن الدراجة وأضع يدي على فمي، كما لو أنني بذلك سأتمكن من كتم الصراخ الصادر عنه. توقفا ميتشي وميسي عن القيادة وأخذا يحدقان بنا بقلق. توجه لارس نحونا وهو ينظر إلي. "كنت آمل... ظننت أن بإمكاني إقناعه. رحت أدافع عن نفسي. انحنى لارس وأمسكه من كتفه وبدأ يدندن.

بعد لحظات يتوقف مايكل عن الصراخ ويأخذ بالدندنة مع لارس حتى يصبحا في عالمهما الخاص. عالم لا يوجد فيه أحد آخر غيرهما.

أبتعد وأنا أعض على شفتي.

أمسك دراجتي وأتوجه نحو ميسي وميتشي وأقول لهما "سيهتم بابا بمايكل ثم أقول وأنا أركب دراجتي:

"خلني أرى ما يمكنكما القيام به".

مكتبة

مكتبة

الفصل الثاني والعشرون

لدي موعد في صالون الشعر مع لينيا يوم الأربعاء بعد الظهر.

أثناء سيري باتجاه الصالون،أسأل نفسي كيف انتقلت من يوم الاثنين إلى الأربعاء. ومرة أخرى، كما كان الحال قبل بضعة أيام، عندما لم أكن أتذكر انتقالي من منتصف الأسبوع الماضي إلى بداية هذا الأسبوع، لا أتذكر الكثير من التفاصيل. لا أستطيع أن أتذكر العودة إلى سريري بسلام من حلمي الأخير وركوب الدراجات مع الأطفال. لا أتذكر الاستيقاظ صباح يوم الثلاثاء. في الواقع، لا بد من أنني استيقظت وقمت بإعداد الإفطار وإطعام أصلان. لا بد أنني ذهبت إلى المحل لأعمل. كان هناك عملاء. ولابد أنه كانت هناك طلبات كتب وترتيب للرفوف، ولابد من أنني تحادثت مع فريدا. ماذا ناقشنا؟ أنا لا أتذكر. أعتقد أنه كان هناك المزيد من المحادثة حول المساحة الشاغرة في مركز التسوق. أعتقد أننا تحدثنا عن الأمور المالية، في محاولة لمعرفة كيف نحل مشاكلها. هل قررنا تحديد موعد مع البنك للتحدث عن تمديد قرضنا؟ ربما فعلنا، ولكن لا أستطيع أن أذكر أي تفاصيل حول تلك المناقشة.

أشد ياقة معطفي حول رقبتي بإحكام، لأحمي نفسي في هذا اليوم العاصف والملبد بالغيوم، وأنا أنتظر تغير الإشارة الضوئية حتى أتمكن من عبور الشارع. أدرك أن ضياع بعض الذكريات يجب أن يقلقني، ولكن عندما أفكر ملياً أدرك أيضاً كم هو قليل عدد اللحظات الفعلية، سواء أمس، الأسبوع الماضي، قبل شهر، في العام الماضي -التي أستطيع بالفعل أن أتذكرها بتفاصيلها. في الواقع،مانتذكره من تفاصيل حياتنا قليلٌ جداً، حتى

مكتبة

أهم التفاصيل.

ويخطر في بالي وأنا أعبر جادة جويل في برودواي، فكرة أن الحياة ليست عبارة عن تفاصيل، ولكنها هي الأحداث المهمة. هل يمكنني أن أتذكر ما كان طعام الغداء يوم الخميس الماضي؟ هل يمكنني أن أتذكر كل كلمة من أحدث جلسات الدروس الخصوصية مع غريغ؟ هل أذكر كيف كان الطقس قبل ثلاثة أسابيع يوم الأحد؟ بالتاكيد لا. كل شيء يتبخر فحسب، التفاصيل الكبيرة والصغيرة، والبعض منها يبقى في أذهاننا، ولكن الكثير من ذلك يختفي بعد حدوثه بلحظات.

أفتح باب صالون التجميل في برودواي وأتوجه إلى الداخل.

تقف لينيا في ركنها في المحل وتحيني بابتسامة. "من الجميل أن نراك مرة أخرى، كيتي. أنا آسفة لأنني لم أزر مكتبتك حتى الآن".

أنا حقا أريد أن أراها، تلمس شعري بلطف، تعبس لي في المرآة.

"يا إلهي، يجب أن تأتي إلى هنا لأصفف شعرك مرات أكثر، إذا لم يكن لديك مانع في قولي ذلك. "أبتسم لها: "لا أمانع أبداً، أنت محقة، يجب أن أكثر من مرات زياراتي لك"

بعد أن تغسل شعري، تشرع في عملها مع بكرات تصفيف الشعر. أستند إلى الخلف وأشعر بالاسترخاء. اليوم هو عيد الهالوين، زينت لينيا ركنها بقطة ورقية سوداء ثبتتها على المرآة وزبدية من صناديق صغيرة باللون الوردي والأبيض ملأتها بالحلوى ووضعتها على منضدة مستحضرات التجميل.

أشاهد يدي لينيا في المرآة، تلك الأيدي الجميلة التي تذكرني بيدي لارس. أريد أن أمسك بهما، لكن علي بإمساك يدي ببعضهما، كما لو كنت في الصلاة، للسيطرة على نفسي. إن لمسها لي يعطيني شعوراً رائعاً

"لقد قمتِ بالخطوة الصحيحة، عندما قررتِ العمل في مجال يحتاج منك استخدام يديك". يبدو كلامي سخيفاً لحظة أقول ذلك، أطبق فمي وأنا أشعر بالحرج. تبتسم لينيا وتقول: "ياه، لدي أيدي الفلاحين القوية، أقوم

مكتبة

بالكثير من العمل الشاق على مر السنين. عندما انتقلنا لأول مرة إلى كولورادو أنا وأخي لارس... كنا أطفالاً، لم نكن نملك شيئاً، قبلنا بأي عمل أتيح لنا. غسل الصحون، تقشير البطاطا والعمل في المخبز". عمل في رصف القرميد لفترة من الوقت، وبعد ذلك حصل على وظيفة في تصليح السيارات. وقام بدفع تكاليف الدراسة في الكلية من خلال القيام بهذا العمل". رفعت حاجبيها "كان لارس عاملاً حقيقياً. كان يقدر على إصلاح أي شيء، وبناء أي شيء. لقد أحبَّ العمل بيديه".

هززت رأسي. على الرغم من أنني لم أشهد ذلك مباشرة، إلا أنني أستطيع أن أتصوره. أستطيع أن أتخيل كيف، إن أتيح له الوقت والإمكانية، فإنه بإمكانه بناء وإصلاح الأشياء.

ثم يخطر لي شيء آخر. ذكرى، أو فكرة، أو شيء قد اختلقته. ليس لدي أي فكرة من أين يأتي، ولكنني حين أعرف أمراً فأنا أعرفه وحسب.

من الطبيعي أن يكون لارس قد صمم منزلنا المميز، بالتأكيد، نظرا لمجال عمله وحماسه للتصميم السكني المميز، لا بد من انه قد فعل ذلك. لكنه أيضا قام بتنفيذ جميع أعمال النجارة في منزلنا. خزانات الحمام المائلة، وتلك الخزائن ذات السطح اللامع في المطبخ، لارس صنع كل تلك الأشياء بنفسه.

لا أعرف كيف أعرف هذا، ولكنني أعرف. أغمض عيني، تاركة انعكاسات وذكريات من حياتي المختلقة تغلف ذهني.

في بداية زواجنا، تخليت عن شقتي الدوبلكس، وتخلى لارس عن شقته وهي عبارة عن استوديو صغير، وانتقلنا معا إلى شقة فيها غرفتي نوم في شارع لينكولن. بحيث استطعت السير إلى مكتبتي من مكان سكننا الجديد، وتمكن لارس من استقلال خط برودواي إلى المكتب الذي استأجره وسط المدينة، من أجل شركته المعمارية الجديدة. كانت الشقة مؤقتة، أكد لي ذلك، إلى أن يبدأ عمله بجني الأرباح. "عندها سأبني لك بيتا"، قال لي، وهو ينظر حوله في أرجاء غرفة المعيشة المشرقة رغم صغر مساحتها: "سأبني لك منزلاً رائعاً،

مكتبة

كاثرين"

كانت الشقة القائمة في شارع لينكولن هي المكان الذي قضيت فيه فترة راحتي في السرير، وهي المنزل الذي أحضرنا أطفالنا المواليد إليه عندما أصبحوا على استعداد لمغادرة المستشفى. بعد مفاجأتنا بالحصول على ثلاثة توائم بدلاً من اثنين، بدل لارس غرف النوم على عجل، ونقل سريرنا المزدوج وخزانة الملابس الضخمة إلى غرفة النوم الصغيرة التي كنا قد حضّرناها بشق الأنفس كغرفة لصبي وفتاة قبل أشهر. أتذكر الجدران الصفراء الشاحبة، وتهويدة الأطفال التي استأجرت أحد أصدقاء والدتي الفنانين ليرسمها لوحة على جدار غرفة المواليد، في المكان الذي وضعنا فيه منضدة تغيير الحفاضات. كانت غرفة جميلة، وكافية لطفلين، لكنها كانت صغيرة جدا على ثلاثة أسرَّة، وثلاثة من كل شيء آخر سيحتاج إليه التوائم الثلاثة. اختار لارس سريراً آخر من (غايس آند دولز)، متجر أثاث الأطفال الذي اشترينا منه السريرين الآخرين سابقاً. ركَّبنا الأسرة الثلاثة، منضدة التغيير، والكرسي الهزاز في الغرفة التي كانت سابقاً غرفة نومنا. قيلَ لي أنه هو من أجرى هذه التغييرات، ولكني أتذكر شعوري بالإحباط عندما خرجت من المستشفى مع التوائم، ورؤيتي الترتيب الجديد. لم يكن هناك وقت لإعادة الطلاء؛ كانت جدران غرفة نومنا باللون البنفسجي الفاتح الراقي الذي تناسب بشكل رائع مع مفرش سريري، ولكنه لم يكن مناسباً لثلاثة رضع على الإطلاق. على الرغم من أن أثاث الأطفال كان مناسباً في الغرفة، إلا أن المساحة المتبقية كانت ضيقة، وكان علينا أن نمشي بشكل جانبي لنتمكن من جلب ميتش من سريره.

وكان ترتيب غرفة نومنا الجديدة أنا ولارس لا يقل غرابة، فالصور الجدارية الملائمة لغرفة الأطفال لاتبدو طبيعية في غرفة نوم للبالغين، وبالطريقة التي اضطررنا فيها إلى ترتيب المفروشات وفقها، جعلت اللوحة الجدارية لغرفة الأطفال فوق سريري بشكل مباشر فكان آخر ما أراه قبل أن أغمض عينيَّ المرهقتين هو صورة البقرة التي تقفز فوق القمر. ولكننا كنا

مكتبة

متعبين ومجهدين لدرجة أننا لم نفعل شيئاً حيالها. فقد كان كل ما بإمكاننا فعله هو أن نمرِّر كل يوم بيومه، وكل ليلة على حدى.

في غضون أشهر كنا نقفز فوق أغراض الأطفال في كل مكان في الشقة. لم يمض وقت طويل حتى احتجنا إلى ثلاثة كراسي عالية وثلاث عربات لمشي الأطفال. وضعنا على عربة الأطفال - التي كانت كبيرة بشكل يكفي لطفلين معاً، جنباً إلى جنب، مع طفل ثالث يوضع معهم بعكس وضعيتهم - في غرفة المعيشة، بحيث يكون الوصول إليها أسرع من أن نحتفظ بها في المخزن الخلفي. قبل ذلك، في الأيام الساذجة عندما كنا نظن أننا سنحصل على طفل واحد فقط، كان لارس قد صنع مهداً خشبياً جميلاً، مصقولاً بعناية. احتفظنا به أيضاً في غرفة المعيشة، وقد شكل مكاناً مفيد لوضع طفل واحد عندما تكون ذراعاي مشغولتين بحمل الاثنين الآخرين.

أما أصلان المسكين فقد كان يختبئ في أي مكان يستطيع فيه البقاء بعيدا عن المعركة. كنت أنسى إطعامه في بعض الأحيان، وكان يبدأ بالمواء بصوت عال في أذني ليلاً عندما كنت أغفو أخيرا. كان من الأفضل له لو أنني أعطيته إلى امرأة لطيفة غير متزوجة، كما كنت سابقاً، مما يتيح له استئناف الحياة الهادئة التي اعتادها من قبل. لكن فريدا كان عندها حساسية من القطط، ولم أكن أعرف أي شخص آخر يمكن أن يأخذه. لذلك احتفظنا به، وكنت آمل ألا يغضب مني بشدة إلى درجةٍ تدفعه ليهرب.

"نحن بحاجة إلى ذاك المنزل،" قلت عندما بلغ أطفالنا عمر الثلاثة أشهر، "نحتاج ذاك البيت لارس، نحتاجه سريعاً"

كنا نرضع الأطفال زجاجات الحليب قبل النوم. كنت أمسك بميسي وكان لارس يهتم بمايكل. أنهى ميتش رضاعته وغط في النوم ملتفاً على نفسه في المهد، في غرفة المعيشة المزدحمة.

أومأ لارس برأسه "كنت أفكر بذلك" "أعلم أننا كنا ننوي تأجيل ذلك لفترة ولكنني لا أعرف كيف سنستطيع ذلك، إذا لم يكن بإمكاننا بناء المنزل الآن

مكتبة

فيجب علينا شراء واحد والعمل على بناء منزل جديد خلال عدة سنوات".

هز لارس رأسه بحزم "لا شيء يناسبنا" قال: "نحتاج فقط إلى إيجاد قطعة أرض ملائمة" بدت نظرته متأملة "وسنعرف أنها مناسبة عندما نراها". بدا حالماً، غرقت عيناه الزرقاوان في بحر الخيال. أجبته بنبرة مترددة، غير راغبة بمقاطعة أحلامه "ولكن هل بإمكاننا تحمل التكاليف"؟

هز كتفيه، ثم أضاف "يمكننا، اذا قمنا بذلك بالطريقة الصحيحة. لا ينبغي أن يكون المنزل كبيراً جداً. ينبغي أن يكفي حجمه لتربية هؤلاء الصغار الثلاثة فيه بشكل مريح..." قلت:"ومع ذلك، ينبغي أن يكون بيتاً بتصميم خاص قاطعني وهو ينظر إلى ميتش: "أشياء أستطيع عملها بنفسي. لقد صنعت ذلك المهد، أليس كذلك"؟

لم أرغب في أن أثنيه عن عزمه ولكن صنع المهد لا يشبه أبداً بناء منزل.

تابع لارس قائلاً "لقد ساعدت والدي في البناء، في السويد، وعملت في البناء هنا أيضاً، في السنوات الأولى كان يتكلم بشرود. "لقد تخليت عن.... تلك المهارات لكني لا أعتقد أنني فقدتها إلى الأبد. إنها مثل ركوب الدراجة".

هذا جعلني أهز رأسي بحزن. لم يمض على ولادتي للتوائم الثلاث أكثر من بضعة أشهر، مضى قرابة العام ولم أركب دراجتي. ولكنها كانت لا تزال في مخزننا الخاص في البناء. لم أستطع أن أتخلى عنها أبدا.

سألته: "ماذا عن صمام قلبك؟ ماذا عنه؟ لا أظن أن عليك القيام بأية أعمال ثقيلة يا لارس "سأسلم الأعمال الثقيلة لعمال آخرين، سأقوم فقط بالأعمال الداخلية، أعمال التشطيب" رفع ميتش وأسنده إلى كتفه لكي يتجشأ. "سأقوم فقط بالأعمال الممتعة، أعدك". ابتسم لي "سأبني لك الحمام الأخضر الذي قلت أنك تريدينه في باريس

ابتسمت أيضاً وأنا أتذكر أنه لم يمض على شهر عسلنا سوى سنة ونصف، ولكنه يبدو كزمنٍ طويل.

نظرت إلى وجه ميسي الجميل. كانت عيناها نصف مغلقة، وقد سقطت

مكتبة

حلمة الزجاجة من فمها، وسال الحليب أسفل ذقنها. مسحتها بقطعة القماش الخاصة بالتجشؤ. همست: "أظن أنها قد انتهت". ضحك لارس. "ونهض على مهله هو الآخر، وقبل جبين مايكل. "حان وقت النوم، أيها الصغار".

بمجرد اتخاذنا القرار، قمنا بالبحث عن قطع أرض غرب وجنوب المدينة، حيث كان هناك الكثير من الإنشاءات الجديدة. استغرقنا بعض الوقت للعثور على قطعة الأرض المنشودة.

كان لارس يقول في أكثر من مرة: "لا أشعر أنها الأرض الصحيحة، لا ليس بعد"، في كل مرة، كنا نركب السيارة مرة أخرى بعد أن نمشي طويلاً في مساحات الأراضي الخالية. كنا نترك الأطفال في المنزل برعاية أمي وأبي. من يمكن له أن يرغب في أن ينوء بحمل ثلاثة أطفال رضّع في هذه الرحلات؟ الحمد لله على وجود والديَّ الشابين النشيطَّين، المستعدين للقيام بأي شيء من أجلي.

أتذكر عثورنا على العقار في شارع سبرينغفيلد. كنا قد بحثنا في العديد من الأراضي الأخرى في "ساوث هيلز"، ولكن عندما وجدنا شارع سبرينغفيلد، عرفنا تماماً أنه المكان المنشود بالنسبة إلينا. أحببنا موقع قطعة الأرض على مرتفع بسيط؛ وقال لارس أنه يمكننا بناء منزل من طابقين على قطعة أرض كهذه، الجزء العلوي من المنزل سيكون كعش إزاء التلة. لم يكن يفصلنا عن المدرسة الابتدائية العامة التي افتتحت حديثا سوى عدة أبنية. ولم يكن في الحي سوى عدد قليل من البيوت، ولكن هناك أحياء أخرى قيد الإنشاء؛ سنكون محاطين برفقة طيبة. قال لارس: "يمكن للأطفال أن يكبروا هنا". "هذا سيكون دائماً منزلهم قال، وهو ينظر في الأفق إلى المساحات الخالية بيننا وبين الجبال: "سيكون لديهم ما لم أحظ به طوال عمري".

أمسكت يده. كنت أرغب بشدة في أن يحظى بإمكانية إعطائه فرصة بناء شيء دائم، شيء يمكن أن يبنيه لعائلتنا، شيء يبقى إلى الأبد.

بمجرد أن قمنا بشراء الأرض، عمل لارس ليلة بعد ليلة على تصميم

مكتبة

المنزل. وقد انكب على الرسومات والمخططات في غرفة المعيشة الصغيرة في شارع لينكولن، يمر على كل التفاصيل. حاولت البقاء بعيداً عن طريقه، في المطبخ الصغير أو غرفة النوم، ولكن المرور عبر غرفة المعيشة كان ضرورياً بعض الأحيان لسبب أو لآخر. كلما مررت به، كان لارس ينظر إلي، وكانت عيناه تشعان بالحماس والحب.

كنا جميعا هناك في اليوم الذي حفر فيه لارس أول حفرة في الأرض، لارس وأنا والأطفال، والديَّ، متعهد العمل، وطاقم البناء. صفق الجميع عندما هدر صوت محرك الديزل الخاص بالحفارة ببدء العمل، وعندما تمت إزالة أول رفش من التراب لحفر قبو بيتنا.

أتذكر أن الجيران مروا بنا، عائلة نيلسون. جورج و....حسناً، زوجته اسمها إيفون؛ كيف يمكن أن أنسى ذلك؟ جاء جورج وإيفون من قبل وقاما بتقديم نفسيهما، وأشارا إلى منزلهما في نهاية الشارع. قالت ايفون، وهي تظهر الاهتمام والاعجاب بالتوائم: "يالجمال هؤلاء الأطفال". كانت شابة، خمّنت أنها في العشرينيات من عمرها، جميلة بشعر بني مموج، ذات رموش طويلة، وعينين زرقاوين مثل عيناي إليزابيث تايلور.

قالت أمي، وهي تداعب بطن ميسي: "أما بالنسبة إلي موضوع العائلة، فقد فازت كيتي— أقصد كاثرين— بالجائزة الكبرى. ابتسمت لها. كانت أمي العزيزة تبذل جهدها لتناديني كاثرين مع أنني سأبقى كيتي الصغيرة بالنسبة إليها. "لقد تحولت ابنتي المفعمة بالحماس من فتاة حرفية إلى أم لثلاثة أطفال خلال سنتين فقط".

أجفلتني كلمتها، قليلاً. كنت أعرف أنها تقصد خيراً، ولكن في ذلك الوقت لم أكن متأكدة من قصدها حين قالت "فتاة حرفية صغيرة" فقد كنت أدير عملي الخاص. كنت أعمل في المحل بدوام كامل، والدتي ومربيات أطفال متعددات قمت بتوظيفهن، كن يقمن على رعاية التوائم الثلاثة خلال ساعات عملي. ورغم محاولاتنا العديدة لتوظيف مربية بدوام كامل، إلا أن

أياً منهن لم تستمر في العمل لدينا، كن يغادرن بعد بضعة أيام، بحجة أن المهمة صعبة للغاية. في كل مرة، كانت والدتي تنزل عليّ من السماء وتقوم برعاية الأطفال إلى أن أتمكن من العثور على شخص آخر. لكن هذا العملية المتكررة كانت تثقل عليَّ وعلى أمي، وعلى الأطفال، وبالتأكيد على لارس، على الرغم من أنه لم يذكر ذلك على الإطلاق.

هذا عدا عن أن فريدا ضاقت ذرعاً بموقفي الضعيف حيال ما أردت القيام به لبقية حياتي. ولم أستطع أن ألومها، حقاً. قالت لي، في عدة مناسبات: "عليك أن تقرري" واضعة يديها على طرفي خصرها بغضب. عندما كان يتم استدعائي مرة أخرة من المكتبة إلى البيت بسبب أزمة في البيت: "عليك فقط أن تحسمي أمركِ كيتي، ماذا تريدين؟ لأنه، إليك الخبر العاجل، لا يمكنك الحصول على كل شيء في آن واحد يا أختاه!"

أخرجتني إيفون من هذه الأفكار الثقيلة: "ما زلنا نأمل في أن تباركِ حياتنا في يوم من الأيام بباقة من الفرح، كهذه... "، وقالتها بشوق وهي تمد إصبعها لتلعب، بلطف، في شعر ميتش الأشقر.

هززت رأسي وسألتها إذا كانت ترغب في أن تحمل ميتش، فحملته... بامتنان، كما لو أنها مُنحت هدية غير متوقعة. كافأها ميتش بابتسامة حلوة، قهقه، وسحب خصلة من شعرها الداكن بقبضته الصغيرة ثم أدخلها في فمه.

عندما عدت إلى شقتنا، في وقت لاحق، أتذكر أنني صلّيت – وكأنه دعاء إن كان هناك من يصغي – أن تُرزق ايفون بطفل قريباً. استُجيبت صلاتي بعد وقت طويل، وأنجبت "كيني بعد طول انتظار، لكنه أتى أخيراً.

أوه، الآن، بالنسبة إلي، كل شيء ينزل في مكانه المخصص. أتذكر كثيرا أنني لم أفهم التفاصيل من قبل. كيف يمكن أن أتذكر الأحداث من حياة لم تحدث في الواقع أصلاً؟

يعيدني صوت لينيا إلى الحاضر. قالت: "يا إلهي، كنتِ بعيدة في أرض الأحلام، وأنا كنت مشغولة مثل الأرنب هنا، وكنتِ على بعد مليون ميل في

مكتبة

أفكارك، سيدتي

مشغولة كالأرنب؟ ماهذا اللغز؟أنظر إليها نظرة متسائلة، ثم أتذكر كيف تخلط التعبيرات الأمريكية. لا بد أنها قصدت مشغولة كالنحلة.

تبتسم لينيا لي في المرآة بمرح وتربط منشفة من البلاستيك على رأسي. "مباشرة تحت مجفف الشعر، وبعد ذلك سأنهي تصفيف شعرك وأدعك تغادرين بسرعة البرق".

"لينيا". أمد يدي إلى كتفي وأمسك يدها الحارة والراسخة. تندهش في صمت.

قلت لها: "أردت فقط أن أقول... إنني تماماً... أنا آسفة،"

"آسفة على ماذا، كيتي"؟

"آسفة من أجل أخيك،" اتابع باستعجال. أنا بحاجة إلى أن أقول هذا، مهما بدا لها سخيفا. "أنا أشعر... لا أدري، لينيا، لا أعرف لماذا، ولكن أشعر أنني على صلة به، بك... وأنني تماماً...

أرخي نظري إلى الأسفل، ثم أعاود النظر في المرآة، فتلتقي أنظارنا.

"آسفة.... لم أقابله قط. ولكنه يبدو رجلاً رائعاً. أعتقد... أعتقد كان يمكن أن يحب أحدنا الآخر

تهز لينيا رأسها على مهل. وتقول "كان ينبغي أن يكون لدى لارس شخص مثلك في حياته". "أتمنى لو حصل هذا. أعتقد كان سيشكل فارقاً"

تنفض كتفيها بحزن وتسحب يدها من يدي.

مكتبة

الفصل الثالث والعشرون

مرة أخرى لا أتذكر الخلود للنوم، ولكن عندما أعود للوعي أجد نفسي واقفة في مكتب لارس في بيتنا في شارع سبرينغفيلد، أقف بجانب منضدة المكتب. أحمل مقصاً في يدي. أحدق في المقص لمدة دقيقة، أتساءل بدهشة ما الذي كنت أنوي فعله به.

أنظر حولي مشوشة، تائهة، ثم أجد نفسي. بالطبع، عندما أنظر إلى المكتب أرى صور ميتش وميسي المدرسية موجودة هناك. أبحث بين الصور وأختار الصور بقياس 3×5 بوصة التي تناسب الإطار على مكتب لارس المصمم ليتسع لثلاثة صور.

يرتدي كل من ميتش وميسي في صور المدرسة زييّن متناسقين. يلبس ميتش قميصاً ذا أزرار بلون أصفر تحت سترة بنية، سُرِّحَ شعره بعناية إلى جانب واحد، وتم تصفيف خصلات شعره المتموجة قرب بعضها، لابد وأن قصة شعره لم يمض عليها وقت طويل، ولابد أن لينيا هي التي قصتها. أما ميسي فترتدي فستاناً بنياً بياقة بيضاء وعقدة كبيرة صفراء بلون قميص ميتش الأصفر. شعرها معقود على شكل ضفيرتين صغيرتين ربطتا بشرائط بنية، كلاهما مبتسمٌ بمرح، حتى أنه لايبدو من عيونهما أكثر من شقين صغيرتين في الوجه المستدير لكل منهما.

أقص صورة كل منهما وأضعها في الإطار، صورة ميتش من الجهة اليسرى وميسي في الوسط ثم أبحث بين الصور والأوراق عن صورة مايكل. تجعلني الصورة التي وجدتها حزينة، ليس لمايكل صورة مدرسية بالطبع

مكتبة

ولا بد أنني صورته بنفسي بعد أن ألبسته زياً مثل زيِّ ميتش وأوقفته أمام جدار خالٍ في منزلنا. من المرجّح أنني التقطت مجموعة كاملة من الصور وهذه أفضل واحدة بينها.

الصورة ليست سيئة. مايكل لا ينظر باتجاه الكاميرا ولا يبتسم، ولكنه، على الأقل، ليس متجهماً. تعابير وجهه حيادية. ياقة قميصه مرتبة، وشعره مصفف وأنيق. من المستحيل أن تُفسرَ نظرة عينيه من خلف النظارات، لاتبدو حزينة ولا سعيدة، ومع ذلك، على الأقل، لا يبدو متضايقاً. أرجو ألا أكون قد ضغطت عليه كثيراً في محاولة التقاط هذه الصورة من أجل لارس.

أضع الصورة داخل الإطار من الجهة اليمينة، وأجمع القصاصات والبقايا، ثم أرجع إلى الخلف وأنظر بإعجاب إلى الإطار. أسمع جرس الباب، يتبعه صوت ميسي تصرخ بحماس: "لقد وصلوا!" أسمع أصوات خطوات أطفال على الدرج ثم صوت لارس ينادي: "كاثرين! أين أنت؟ لقد وصلوا!"

أستغرب! من الذين وصلوا؟ وأسرع باتجاه القاعة. أثناء مروري، ألقي نظرة على صورة مشهد الجبل، المعلقة مقابل غرفة النوم الرئيسية. لا أعرف من أين واتتني الفكرة، لأنني أدرك فجأةً أين التقطت هذه الصورة، على وجه التحديد، إنها في الجزء العلوي من ممر "رابيت إيرز"، بالقرب من ينابيع "ستيم بوت"، في شمال غرب ولاية كولورادو. لا يعني هذا الموقع شيئاً بالنسبة إلي. حتى أنني لم أزر المكان أبدا. أهز رأسي، في محاولة لإيجاد معنى ذلك، فلا تَرِدُني ومضات واضحة. أواصل المشي وأنضم إلى عائلتي عند الباب الأمامي.

عندها تدخل لينيا من الباب يتبعها رجل نحيل جميل المظهر، ثم شاب وفتاة طويلان نحيلان. تحمل لينيا صينية مليئة بالكعك، غطتها بورق القصدير. قالت وهي تناولني الصينية: "أحضرت الكعك، لا تحتاج إلا إلى تسخينٍ لمدة 20 دقيقة". تقترب مني وتقبلني على خدي، وتقول: "تبدين جميلة كالعادة" أبتسم وأقبلها: "هذا كله بفضلك".

"لا أبداً، هذا ليس بفضل عملي أبداً فأنت ستبدين جميلة حتى لو لم

مكتبة

تمشطي شعرك، وحتى لو لم تستحمِي سوى مرة في الشهر

أضحك بسعادة، وأندهش لمدى سعادتي.

"لا أعتقد أن هذا صحيح".

تتجاهل لينيا جوابي وتقول وهي تناولني كتاباً غلافه كرتوني: "ها هو الكتاب الذي استعرته"، ألقي نظرة على الغلاف: "عصر البراءة"، الكاتبة إديث وارتون. "استمتعت به حقاً. شكراً لك على إعارته لي

"على الرحب والسعة. خمنت أنه من النوع الذي سيعجبك" أوازن صينية الكعك وأنا أحملها فوق الكتاب.

"حسناً، هيا جميعاً" لارس يوجه المجموعة في غرفة المعيشة: "أيها الصغار، انزلوا إلى الطابق السفلي والعبوا. وستجلب لكم ماما العصير بعد قليل

أنا؟ سأجلب لهم العصير؟ حسناً إذاً سأفعل.

قالت لينيا، وهي تخلع معطفها:"غلوريا، انزلي معهم، العبي مع الصغار، ألا ترغبين في ذلك"؟

تدور عينا غلوريا في محجريها وتقول: "أنا لست طفلة، أمي، أفضل أن أبقى في المطبخ معك، ومع العمة كاثرين. هل عليَّ أن أنزل إلى الطابق السفلي، مع الأطفال"؟

تهز لينيا رأسها هزة حاسمة، وتفتح باب خزانة الملابس في القاعة الأمامية لتعلق معطفها. "عليك أن تفعلي، تعرفين كم يحبون اللعب معك، كاريستا!". تمد لينيا يدها لتأخذ معطف زوجها، بينما تطلق غلوريا زفرة تأفف طويلة بحركة درامية لفتاة مراهقة. ينتابني إحساس واضح، أننا مررنا خلال هذا المشهد من قبل.

يخلع الصبي سترته- أعتقد أن اسمه جو، أتذكر لينيا تخبرني أنه في الحياة الأخرى، يخلع جاكيته ويتسكع بكسل، وفي الوقت نفسه يزعج ميسي باللعب بشعرها. يقول وهو ينظر إلى غلوريا من خلف رؤوس الأطفال: "لا

مكتبة

تقلقي، أختي، سآتي أيضا".

ناول معطفه لوالدته، بينما أولادي الثلاثة، جميعهم، حتى مايكل - ألاحظ هذا وأشعر بالمفاجأة السارة- يقفزون بمرح حوله.

أخذ ميتش يصرخ: "سنلعب مع ابن خالنا جو! يا للسعادة!". يسرع الجميع، ميتش وميسي ومايكل بنزول الدرج إلى الطابق السفلي، وجو يمسك بأيديهم. تستمر غلوريا بالعبوس، مع أنها تبقى مطيعة على الأقل، تخلع سترتها وحذاءها وتضعها في خزانة المعاطف، ثم تتوجه على مهل إلى الدرج وتنزل بهدوء. لن يمر وقت طويل قبل أن أسمع أصواتهم، هم الخمسة، يتحدثون في آن واحد، يحاولون، على الأغلب، الاتفاق على اللعبة التي سيلعبوها معاً. تعكس أصواتهم العالية بهجتهم، وإن كان بعد المسافة عنا، والسجاد الذي يكسو الأرضية، قد خفف من ارتفاع الصوت. لست متأكدة على ماذا اتفقوا أن يلعبوا. يبدو أن الجميع يمضون وقتاً طيباً، بما فيهم غلوريا ومايكل.

أقول لـ لينيا: "تعالي معي إلى المطبخ، سأضع هذه اللفائف في الفرن فور نضوج اللحم الذي فيه"، ثم ألتفت وأنادي من فوق كتفي :"يا شباب! هلا سكبتم لنا بعض الشراب"؟

يا إلهي، من أنا؟ لأول مرة، على الإطلاق، أشعر في هذا العالم بالثقة الكاملة. أعرف بالضبط ما أقول، وما أفعل. لماذا هذا؟ هل هو لأن لينيا هنا؟ لا بد لي من الاعتراف بأن وجودها - وتصرفها كما هي في العالم الحقيقي، بلطف وود - يرفع معنوياتي أكثر من أي شيء آخر شهدته هنا حتى الآن.

تقترب لينيا من المنضدة، وترتشف البراندي من نوع إلكسندر، الذي حضّره لارس لها. تحرك الثلج بالعصا البلاستيكية الحمراء، التي وضعها لارس في كأسها. تسألني "كيف حالك؟ كيف تتماسكين؟".

فجأة ضاعت ثقتي بنفسي، وضاع إحساسي بأنني أدرك كل شيء يجري هنا. لوهلة خمّنتُ أن لينيا تشير إلى وضعي الغريب في أنني أعيش حياة مختلفة تماماً في أحلامي، كما لو أنها تعرف أنني أحلم. ربما تفعل! لمَ لا!

مكتبة

باستثناء برادلي، وجيراننا عائلة نيلسون، لينيا هي الشخص الآخر الوحيد الذي يتواجد معي، في كلا العالمين.

عندما أنظر إليها، أستطيع أن أقول أنها لا تتحدث عن الأحلام. تبدو نظرتها جادة، كما لو أننا نواصل نقاشاً أجريناه مؤخراً. هذا ما أظنه. ربما رأيتها في وقت سابق اليوم، لتقوم بتصفيف شعري. أضع يدي على رأسي. يبدو رائعاً بالفعل، كما لو أن كل خصلة موجودة بالضبط حيث ينبغي أن تكون.

حسناً إذن. لا بد أنها تعني مايكل. أجيبها :"لقد كان أسبوعاً جيداً، لا شيء خارج عن المألوف. بعض اللحظات... ولكن عموما، الوضع جيد" افتح باب الفرن، وألبس الكفيَّ المخصصين له بكلتا يدي، وأسحب صينية الشوي الكبيرة وأضبط درجة الحرارة أعلى قليلاً لأحمر اللفائف. كيف أعرف القيام بهذا؟

تتجرأ لينيا وتسأل: "أنت ولارس...هل الأمور على ما يرام"؟

ما الذي تتحدث عنه بحق السماء؟ أفكر في المناسبات القليلة التي تشاجر بها لارس معي في هذا العالم الخيالي، في كل مرة، كان السبب أمر يخص مايكل. يا إلهي، هل هذا يعني أننا في وقت ما، لا يمكنني تذكر متى، في الآونة الأخيرة، قد اختلفنا اختلافاً كبيراً بشأن مايكل؟ آسف على غبائي، بيني وبين نفسي. من يهتم إذا حصل ذلك فعلاً، كيتي؟

أوبخ نفسي. هذا كله مختلق. ما الفرق الذي يمكن أن يسببه شجارك مع لارس، في المخطط الكبير للأمور، إن كنتما قد تشاجرتما؟

ومع ذلك، أجد أنني لا أستطيع النظر في عيني لينيا، وأهز أكتافي غير عابئة، أحدق في المنضدة البرتقالية: "أكيد، نحن بخير

لا ترد لينيا على ذلك بشيء، وبعد لحظة، تسألني إذا كنت أطهو البطاطس.

"بالتاكيد. لارس لا يقبل تناول العشاء من دونها". أرفع الغطاء عن وعاء كبير في الجزء الخلفي من الموقد أغرز شوكة في البطاطس. إنها جاهزة،تقريبا، لأصفيها وأهرسها. غير معقول! هل يمكنني.. حقاً، أن أعد وجبة كاملة لتسعة

مكتبة

أشخاص؟ من الألف إلى الياء؟

أمد يدي إلى الثلاجة، وأخرج خمس زجاجات من الكولا. هل أسمح حقاً لأطفالي بشرب الكولا؟ نعم. أدرك ذلك فجأة، في المناسبات الخاصة، كما هو الحال عندما يكون أبناء عمومتهم هنا لتناول العشاء، يمكن لهم أن يشربوا واحدة. أقول للينيا: "حسناً اذن، دعيني أنزل هذه الزجاجات إلى الطابق السفلي وأسحب فتاحة زجاجات من الدرج. لا أحتاج أبداً للتفكير في أي درج هو.

"لا.. أنت مشغولة.. سأوصلها أنا". تقول وهي تجمع الزجاجات والفتاحة، وتختفي خلال الأبواب المتأرجحة.

أنظر حولي. يبدو لي أن كل شيء تحت السيطرة، اللحوم والبطاطس، اللفافات، والآن، أرى أيضا أن هناك وعاءً من البازلاء يغلي على الموقد. الحساء! سأبدأ بإعداده في غضون بضع دقائق. هل تم إعداد منضدة الطعام؟ ألقي نظرة عبر الأبواب الخشبية وأرى أن المنضدة جاهزة. أستطيع أيضاً أن أرى لارس وستيفن في غرفة المعيشة. محطة التلفزيون مضبوطة على سباق سيارات. الرجلان جالسان يميلان إلى الأمام، يحملان كأسيّ الشراب في يديهما، يحللان السباق بدقة. في بعض الأحيان يلتفت أحد الرجلين نحو الآخر للتعليق على ميزات سيارة، أو متسابق وصل للمقدمة. في الطابق السفلي، أستطيع أن أسمع الأطفال يصرخون بلهفة؛ لا بد أن لينيا توزع عليهم زجاجات الكولا.

كان مشهداً لطيفاً للحياة الأسرية المنزلية؛ هذا هو إذاً ما يفعله الآخرون بعد ظهر الأحد.

فجأة أتساءل أين والديَّ. هل يتفقان مع لينيا وعائلتها؟ بالطبع لا بد من ذلك. لينيا لطيفة، مثل والدتي، ويبدو أن ستيفن رجل هادئ لطيف، مثل ابي.

وأتساءل فيما لو كنا، في بعض الأحيان، نستضيف جميع أفراد الأسرة هنا. لا أحد منا لديه الكثير من الأفراد في أسرته، لاعائلة لارس، ولاعائلتي.

بل لكل منا أسرة صغيرة، لكنهما تنسجمان مع بعضهما بالتأكيد، وهنا هو المكان الذي سوف نجتمع فيه. هذا هو المكان المناسب.

أطلق تنهيدة سعيدة وأنا أبتسم، وأشم رائحة الوجبة الشهية التي أعددتها. أشاهد الرجال منهمكين في شرابهم وفي الحديث عن الرياضة. وأرى لينيا تصعد الدرج، وعندما تلتقي أعيننا تشير لي بواسطة إبهامها وسبابتها بأن كل شيء على مايرام، قامت بها بالشكل الصحيح هذه المرة. لا بد أن شخصاً ما علمها الإشارة الصحيحة، ربما كانت غلوريا من علمها.

أنتِ على حق لينيا، كل شيء على ما يرام في عالمي هذا.

مكتبة

مكتبة

الفصل الرابع والعشرون

على الرغم من النعيم العائلي الذي كنت أعيشه في حلمي الأخير، إلا أنني شعرت أنني سأكون سعيدة لو استيقظت في صباح اليوم التالي في عالمي الحقيقي. اليوم هو الخميس. أخيراً، اليوم سأستقل الباص إلى ستابلتون لأقابل والديَّ في المطار. سنركب سيارة أجرة إلى المنزل – سيحملان جميع أمتعتهما في السيارة، لأنه ليس هناك متسع لها في الحافلة حسب رأيهما – ولكن ركوب الحافلة أسهل بالنسبة إليّ، عدا عن أنه أوفر من الناحية المادية، سأركب الحافلة في طريق ذهابي للقائهما هناك. فكرت في أخذ سيارة والدي. مع تجربتي الحديثة في السواقة في حياتي في الحلم، اعتقدت أنني قد أكون قادرة على التعامل معها. وكان والدي قد ترك مفاتيح سيارته في المنزل وقال لي أنه بإمكاني أن استخدمها في أي وقت أشاء. ولكن في اللحظة الأخيرة، قررت أنني لم أكن مستعدة لقيادتها كل هذه المسافة.

تبين عند وصولي أن رحلتهما تأخرت، عندما قاموا بالهبوط في لوس أنجلوس لتبديل الطيارة. أنتظر بفارغ الصبر لمدة ساعتين تقريبا، وأتجول في متاجر السوق الحرة في المطار، وأتمنى لو كنت جلبت معي كتاباً للقراءة. اشتري نسخة من مجلة يوم المرأة وأقلب صفحاتها، وأجلس بتململ على المقاعد البلاستيكية في المطار. هناك قسم كامل خاص بالهدايا المصنوعة يدوياً لعيد الميلاد، وأتساءل، بما أنني، على ما يبدو، خياطة ماهرة في ذاك العالم؛ محاولة تذكر ما إذا كنت قد صنعت مثل تلك القطع في حياتي الأخرى كهدايا. أتنهد، وأضع المجلة على المقعد المجاور لي. بكل الأحوال، لا

مكتبة

أستطيع التركيز فيها، وقد يستفيد منها أي مسافر عابر، أكثر مني فيما بعد.

أسحب بطاقة بريدية من حقيبة يدي، تحمل البطاقة صورة لهونولولو، ومجموعة من الفنادق الشاهقة على الشاطئ، كل واحد أطول من الذي بجواره، مرتبة مثل صفوف الكتب الكبيرة، التي أحتفظ بها أنا وفريدا في قسم الفن وكتب السفر، تلك الكتب أكبر من أن تتسع لها الرفوف العادية.

هذه البطاقة هي آخر بطاقة سأتلاقاها. هذا ما تقوله والدتي.

عزيزي كيتي،

هذه هي المرة الأخيرة التي سأكتب لك فيها من هنا.

إننا نوضّب أمتعتنا للمغادرة، وسنكون على متن الطائرة على رحلة مساء الأربعاء. لابد من القول بأنني متخوفة قليلاً من الطيران. من يدري ما يقوم به كل أولئك الشيوعيون هذه الأيام، وأين هم؟ من المحتمل أن يكونوا في انتظارنا في بعض السفن في المحيط الهادئ، من يمكنه تأكيد العكس؟ يقول والدك أن فكرة إطلاق النار على طائرة في السماء، خاصة إن كانت محملة بالسياح، هي فكرة منافية للعقل، وأشك في أنه على صواب.

يا للأفكار القاتمة! آمل أنه عندما سنلتقي، سأعود للابتسام من جديد. بالتأكيد سأبتسم من الآن فصاعداً، كيف يمكن ألا أفعل، عندما أرى ابنتي، بعد فترة طويلة جدا من البعاد؟

لك كل حبي،

والدتك

أقرأ البطاقة وأعيد قراءتها، حتى سمعت أخيرا إعلاناً بأن رحلة لوس انجليس ستهبط، فأُسرِعُ إلى البوابة 18.

أقف إلى جانب النافذة عند البوابة، متلهفة، بينما تصل سيارات الأجرة لتقل الركاب من الطائرة. أستطيع أن أرى والديَّ أثناء نزولهما سلَّم الطائرة وسيرهما عبر المدرج. أقفز صعودا وهبوطا وألوح من خلال النوافذ الكبيرة.

مكتبة

تراني والدتي، وتلوح لي أيضاً. إنها ترتدي معطفها الأزرق مع قبعة منسجمة معه، تمسك بقبعتها، كي لا تطير مع الريح.

"كيتي!" تعانقني والدتي بحرارة، بعد أن تعبر البوابة مندفعة نحوي. أضمها بقوة، وأتنفس عطرها – شانيل رقم 5، الذي تستعمله منذ زمن طويل، بطول ذاكرتي. وأتساءل عما إذا كانت لا تزال تشعر بذلك الدفء عندما تضمني كشعوري عندما أضم ميتش وميسي. (من يدري كيف سأشعر لو ضممت مايكل؟ أو إذا كنت سأحصل على أي فرصة لضمه على الإطلاق؟) وأتساءل، بينما لا زلنا أنا ووالدتي تحضن إحدانا الأخرى، إذا كان شعور المرء بالدفء عندما يحضن أولاده، يبقى قوياً جداً – حتى عندما يكبر أولاده. أظن ذلك. أتركها على مضض، عندما أشعر أن الناس تبدأ بالتحديق بنا. ثم يأتي دور والدي.

يرتدي والدي البدلة وربطة العنق الخاصتين بمناسبة السفر بالطائرة، ملابسه تجعدت قليلاً بعد السفر طوال الليل، من هونولولو والتوقف في لوس انجلوس. أحس بأزرار قميصه عندما يحضنني، يفرد أكتافه قليلاً، فقد باتت منحنية، نوعاً ما، لطول سنوات العمل على منضدة خط التجميع.

أمشي في الوسط بينهما، ونحن نمسك بأيدي بعض، ونتوجه إلى مكان استلام الأمتعة. أجل، إنه مشهد طفولي، وأنا أدرك هذا، ولكني أكثر من سعيدة لرؤيتها. لم يسبق لي أن ابتهجت في حياتي لرؤية شخص كما أشعر عند رؤية والديَّ في المطار بعد ظهر هذا اليوم.

فجأة، يدور في ذهني سؤال عما إذا كانت نفسي في حياتي الأخرى قد اشتاقت لوالديَّ بهذا القدر، بعدما ذهبا في هذه الرحلة؟ وهل ذهبا في هذه الرحلة أساساً في تلك الحياة؟ بالتأكيد، لا بد من أنهما قد فعلا؛ لسنوات مضت كانا يتحدثان عن نية القيام بذلك، منذ انتقال العم ستانلي والعمة ماي إلى هونولولو قبل أكثر من عقد من الزمن.

تقول والدتي ونحن ننتظر وصول الأمتعة إلى سكة الحقائب الدوارة:

مكتبة

"حسنا، هذا التأخير الطويل كان غير متوقع، لكن أموراً أسوأ حدثت. هل سمعت عن رحلة هونولولو يوم الثلاثاء؟ "تقول وهي تهز رأسها. "يمكن للطبيعة الأم أن تكون مروعة، فظيعة، بمستوى الروس، لقد كدت أغير رأيي في السفر بالطائرة عندما سمعنا الخبر، لكن والدك ذكَّرني أن الرحلة بالسفينة طويلة من هاواي إلى البر الرئيسي

تلمع عيناها، وتغير الموضوع: "توم، هذه حقيبتي، لا تدعها تفوتك". ويمدّ والدي يده ليصل إليها. تصل حقائبهما كلها، على التوالي. "يا للحظ الجميل!" تقول والدتي وهي تشعر بالانتصار، عندما يمسك أبي بالحقيبة الكبيرة. آخذ أنا الحقيبة المتوسطة، وتمسك والدتي بحقيبتها. نتوجه إلى الخارج، لنوقف سيارة أجرة. تنظر والدتي في ساعتها: "لم نكن نخطط للوصول إلى هنا في وقت متأخر. يا إلهي! إنه وقت العشاء، تقريباً!".

"لا بأس. لقد توقعت أن نتعشى معاً". لاحظت كيف أقبض على يدها بإحكام، أحاول أن استرخي، وأخفف من قبضة يدي على يدها دون أن أتركها. "لكني اعتقدت أنكم ستحتاجان أولاً إلى بضع ساعات لترتاحا". وأحرك كتفيّ مستسلمة بينما تقف سيارة الأجرة أمامنا.

يقول والدي وهو يسلم حقيبته إلى سائق سيارة الأجرة ويمسك الباب الخلفي للسيارة لندخل أنا وأمي: "آمل ألا تكوني قد خططتي لطهي الطعام، لأنني لا أريد شيئاً أكثر من شريحة لحم مشوية في مطعم (ذا باك هورن)"، ثمّ يسرح ببصره: "كان بإمكانك الحصول على شراب (الماي تايس)، الذي تريده، ولكن لم يكن بإمكانك الحصول على شريحة لحم جيدة لإنقاذ حياتك في هاواي!!". على عكس أمي التي أرسلت بطاقات بريدية عديدة من هونولولو، لم يكتب لي والدي إلا مرتين فقط.

ومع أن ما يرسله كان قليلاً، إلا أنه كان غنياً بالمعلومات، فهو يرسل رسائل، وليس بطاقات بريدية، ويكتب صفحات وصفحات تصف الحفر المفضلة لديه في مضمار الجولف، وتسلقه جبل (دياموند هيد) مع العم

ستانلي، وركوب الأمواج على الشواطئ، على الجانب الشمالي من الجزيرة، وكذلك عن الطعام. أخبرني بكل التفاصيل عن وجبات الطعام التي كان يأكلها، وسلطات الفاكهة والأسماك المشوية واللفائف الحلوة. قال في رسالتيه، أنه على الرغم من أن الطعام في هاواي "مثيرٌ للاهتمام"، إلا أنه يشتاق لتناول "اللحوم الحمراء الشهية المطهية على الطريقة التقليدية القديمة" الآن، ومع ذلك، عند ذكره لموضوع تناول الطعام خارج البيت، أنظر إليه بوجه متجهم قليلاً. "لقد خططت لتناول عشاء لذيذ مطهوٌّ في المنزل"

"حقاً؟ يا للأسف". يهز رأسه وكأنه متأثر جداً، ثم يصعد بعدنا إلى السيارة، تحيط ابتسامة صغيرة بشفتيه.

ابتسم له أيضا. لا أستطيع أبداً أن أجعل أي مزحة تنطلي عليه، فهو يعرفني جيدا. "الآن يا أبي، لم تتركني أنهي كلامي!" أتصنع الغضب اللطيف. "خططت لتناول العشاء في البيت، ليلة غد، وليس اليوم"

يمسك يدي ويقول بحماس: "أحسنت". ثم يقول للسائق أن يأخذنا إلى المطعم الذي يقدم شريحة اللحم المفضلة لديه.

مطعم (ذا بكهورن إكستشينج) هو أقدم مطعم في دنفر، يعود تاريخه إلى عام 1893. وهو أيضاً واحد من أكثر المطاعم شهرة. كان هناك مقال عنه في مجلة لايف قبل بضع سنوات. أتذكر أن والدي كان يشير بفخر إلى صفحة المجلة اللامعة ويقول: "انظري، عزيزتي، دنفر على الخريطة الآن!" أعتقد أن المحررين، قد لاحظوا تاريخ المطعم القديم، وعشاء اللحم اللذيذ، والأجواء الغربية. علقت صور قديمة على الجدران الداكنة لغرفه صغيرة، وانتشرت السروج وتذكارات الخيول. هناك طاولات وكراسي ريفية لتناول الطعام، وأرائك مخملية مريحة في الصالة. إنه عتيق وزينته سخيفة، ولكن والدي يحب ذلك. "آه، المنزل!" كان يقول ونحن نجلس على منضدة في الغرفة الخلفية. "وأخيراً عدت مرة أخرى إلى الغرب القديم

العشاء رائع. نتناول الكوكتيل على مهلنا، ثم زجاجتين من النبيذ، إنه

مكتبة

لكثير، أخجل أن أعترف، أتناول الكثير من الشراب. يخبرني والديَّ قصص هاواي في الجلسة مباشرةً. وتقول والدتي بصوت رخيم وكأنها تصف كاتدرائية: "كانت جميلة بشكل استثنائي، لم أر أي شيء من هذا القبيل، الزهور كبيرة بحجم صحون العشاء. أشجار النخيل في كل مكان. فنادق جديدة، وشاهقة، قائمة في كل مكان في وايكيكي. والمحيطات... لا بدَّ لك من رؤية كم كان المحيط أزرقاً".

"والفتيات"، يقول والدي. "كان ينبغي أن تري كم كن جميلاتٍ هناك".

"توم!". وتلكُم والدتي ذراعه العلوي برفق. إنه يغيظها، بالتأكيد. لم يسبق أن نظر إلى غيرها أبداً. قال لي في إحدى المرات، عندما كنت أشاهد معه مسابقة ملكات الجمال على شاشة التلفزيون: أنه لو دخلت ملكة جمال أمريكا إلى الغرفة وعرضت عليه أن يهرب معها، لطلب منها المغادرة. "حتى لو كان لديها ساقان تصلان إلى القمر من طولهما، لا تستحق بنظري أن تحمل شمعة لأمك"، قال لي، وعيناه تتلألآن: "لا عندما كانت أمك في سنها، ولا الآن أيضاً". أتذكر شعوري بالحزن بعض الشيء، وتساءلت عن احتمال وجود أي شخص يعشقني بهذا الشكل. بعد العشاء، طلب والدي من النادلة استدعاء سيارة أجرة أخرى لتأخذنا إلى المنزل. دار مفعول النبيذ في رأسي. أسمع والدي وكأن صوته آت من الضباب يقول شيئا مثل: "نحن نستمتع بوقتنا، هذه هي الليلة الأخيرة من العطلة!"

أصعد إلى المقعد الخلفي من سيارة الأجرة، وأجلس في الوسط. كم أشعر بالأمان وأنا محشورة بين والديَّ، وكم من السهل أن أغفو في هذا الملاذ الآمن الذي يخلقانه لي.

مكتبة

الفصل الخامس والعشرون

بعد ذلك أجد نفسي أغني لأطفالي: "استلقِ الآن وارتحْ....بارك الله نومك... أنا في غرفة الأولاد، وهي مساحة لم أكن فيها سابقا في الأحلام. أتنبأ أن الغرفة طليت باللون الأزرق، بدرجة ما بين الأزرق السماوي والأزرق الملكي. اصطفت أسرَّة الأطفال إلى جانب بعضها، مفارشها باللونين الأزرق والأحمر، ومطبوعة بنقوش متماشية معهما، وهي مرمية على الأرض حالياً، لأن الأولاد في أسرَّتهم وعلى استعداد للنوم.

هناك فوق سرير ميتش، صور صغيرة لسفن وقطارات موضوعة ضمن إطارات صغيرة - لا شك في أنه قد تم اختيارها بعناية من قبلي - فضلا عن مجموعة متنوعة من الرسومات لوِّنت بأقلام التلوين، عن نفس الموضوعات؛ ميتش رسمها بيده على الأرجح، كانت معلقة إلى جانب الصور المؤطرة. وتتكدس مجموعة من الكتب المصورة على منضدة سريره. سريره مليء بدمى الحيوانات المحشوة من كل نوع. يجلس ميتش في وسط سريره، وقد تبعثرت أغطيته على الرغم من أنه على الأرجح، تمَّ وُضعه في سريره، قبل وقت قصير. طرف الغرفة الذي فيه سرير مايكل كان خالياً. لا وجود لأعمالٍ فنيةٍ على الجدران، ولا للعب على السرير، ولا كتب ليتصفحها لو أنه استيقظ مبكرا ولم يتمكن من العودة إلى النوم. الشيء الوحيد على منضدة سريره هو علبة النظارات. إنه يجلس بشكل مستقيم في السرير، وضعت مخدته بعناية وراء ظهره، وسحبت أغطيته بعناية حتى حضنه. عيونه مفتوحة، بدون نظاره، ولكنه لا يركز النظر، يهز إلى الأمام وإلى الخلف بصمت.

مكتبة

يرتدي الصبيان بيجامات باللون الأخضر من قماش الفانيلا، مع شريط يزين حواف الخياطة باللون الأزرق المغاير. ومع تشابه كل شيء فيهما، ملابسهما ولون بشرتهما وملامحهما المتشابهة بشكل غامض، إلا أن الفرق كبير بينهما. أجلس في كرسي هزاز بين السريرين، تعبر ذهني ومضات من ذكريات تتعلق بذاك الكرسي. في هذه الغرفة نفسها، نفس المكان، ولكن بين مهدين، عندما كان الأولاد في سن الحبو. حتى في ذلك الحين، كان التباين صارخا. كان ميتش يقف في سريره، يقفز بسعادة، حتى أني شعرت بالرعب من أنه قد يقفز خارج السرير من فرط حماسه. وقد كان سريره، مثل سريره الآن، مليئاً بالحيوانات القماشية المحشوة. وما يزال يحتفظ ببعضها منذ ذلك الوقت، لا شك. مايكل، من ناحية أخرى، كان يجلس بنفسه بهدوء في منتصف مهده، لا توجد حيوانات محشوة، لا يحرك ساكناً، بينما جلست في كرسي هزاز وأخذت أقرأ قصة ما قبل النوم. مايكل لم ينظر إلي، ولم يطالب برؤية كل صفحة كلما قلبت الصفحات، كما كان يفعل ميتش. كان يحدق في قدميه المغطاة بالبيجامة، لا يظهر أية مشاعر تجاه القصة، أو تجاه ميتش، أو حتى تجاهي.

أهز الكرسي ببطء، وأدندن لهما تهويدة براهام. ميتش، يستلقي تحت أغطيته ويغمض عينيه. ينعكس الضوء الخافت، من مصباح الإنارة الصغير على منضدة سريره، على الخصلات المتموجة لشعره الاشقر، فيعطي لمعاناً خافتاً.

شعره يبدو رطبا قليلا، كما لو كان قد استحم لتوه، لم أتمكن من مقاومة انحنائي عليه لأشم رائحة شامبو جونسون للأطفال التي تفوح من شعره النظيف. يبتسم ويفتح عينيه، ينظر في عيني ويقول لي: "أنا أحبك"،أجيبه "وأنا أحبك أيضا".

يغمض ميتش عينيه مرة أخرى ويسكن هادئاً تحت أغطية سريره. ألتفت إلى مايكل. إنه يتابع الجلوس في وضع مستقيم، وعيناه مفتوحتان إلى مداها الأقصى. لقد لاحظت، للمرة الأولى، أن لون عينيه أزرق، وزرقتهما ملفتة

مكتبة

للنظر، مثل أي شخص آخر في الأسرة. يدور في ذهني، لا بد أنها النظارات هي التي تجعل لون عينيه يبدو ضبابيا معظم الوقت. أخشى أن أقترح عليه أن يستلقي، لأنني متأكدة تماما من أن كل ما يقوم به هو جزء من روتينه الليلي. لا أريد أن ألمسه، خوفا من إثارة غضبه، ولكني أشعر أن عليَّ فعل شيء. أستند على فراشه بكلتا كفي، بعيدا عن جسمه، أقترب منه وأقول بصوت هادئ: "نم بهدوء، مايكل، أنا أحبك". لم يحرك ساكنا ولم ينظر نحوي أبداً.

أطفئ المصباح، وأترك الإضاءة الخافتة للغرفة موصولة إلى مأخذ بالقرب من الكرسي الهزاز. أخرج بصمت، أغلق الباب خلفي. ألتقي لارس في الردهة، وهو خارج من غرفة ميسي. يسألني "هل ناما؟" أجيبه "على وشك" على الرغم من أن الصبيين ما زالا مستيقظين، لكني أملك إحساساً غريزياً بأنهما الآن في الوضع الذي يحتاجه كل واحد منهما حتى يتمكن من الغرق في النوم. أومئ نحو باب ميسي. "ماذا عنها"؟ "غارقة في النوم". يبتسم ويقول: "أنهكها ركوب الدراجة".

"قيادتها للدراجة تتحسن، حسناً. كلاهما يجيد الأمر . يبقى لارس صامتاً، أعرف بما يفكر، لأنني أفكر في الشيء ذاته، وهو استخدامي– دون انتباه – كلمة (كلاهما) لأن اثنين منهم "يتحسنان في القيادة". وواحد منهم قد لا "يجيد الأمر أبداً" يسألني لارس ونحن ننزل الدرج: "هل تريدين مشروباً؟"، "اقتراح جيد" يذهب إلى مكتبه ليصب الشراب، وأنتظر في غرفة المعيشة، أجلس على الأريكة. إنها أنيقة وحديثة، جديدة مثل الكثير من الأشياء في هذا البيت،،. مصنوعة من قماش التويد النافر، باللون البيج مع نموذج رسم مخطط باهت. ومن أجل جعلها أكثر حيوية، وضعنا الوسائد المحشوة ذات الأغطية الملونة بالبرتقالي والأصفر، والأزرق الغامق.

يعود لارس إلى الغرفة وهو يحمل كأسي ويسكي مع ثلج. يقدم واحداً لي، ويجلس إلى جانبي ويلف ذراعه حول كتفيَّ، ويربت عليه بلطف. "تبدين متعبة جداً، حبيبتي"، يجعلني الاهتمام والقلق في صوته أرتعش. أغمض عيني.

مكتبة

"إنني مرهقة،" أعترف. "إنني مجهدة للغاية". يبدو من السخف أن أقول شيئاً كهذا في الحلم، ولكن بما أنه صحيح، يمكنني أن أقوله. يقول: "حسنا، أفهمك. "ليس هناك شيء أكثر إجهادا من هذا".

أهز رأسي. "أعتقد أنني لا أدرك... تماما ما تعنيه. "يرتشف شرابه. يقول: "شعرت بنفس الشعور، عندما حصل ذلك معي، كما تعلمين.". ينخفض صوته وهو يتابع:".في حالتي لم تكن كلها في وقت واحد، بطبيعة الحال، ولكن... تعلمين أنها كانت على عدة أيام متفرقة" ليس لدي أي فكرة عما نتحدث عنه، على الإطلاق، لذلك أهز رأسي فقط، وأنتظر منه أن يستمر. يقول لارس: "لم يستطع العيش بدونها. "يتكسر صوته: "لم يستطع الاستمرار من دونها. لذا... "يحكم إطباق شفتيه: "لذا.... لم يستمر. "أضع يدي على يده وأقول: "أعرف" في الواقع، لا أعرف، ولكني أريده أن يستمر في الحديث. أتردد في القول: "هل يساعد...هل يساعدك الحديث عن ذلك"؟

ينظر إلي ويقول: "يساعدني التحدث إليك أنت حول هذا الموضوع"، لطالما كان الحديث إليك يريحني يحرك الثلج في كأسه.

"لقد كنت متفهمة جداً و... لم يصدمك الأمر، عندما أخبرتك أول مرة كيف... كيف حصلت أشياء بشعة لعائلتي. أشياء مرعبة. ليس هناك حقا أية تسمية أخرى لها، وبسبب ذلك، لم أخبر هذه القصة لكثير من الناس في تلك الأيام. لكنني كنت أعرف من البداية، منذ التقينا لأول مرة، أنني أستطيع أن أخبرك عن ذلك، وأن كل شيء سيكون على ما يرام". يبتسم، ولكن تعابير وجهه لا تظهر سوى البؤس. "جعلتني أشعر أنني يمكن لي أن أقول لك أي شيء".

أقول بهدوء "يمكنك".

يتابع: "كانت مريضة جدا"، يشبك أصابعه بأصابعي. "خفقان القلب، والسعال، وآلام في الصدر. كما تعلمين، ربما كانت نفس أعراضي، وربما كانت تعاني من عدم انتظام ضربات القلب كما أعاني أنا، ولكن في ذلك

مكتبة

الوقت، لم يتم تشخيص مثل هذه الأمور. لذلك... استنفذها المرض، امتص الحياة منها. كل جزء من حياتها التي عاشتها. لقد كانت مليئة بالحياة، على الرغم من أن حياتها لم تكن سهلة. عملت بجد، كلاهما عمل بجد، و..".

أضغط على يده، يقول: "كنت سعيدا لأنها لم تعاني طويلا. في تلك الأيام، كما تعلمين، وفي تلك الأوقات خاصة، وحيث كنا——في ولاية أيوا الريفية، التي اخترناها من بين كل الأماكن، كنا بالكاد نعرف أحداً، وبالكاد يمكننا التحدث باللغة الإنجليزية، كانت تعاني من آلام في الصدر، وكان من المفروض أن ترى طبيبا، ولكن خيارات العلاج لم تكن كثيرة أمامها"

ينهي لارس شرابه ويمص مكعب الثلج. "على الأقل كان الأمر سريعا جداً بالنسبة إليها. لم يكن هناك شيء يمكننا فعله من أجلها. "يهز رأسه ويقول بحزن: "حياة والدتي كانت أقصر مما كان ينبغي أن تكون، كانت حياة قصيرة ولم تكن سعيدة فيها". ينهض، ويقف وهو يحمل كأسه بيده معلناً: "سأجلب كأساً آخر، أتريدين واحداً"؟ أناوله كأسي، ويأخذه ويخطو خارج القاعة.

عند عودته حاملا المشروبات الجديدة، أشعر بالقلق من أن يغير الموضوع ويتحول إلى موضوع آخر. لكنه يستمر فيه. قال لارس: "بعد أن دفنها أبي بعدة أيام فقط، قرر أنه لا يستطيع تحمل الاستمرار في الحياة من دونها. أخذ بندقية وخرج إلى كوخ المعدات. وجدته لينيا هناك" يأخذ لارس رشفة طويلة من شرابه. "كانت لينيا ماتزال في السادسة عشرة من عمرها، كانت ما تزال مجرد فتاة. لا ينبغي لأحد، لا ينبغي أن يواجه أي طفل فاجعة من هذا القبيل آه! كانت لينيا قد لمّحت لي ببعضٍ من هذه القصة، لكنها لم تخبرني أيّاً من هذه التفاصيل القاتمة. "ماذا فعلت"؟ أعرف أنه لا ينبغي أن أسأل هذا السؤال. بالتأكيد، كنت بالفعل سأعرف ما صنع. آمل أن يكون شديد الاندماج في قصته بحيث أنه لم ينتبه لسؤالي. لكنه يقول: "فعلت ما يفعله أي شقيق كبير "تحملت المسؤولية. دفنّا والدنا بجانب أمنا. بعنا كل شيء كان لدينا، ولم يكن قد بقي لدينا الكثير. وصعدنا على متن القطار المتجه غربا، لم يكن أي

مكتبة

منا يريد أن يرى أيوا مرةً أخرى. وانتهى بنا الأمر هنا"

"انتهى الأمر هنا. كان الصباح باكراً، عندما وصل قطارنا إلى محطة "يونيون". كنا قد اشترينا تذاكر توصلنا إلى دنفر فقط. كان علينا شراء تذاكرة أخرى وتغيير القطارات إذا أردنا أن نذهب أبعد باتجاه الغرب. لكننا لم نفعل ذلك. خرجنا من القطار ونظرنا حولها. رأينا الجبال في الأفق والشمس مشرقة على مباني المدينة عندما بدأ الناس بالاستيقاظ. تبادلنا النظرات، وقررنا أن هذا المكان سيكون جيداً كما كان أي مكان آخر

أقول له: "لقد قطعت شوطا طويلا منذ ذلك الحين، وكذلك لينيا". هز لارس برأسه. يقول "لقد كنا محظوظين" "محظوظين لأنه، بعد كل تلك الوظائف الكئيبة واليائسة التي شغلناها،أنا ولينيا، لمجرد محاولة كسب العيش، وجدت لينيا عملاً في مخبز. ومن حسن الحظ أن ستيفن دخل إلى هذا المخبز في أحد الأيام، وأعجب بالفتاة التي تقف خلف النضد، إلى درجة أن صار يعود مرارا وتكرارا، ليراها فقط. ومن حسن الحظ أن لينيا أعجبت بجاذبية ستيفن كما أعجب هو بجمالها".

أوه، الآن أتذكر تلك القصة. أتذكر لينيا وهي تقول لي، وعيناها تلمع بشرارة الحب التي ما زالت تشعر بها لزوجها، حتى بعد قضاء كل تلك السنوات معا. لقد حكت لي تلك القصة في المرة الأولى التي زرتها وقامت فيها بغسل شعري وتصفيفه، في تشرين الأول 1954. ليس في حياتي الحقيقية، ليس حيث أكون كيتي. لا، كان هنا، حيث ينادوني باسم كاثرين. كانت هذه هي المرة الأولى التي ذهبت فيها إلى لينيا في صالون التجميل في برودواي. وقتها كان لارس لا يزال في المستشفى، يتعافى من نوبة قلبية.

أقول الآن للارس: "وكأن ستيفن هو الذي أقنعك بأنك يمكن أن تكون أفضل من مجرد ميكانيكي الترام، لبقية حياتك، ساعدك ستيفن على التقدم بطلب لدخول الجامعة". أستطيع أن أشعر بقلبي يخفق سريعا، لتذكري هذا، لمعرفتي به. يومئ لارس رأسه إيجاباً. "شجعني على الاستمرار في الدراسة

مكتبة

عندما كنت مازلت أتساءل عن جدوى كل التعب والنفقات. نعم، لست متأكدا إن كانت حياتي المهنية ستنجح من دونه. ربما بقيت حتى الآن أعمل ميكانيكياً متنقلاً في الشوارع، في منطقة كولفاكس

"لا، ما كنت لتفعل،" أقول بقليل من الأسى، وأنا أفكر في متجر(الأخوات) وشارع بيرل المهجور. "لا يوجد المزيد من خطوط الترام. كنت ستصلح الحافلات اليوم" يضحك لارس ضحكةً خافتة. "حسنا، هذا صحيح على الأرجح. أرأيت كم أنا محظوظ أن ستيفن ولينيا التقيا". يأخذ يدي. "وبالطبع، كنت محظوظاً جداً، جداً،لأنك أتيت للقائي في موعدنا، كاثرين"

"محظوظ"، أعيد كلامه بهدوء. "أعتقد أننا محظوظان جداً بطرق عديدة. "يقول وفي عينيه ألم واضح: "أنا أعلم أنه لا يبدو كذلك الآن". "أنا أعلم أنه من الصعب تصور إمكانية حدوث أي نتيجة جيدة بعد ما حدث في الخريف الماضي

ماذا حدث في الخريف الماضي؟ أصمت منتظرة. يقول لارس، "أنت تعرفين أنني سأكون دائما هنا من أجلك" "أنت تعلمين أنني أعرف كم هو صعب عليك خسارة والديك" ماذا؟ أنا الآن أهز رأسي في جنون، أحاول يائسة أن أستيقظ، أن أجلس على الأريكة، أهز للأمام والخلف وأبكي. لارس يمسكني من كتفي، ويعطيني منديله ثم يسند خده على خدي.

أقول له، وأنا أغمض عيني بقوة "أنا بحاجة إلى الابتعاد عن هنا، أريد أن أذهب إلى منزلي "كاثرين، أنت في المنزل. هذا هو منزلك"

أهز رأسي: "لا، لا، أنت لا تفهم. أنا لا أنتمي لهذا المكان. كل شيء هنا مُختلقْ، أنا بحاجة إلى العودة حيث أنتمي. "أقف وأبدأ أذرع غرفة المعيشة بخطىَ سريعة. يعلق كعب حذائي الأيسر في السجادة الزرقاء. أفكر وأنا أخرج كعبي، قد يكون الكعب ممزق الحواف ويحتاج للتصليح. إن لم أكن حذرة، سيشبك في السجادة وسأقع. يا لها من فكرة سخيفة في هذه اللحظة!

يقف لارس، ويحاول وضع يده على خصري، ولكنني أدفعه بعيدا وأقول

مكتبة

له: "لقد كنت طيباً، بل أكثر من طيب. لقد كنت الرجل الذي أحلم به دائما أن يظهر في حياتي في يوم من الأيام".

أضحك، والمرارة في حلقي، أستطيع أن أشعر بها. "رجل أحلامي، أليس كذلك؟ ولكن هذا ليس حقيقياً. كل هذا مجرد حلم، والديَّ على قيد الحياة في العالم الحقيقي، هل تفهمني؟ ليسا ميتين هناك، وأنا بحاجة إلى العودة حيث والديِّ على قيد الحياة!"

ينادي صوت صغير من بسطة أعلى الدرج في الطابق العلوي: "ماما؟" "ماما، هل كل شيء على ما يرام"؟ يسرع لارس إلى أسفل الدرج ويقول: "كل شيء بخير، يا صديقي، ارجع إلى الفراش "تبدو أمي مستاءة" يقول ميتش، ورغماً عني، يمتلئ قلبي بمحبته، طفلي الخيالي المبهج. "ماما، هل أنت بخير"؟ أترنح نحو الدرج، أمسح عيني. أقف في الجزء السفلي منه، وأنظر للأعلى باتجاهه، شعره الكثيف النظيف، وبجامته الخضراء الدافئة: "ماما بخير، حبيبي،" "كل ماهنالك أني الليلة أشعر بالحزن قليلا".

"من أجل جدي وجدتي"؟ لا أستطيع منع نفسي. تمتلأ حنجرتي بالبكاء وأنوح بصوت عالٍ. ينزل ميتش مندفعاً إلى أسفل الدرج ويحضنني من خصري. فأنحنى لأوازي مستواه وأحضنه بقوة. لارس يقف بجانبنا، صامتاً. وأهمس لابني: "إنني... لم أكن أعتقد أنني سأفقدهما... بهذه السرعة"

يضمني بقوة أكبر. "أعرف، ماما. آسف. أنا أعلم، لا بد أن هذا الأمر صعبٌ حقا بالنسبة إليك". ثم يأخذ شهيقاً: "حتى لو كنت كبيرة" أمرر أصابعي بشعره وأقول.: "نعم، حتى لو كبرت". أغمض عيناي وانتظر. من المؤكد أن هذه هي اللحظة التي يجب أن أعود فيها إلى البيت. لقد قبلت بهذا، أليس كذلك؟ لقد قبلت هذا الخبر المجنون الذي أُلقي علي في الحلم، وأتصرف كشخص بالغ هنا وأقوم بما هو صواب. نتيجة لهذا التصرف الناضج لا بد أن أكسب رحلة عودة إلى سريري في شقتي الخاصة....أليس كذلك؟ ولكني لا أزال حيث أنا، أضم ابني إلى صدري. وأتركه بعد دقيقة.

مكتبة

يقترب لارس وبقول: "دعني أضعك في السرير مرة أخرى، يا صديقي ويمسك يد ميتش. يلتفت نحوي ويقول: "ارجعي واجلسي على الأريكة، كاثرين. استرخي فحسب، سأعود قريبا". ولكنني لا أتوجه إلى الأريكة. بدلا من ذلك، أمشي إلى الردهة واقف أمام صورتي مع والديَّ عندما كنت طفلة. يعود لارس ومازلت أقف هناك. "كان عمرها عشرين عاماً في هذه الصورة،" أقول بصوت أجش. "كانت في العشرين عندما أنجبتني. وكان أبي في الثانية والعشرين". لا أستدير حتى أواجه لارس. "إنها في الثامنة والخمسين فقط. وهو أتم الستين لتوه. أعرف أنهما سوف يموتان في يوم ما. أنا أعلم ذلك. يفقد الجميع والديهم يوما ما. لكن ليس بعد. ليس في هذا الوقت المبكر "كاثرين".

فأثور عليه: "لا تناديني هكذا!" اسمي ليس كاثرين، اسمي كيتي. اسمي كيتي ميلر، وأنا امرأة كبيرة في السن امتلك مكتبة مع أفضل صديقة لي.. حياتي بسيطة جدا. هناك عدد قليل من المفاجآت فيها. لا تشبه هذه الحياة نهائياً". يقول وهو يضع يده على كتفي مترددا: "حسناً". ويوجهني نحو غرفة المعيشة: "دعينا نجلس مرة أخرى". نعود إلى الأريكة، ويضغط بلطف على كتفي لكي أجلس. وبعد أن يجلس إلى جانبي، أقول، "قل لي بالضبط ما الذي حصل لهما".

عيناه مليئتان بالآسى: "كاثرين"..

"لا". أجلس بشكل أكثر استقامة، عازمة على سماع الرد: "أخبرنى. لا يهمني إذا كنت تعتقد أنني أعرف بالفعل. انا لا اعرف. عليك أن تخبرني يتنهد ويرتشف شرابه. قال لي: "كانا يركبان الطائرة إلى هنا. كانا في رحلة العودة إلى المنزل بعد رحلة قاما بها إلى هاواي في ذكرى زفافهما الأربعين. كان الطقس سيئاً، عاصفة، و... "يتنهد مرة أخرى. "سقطت الطائرة، كاثرين، في المحيط الهادئ. لقد قتل جميع من كان على متن الطائرة. "أهز رأسي رافضة: "هذا غير صحيح". "لقد ذهبا إلى هاواي، لكنهما رجعا إلى المنزل

مكتبة

على ما يرام، بأمن وسلام. لم تسقط طائرتهما. لم يحدث شيء من هذا النوع"

لم يجبني ظل ينتظر. أسأله: "متى حصل ذلك؟ أخبرني بالتاريخ". "كان يوم الأربعاء"، يقول. "كان عيد الهالوين. وكانا قد استقلا الطائرة ليلة الثلاثاء، ليلة الثالث عشر من الشهر. وكان من المقرر ان تصل رحلة هونولولو الى لوس انجلوس صباح يوم الاربعاء، ومن ثم كانا سيرجعان الى دنفر. كان من الممكن أن يكون صباح عيد الهالوين".

أقف هنا: "حسنا، أرأيت"..

"لم يأتيا إلى المنزل يوم الهالوين. وصلا إلى البيت بعد يوم من عيد الهالوين. أتذكر ذلك بوضوح"

يقول بحزم وهو يهز رأسه: "لا، لا، كان يجب أن يكون يوم الهالوين، لأنهما أرادا أن يكونا هنا يوم الهالوين. لرؤية الأطفال في الأزياء التنكرية" أضحك. لا أستطيع السيطرة على نفسي. أهز رأسي، وأضحك، وأضحك. نوع من الهستيريا الحاد لا أتمكن من وصفه بالكلمات. يسالني لارس: "هل أنت بخير"؟

و أشهق للحصول على الهواء: "بالطبع، بالطبع، ولكن أترى كم هو سخيف هذا الشيء. لن يأتي والديَّ يوم الهالوين لرؤية الأطفال في الأزياء التنكرية. لأنه في العالم الحقيقي، لارس، لا يوجد أطفال! ألا تفهم؟ "ألوح بيدي حول الغرفة. "لا شيء من هذا هنا، لارس. لا شي منه. لا منزل، لا ميتش وميسي، لا مايكل. ولا أنت".

ثم تعلو وجهي علامات الأسى، عندما أفكر في ما يعنيه ذلك بالنسبة إليه. إنه لطيف جدا وجميل جدا ومثالي جدا، وآخر شيء أريده هو أن يكون هذا الرجل الروحاني قد توفي شابا، كما كان في شبابه في تلك الليلة في تشرين الأول عام 1954، عندما تحدثنا على الهاتف. وألتفت لأقابل وجهه. "أنا آسفة،" أهمس له. "آسفة. لا أريد أن يكون الوضع بهذه الطريقة بالنسبة إليك"

ضحكت. تلونت ضحكتي هذه المرة بنبرة سخرية: "كنت أفضّل لو تبين

مكتبة

لي حينها أنك الشخص الذي لطالما اعتقدت أنك هو - القذر الذي تخلف عن موعده معي. وليس شخصاً مات في شقته وحيداً. يقطب حاجبيه: "يا إلهي!عن ماذا تتحدثين"؟

أهمس له "لقد مِتَّ. آسفة جدا، حقاً آسفة. ولكن في العالم الحقيقي، لارس، لم نواصل ذلك الحديث على الهاتف. لقد خططنا للقاء، تودّعنا، وأغلقنا الهاتف. بعد يومين، ذهبت لمقابلتك وتناول القهوة معك، ولم تحضر. أصابتك نوبة قلبية وتوفيت تلك الليلة. مباشرة بعد أن أقفلنا الهاتف". يزدرد لارس آخر قطرة من شرابه.

"لم أسمع في حياتي بأكثر من هذا الجنون على الإطلاق!"

"لكنه ليس كذلك!" أضع يدي على ركبتيه، واضغط عليها من فوق البنطال. "إن الجنون هو كل هذا. أنت صورة من خيال كامل. هذا البيت وهذه العائلة وألمى والجيران وخصومتي مع فريدا، وموت والديَّ كل هذا جنون، لارس. إنه ليس العالم الحقيقي، ليس العالم الذي أعيش فيه، حيث كل الأشياء غير مثالية، ولكنه منطقي على الأقل

أميل نحوه، الف ذراعي حول عنقه، وأقبله بعمق. أريد أن أحفر ذكرى شفتيه، لمسته، في ذهني وقلبي. لا أريد أن أنساه أبدا - ولكنني أيضاً لا أريد أن أعود إلى هنا مرة أخرى!

ننفصل، أخيرا. أرنو إليه بنظرة أخيرة حزينة. أقول وأنا أقف: "سأذهب إلى الفراش الآن، سأذهب للاستلقاء في هذا السرير الوهمي في هذا البيت الوهمي، وسأنام نوما خيالياً، وعندما أستيقظ، سأعود إلى العالم الحقيقي ألمس خصلة الشعر خلف أذنه، كما لو كان واحدا من الأطفال. أهمس له "وداعا يا حبيبي

مكتبة

مكتبة

الفصل السادس والعشرون

لست متأكدة أين أنا عندما أستيقظ. الغرفة مظلمة، والسرير ضيق وعالٍ. والستائر اللتان تغطيان النافذتين المتجاورتين مغلقة. الغطاء الذي يلفني من (الشنيل) الناعم المريح.

ثم تصلني رائحة أميزها، رائحة القرع المشوي، والخزامى التي أستطيع تمييزها في أي مكان، وأدرك أنني في المنزل. ليس في بيتي، لست في منزلي ذي الطابقين، ولكنني في منزل والديَّ. أنني في غرفتي التي كانت لي في طفولتي، في المنزل القائم في شارع يورك. أزيح عني الأغطية، وأتوجه إلى إحدى النوافذ وأفتح الستائر. لا يزال الظلام مخيماً، والجو ضبابي. لا يمكنني معرفة ما إذا كانت الشمس قد أشرقت أو أن كان ينتظرنا يوم غائم. وليس لدي أي فكرة عن الوقت، فليس هناك ساعة في هذه الغرفة. أقول لنفسي سأذكر والدتي بأن تضع واحدة.

قبل بضع سنوات، بعد أن غادرت منزل أهلي، قامت والدتي بإزالة أشيائي الشخصية من هذه الغرفة. سحبت لافتات مدرستي الثانوية وملصقات الأفلام - كلارك غابل وفيفيان ليه في "ذهب مع الريح"، ديانا دوربين في "بدأ مع حواء". وليام هولدن ومارثا سكوت في "مدينتنا". وقامت أمي بطلاء الجدران، التي كانت باللون الفيروزي، بلون أكثر حيادا،وهو اللون البيج. استبدلت لحافي القديم المبرقع باللونين الوردي والأصفر، الذي كان منسجما مع لون الستائر، بغطاء الشنيل ذو اللون الأزرق الكولينيالي، مع ستائر منسجمة معه.

علقت على الجدران عدة نسخ صغيرة من لوحات المرحلة الانطباعية

مكتبة

الفرنسية: ديغاس راقصة الباليه، ومشاهد مقهى رينوار. قالت والدتي، عندما تم الانتهاء من فرش الغرفة: "إنها مثالية للضيوف،". بصراحة لا أتذكر أبداً استضافة والدي لأي ضيف هنا في أي وقت من الأوقات،على الرغم من أن والدتي على حق، ستكون الغرفة جميلة إذا ما استقبلا ضيفاً هنا. ألقي نظرة على جسمي، أجد أنني أرتدي ثوب نوم أبيض واسعاً جداً، بفتحة رقبة عالية مع ياقة من الدانتيل. لا شك أنه لأمي. ماذا حدث؟ هل كنت ثملة إلى درجة أنهما لم يتمكنا من توصيلي إلى شقتي؟ يا إلهي، كم هو مهين.

تركت لي والدتي كوباً من الماء على منضدة السرير بكل اهتمام، وقد شربتها كلها دفعة واحدة. رأسي يؤلمني قليلاً. أفتح باب غرفة النوم وأدلف إلى القاعة. أنظر إلى باب غرفة نوم والديَّ، وهو مغلق. وهذا كل ما يمكنني فعله لأمنع نفسي من فتح الباب بسرعة وإلقاء نفسي في الفراش بينهما، كطفلة في السادسة من العمر. وكطفلة بعمر السادسة، أذكّر نفسي بتهكم، بهذا العالم الخيالي.

ثم يعود لي شعور الرعب مما قاله لارس في الحلم. تفلت من حنجرتي صرخة خافتة، بالكاد تسمع. أتوقف عن المشي وأقف بلا حراك في المدخل المعتم، وأضم ذراعيَّ إلى صدري من أجل الشعور بالدفء. كانت والدتي قد ذكرت شيئا عن رحلة هونولولو يوم الثلاثاء بأنها "مروعة"، لذلك يبدو أن معلومات لارس كانت صحيحة على الأرجح. لا بد أن طائرة قادمة من هاواي قد سقطت في العاصفة، على الرغم من أنني لم أسمع عن ذلك هنا في العالم الحقيقي. أشعر بحزن شديد لأولئك الذين فقدوا أرواحهم وأولئك الذين فقدوا أحباءهم. ثم ينتابني شعور غامر بالراحة لأن والديَّ لم يكونا على متن تلك الطائرة.

أحاول أن أتخيل هذه الحياة، حياتي الحقيقية، دون وجود والديَّ. أدرك أن هذه الأمور تحدث، تتحطم الطائرات، يموت الناس. وأدرك أن الوفاة غير المتوقعة، سواء أكانت بسبب المرض أو بسبب حادث ما، يمكن أن تحدث

مكتبة

– لوالديَّ، لفريدا، لأي شخص أحب. ولكن ما يهمني في الأمر أن هذا لم يحدث، ليس لأمي وأبي، وليس في حياتي.

أتوجه إلى الصالة في الظلام، وأنا أقصد المطبخ وغلاية القهوة. لا يهم، لن أعود إلى ذاك العالم الخيالي. إنني غير متأكدة بعد كيف سأمنع ذلك من الحدوث، ولكن أمامي شيء واحد مؤكد: لن أعود إلى هناك مرة أخرى. ببساطة، لا يمكنني أن أسمح لذهني بالذهاب إلى هناك مرة أخرى، أقول لنفسي وأنا أملأ الغلاّية بالماء.

والحقيقة هي أنني أشعر بالرعب إذا ما انتهي بي الحال هناك مرة أخرى، قد لا أتمكن من العودة إلى الواقع. ومن المؤكد أنه لا يمكنني إطلاع والديَّ على القصة. فمن يقبل أن يسمع مثل هذا الخبر عن نفسه؟ أعد الإفطار وانتظر أن يستيقظا.

أول أمس، ذهبت إلى السوق وملأت ثلاجة بيتهما ببعض المواد الغذائية حتى أوفر لهما ما قد يحتاجانه في صباحهم الأول في المنزل: عصير البرتقال، خبز، كريمة وبيض. توقظهما رائحة القهوة، ويخرج كلٌ منهما من غرفة النوم، برداءين مربوطين حول الخصر، يعملان الأنف في الهواء تتبعاً لرائحة القهوة.

تركّز والدتي النظر في وجهي مطولاً. "كيتي "كيف كان نومك، حبيبتي؟ انظري إلى ذلك الانتفاخ تحت عينيك" تمد يدها إلى فنجان قهوة وتصب من الغلّاية. "أعتذر لأننا لم نعد بك إلى شقتك"، تستمر في الكلام بنبرة هادئة. "لقد شعرنا فقط بأنك –" "كل شيء على ما يرام،" أقاطعها وأنا أشعر بالإحراج. "آسفة".

"لا داع للاعتذار يجلس والدي إلى المنضدة بينما تملأ والدتي إناء الكريمة الصيني المألوف المنقوش بالورود، وهي قطعة أساسية في هذا البيت على ما أذكر، وتضعها، جنبا إلى جنب مع فنجان القهوة، أمام والدي.

"مررنا جميعاً بهذا مسبقاً، عزيزتي ويصب الكريمة في قهوته، ويضيف مكعباً من السكر، ويحرك. ثم يعطس بالطريقة التي يفعلها دائماً – بصوت عالٍ،

مكتبة

لا يبدو عطاسه مثل عطاس الأشخاص الطبيعيين، بل يبدو كنباح كلب كبير، كلب اللابرادور مثلاً، أو الكلب الدانماركي الضخم. يفاجئني ذاك الصوت دائماً، على الرغم من أنه مألوف.

أدرك أن شخصيتي في حياتي الأخرى - في حال عدت إلى هناك، وهو ما أنوي عدم القيام به أبداً - لن تسمع مرة أخرى ما كونه صخباً يومياً طبيعياً جداً. يسحب والدي منديلاً من جيب الروب الذي يرتديه ويمسح أنفه.

"أردنا فقط أن نتأكد من أنك بخير، لذلك ظننا أنك ستكونين أفضل حالا هنا"، يقول هذا، ويدس المنديل مرة أخرى في جيبه. أجلس بجانبه وأمرر أصابعي في شعري. "حسنا، أشعر بالإحراج، في كلتا الحالتين".

يضع أبي يده برفق على كتفي ويقول لي: "حبيبتي، نحن أهلك، ليس هناك داع لأن تشعري بالإحراج معنا، والدتك وأنا". ثم يأخذ رشفة من القهوة: "أنت تدركين ذلك، كيتي

بعد الإفطار، يقلني والداي مرة أخرى إلى شقتي ذات الطابقين. لا يزال الطقس غائما اليوم، ولكنه أكثر دفئاً مما يكون عليه الطقس عادةً في أوائل تشرين الثاني، ينتظرانني خارجاً ريثما أعيد ترتيب مظهري. أبدو كما لو أنني أُحْتَضَرْ، لذلك لا يمكنني أن أفعل شيئاً، مهما استخدمت من أدوات التجميل. بعد أن أغير ملابسي وأقوم بما أستطيع لوجهي الشاحب المنهك، يدخل والدايَّ معي إلى المتجر، ليلقيا التحية على فريدا. لا يزال الطقس غائماً، ونحن نمشي والمطر زخات خفيفة متقطعة تبلل رؤوسنا. ومع ذلك، فإن باب المحل مفتوح، ليسمح للنسيم الدافئ بالدخول.

تقول فريدا عندما دخلنا: "أظن أننا وصلنا إلى نهاية الفصل، إلى الفترة التي نستطيع فيها ترك الباب مفتوحا". نتبادل أنا وفريدا النظرات، وأعرف أننا نفكر في الشيء ذاته: قد تكون هذه آخر مرة على الإطلاق في هذا المكان الصغير. إن نقلنا متجر الكتب إلى مركز للتسوق، سيظل هناك باب مفتوح، ولكنه سيكون باب زجاجي زلاق كبير يؤدي إلى ممر خرساني حديث، وليس

مكتبة

إلى طريق جانبي قديم في المدينة.

تنهض فريدا وتخرج من وراء منضدة الشراء وتتجه لتقبل كلٍ من أبي وأمي. تقول لها أمي: "تبدين رائعة، عزيزتي"، تاركة مسافة ذراعٍ بينهما. أعرف أن فريدا تبدو في هذا اللحظة عكس ماتعنية كلمة (رائعة) فيتجهم وجهي. ترد فريدا:"أنت وتوم رائعان أيضا". تقبض فريدا على خصلة شعر شاردة من شعرها وتلفها خلف أذنها وتلتفت إلى أبي:

"توم، عليك أن تخبرني: هل هاواي هي نبع الشباب حقاً"؟ لا أستطيع تمالك نفسي؛ أتألم لسماع هذه الكلمات، على مستويات عدة، أولاً، لأن هاواي ربما كانت فعلاً نبع الشباب بالنسبة إليهما. الشتاء في كولورادو يمكن أن يكون قاسياً، وخاصة بالنسبة إلى كبار السن، بينما لا أعتبر والديَّ من كبار السن، إلا أنهما لم يعودا شابين أيضاً. أعرف، من نواح عديدة، أنهما سيكونان أفضل حالا لو كانا يعيشان في مكان ما، دافئ ٌ طوال الوقت، كما يفعل عمي وعمتي.

ثانياً، لأنه في ذلك الجزء الآخر من العالم، كل ما حصل في هاواي، ذكرياتهم الرائعة من فرصة العمر في هذه الرحلة، عدا عن كل ما لديهما هنا في المنزل، يسلب منهما، ومني. يغادر والدايَّ بعد زيارة قصيرة لفريدا. لا تزال السماء تهدد بعاصفة كاملة، وهما لا يريدان أن يعلقا في تلك العاصفة. الى جانب ذلك، تقول أمي أن عليها القيام بتفريغ الحقائب، وسيكون هناك تلال من الملابس التي تحتاج إلى الغسيل.

عند مغادرتهما، ألتفت إلى فريدا وأقول: "علي أن أقول لك شيئا، قد يبدو جنونياً" تبتسم فريدا. "دعينا إذاً نحضِّر غلّاية من القهوة أولاً". عندما نجلس إلى المنضدة مع أكوابنا، أجلس مقابلها. تشعل فريدا سيجارة ماركة "سالم" وتسحب منها نفساً عميقاً. ثم تدير وجهها بعيدا عني لتنفث دخانها، ثم تنظر نحوي مرة أخرى. مزاجها جيد وكأن عيناها تتراقصان. ألاحظ كيف يتأثر مزاجي بمزاجها كثيراً. إذا كانت تشعر بالنكد، أكون منكدة أيضا. وعندما

مكتبة

يكون مزاجها جيداً، يكون مزاجي كذلك. أشعر بالسعادة ولكن فريدا مبتهجة جداً اليوم، ولا أستطيع أن أحذو حذوها.

أبدأ بالقول: "يحدث معي شيء غريب خلال الأسابيع القليلة الماضية، عندما أذهب إلى النوم، أحلم أحيانا أنني في حياة أخرى".

آخذ نفساً عميقاً ثم أتابع: "حياة مختلفة تماما، مع أنني أكون أنا نفسي بالذات وتكون هي اللحظة الحاضرة نفسها.. في الواقع، مضت بضعة أشهر منذ، بداية آذار، أعتقد، و..

أتلعثم. لا أتمكن من التفكير في أي طريقة معقولة لشرح ذلك لها.

ترتشف فريدا قهوتها وتنفض السيجارة في منفضة السجائر على النضد. تقول: "كل إنسان عنده أحلامه، مثل تلك أحياناً. حلمت في الليلة الماضية أنني كنت ممثلة استعراضية في برودواي. كان عليك أن تسمعي صوتي، غنيت نسخة تبكّي السامع، من أغنية "إنها سوف تمطر قريباً"، لفرقة فانتاستيكس

أبتسم وأقول "أحلامي ليست بالضبط من هذا القبيل. هذه الأحلام، فريدا... انها حقيقية جدا، يصعب شرحها. ولكن الأمر هو أنه كان يمكن لتلك الحياة أن تكون. حياتي كلها، في هذه الأحلام، مبنية على حدث حصل قبل ثماني سنوات"

تهز رأسها. "عذرا، عزيزتي، أنا لا أفهمك على الإطلاق"

لذلك أخبرها. أشرح لها عن لارس والمكالمة الهاتفية، وكيف أننا في عالم الحلم، بقينا على الخط طويلاً بما يكفي، في جوهر القصة، من إنقاذ حياته. يبدو هذا سخيفاً عندما أقوله. وأذكر نفسي بأنه ربما هو كذلك. أشعلت فريدا سيجارة ثانية ودخنتها خلال حديثي الطويل؛ الآن تطفئ سيجارتها وتنظر إلي نظرة هازئة مداعبة: "لا بد أن الذي مات هو زوجك المفقود منذ أمد بعيد".

أعبس: "ماذا تقصدين"؟

"ألا تتذكرين"؟ تقوم بفتل كوب القهوة الفارغ على المنضدة. "قبل سنوات، أجرينا محادثة تناقشنا فيها حول سبب عدم التقائنا برجال أحلامنا.

مكتبة

وقد أطلقت نكتة مضحكة وقتها، قلت – وأعتقد أنني أقتبس كلامك مباشرة هنا – "حسنا، التفسير الوحيد الذي قد يكون منطقيا هو أنه توفي قبل أن تتاح لي الفرصة بمقابلته".

أصمت للحظة، لأستوعب ذلك. أنا أتذكر هذه المحادثة فعلاً. تكلمنا في هذا الموضوع ونحن نتناول المشروبات وسط المدينة في إحدى الليالي. أعتقد أننا كنا نحتفل ببيعنا الكتاب رقم خمسمائة، أو شيء من هذا القبيل.

"لا أستطيع أن أصدق أنني فعلا قلت ذلك"

أقول شاردة "أوه، لقد قلت ذلك، أنت على حق"

وترد وهي تلامس بأصابعها كوب القهوة. "إذا، كيف تنتهي هذه الحكاية الخرافية"؟

أقول: "كما تتوقعينها، نقع في الحب ونتزوج بسرعة كبيرة، في غضون عام، لأحمل بعد فترة ليست بطويلة ونعتقد أنني حامل بتوأم، وعند الولادة، نكتشف أنهم ثلاثة توائم".

تنفجر فريدا ضاحكة. "يا إلهي، هذه الرواية تصبح مسلية أكثر فأكثر، أرجوك قولي أنك تصبحين بعد إنجابهم سمينة مثل بقرة".

أقول مبتسمة "إنني سمينة بالفعل" تهز فريدا رأسها. "أنت لست سمينة، كيتي تصب لنفسها المزيد من القهوة، وتمد لي يدها بالغلّاية. "أنت ممتلئة،أختاه". أدير عيني في محجريهما، أتركها تعيد ملأ فنجاني، وانتظرها حتى تجلس. أقول لها: "الأمر هو....الأمر أنني في البداية وجدت الأمر مثالياً. كان رجلاً مثالياً. المنزل كان مثالياً. الأطفال مثاليين، حسناً، نوعاً ما، ولكن هذه قصة أخرى. كلما أمضيت المزيد من الوقت هناك، كلما.....

أتوه عن سياق الكلام، لأنني لا أعرف كيف أشرح أي من ذلك. سواء أكانت حالة مايكل، أم شعوري بالذنب بشأن حالته – التي يمكن أن أحكي عنها حتى من هذا المسافة الفاصلة بين عالمين مختلفين تماماً – كيف أشرح أنها كانت تثقل علي وتمزقني في حياتي التي أعيشها في خيالي؛ أو ما حدث

مكتبة

مع فريدا في تلك الحياة. كيف يمكنني أن أشرح لها أننا حتى لا نتبادل الكلام هناك؟ وبالتأكيد لا أستطيع الحديث عمّا حصل مع والديَّ. لا أستطيع أن أقول لها ما يحدث لهما. لذا أنهي جملتي بأن أقول"....كلما بدت أقل مثالية"، وأنهي الكلام عند هذا الحد.

تضع فريدا يدها على يديَّ وتقول: "يا حبيبتي، لا أدري لماذا تسمحين لهذا الأمر بالتأثير عليك بهذا الشكل

تنظر من النافذة، ثم تعود إلي. "لقد كانت فترة تسبب التوتر لكل فرد فينا في الآونة الأخيرة ما يحدث في كوبا، وعدم اليقين بشأن ما سيحدث، سواء في العالم الأكبر، أوهنا في عالمنا الصغير. ولكن حياتك الخيالية هذه... إنها مجرد هروب، كيتي. انها ليست حقيقية".

أبكي: "لكن الأمر يبدو حقيقيا! إنه شعور حقيقي تماما، وعندما أكون هناك، لا أستطيع ألا أشعر... لا أستطيع ألا أقلق..

أهز رأسي وأبحث عن النافذة: "أشعر بالرعب من أن أغفو في واحدة من تلك الليالي وينتهي بي الأمر هناك بشكل دائم، ولا أكون قادرة على العودة إلى هنا مرة أخرى".

"هاك! لقد قلتها".

تقف فريدا وتذهب إلى النافذة. وتطلب مني الانضمام إليها. تقول: "ضعي يدك هنا"، وتضع يدها على الزجاج. أقوم بنفس الشيء. تسألني: "أتشعرين كم هي دافئة؟ أتشعرين بالشمس"؟

إنها على حق. متى أصبح الطقس مشمساً هكذا؟ بدا أن طبقة الغيوم التي غطت السماء صباحاً، كانت ستستمر طوال اليوم، ولكن الشمس قد سطعت الآن، والزجاج بدا ساخناً، تقريباً. أنظر إلى فريدا وأهز رأسي. تأخذ يدي وتتجه إلى خزانة الكتب. تضع أصابعي على غلاف كتاب جديد، أنيق بلون الذهب على طول حواف الورق الرقيقة.

"تشعرين بهذا، أيضا، أليس كذلك"؟ أهز برأسي مرة أخرى. تقودني إلى

مكتبة

المدخل، وننزل إلى الرصيف. تمر شاحنة، وتملأ أنوفنا بأبخرة الديزل. تقول فريدا: "لا يمكنك أن تقولي لي بأنك لم تشمِ رائحة ذلك. والقهوة تذوقتِ طعمها، أليس كذلك؟ شعرتِ بقبلة والدتك عندما ودعتك، وعناق والدك. يمكنك أن تشعري بجواربك على ساقيك، يمكنك أن تشعري بأقراطك تضغط على آذانك. أليس كذلك"؟

"فريدا، أستطيع أن أشعر بكل ذلك. ولكن الفكرة هي، أنني أشعر بتلك الأشياء في الحياة الأخرى أيضاً"

تهز رأسها. "لا، لديك مخيلة واسعة جداً، كيتي. هذا شيء عظيم. عقل نشط – حتى في النوم – هذا علامة على الذكاء"

أنظر إليها، عندما تلتقي عيني بعينيها، أشعر بطيبتها. تضيف: "لكن عالم الحلم هذا ليس واقعاً، هذه..".

تحرك ذراعها الطويلة الجميلة، لتملأ الفضاء، فضاءنا. ثم تضع ذراعها حول خصري وتشدني إليها وتهمس:. "هذا.. هذا هو المكان الذي تنتمين إليه"

الفصل السابع والعشرون

كنت خائفة فعلاً من الذهاب إلى النوم تلك الليلة، كما قلت لفريدا في البداية.

أؤجل الأمر لأطول فترة ممكنة، أعد لوالديَّ عشاءاً كاملاً كما وعدته: اللازانيا، خبز الثوم، السلطة، ولدي نبيذ للاحتفال، ولكني أحرص على شرب كأس واحد فقط. نبقى ثلاثتنا مستيقظين حتى وقت متأخر نتحدث، ونتذكر الأوقات القديمة، ونضحك على الصور التي تُظهر كم كنت خرقاء في صغري وكم كانا شابين في ألبوم الصور الذي أحتفظ به في مكتبي.

وأخيرا، في الساعة الحادية عشرة، يتثاءبان ويقولان إن الوقت قد حان للمغادرة. عند الباب، يعانقني كل منهما بقوة. فأهمس "مرحبا بعودتكما، أنا سعيدة جدا لأنكما عدتما".

مكتبة

بعد أن صعدا إلي سيارتهما وابتعدا بالسيارة، أجلس على الأريكة، أكتب مسودةً لكتاب غريغ التالي. سيكون حول ما يفعله لاعبو كرة القاعدة في فترة الإجازة، هذا ما قررته. ما يفعلونه هو القيام بزيارات شخصية لمعجبيهم المخلصين، طبعاً، أشخاص مثل غريغ هانسن.

أصل إلى القسم الأوسط عندما يصل ويل مايز إلى باب شقتنا الصغيرة ذات الطابقين في شارع واشنطن. أضع خطاً تحت الكلمات التي أود من غريغ أن يحفظها: موسم، شارع، تكسي، ولا أدري كيف سينتهي الكتاب، أعض على قلمي وأنا غارقة في التفكير، محاولة معرفة النهاية، ولكنني لا أستطيع التركيز.

أخيرا، أضع صفحات المسودة جانباً وأبدأ القراءة "الفشل والأمن"، الرواية التي وصلتنا مؤخراً إلى المتجر، عن الحرب النووية. تلقت الرواية آستحساناً رائعة في "دنفر بوست" يوم الأحد الماضي، وأتوقع من العملاء أن يبدأوا بالسؤال عنها. القصة تحديداً ليست مثيرة للاهتمام بالنسبة إلي، ولكني بحاجة إلى قراءتها حتى أتمكن من الإجابة على أسئلة الزبائن.

وبينما أحدق في الصفحات، وأعيد قراءة نفس الأسطر مرارا وتكرارا، تتجه عيني بلهفةٍ نحو نهاية المنضدة، حيث أضع نسخة من رواية "استعراض الآنسة جان برودي" التي كتبها موريل سبارك. قرأت تلك الرواية العام الماضي عندما صدرت لأول مرة، كانت جيدة جداً، لدرجة أنني أريد أن أقرأها مرة أخرى.

أخاطب نفسي: حسناً، على الرغم من حاجتي إلى مواكبة الكتب الخيالية الأكثر مبيعاً– تلك العناوين الصادرة حديثا، والتي تحظى بشعبية لدى الزبائن، لكن الشيء الأكثر أهمية في الوقت الراهن هو أن أظل مستيقظة. أترك رواية "فشل أمني وأمسك كتاب "مس برودي"

تمر نصف ساعة أخرى، وعلى الرغم من انتقالي لكتاب يعجبني إلا أني لا أستطيع مقاومة النعاس. أذهب إلى المطبخ وأحضّر كأس شاي ثقيل أضعه إلى

مكتبة

جانبي، وأستقر مجدداً على الأريكة، وأحمل الرواية المحفزة. أرشف الشاي، وأقرأ عدة صفحات أخرى، وأقاوم كي لا أغفو. لم أفاجأ عندما استيقظت ووجدت نفسي في منزل سبرينيغ فيلد. ومع ذلك، تعلق آهةٌ في حنجرتي، عندما أفتح عيني وأرى غرفة النوم الخضراء. أغمض جفني على أمل أني سأجعلها تختفي، وأعلم تماماً أن ذلك لن يحصل. أتنهد وأفتح عيني مجدداً. أدرك أن الوقت حوالي الظهيرة، بسبب الضوء القادم من باب الفناء. أنظر إلى الساعة الموجودة على منضدة السرير، من جهة لارس، تشير إلى ما بعد الحادية عشرة. إنني وحدي في السرير. باب غرفة النوم مغلق. أنهض وأمشي بهدوء عبر المنزل وصولاً إلى المطبخ. ألمى هناك، تجلس إلى المنضدة. لا بد أنه وقت استراحة القهوة. إنها تقرأ الصحيفة، مع كوب القهوة على المنضدة أمامها. ترفع ألمى نظرها إليَّ عند دخولي. تبادرني بالسؤال: "كيف تشعرين، سنيورة أندرسون"؟ يؤثر بي القلق الصادق الظاهر في صوتها.

أقول وأنا أصب كوباً من القهوة من الغلّاية: "إنني... أشعر أنني بخير. أين السيد أندرسون والأطفال"؟

"سينور أندرسون، أخذ إجازة اليوم من العمل. ليتيح لك الحصول على بعض الراحة. لقد أخذ ميتش وميسي إلى المدرسة. وقال إنه سيحاول البقاء مع مايكل خارجاً قدر الإمكان. وبهذه الطريقة، يبقى المنزل هادئاً".

ثم تقف وتقول: "أحاول، هذا الصباح، القيام بالأعمال التي لا تسبب ضجة. لم أزعجك، أليس كذلك؟ "أقول لا وأنا أهز رأسي بالنفي: "أنت لم تزعجيني على الإطلاق. أقدر لك ذلك"

"يقول سنيور أندرسون أنك أمضيت ليلة سيئة".

أومئ برأسي أن نعم وأجلس إلى المنضدة.

"هل تريدين أن أعد لك شيئا؟ بعض البيض والخبز المحمص؟".

أقول لها وأنا أرشف قهوتي: "نعم، سيكون هذا لطيفاً. شكراً". تبدأ بالعمل قرب الموقد.

مكتبة

ألقي نظرة على الصفحة الأولى من الصحيفة، المؤرخة يوم الاثنين، 4 آذار 1963.

يظهر العنوان: "إنهيار ثلجي بالقرب من أوراي يدفن ثلاثة أشخاص"، وتملأ الصورة معظم الصفحة، وهي تظهر العمال الذين يحاولون إنقاذ ضحايا الانهيار على ممر جبلي في الجزء الجنوبي الغربي من الولاية. أقول لها وهي تضع الطبق أمامي: "ألمى، هل يمكنك الجلوس والتحدث معي لدقيقة"؟ تهز كتفيها. "نعم. إن كنت ترغبين في ذلك"

"صبّي لنفسك المزيد من القهوة". ترفع حاجبيها باستغراب، لكنها تمتثل لطلبي أحتاج إلى بعض المعلومات،" أقول لها وهي تجلس في المقعد المقابل لي:". إن الأشياء التي سأسألك عنها سوف تبدو جنونية، لأنها جميعها أشياءٌ يجب أن أعرفها. ولكنني لا أستطيع أن أتذكرها، وأنا بحاجة لمساعدتك". تميل برأسها، وقد أثير فضولها، وتنتظر.

"أولا، هل يمكن لك أن تخبرني متى بدأت العمل لدينا"؟

قالت: "مممم. أعتقد في شهر أيار. سنة 1958. هذا المنزل جديد، أنت وسينور أندرسون والأطفال، انتقلتم إلى هنا مؤخراً. قمتما بتوظيفي من أجل هذا البيت، فهو أكبر من أن تتمكني من إدارته من دون مساعدة. خصوصاً وأنك كنت تعملين في تلك الأيام، سنيورة"

"حقاً؟ وماذا يمكنك أن تخبريني عن ذلك العمل؟".

"لديك متجرَ كتب مع السيدة الأخرى، سينوريتا غرين. تذهبين إلى المكتبة كل يوم وتتركين الأطفال هنا. مذ كانوا رضّعاً، أعمارهم كانت أقل من سنتين".

"وكنت تهتمين بهم"؟ تضحك وتقول: "ليس أنا، كان عددهم كبيراً، هؤلاء الثلاثة. لا يمكن لشخص عليه الاهتمام بالأعمال المنزلية، وعليه أن يطهو وجبات الطعام، أن يهتم بهذا العدد من الأولاد أيضاً. لا، سيدتي، لديك مربية. ألا تذكرين جيني"؟ أهز رأسي نفياً: "حتى لو كنت أذكرها... حدثيني عنها

مكتبة

كما لو أني لا أعرفها".

"إنها تعتقد أنها أعلى منزلة وأرقى، تلك المرأة. ولكن لو سألتني رأيي، هي تثير الغيظ. ليست طيبة". تتغضن شفاه ألمى وهي تسترسل. "جيني لديها درجة جامعية مرموقة في الطب النفسي للأطفال... أنا لا أعرف الكلمات الإنكليزية المقابلة لهذا المعنى؛ إنها تعني العناية بما في رؤوس الأطفال من الداخل. لكنها لم تجد أي عمل تقوم به. إن تسأليني لماذا، لا أعرف الجواب. ولكن في وقت لاحق، عندما تعرفت عليها بشكل جيد، أعتقد أنني أستطيع تخمين السبب. حضرت جيني إلى هنا لتعمل لديك أنت والسنيور أندرسون، تتردد ألمى ثم تقول: "هذا ليس من شأني، سيدتي، لكنني قلت لك عندئذ، وأنا أقولها مرة أخرى الآن. كان لدي الكثير من الصديقات، اللواتي ربين الأطفال، أطفالهن وأطفال آخرين، وقد يقاتلن من أجل العمل في تربية أولادك. ولكن جيني، إنها "محترفة" هذا ما قلتيه آنذاك، سيدتي. "تقول ألمى ذلك، والضيق بادٍ عليها.

"الأطفال المساكين. أمهم لا تستطيع أن تكون موجودة دائماً. حسناً. يحتاجون عندها إلى شخص آخر يكون مثل أمهم. لا يحتاجون إلى شخص يتصرف معم وكأنهم فئران اختبار

أحسست بوجهي وهو يتجهم، تضع ألمى يدها على يدي لمدة قصيرة. تقول: "أنا آسفة. لا ينبغي أن أقول هذا. إنه لمن القسوة أن أقول هذا" أرفع كتفي بالنفي: "لا بأس. تابعي

"جيني تعمل لديك قبلي. وهي تعتقد أنها تعرف كل شيء عن هذه العائلة. لكني أعتقد أن جيني صارمة جدا مع الأطفال". ثم تسحب ألمى يدها. "خصوصا مايكل. جيني تعتقد..".

ترشف ألمى القهوة وتردد: "إنها تعتقد أن هناك شيئا خاطئا في رأسه. تعتقد أنه مجنون. نعم. حسناً، هي على حق في ذلك. آسفة لقولي ذلك، سنيورة، لكن هي.. لكنها تعتقد أيضاً أنها يمكنها علاجه. مايكل لا يريد القيام

مكتبة

بأشياء يقوم بها الأولاد العاديون. كرمي الكرة، والاستماع إلى الموسيقى، وقراءة الكتب. هذه الأشياء لا تهمه. انه يجلس في أي زاوية ويدندن. وجيني تسحبه من ذراعيه الصغيرين وتجعله ينضم إلى الأطفال الآخرين. إنها تأخذ بيده وتشدها بقوة". تضع ألمى إحدى كفيها في الكف الأخرى وتحبسها بإحكام، مما يجعل جلدها يصبح أحمر تحت أصابعها. تترك يدها وتتنهد، وأجد أنني أتنهد معها.

تتابع ألمى. "تجبر جيني مايكل على الانضمام إليهم في اللعب. إنها تحاول جعله يغني. (حلقة حول روزي.) تشده، حتى يسقطون جميعهم على الأرض. وعندما يبكي، هي..

تتوقف ألمى وتعض على شفتيها. "حقاً، أنت لا تذكرين هذا، سنيورا؟ أنت لا تتذكرين أي من هذا؟".

ابتلع ريقي بصعوبة. "استمري في إخباري فحسب"

تقول ألمى بهدوء: "إنها تصفعه، سنيورا أندرسون، قلبي، ينكسر لرؤية ذلك. جيني تصفعه ويصرخ بأعلى صوته، فترفعه وتضعه في الزاوية وتسد فمه حتى لا يصرخ. إنه طفل صغير، صبي صغير. الطفلان الآخران، إنهما لطيفان جداً، كما هما الآن – يقفان هناك، ممسكين بيدي بعضهما، لا يعرفان ماذا عليهما أن يفعلا. يأتيان إلي ويشدانني من ثيابي. مفرادتهما محدودة، ولكنني أدرك ما يحاولان قوله: ألمى، افعلي شيئا! وأنا أرفع يداي، فماذا يمكنني أن أفعل؟ ماذا؟ تلك المرأة، إنها شخص واحد، ولكن هذا ليس من شأني. وظيفتي هي تنظيف الحمامات وطهي الطعام، وليس تربية الأطفال"

أقول بهدوء: "هل كنا... هل كان لدينا، أنا والسيد أندرسون.. أي فكرة؟".

"حسناً، كان عقل الصبي غير سليم، رأسه ليس سليماً. أنا آسفة لقول ذلك. الجميع يعرف هذا. السيد أندرسون يعرف من قبلك. لقد توسل إليك لكي تأخذا مايكل إلى الطبيب. ولكنك كنت تقولين مايكل بخير، إنه فقط خجول وبطيء نوعاً ما، لا يمكنه أن يقوم بالأشياء بالسرعة ذاتها التي ينجز

مكتبة

بها الأطفال الآخرين مايقومون به. كنت تقولين أنه سيتمكن من ذلك في الوقت المناسب".

"لكننا لم نكن نعرف... أنه كان يتعرض ل... أنها كانت..".

تهز ألمى رأسها. "لا، كنتم لا تعرفون عن ذلك. أردت أن أقول لك. كان يجب أن أقول لكم قبل فترة طويلة من اليوم".

قالت، وهي تخفض نظرها: "كما قلت لك، جيني جاءت هنا قبلي. أنا فتاة جديدة. وفي تلك الأيام كنت أخشى أن أتكلم. خشيت أن أفقد وظيفتي

"لكنك فعلت... قلتِ، في نهاية المطاف" كانت نظرتها حزينة

"نعم. مرت أكثر من سنة حتى تكلمت بعدها. وعندما تكلمت، قمتم بطرد جيني بسرعة البرق، مثل ال.. "تحرك ذراعها مثل موجة، لترسم ما يشبه خطوط البرق في السماء. "أنا، كنت سعيدة لذلك. وداعا جيني!" قالت، وهي تضع كأسها: "ثم قمتِ بأخذ مايكل إلى الأطباء لاستشارتهم".

"ماذا قالوا لي"؟

تقف ألمى وتقول: "قالوا لك أن هذا خطؤك، سنيورة. قالوا لك إنه مصاب بمرض التوحد، ولا يستطيعون علاجه. وقالوا إن السبب هو أنه كان بحاجة إلى أمه عندما كان صغيراً. لكنها لم تكن موجودة بقربه عندما كان يحتاجها".

أشعر بتغضن وجهي من التجهم: "هل تعتقدين ذلك، ألمى؟ هل تعتقدين أنه خطأي؟

تمسح ألمى صحني الفارغ. "سنيورة، أنا أقول الكثير. هناك عمل يجب القيام به. سأقوم بتشغيل المكنسة الكهربائية، بما أنك مستيقظة الآن. حسناً"؟

أقول لنفسي. أريد أن أغمض عيني، أذهب إلى النوم، وأستيقظ في المنزل، ولكني أعلم أنني لن أفعل، ليس بعد. حسناً، إنه رأي شخص واحد فقط. على الرغم من أن ألمى هي الشاهد الأكثر مصداقية، لايمكن أن أجد شاهداً بمصداقيتها. ولكن. لا يمكن أن تكون هذه هي القصة بأكملها.

يدور ذهني بالتفكير وأنا أغسل فنجان القهوة في الحوض، حتى لو

مكتبة

كانت هذه هي القصة الكاملة، فلماذا ميتش وميسي على ما يرام؟ إذا كان مايكل مصابا بالتوحد لأنني تلك الأم الرهيبة، فلماذا، لم يكن طفلاي الآخران مصابين بالتوحد أيضا؟

أسخر على الفور من هذه الاستجابة السهلة. لا يحصل هذا المرض بتلك السهولة، يقول لي حسي الداخلي الناقد هذا. لو كان هذا هو السبب، سيكون هناك الكثير من الناس الذين يعانون من التوحد في العالم. لأن هناك الكثير من الأمهات الرهيبات.

والحقيقة هي، وهذا ما أكتشفه أثناء عودتي إلى غرفة النوم الرئيسية لأبدل ملابسي، أنه ينبغي أن يكون هناك بعض العناصر التي تصيب شخصاً ولا تصيب الآخر. وأياً كان ذلك العنصر فقد أصاب مايكل- دعينا نكون صادقين، كيتي، ما أصاب مايكل هو أمومتك الفظيعة- ولم يتمكن من إصابة الاثنين الآخرين بطريقة أو بأخرى. لقد نجيا من الرصاصة، وسوف يكونان على ما يرام.

ولكن هل هما حقاً على ما يرام؟ أوقفت ألمى قصتها عند طردنا لجيني، يليه تشخيص مايكل. ولكن يمكنني أن ألتقط ما تبقى من القصة هناك. لا بد أنني تركت متجر الكتب عندئذ. لا بد أنني تركت فريدا، ربما بشكل مفاجئ تماماً. ومكثت هنا، بقيت في المنزل مع الأطفال أقوم بواجباتي أصلي وآمل أنه لم يفت الأوان. لكي أمحي أي ضرر كنت قد تسببت به لمايكل. على أمل، أيضاً، ألا يصيب طفليّ الآخرين ما أصابه.

ألقي نظرة على السرير في غرفة النوم، لا يزال غير مرتب، الشراشف مكوّمة كما لو أن الذين أمضيا الليلة في السرير حظيا بليلة مؤرقة. ربما كنا مؤرقَّين، أنا ولارس. أعبر الغرفة إلى السرير، وأرتب الشراشف والمفارش، أنفض الوسائد. أشعر أن ترتيب السرير ليس عملي على الأغلب، على الأقل ليس في الأيام التي تكون فيها ألمى هنا. ومع ذلك، أشعر بأنني مضطرة للقيام بذلك.

مكتبة

أفتح باب خزانة، وأتفحص الملابس أمامي، محاولة أن أختار شيئاً لأرتديه. ولكنني لا أستطيع أن أركز على الملابس، وأبدأ، بدلا من ذلك، برؤية مقتطفات صغيرة من حياتي عبر السنوات القليلة الماضية.

أتذكر بعض تلك الأيام. ليس كل الأيام، بعضاً منها فقط. كان أطفالي بعمر السنتين والنصف، عندما طردت جيني، مصرة على تكريس على نفسي، قلباً وقالباً، في تنشئة عائلتي. كنت متأكدة من أنني أستطيع أن أحقق بعض التغييرات. يمكن أن أجعل مايكل يحبني. يمكنني أن أجعله طبيعياً، مثل أخيه وأخته. قررت أن قضاءنا الوقت في باحة البيت، والعمل في الأرض، سيكون مفيداً لنا جميعا. في ذلك الربيع زرعنا حديقة خضروات: شتلات خس صغيرة، وبذور الجزر التي وضعناها بعناية في صفوف مرتبة في التربة المحضَّرة لذلك؛ نباتات الطماطم المتسلقة التي اشتريناها من مخزن الحديقة، بالقرب من شقتي القديمة، وقمنا بزرعها في قطعة أرض، على طول السياج الخلفي.

كان علي أن أمنع ميتش وميسي من إجراء معارك بالسيف مع أغصان الطماطم، وأنجزنا هذه المهمة، في نهاية المطاف، ونمت نباتات الطماطم. قلت للارس، وأنا أشعر بالارتياح، عندما عاد إلى البيت من العمل: "الطعام الطازج والهواء النقي، هذا سيغير كل شيء".

أتذكر كيف ابتسم ابتسامة تقدير، معجباً،بشكل واضح، بهذه النسخة الجديدة من زوجته. "كاثرين المزارعة"، ودعاني، "عامل المزرعة".

زرعت،مع التوائم الثلاثة، بعض بصيلات الأزهار في الفناء الأمامي. سمحت للأطفال بأن يختاروا أنواع البذور، وانتظرنا بترقب كي تشق تلك الزهور طريقها عبر التربة وتضيف مساحة من الألوان إلى حديقتنا. ميتش وميسي أَحبَّا الفوضى الموحلة والملونة، والتربة الدافئة التي تتسرب من خلال أصابعهما، أما مايكل فقد كره هذا، وكان يصرخ عندما تتراكم الأوساخ تحت أظافره.

مكتبة

عندما جاء الخريف، وصار علينا أن نقضي وقتاً أطول في الداخل، اكتشفت أن اللعب الخيالي من شأنه أن يساعد مايكل في العثور على وسيلة للتواصل - وإلى جانب ذلك، لطالما أرادت ميسي أن تصبح أميرة عندما تكبر. لذلك لعبنا لعبة الثياب التنكرية. في أيام السبت، عندما يعطيني لارس إجازة من مهام رعاية الأطفال لبضع ساعات، كنت أمر على مخزن "جيش الخلاص"، وأجلب "كنوزاً" إلى المنزل من قماش الساتان والدانتيل، الذي كنت أحوله، مع القليل من السحر، إلى زي بعد زي، باستخدام آلة الخياطة، وهي إحدى المواهب الأخرى التي لم أمتلكها في العالم الحقيقي، تلك الموهبة التي حولتني، وفق ما تمنيت، إلى ربة المنزل التي كنت واثقة من أنني أستطيع أن أكونها.

ميسي أحبت الأزياء. غيرت ملابسها عشرين مرة في اليوم، لتصبح سندريلا والجميلة النائمة وأميرة أخرى اخترعتها بنفسها، أميرة اسمها كلير، على اسم والدتي، وهو الاسم الأوسط لميسي. الأميرة كلير أرادت أن تتزوج الأمير جون - الاسم الذي أعطته لميتش - وكانت تجبره على ذلك، وكان كلاهما يضحك على ارتدائه تاج من القصدير وسترة مخملية صغيرة. حاولت الشيء نفسه مع مايكل. "يمكن للأميرة أن تتزوج العدد الذي تريده من الأمراء،" قالت لنا ميسي بنبرة تسلط. لكن مايكل مزق قطع الزينة الملكية بوحشية وهرب من الغرفة، واختبأ مرتجفا في زاوية غرفة نومه خلف سريره.

ظننت أن الخروج إلى الأماكن العامة قد يعطي مايكل الفرصة ليتعلم التفاعل مع أنواع مختلفة من الناس. لذلك ذهبنا في نزهات مختلفة: حديقة الحيوان، الحديقة العامة، المكتبة. على الرغم من أن لدي سيارتي، لكننا،في بعض الأحيان، كنا نركب الحافلة، لأن ميتش، على الرغم من كونه في الثالثة فقط، كان قد بدأ علاقة حب مع وسائل النقل بالفعل. كانت تلك الرحلات مرهقة، لأنني لم أكن أعرف كيف سيتصرف مايكل، لم أعرف ما الذي قد يثير غضبه، إن لم يكن كلَّ شيء.

مكتبة

رأيت نفسي أشبه امرأةً كانت تمرُّ علينا في متجر الكتب، مع ابنة مصابة بالتوحد. أدرك الآن شعور تلك المرأة، لأنها نفس مشاعري عندما أخرجت أطفالي من المنزل. قد يكون يومنا يسير على نحو جيد، ثم فجأة، بدون سابق إنذار. يحدث شيء ما: قد يجوع مايكل وأكون قد حضرت وجبة خفيفة مختلفة عن تلك التي وعدته بها، أو قد يصعد طفل آخر في الحديقة على الأرجوحة التي كان هو يتجه إليها، أو أن الطقس الذي تنبأوا به على شاشة التلفزيون بأنه سيكون مشمسا، قد تحول بشكل غير متوقع إلى بارد وغائم، عندها سيبدأ الصراخ، والنواح، ويبدأ الطفلان الآخران بالبكاء، ثم أتبعهم أنا بالبكاء. أقصى ما يمكنني القيام به عندها هو إعادة الجميع مرة أخرى إلى شارع سبرينغفيلد سالمين.

مكتبة الرمحي أحمد

في الوقت الذي يصل لارس فيه إلى البيت في المساء، تكون طاقتي قد استنفذت. وأفضل ما أستطيع القيام به عند ذلك سيكون الجلوس بهدوء على الأريكة، وقراءة القصص لميتش وميسي، الملتفان على نفسيهما بجانبي.

أما بالنسبة إلى مايكل، على ما أتذكر، فكنت أشعر بسعادة كبيرة عند تسليمه إلى لارس كل ليلة. لقد أوضحت للارس أنه في اللحظة التي سيدخل فيها من الباب، سيكون مايكل مسؤوليته.

على الرغم من رغبتي في تعويض مايكل- أن أقوم بعلاجه، بتغييره – لكني أصبح في نهاية اليوم، غير قادرة على تحمل قضاء ثانية أخرى معه.

في شهر أيلول، قبل أن يصبح التوائم في الرابعة، بدأ ميتش وميسي بارتياد الروضة لثلاث ساعات في الأسبوع. لابد لهذا أن يجعل الأمور أفضل، من الناحية المنطقية. فرعاية طفل واحد، وإن كان طفلاً مثل مايكل، ينبغي أن تكون أسهل بكثير من العناية بثلاثة، أليس كذلك؟ المفاجأة هي أني وجدت الأمور أكثر صعوبة في الأيام التي يكون فيها ميتش وميسي في المدرسة. كنا، أنا ومايكل على حد سواء، نشعر بافتقادنا لهما، ولم يرضِ الوقت الذي قضيناه معا، لوحدنا، أيٍّ منا. على الرغم من أن الكلمات التي يملكها لاتسعفه في

مكتبة

التعبير عن نفسه -كان قليل الكلام، وحتى إن قال شيئاً كان علينا العمل على تفسيره عادة – لم يفهم مايكل لماذا لا يستطيع الانضمام إلى أخيه وأخته في المدرسة. بالإضافة إلى أنه لم يتمكن من فهم سبب عدم تمكنه من منع ميتش وميسي من الذهاب إليها. كان يقول بإصرار عندما كنت أقوم بتوصيلهما كل صباح "مايكل يذهب"،و يهز رأسه بعنف، ويغرس أصابعه في ذراعي وأنا احتجزه في المدخل، وأحاول سرقة لحظة لأودع الولدين بقبلة، ونادرا ما تتاح لي الفرصة للقيام بذلك. "مايكل يذهب أيضا! أو لا تذهبا. "لا، لا تذهبا!" وتبدأ نوبة الغضب، وينهال علي بقبضتيه الصغيرتين، بينما أقوم بسحبه إلى السيارة، وتحدق بنا الأمهات الأخريات، ويهمسن فيما بينهن، في حين أقوم بانسحاب سريع. خلال فترة القيادة القصيرة للعودة إلى المنزل، أكون صامتة ومايكل يصرخ وينشج. كنت أعرف أن من واجبي مساعدته، تهدئته. ولكن ما من شيء أقوله، أو أفعله ينفع معه، لا لسمة، ولا كلمة، ولا إشارة من أي نوع ستكون مهمة بالنسبة إليه. لذلك تعلمت أن أبقي عيني على الطريق، واختنق بدموع شعوري بالذنب. قلت لنفسي، ما من شيء يمكنني فعله لطفلي. الضرر قد وقع؛ والوقت قد فات. الخطأ خطأي.

في نهاية المطاف جعلت لارس يتكفل بمهمة توصيل الطفلين إلى الروضة. ساعدنا ذلك، ولكن أمر إحضارهم عند العودة ،بقي يشكل رعباً بالنسبة إلي. لم أكن متأكدة أبدا كيف سيتصرف مايكل في غمار هذا التجمع من الأطفال، والأمهات، والفوضى، في نهاية اليوم المدرسي. إنما لم يكن هناك بد من ذلك، لم أجد وسيلة لتجنبه؛ لأن لارس يكون في مكتبه في تلك الساعة.

كان الساعات الفاصلة بين إيصال لارس للطفلين إلى الروضة، وبين لحظة توجهي إلى المدرسة لإعادتهما تمر بطيئة طويلة وكأنها خالدة لاتنتهي. بذلت قصارى جهدي للترفيه عن مايكل، في محاولة لجذب اهتمامه، بأن أقرأ له القصص على الأريكة، بالتجول حول الأبنية على إيقاع تواتر مشيته البطيئة،

مكتبة

بأخذه إلى الملعب في أيام الطقس اللطيف، حيث كنت أضعه في الأرجوحة وأهزه لساعات، وهو شيء كان يحبه، الأمر الذي أراحني بطريقة ما، كانت فرصة لأصفي تفكيري، الرتم المنظم، والوتيرة الثابتة للأرجوحة على سلاسلها كان مريحاً لي ولمايكل.

كان ميتش وميسي يتوهجان مع كل ما تعلماه في الروضة. كانا يعشقان حصة الموسيقى، ويصران على تشغيل راديو السيارة في الطريق إلى البيت، حتى يتمكنا من الغناء مع الإيقاعات الجذابة. تعلما بالتفصيل الكامل اسم وصوت كل حرف في الأبجدية، وسرعان ما أصبحا ماهرين في العد إلى العشرين. هذه الإنجازات جعلتني ابتسم، اعتقدت أنهما، حتى في سنهما المبكر، أظهرا سهولة غير عادية في التعلم وحب التعلم بالفعل، يشبهاني في ذلك، إلى حد كبير، عندما كنت في سنهما. ولكن حلاوة فرحتي اختلطت، في نفس الوقت، بشعور المرارة؛ فبينما كانا يزهران في هذه المرحلة التحضيرية للحياة المدرسية، كنا، مايكل وأنا، نذبل معاً.

في العام التالي، لم تزد مرحلة روضة الأطفال الأمور إلا سوءاً. كنت ممتنة أن ميتش وميسي يخوضان تجربة الروضة. كانا أقل من سن الخامسة ببضعة أشهر، عندما بدأا تلك المرحلة، وبالتالي كانا أصغر سنا من العديد من أقرانهما. ولكن، مع وجودهما المشترك، ومع القليل من التعليم الذي حصلا عليه سابقاً، تقدما بشكل رائع. تعلما أن يكتبا أسميهما، وبات بإمكانهما التعرف على عدد من الكلمات في كتبهما المصورة. تحولت رسوماتهما من الخربشات إلى أشكال مرسومة بخطوط مستقيمة، وبدأت المنازل والشمس والنجوم تبدو واضحة. كما كانا لاينسيان تعليق سترتيهما وترتيب أحذيتهما في خزانة المعاطف بعناية، دائماً، عند وصولهما إلى البيت، كما كانا يفعلان ذلك في المدرسة أيضاً. أذهلتنا، لارس وأنا، هذه العجائب، كم كان كل من ميتش وميسي ذكياً ومنجزاً.

ثم نصمت كلانا، ونفكر في مايكل. لم يكن هناك أي نقاش حول

مكتبة

إرساله إلى المدرسة. ليس إلى مدرسة عامة عادية، على أية حال. لم تكن المدرسة العامة ملزمة بتعليمه بموجب القانون، ولم نشعر أنه سيكون من العدل لأحد – المعلمة، والأطفال الآخرين في الصف، أو مايكل نفسه – أن نجبر مايكل على ارتياد الفصول الدراسية العادية. كنا نعرف أن هذا قد يكون مسبباً للفوضى ومعطلاً على الآخرين، ولن يتعلم بدوره إلا القليل. لن تكون المعلمة قادرة على إعطاء مايكل نوع الاهتمام الفردي الخاص، الذي من الواضح أنه سيحتاجه، في غرفة مليئة بالآخرين من الأطفال الصغار، الذين عليها الاهتمام بهم.

بحثنا خيارات أخرى، بالطبع. نظرنا إلى عدد قليل من المدارس المميزة، والمدارس الخاصة المصممة للأطفال، الذين لم يتمكنوا من التعلم في مدرسة عادية. لكن الأطفال في تلك المدارس كانوا إما من ذوي القدرات العالية، بشكل بعيد تماما عن وضع مايكل، أو من الأطفال الذين يعانون من إعاقات أكثر سوءاً، والذين كانت المدارس بالنسبة إليهم، على ما يبدو، شيء قريب من خدمة مجالسة الأطفال، مجرد مكان يمكن أن يقضوا فيه وقتاً خلال النهار، لإعطاء أمهاتهم فرصة الاستراحة. "يمكن أن أعلمه في المنزل"، قلت للارس. "لدي الإمكانيات، ولدي الخبرة"؛ فرمقني بنظرة متشكِّكة.

أصرُّ أنا على ذلك: "أستطيع أن أفعل ذلك. كان لدي طفل صعب المراس، في بعض الأحيان، في صف من صفوفي، كما تعلم

"ليس هناك مايشبه حالة مايكل، أليس كذلك؟ ولم يكن أحدهم ابنك أنت"

أعترف:"صحيح، لكن لارس، ما هو الخيار الآخر الذي نملكه"؟

لم أتكبد العناء في إعطاء مايكل دروس رسمية خلال مرحلة رياض الأطفال، ولكن بدأنا العمل على بعض المهارات الأساسية. تعلم تشكيل دوائر دقيقة، ومربعات، ومثلثات، وهو الأساس لكتابة الأحرف، وقد شجعته على الرسم. ويبدو أنه كان يستمتع بذلك في بعض الأحيان، على الرغم من أن

مكتبة

رسوماته كانت غير قابلة للتفسير، عموما، ولا يمكن القول بأنها ذات أشكال معينة. قرأت له في كثير من الأحيان، على أمل أنه سيقع في نهاية المطاف في حب القصص، كما يفعل معظم الأطفال عندما يُقرأُ لهم كثيرا، إلا أن مايكل لم يستمتع بهذه الجلسات، تحمّلها لفترات قصيرة ثم توقف.

لم أقرر أن الوقت قد حان كي تصبح دروس مايكل جدية، إلى أن بدأ ميتش وميسي الدراسة في الصف الأول. قد يكون تعلمه بطيئاً، ولكن سيكون لدي كل الوقت الذي سأحتاجه لتعليمه. مهما كان الأمر. وضعت له مكتبا صغيراً في غرفة الطعام. كنت أجلس معه هناك، وأضع الورق أمامه، وأعمل معه على كتابة الأحرف. بدأنا بالحرف أ. لم أطلب منه أي شيء آخر، فقط كتابة الحرف، والبحث عنه عندما نقرأ الكتب. في البداية كان يبدي استعداداً للتعلم، ومع مرور الوقت، أصبح أقل اهتماما.

كنت أشعر باليأس. اعتقدت أنه لن يتعلم شيئا. كان بإمكانه أن يسمّع الأحرف الأبجدية، ولكن لم يكن لها معنى بالنسبة إليه. الكلمات على الصفحة لا تعني شيئاً. كان يهز رأسه إذا سألته إن كان يعرف حرف أ، أو أي حرف آخر. كان طالبا ملتزماً، وإن لم يكن شغوفاً؛ لم يكن يحتجّ أو يتذمر عندما كنت أقول إن الوقت قد حان للدروس. بدلاً من ذلك، كان يجلس على مكتبه الصغير ويكتب حرف أ، وهو يحدق في الجدار الفارغ، ينتظر صامتاً إلى أن أقول إنه بإمكانه مغادرة مقعده، وأن الدروس قد انتهت لهذا اليوم. وهذا الذي أفعله، في نهاية المطاف، بعد ساعتين أو ثلاث ساعات مرهقة، في بعض الأحيان، عندما أكون على استعداد للاستسلام.

لم أستطع فهم ذلك. أقول للارس: "يعرف كيف يقوم بذلك، مجرد أنه لا يريد أن يقوم به". "سيتمكن من ذلك، في الوقت المناسب".

كان هذا في منتصف تشرين الأول من العام الماضي. تماماً قبل الهالوين. قبل... ذاك الأسبوع.

أقف،الآن، على باب الخزانة، أختار بنطالاً غامق اللون وسترة رمادية.

مكتبة

تشبه مزاجي. أرتديها، وكذلك أرتدي جوارب تصل إلى الركبة، ثم زوج من الأحذية المسطحة الجلدية السوداء؛ أمشط شعري وأربطه للخلف بربطة خاصة بالشعر. أعود إلى غرفة المعيشة. قامت ألمى بتنظيف المكان هنا بالمكنسة، مما ترك شكل خطوطٍ متوازيةٍ في السجاد من النافذة إلى منضدة غرفة الطعام. أثناء مروري، تطبع أقدامي آثاراً على السجاد. أقف بجانب النافذة وأشاهد سيارة لارس. عندما يخرج لارس ويفتح باب السيارة لمايكل، أرى ابني يخرج غاضباً، وهو يبكي. هذا يفاجئني، لأنه يكون معه،عادةً، أكثر بهجة مما يكون معي. أذهب إلى الباب لأستقبلهما.

يساعد لارس مايكل في نزع معطفه، ثم يقول له "اذهب إلى الطابق العلوي،"، ينفذ مايكل، دون أن يعترض بكلمة.

يهز لارس رأسه: "لا أعرف كيف تتحملين ذلك طوال يوم، كل يوم" "أنا، أيضاً لا أعرف". أرفع كتفيّ. يذهب إلى المطبخ ويصب القهوة من الغلّاية التي لا تزال دافئة. "هل تريدين بعض القهوة"؟ "لا، شكرا". أصب لنفسي كوباً من الماء؛ ويتوجه لارس إلى مكتبه. أشرب الماء، ثم أذهب إلى أسفل الدرج وأُنصِتْ. إنه صامت هناك. أعتقد، أو من المحتمل أن مايكل يستريح على سريره. ألحق لارس إلى مكتبه.

أقف في المدخل، أشاهده يتحدث في الهاتف من بعيد: "صحيح، ولكن لا أستطيع أن أفعل هذا اليوم، حسنا... لا، أنا أفهم"

ينظر باتجاهي: "انتظريني على الخط للحظة، غلاديس يغطي السماعة بيده ويقول لي: "انهم بحاجة لي بعد ظهر هذا اليوم، بالفعل، فهل ستكونين بخير إن ذهبت"؟ أهز كتفي مرة أخرى. "لا بأس من ناحيتي. إنني، فقط، بحاجة إلى... أود أن أتحدث إليك لبضع دقائق أولاً". ويعيد السماعة قريباً من فمه. "غلاديس، قولي لهم أنني سأكون هناك بحلول الواحدة والنصف" يغلق الهاتف ويمر من جانبي قائلاً: "عليَّ أن أبدل ملابسي، هل يمكننا أن نتحدث بينما أفعل ذلك"؟

مكتبة

أومئ برأسي، واتبعه إلى غرفة نومنا. لدينا كرسي بمسندين في غرفة النوم، من قماش التويد، باللون الأخضر الداكن، مما يشكل تناقضاً جميلاً مع الجدران المطلية بالأخضر الباهت. أجلس في ذلك الكرسي، وأراقب لارس بينما يخرج بنطاله، وقميصه الأبيض المكوي وربطة عنقه. حتى من على هذا البعد في الغرفة، يمكن أن أشم رائحة الغسيل النظيف من ملابسه الجديدة وهو يرتديها. أشاهده يزرر القميص على كتفيه الواسعين، وصدره الصلب المشدود. إنه رجل جذاب. جميل جدا، حتى الكمال، وأنا أعلم أنني ينبغي ألا أشعر سوى بالامتنان لكوني هنا معه. سواء أكان هذا حقيقياً أم لا، يجب أن أكون سعيدة بما لدي. ينظر إلي في المرآة.

"أتشعرين بتحسن"؟

"ما زلت متماسكة"

"كنت مستاءة جداً الليلة الماضية".

أقف وأعبر الغرفة، وأنضم إليه أمام المرآة وهو يضع ربطة العنق حول عنقه. "لارس! أريد منك أن تقوم بشيء من أجلي. قد يكون صعباً". يلتفت إلي ويضع ذراعيه حولي: "كل ما تريدينه هو لك" أغمض عينيّ للحظة، أتحسس وجوده ورائحته بالقرب مني. متمنية لو أنني أقدر على الاستمتاع بذلك وأنسى كل شيء آخر. ولكن لا أستطيع. افتح عيني.

"فقط.. ثم أتنهد وأهمس. "قل لي ما الذي حدث لهما. لوالديَّ" يميل رأسه علي: "عزيزتي، أنت تعرفين هذا" أهز رأسي نفياً: "لا، أعني بعد ذلك" أبتعد عنه وأرجع إلى الوراء. "كيف عرفنا؟ ماذا فعلنا؟ كيف أخبرنا الأطفال؟ كيف... أعض على شفتي. "كيف كانت الجنازة"؟ ينظر إلي لفترة طويلة. ثم يقوم بعقد ربطة عنقه ببطء وحذر، ويأخذ وقته في ذلك. عندما يصبح راضيا عن مظهره، يقودني مرة أخرى إلى الكرسي، ويدفعني بلطف لأجلس. ويجلس على السرير مقابلي. يقول وهو يهز رأسه: "كان الأمر صعباً". أومئ برأسي: "بالطبع كان صعباً.

مكتبة

"أخذت إجازةً من العمل، ذلك الصباح، ولم نرسل ميتش وميسي إلى المدرسة من أجل هذا الحدث. خرجنا إلى المطار في سيارتك، كنا جميعاً على استعدادٍ لاستقبال الجدة والجد من رحلتهم. وكان الأطفال يرتدون أزياء الهالويين الخاصة بهم. كانوا متحمسين للغاية". ينظر إلي في حزن. "وأنت أيضا، عزيزتي يضع يده على ركبتي.

"كاثرين، ربما لا ينبغي أن أقول هذا، ولكن ذلك الصباح في السيارة... أعتقد أن تلك كانت آخر مرة رأيتك فيها سعيدة حقاً" أنظر إلى الخارج عبر باب الفناء، إلى الثلج الذي يغطي الساحة الخلفية.

أنا لا أتذكر ذلك، ولكني أستطيع تخيله في ذهني. أعرف ما الذي سيلبسه الأطفال. ستكون ميسي أميرة، لأن ميسي دائما الأميرة. سيكون ميتش عاملاً متجولاً، أو ساحراً، أو مهندس قطار، أو ربما راعي بقر؛ يمكن لخيال ميتش أن يأخذه إلى أي مكان في العالم، وبالتالي فإن الاحتمالات لا حصر لها. حتى أن مايكل، ربما، يظهر بعض الحماس. ربما كنت قد أقنعته بأن يتنكر، بشكل خفيف. كنت سألبسه شيئاً مريحاً وغير ضيق؛ نعم، أنا أعلم ما سيكون عليه، زي لجرو كلب، مع آذان مرنة،أكون قد صنعتها من اللباد وعلقتها بقبعة فضفاضة، يرتديها مع ثيابه العادية، وبنطال وقميص باللون البني، وذيل ظاهر صنعته من اللباد الفائض، وقمت بتثبيته على الجهة الخلفية من بنطاله.

أستطيع أيضاً تخيل نفسي. وجهي أحمر من حماس الترقب. أميل إلى الأمام للتحقق من انعكاس صورتي في مرآة الرؤية الخلفية أثناء قيادتنا باتجاه ستابلتون. سأثير ضجة حول شعري، على الرغم من أنه سيكون بلا شك بصورة مثالية بعد أن صففته اليد المثالية للينيا. سيكون لارس وراء عجلة القيادة، يصفر ويتبادل النكات مع الأطفال؛ الطقس سيكون ملبدا بالغيوم، مثل ما كان عليه في العالم الحقيقي في ذلك اليوم، ولكن هذا لن يعكر مزاجنا.

أستطيع أن أتخيل وصولنا إلى المطار، إيقاف السيارة، والتوجه إلى الداخل. كان المارة يبتسمون وينكزون بعضهم البعض، يحدقون في أطفالنا

مكتبة

الجميلين في أزياءهم. أستطيع أن أتخيل إيجاد طريقنا إلى بوابة 18. نفس البوابة التي استقبلت عندها والديّ في العالم الحقيقي، قبل بضعة أيام فقط.

"كان من المفروض أن تكون هناك محطة هبوط خلال رحلتهم في لوس أنجلوس تابع لارس: "وقد وصلوا محطة الهبوط تلك في الوقت المحدد" انتظرنا، نراقب الناس في النافذة، ونلوح لكل من خرج من الطائرة التي حطت على المدرج. انتظرنا بينما دخل جميع المسافرين على تلك الطائرة من خلال البوابة. ثم انتظرنا حتى باتت منطقة البوابة خالية.

"لا بد أنهما فوتا محطة الهبوط السابقة، إني أستغرب عدم اتصالهما"

أهمس: "نعم، كان لابد أن يتصلوا هاتفيًا". أومأ لارس رأسه بالنفي. "كان هناك مضيفة على البوابة، لذلك سألناها. فوجهتنا إلى مكتب الخدمة. على مايبدو أن هناك من كان بانتظارنا. عدة أشخاص، رجل وامرأتان. سألتنا إحدى السيدتين عندما اقتربنا هل أنتم عائلة أندرسون؟ حاولنا الاتصال بكم في المنزل، ولكن لا بد أنكم كنتم قد غادرتم،بالفعل، إلى المطار. نأسف لإبلاغكم أن طائرة السيد والسيدة ميلر من هونولولو... "وهنا توقف لارس. ثم يعاود بعد لحظات:"حسنا، أنت تعرفين ما قالوا لنا". أشهق "أوه، أوه، ليس أمام الأطفال"؟ يومئ برأسه ويقول: "كنت غاضباً بشأن ذلك. اعتقدت... أنه كان عليهم أخذنا على جنب، أو عمل شيء من هذا القبيل... "ثم يهز رأسه أسفاً.

"ماذا فعلت... ماذا حدث بعد ذلك"؟

يقول: "حسنا، كان الأمر سيئاً. الجميع يبكون. أنت، الأطفال، حتى أنا....." ثم يرفع يديه: "كانا شخصين طيبين، كاثرين. أنا أحبهما، كما تعلمين، كابن يحب والديه"

يتوقف، وأتذكر أول محادثة هاتفية بيننا، عندما أخبرني لارس أنه لم يكن صالح جسدياً للخدمة ولم يخدم في الحرب، وتساءلت عما سيكون عليه رأي والدي في ذلك. ثم ها أنا أعرف الآن – أدرك أنني عرفته دائماً، بالطبع، إن

مكتبة

والديَّ لن يهتما على الإطلاق. أنا أفهم أن والديَّ، أن كلا والديَّ، قد أحبا لارس كثيراً. فقد شَهِدا كم كان يحبني، وكيف كرس نفسه لعائلتنا، وهذا كان كل ما يهم في الأمر. وشعرلارس بنفس الشعور تجاههما، بالضبط.

"لقد توفي والداي قبل وقت طويل.. ولطالما شعرت... شعرت.. أنني قد حصلت على فرصة أخرى، لأحظى بوالدين بعد أن التقيت توم وكلير

وفجأة أكتشف شيئاً عن الحزن، شيء لم أكن أعرفه من قبل. لم أعرفه عندما كنت طفلة أو شابة، عندما فقدت جدّيّ، وحيواناتي الأليفة، وأصدقائي، خلال الحرب - هذا عدا عن ذلك اليوم الفظيع عندما أخبرني والدي أن شقيقي الرضيع قد مات - كانت تلك الأحزان كبيرةً ومؤلمة، لم يكن عقلي الشاب قادر على قياسها. لكنها كانت أحزاني. مرت عليَّ أوقات كان علي حضور الجنازات فيها، وتقديم التعازي، وإرسال بطاقات التعاطف. ولكن لم يكن علي أن أفكر كثيرا في حزن أي شخص آخر. كان بإمكاني أن أنهار كما يحلو لي عندما أعود إلى البيت. كنت أستطيع البكاء، ثم البكاء، إلى الفترة التي أريدها. لم يكن علي أن أصمد من أجل أي شخص آخر.

في تلك الحياة الأخرى، أنا المركز في عالمي. أحب وأهتم بالناس الآخرين، بالطبع، أهتم بالكثير من الناس. ولكن في نهاية اليوم، تدور أفكاري وأفعالي حول تقدمي بالعمر، حول حياتي الخاصة، ومشاعري أنا.

هنا، الحال ليس هكذا. حياتي، وحبي، هما أكبر من ذلك، لدرجة أنني حتى في الحزن، لا بد لي من البقاء قريبة من الآخرين.

أقترب إلى الأمام وأمسك بيد لارس. "أخبرنى... إذا لم يكن ذلك صعب عليك جداً... أخبرني عن الجنازة"

يهز أكتافه. "لا... مممم، لم تكن هناك أي جثث، بطبيعة الحال. لا توابيت. لا شيء سوى... حسناً، وضعنا بعض الصور والزهور

ثم يبتسم: "الكثير من الصور والكثير من الزهور، في واقع الأمر. بدا وأنك لم تأخذي فرصة الاكتفاء من أي منهما، بقي الحنين والشوق لهما"

مكتبة

"لأن ذلك كان كل ما هو متاح لي،" أقول، لا يريد حقاً أن يفكر في ما يعنيه ذلك. يهز كتفيه. "على أية حال، كانت جنازة جيدة. كانت الكنيسة ملأى بالمعزيين" ينظر بعيداً، ثم يعود لي. "الكثير من الناس كاثرين. لم أستطع أن أصدق وجود ذلك العدد. الرجال والنساء الذين عمل والدك معهم على مر السنين. كل شخص تعرفه والدتك، من خلال عملها التطوعي في المستشفى، ومن خلال كل العمل المجتمعي الذي قامت به. كل جيرانكم من ميرتل هيل وجيراننا من هنا. الكثير من الناس الذين ذهبت معهم إلى المدرسة، المدرسة الثانوية، الكلية. الناس الذين عرفتهم على مر السنين، عندما كان لديك مكتبة" يبتسم في وجهي. "الجميع، كاثرين. الجميع كان هناك"

أشعر بالامتنان لكل ذلك، وأقدر قيمته. ولكن هناك اسم واحد أريد، بالفعل، أن أعرف عنه. أقول بهدوء: لارس

"نعم؟ هل... هل كانت فريدا هناك؟" يقف لارس فجأة. يضع يديه على يدي ويقول: "كاثرين، لا تعذبي نفسك بهذه الطريقة". أهز رأسي، لا أصدق. "إذاً لم تأتِ، لم تأتِ حتى إلى جنازة والديّ".

يركع لارس أمامي: "حبيبتي.......حبي، هناك أشياء في ماضينا... لا نستطيع تغييرها فحسب" يقف لارس: "لا أعتقد أن هناك أي شيء يمكن تفعليه... ولا حتى مجرد شيءٍ واحد... كان من شأنه أن يغير كيفية تحول الأمور مع فريدا" أتكئ للخلف في الكرسي الأخضر وتنهمر دموعي. يضع لارس يده على كتفي. أراه ينظر نحو الساعة الموجودة على المنضدة. أهمس له: "أنا بخير، أعلم أنه عليك الذهاب"

ينظر في عيني، ويقول راجياً: "لا أريد تركك هكذا.. كاثرين...، أعتقد أنه عليك التحدث إلى شخص ما......طبيب نفسي.....من فضلك، اسمحي لي أن أجري بعض المكالمات...

معالج نفسي! طبيب! أفكر في الأشياء التي قالها الأطباء على مر السنين – هم وكل "حقائقهم!". وإخبارهم والدتي بعدم إنجاب أطفال آخرين! وإخبارهم

مكتبة

لنا، أنا ولارس، أن طفلنا لديه مرض مستعصي، وان الخطأ خطأي! أفكر، وأنا أشعر بالأسى، عندما أتذكر رفض كيفن لي كل تلك السنوات، على الرغم من أنه لم يقل لي الكثير، ولكن أفعاله كانت تقول - أنني لم أكن جيدة بما يكفي لأكون زوجة طبيب.

أهز رأسي وأنا انظر إليه بإصرار. "لا أطباء! سأكون على ما يرام". أقف وألف ذراعيَّ حوله. "شكرا لك أنك أخبرتني، أعرف أن الأمر يبدو جنونا... ألا أستطيع أن أتذكر يومئ برأسه ويقول برفق ورقة: "قولي لي ما تحتاجينه فحسب"، "كل ما تحتاجينه، كاثرين... أي شيء... سألبي أي طلب لك". أبتسم له، إنه رجل مدهش جداً، صفته الكمال التام، لكنه لا يستطيع أن يعطيني الشيء الوحيد الذي أريده. لا يمكن له أن يعيد لي الناس الذين أحببتهم أكثر من أي شيءٍ في حياتي الحقيقية.

بعد مغادرة لارس المنزل، أذهب إلى المطبخ وأطلب من ألمى إعداد الغداء لمايكل. تسألني عابسة: "ماذا عنك"؟ فأجيبها"لا شيء، لست جائعة". أذهب إلى فسحة الدرج وأنادي مايكل. يطل من باب غرفته. "أنزل وتناول الغداء الآن، حبيبي، ستجلس ألمى معك" أنتقل إليها. وأقول "بعد أن يتناول طعامه، يمكنه مشاهدة التلفزيون، عندها لن يكون في طريقك. هل هذا ممكن"؟

ترفع كتفيها وتومئ. أقول لها أنا ذاهبة للاستلقاء. في غرفة النوم الخضراء، أستلقي على السرير وأغطي نفسي بالبطانية الأفغانية الملونة التي تتناسب مع ألوان ورق الجدران. أنا لا أتذكر البطانية ذاتها، لكنني ألاحظ نمط الحياكة المفضل لدى أمي. لا بد أنها حاكت تلك البطانية لنا بعد أن انتقلنا إلى هذا البيت. فهذا من عادتها، أن تحيك لي بطانية تطابق غرفة نومي الرئيسية الجديدة المثالية.

أغمض عيني وانتظر وأنا أعرف تماماً أين سأكون عندما أستيقظ.

مكتبة

الفصل الثامن والعشرون

عندما أفتح عيني، أجد الشمس مشرقةً، وأنا في غرفة المعيشة الخاصة بي، مستلقية على الأريكة. يغطي جسدي غطاء ملون مألوف بالنسبة إلي، حاكته والدتي بالطبع، ولكن لون هذا الغطاء هو الأرجواني والأزرق، الألوان التي اخترتها بنفسي؛ وأصلان مستلق إلى جانبي.

يثير جلوس والدتي، في الكرسي، على يميني، دهشتي واستغرابي. سنارتا حياكتها تنقران بهدوء. يبدو أنها تصنع سترةً لطفل، لونها أزرق، إنها لصبي.

أحييها: "مرحبا، ما الذي تفعلينه هنا"؟

تنظر إلي وتبتسم: "حسناً، صباح الخير، حبيبتي تدير معصمها وتنظر في ساعتها: "في الواقع، مساء الخير. إنها قرابة الثانية".

"أوه، يا إلهي ألقي عني الغطاء بعيداً، وأجلس. تزعج حركتي المفاجئة أصلان، فينهض أيضا. يقوس ظهره ثم يستقر في نهاية الأريكة، هناك يتوفر له موقع جيد لمراقبة سنارتي الحياكة اللامعة في يد أمي.

"كيف لي أن نمت طوال هذا الوقت"؟

ترفع والدتي كتفيها: "اتصلت بنا فريدا، عندما لم تذهبي إلى المحل، بحلول الساعة الحادة عشرة. كانت قد اتصلت بك هنا عدة مرات، ولم تجيبي. لذلك طلبت منا أن نمر بك. كان بابك غير مقفل، كيتي، هذا التصرف غير آمن! كما تعلمين، ليس لامرأة تعيش وحدها. لقد كدت أصاب بنوبة قلبية عندما رأيتك مستلقية على الأريكة. اعتقدت، أنا ووالدك، أنك ربما تعرضت للخنق من قبل لص، ثم تركك لتموتي

مكتبة

أقطب حاجبي: "يا إلهي! إني آسفة، أعتقد أنني كنت غارقة في نوم عميق جداً. "ثم أفرك عيني.:"أفترض أنني غفوت هنا، بعد أن غادرتما أنت وأبي الليلة الماضية".

"أظن أنك فعلت، لا بأس. لا بد من أنك كنت مرهقة. عندما رأيناك، أنا ووالدك، كيف كنت تنامين بسلام، قررنا عدم إزعاجك. اتصلنا بفريدا وشرحنا الوضع، فقالت أنه ما من مشكلة، وأن عليك أن تأخذي يوم عطلة وترتاحي. ثم غادر والدك. يريد أن يختبر فرامل السيارة، قال ان بقاء السيارة دون استخدام في المرآب، أثناء سفرنا، لم يكن أمراً جيداً لها. لم تكن الفرامل تستجيب بشكل صحيح، تام، لدعسة قدمه، ب.. "ترفع كتفيها مجدداً. "على أية حال، لقد نمتِ خلال كل ذلك. لذلك جلست هنا فحسب، وكنت أعمل بالحياكة وانتظر استيقاظك"

هذا بالضبط من شيم والدتي أن يكون لديها الحكمة والهداية لتحمل حقيبة الحياكة الخاصة بها عندما يتم استدعاؤها إلى منزل ابنتها البالغة للتحقق ما إذا كانت ميتة أو على قيد الحياة!

"كنت نائمة بعمق. كما لو أنك لم تكوني موجودة هناك"، تقول وتنقر جبهتي بغيظ، بواحدة من سنارتي الحياكة.

أتجنبها مبتعدة وأنا أبتسم. "لمن تحيكين هذه"؟

تنظر الى الأسفل باتجاه حياكتها، وتقول لي: "ابنة جارتي روز، أنت تعرفين روز وهاري؛ إنهما الزوجان اللذان انتقلا إلى منزل عائلة فريمان القديم، في نفس الوقت الذي انتقلت فيه أنت من هنا. ابنتهما، اسمها سالي، تتوقع أن تلد في يناير تهز كتفيها: "الآن، تصر روز على أنه صبي. سالي رزقت ببنت من قبل، لذلك تقول روز إن هذا المولود يجب أن يكون صبياً. "تغمز أمي لي، وتضيف: "لكنني أصنع واحدة باللون الوردي أيضاً، تحسباً"

أغمزها أنا بدوري: "تفكير جيد، أمي وأنظر إلى النافذة وأتابع: "لا يستطيع المرء الحصول على واحدة من كل لون، دائما"

مكتبة

تهز أمي رأسها: "الآن، هذا صحيح بالتأكيد"، تقول متجنبة النظر في عيني. وأنا أعلم أنها تفكر في أخواتي بالتأكيد، أولئك المواليد الثلاثة الذين لم يتنفسوا نفساً واحداً من الحياة.

"أمي أستدير لأواجهها، وأنا أضع ساقي تحت البطانية. ترفع بصرها إلي. "هل تشعرين... هل سبق أن شعرت بالانزعاج... هل يزعجك أنني... "أتردد، ثم أتابع. "أنني لم أتزوج ولم أحظَ بالأطفال"؟ تنظر والدتي مرة أخرى إلى الإبر في يديها. وتقول لي: "الآن، هذا ليس سؤالاً عادلاً يزعجني؟ يا لها من طريقةٍ غريبةٍ لطرح السؤال"

تنهي شغل دورٍ من الحياكة وتنظر إليَّ، وتنظر في عينيَّ: "هل أردت لك أن تتزوجي ويصبح لديك أطفالاً؟ بالطبع فعلت. أي أم في العالم لا تتمنى هذا لابنتها؟ ولكن هل أنا منزعجة أن هذا لم يحدث؟ حسنا، هذه فكرة سخيفة فحسب. أريدك أن تكوني سعيدة، ويبدو أنك..

تبدأ أمي في حياكة الصف التالي. "أنت وفريدا. كلاكما تبدوان سعيدتين... "أضحك بصوت عال: "تتحدثين بطريقة غريبة لصياغة الأمر!" أمد ذراعي، وأحاول التخلص من التوتر في كتفي. "فريدا وأنا لسنا عاشقتين، أمي يصبح وجهها أحمر. "لا بالطبع لا لم أقصد... هذا ليس ما قصدته، كيتي

"بعض النساء هكذا، كما تعلمين،" أقول مازحة. "أنا أعلم هذا أيضاً، حبيبي. لم أولد البارحة"

"ولكن ليس فريدا وأنا. إنها، ببساطة، ليست الطريقة التي نشعر بها كل واحدة تجاه الأخرى" اتخذت هذه المناقشة منعطفا مفاجئاً، والآن أجد أنني التي تحمر خجلاً. كنا،أنا وأمي، دائما، قادرتين على التحدث معاً بصراحة، ولكني أستطيع أن أقول بأنني عرفت، بالتأكيد، بعد تلك السنوات ال 35 الغريبة، كيف أصيغ أفكاري، فنحن، أنا ووالدتي، لم نناقش مسألة الشذوذ الجنسي أبداً، ليس على المستوى الشخصي، ولا على مستوى العلوم الاجتماعية البحتة.

مكتبة

"حسنا". قالت بتمعن، وهي تضع إبر الحياكة من يدها: "أنت وفريدا رفيقتا درب حقيقيتين. ليس من السهل العثور على هذا الرابط، كما تعلمين. بعض الناس يبحثون عنه طوال حياتهم. بعض الناس - كثير من الناس، يتزوجون حقاً، ولا يحصلون على ذلك الرابط مع أزواجهم أو زوجاتهم".

وهذا ما يجعلني أتساءل عن علاقتي مع لارس. هل لدينا ذلك الرابط، في العالم الآخر؟ هل نحن "رفيقا درب حقيقيين"، كما تصف والدتي الأمر؟ أعتقد أننا كذلك، في الواقع. يبدو أنه يقرأني جيدا، كما لو أنه يعرفني طوال حياتي. بالطريقة التي تعرفني بها فريدا، في هذه الحياة. من الذي أتكئ عليه في تلك الحياة الأخرى، إن لم يكن على لارس؟ بالتأكيد، أنا أستند عليه أكثر من استنادي على أي شخص آخر. بدون لارس، كيف يمكنني التعامل مع مايكل؟ إذا كانت الذكريات التي تعود لي في حياة الحلم مؤشر لأمر ما، فمن الواضح أنني قد قمت، ولا أزال أقوم، بمهام قليلة، من مهام الأمومة، تجاه مايكل. ولكانت أضعف لولا وجود لارس. فجأة أدرك على من يجب أن أتكئ في هذا العالم أيضاً. والديَّ، بالطبع. هما بطلاي المنقذان هناك.

هما البطلان المنقذان لي، والأهم من ذلك، هما بطلا مايكل. تحضرني ذكرى أخرى، أو ربما هو شيء أختلقه في رأسي؛ لا أستطيع التمييز بعد الآن! وفي كلا الحالتين، أستطيع أن أرانا جميعاً من خلال عين عقلي: أطفالي، أنا، ووالدتي. جميعنا في المكتبة. مكتبة فرع ديكر، ذلك الفرع الذي يقع على بعد مسافة من المشي بين شقتي ومتجر الكتب. ألا توجد مكتبة أقرب إلى ساوثرن هيلز؟ هناك الكثير من الأبنية الحديثة على ذلك الطريق. وقد تفترض وجود مكتبة هناك. وهناك احتمال أنها لم تشيد بعد. أو من الممكن أن تكون هناك مكتبة جديدة، إلا أني أفضل، في تلك الحياة، المكتبات ذات الطراز القديم، في حيي السابق.

نحن في قسم الأطفال، إنها ساعة الاستماع إلى القصة. كل واحد منا: أمي، ميتش، ميسي، مايكل، وأنا - نجلس متربعين على السجاد. وهناك عدد

مكتبة

من الأمهات مع أطفالهن أيضاً جالسين للاستماع. يبدو أن سن الأطفال جميعهم قريب من سن أطفالي، ربما يبلغون الثالثة أو الرابعة.

يحمل أمين المكتبة كتابا ويبدأ بالقراءة. اسم الكتاب (آن تستطيع الطيران)، وهو يحكي قصة فتاة تتمكن من الطيران مع والدها في طائرته ذات المحرك الواحد. ومن بين الأماكن التي يطير بها إليها، يوصلها والدها إلى معسكرها الصيفي. فتاةٌ محظوظة. يصغي الأطفال بتمعنٍ– أحدهم يرتعش هنا وآخر يهز هناك، ولكن القصة تشدهم جميعاً، ومدير المكتبة قارئ ناجح، حصل على اهتمام الجميع، الجميع باستثناء مايكل.

يجلس إلى جانبي، ويسند صدره بركبتيه، وعيناه تركزان على الأرض. الجزء العلوي من جسمه ينوس جيئة وذهاباً. وأعرف، لأنني رأيته يفعل ذلك من قبل، أن هذا يساعده على التركيز ويمنع وصول أي من الأحاسيس التي تزعجه. اهتزازه إيقاعي، وثابت، وصامت، ولكني ألاحظ أن تحركاته تزداد اتساعا وقوة. ولا يبدو أنه يدرك أنه يتحرك بسرعة أكبر مع تقدم القصة.

لست الشخص الوحيد الذي يلاحظ ذلك، بل العديد من الأمهات الأخريات، بالقرب مني، يلتفتن، أيضاً، ويحدقن به. تميل اثنتان منهما، كل واحدة نحو الأخرى، وتهمسان، ثم تنظران نحوي مرة أخرى. أعرف تماماً ما تفكران به: ما خطب هذا الطفل؟ تنظر والدتي مباشرة إلى أمين المكتبة ميتش على أحد جانبيها وميسي على الجهة الأخرى. تضع ذراعيها حول كل منهما، وهما ملتصقان بها. مايكل يميل أكثر بشكل مبالغ فيه؛ يكاد يصل تقريبا إلى الأرض بكتفيه وهو يحرك جذعه من اليسار إلى اليمين. مما يسبب التشتت، يجب أن أعترف. أخفض رأسي، وأشعر بالخجل، ليس من مايكل، ولكن من نفسي. إنني أشعر بالخجل من رغبتي في أن يكون ابني، ببساطة، طفلاً عادياً.

تميل إحدى الأمهات نحوي. "من فضلك"، تهمس بصوت عال. "اهتزاز ابنك يسبب التشتت. من الصعب على الأطفال أن يركزوا!" ترمقني بنظرة طويلة، متعالية. "في الواقع، لا أعتقد أنه ينتمي إلى هذا المكان، أليس كذلك"؟

مكتبة

أحدق في المرأة، عاجزة عن الرد. ولا أراني إلا والدموع تنهمر من عيني.

قبل أن أتمكن من الرد بأي كلمة، تنزلق والدتي، التي لا تزال نشيطة الحركة، على الرغم من عمرها البالغ خمسين عاماً، على مقعدتها حتى تصبح بيني انا ومايكل من جهة اليسار، والأمهات والأطفال الآخرين على يمينها. تضع ذراعها حولي، وتمد يدها إلى لتمسح بلطف على شعر مايكل.

و تهمس بشراسة للمرأة: "هذا الطفل، لديه الحق في سماع القصة كأي طفل آخر. هو ووالدته ينتميان إلى هذا المكان، مثل أي أم وطفل آخر تحدق باتجاه النساء. "تماماً مثل كل واحدة منكن وأطفالها". ترفع يدها وتشير بسبابتها تجاههن مباشرة وتقول للأمهات الأخريات: "لا تنسين أن جميع الأطفال هم أطفال الله".

تمد والدتي يدها إلى جيبها وتخرج منديلها. تقول لي: "امسحي عينيك، يا فتاتي الجميلة، هؤلاء الناس لا يستحقون دموعك".

الآن، إذ أذكر تلك اللحظة، أنظر بتقدير كبير نحو أمي. وأنا ممتنة لهذه الذاكرة، لفهمي أنه في العالم الآخر، والدتي ليست المدافع عني فحسب، بل عن أطفالي أيضاً. ثم أتذكر أنها لم تعد موجودة بعد الآن، في ذلك العالم. وأنها لن تكون هناك مرة أخرى. أنا لا أريد أن أفكر في ذلك. وأرجع بتفكيري إلى المحادثة الحالية. ما الذي كنا نتكلم عنه؟ ليس عن الأطفال، لأنه في هذا العالم ليس لدي أطفال. نعم بالتأكيد. الآن أتذكر. الرفقة.

"أوافقك الرأي"، أقول بهدوء. "أستطيع أن أرى أنه إذا كان المرء متزوجا، فإن الرفقة ستكون أهم جزء من حياته" تومئ برأسها وهي تعاين الكنزة التي تحيكها في حضنها "هذا صحيح". وتتابع: "أنت تعرفين، الجزء الآخر... الجزء الجسدي... ليس هذا كل ما يجب أن يكون الأمر عليه، دائما".

يا للعجب. هي حقا تتحدث عن كل شيء، أليس كذلك؟ "هل تعنين... أنك وأبي..

"تأدبي، كيتي، هذا أمر بالكاد أناقشه مع ابنتي تسحب كرة الصوف من

حقيبتها، ويهبط أصلان تجاهها، تقول وهي تدفع قائمته بعيداً: "ابتعد، أنت".، يقفز إلى أسفل، متجها إلى المطبخ، ولا شك أنه يتساءل عما إذا كان هناك أي طعام تُرك في وعائه.

"لكن كل شيء على ما يرام، أليس كذلك"؟ أواجهها، وأنا أضع أقدامي في الخف على الأرض: "أنت وأبي، هل كل شيء على ما يرام؟ أنتما سعيدان، أليس كذلك؟ "أصبحت أهمس بصوت أجش. "من فضلك قولي لي أنكما سعيدان".

تبتسم. "أنا ووالدك متزوجان منذ سنوات طويلة جيدة، ونحن محظوظان أننا لا نزال نرغب في قضاء بعض الوقت معاً. نحن محظوظان لأننا نعرف كيف نجد أرضية مشتركة بيننا. هل أريد أن أكون معه طوال اليوم؟ هل يريد أن يكون معي طوال اليوم؟ يا إلهي، لا! لديه الغولف والقراءة. لديه أصدقاء والكثير من الأشياء للقيام بها. ولدي الحياكة، نادي السيدات، عملي التطوعي في المستشفى. وفي المساء، لدى كل منا الآخر. الرفقة الحقيقية؟ نعم، لدينا ذلك. ولكن هذا لا يعني أننا بحاجة إلى قضاء كل لحظة نكون فيها مستيقظان، معاً. وتسحب المزيد من خيطان الصوف، الذي تقوم بحياكته، من حقيبتها وهي تقول: "هذا مايجب أن يكون. تريدن رفيق؟ نعم. ولكنك لا تريدين لشخص واحد أن يكون العالم كله بالنسبة إليك، كيتي

"لا،" أقول ببطء. "لا، حتى لو كان المرء متزوجاً... يجب أن يكون هناك أكثر. ليس فقط زوجك، ولا حتى أطفالك فقط" أطرف بعيني عدة مرات. "الأسرة مهمة، انها أهم شيء. ولكن لا يمكن أن تكون كل شيء. إذا كانت.. "أنا أنظر بعيدا، نحو النافذة الأمامية. "إذا كانت هي الأهم، فعندما لا تسير حياتك العائلية كما كنت تتوقع لها... هذا إذاً هو السبب، لإصابتك بخيبة أمل كبيرة. إذا كانت عائلتك هي كل ما لديك".

"بالضبط". تطوي والدتي بلطف عملها اليدوي وتضعه في حقيبتها. "لماذا تعتقدين أنني أعمل مع كل هؤلاء الأطفال الفقراء المرضى في المستشفى"؟

مكتبة

تسألني. "لماذا تعتقدين أنني قضيت الكثير من الوقت هناك؟ هل تعتقدين أنني كنت قد فعلت ذلك لو كانت الأمور قد جرت بشكل مختلف؟ لو لم تكوني طفلة وحيدة؟".

أنا لم أفكر في هذا من قبل. هي من جيل كانت فيه النساء المتزوجات العاملات النادرات، ليس هناك الكثير من الأمهات اللواتي يعملن خارج منازلهن الآن في هذه أيام، ولكن بالتأكيد هن أكثر من كن عليه عندما كنت طفلة. كان نمط الحياة هذا غير وارد بالنسبة إلى أمي - بالتأكيد، بالنسبة إلى معظم النساء في ذلك الوقت. ولكن كأم لطفل واحد فقط - وأم كانت تأمل الحصول على العديد من الأطفال - ما الذي كان عليها أن تفعله بكل وقتها، ما إن تجاوزت مرحلة الطفولة المبكرة، عندما صرت في المدرسة؟ كان لديها أكثر من الوقت الكافي لتقضيه معي. بددت الكثير من وقتها علي. ومع ذلك كنت طفلة جيدة، طفلة سهلة المراس. قالت ذلك دائما عني، وكلاهما قال ذلك. فمع طفلة واحدة فقط سهلة المراس، كان لديها الكثير من وقت الفراغ. لذا أمضت هذا الوقت مع الأطفال الآخرين، على الأطفال الذين أخذوا مكان الأطفال الذين لم تتمكن من تربيتهم.

تقول والدتي "في كلتا الحالتين،" وتنهض بسرعة من كرسيها، "الآن وأنا أعلم أنك بخير تماماً، سوف أتصل بوالدك. لا بد من أنه في المنزل الآن، وسيكون بإمكانه أن يعود إلى هنا ويأخذني. "بعد رحيل، أتصل فريدا لأعتذر منها. تقول: "كل شيء على ما يرام" "أنا فقط سعيدة لأنك بخير "أنا قادمة"، أقول لها. "ليس عليك الحضور، كيتي. حركة البيع بطيئة"

متى لم تكن كذلك، في مثل هذه الأيام؟ "كل الأيام هكذا،" أصر. "سأكون هناك خلال عشر دقائق".

ما زلت أفكر في محادثتي مع والدتي خلال سيري إلى المتجر. يجعلني أتساءل عن حياتي الأخرى، حول ما لدي هناك وما هو مفقود. التخلي عن فريدا والمتجر وأسلوب الحياة بأكمله لتكريس نفسي للأطفال - كان هذا هو

مكتبة

الصواب، الشيء الوحيد الذي يجب القيام به.

أستطيع أن أرى ذلك الآن، بعد أن قضيت الوقت هناك، بعد أن رأيت ما رأيت وتذكرت ما أتذكر. أستطيع أن أرى أنه لم يكن هناك خيار آخر.

ومع ذلك، في تلك الحياة لقد دفنت بلا شك نفسي في حفرة. امتلأت هذه الحفرة بشعوري بالذنب على حالة مايكل، وصدمة أن فريدا قد غادرت حياتي للأبد، وبالطبع، الأسى لفقدان والديَّ. هذه الكارثة المحزنة التي تلقي بظلالها على كل شيء جيد في تلك الحياة.

أهز رأسي. حتى من هنا، من عالم آخر بعيد كلياً، من الواضح بشكل مؤلم أنني لا أستطيع أن أتجاوز تلك الفاجعة. فهي تطغى على كل شيء آخر. في ذلك المساء، بعد أن أغلقنا المتجر، خرجت وفريدا لتناول مشروب. انها ليلة السبت، ولكن لا أحد منا يشعر برغبة في الذهاب بعيدا عن حيينا، لذلك توجهنا إلى حانة ستاديوم إن القريبة، الحانة في ايفانز، بالقرب من الجامعة. عندما كنا أنا وفريدا في الكلية، كان هذا المكان يعج بالناس يوم السبت، بعد مباريات كرة القدم الجامعية. لم يكن بإمكانك الحصول على منضدة، يمكنك حتى التحرك بالكاد. لكن الجامعة حلت برنامج كرة القدم في العام الماضي، مما أثر على العديد من ملكيات مجتمع حي دو التي كانت تدر على أصحابها، ولا شك.

ما يزال الوقت مبكر، فقط الساعة بعد الخامسة بقليل في ليلة بطيئة، كنا وحدنا تقريبا في المكان. جلسنا في ركن قريب من القسم الخلفي للمكان. لا يبدو أن هناك نادل أو نادلة، لذلك أقترح أن أذهب إلى منضدة الساقي لأحضر المشروبات. كان الساقي، رجلاً كبير السن مبتسماً، يذكرني قليلا ببرادلي. أطلب مارتيني لفريدا وكأساً من النبيذ لنفسي. "على حساب المحل"، يقول الساقي، ويضع الكأسين أمامي.

أرفع حاجبي. "على حساب المحل؟ لماذا"؟

يرفع كتفيه، عيناه عميقتان وحنونتان. "اعتبري أنه العمل الصالح الذي

مكتبة

أقوم به لهذا اليوم، سيدتي

أهز رأسي كما لو أنني أريد مسح ذلك. "حسنا، شكرا"، أقول له، وأترك دولار له كبقشيش.

أعود إلى طاولتنا، وأضع الكأسين أمام فريدا وأقول لها ما حصل عند الساقي. "هذا غريب"، تقول. "حسنا، لا معنى من فحص أسنان حصان قدم لك كهدية" تقول وهي تأخذ رشفة من كأسها تغلق عينيها. "ممم، أنا في حاجة إلى هذا" ابتسم، ولكن لا أرد. أخطط لشرب هذا الكأس الواحد من النبيذ على مهل. فأنا أكثر من الشرب في هذه الأيام، سواء هنا أو في العالم الآخر. تضع فريدا كأسها على المنضدة وتشعل سيجارة. "كيتي"، تقول لي، بصوت هادئ. "نحن بحاجة لأن نتخذ القرار، كما تعلمين. يستحق الإيجار في نهاية تشرين الثاني. يمكننا أن نقول لبرادلي على الفور أننا لا نخطط للتجديد. أعلم أن بضعة أيام قد مضت منذ بداية الشهر، لكنه سيتفهم . وتأخذ رشفة أخرى من مشروبها. تقول لي: "اتصلت أمس "إدارة الشركة في مركز التسوق. اتصلت بهم، والمكان لا يزال متوفراً" تقول بعينين حالمتين "يمكن أن نفتح في الوقت المناسب لموسم التسوق في عيد الميلاد" مع العلم أنني لا ينبغي أن أفعل هذا، أرشف عدة رشفات طويلة من النبيذ. سأنسى الأمر. أحتاج إلى شجاعتي.

"فريدز"، أقول أخيرا. "ماذا لو... ما رأيك... إذا لم أكن أريد أن أقوم هذا بعد الآن؟ "تحدق في وجهي. "عم تتحدثين"؟

أتنهد. "الأمر أنني،" أقول. "الفكرة أنني، أعلم أن هذا تقدم في العمل. وأعرف أنها موجة المستقبل. وأعلم أن متجر الأخوات ليس لديه مستقبل حيث نحن. أنا أعرف كل ذلك. "أشرب المزيد من النبيذ. "لكنني كنت أفكر كثيرا في ذلك،" أتابع. "وعلى الرغم من أن كل هذا صحيح... أنا لا أعرف، فريدا، قلبي فقط غير متحمس قلبك؟ "تسحب من سيجارتها، ثم تنفث الدخان نحو السقف. ثم تعود للنظر في وجهي. "هذا عمل، يا أختاه"

مكتبة

"أنا أدرك ذلك. ولكن حتى لو كان عملاً.. "أنظر حولي يائسة، وكأن الكلمات المناسبة ستظهر أمامي، ربما على بطاقة منسدلة أو شيء ما. "عليك أن تحبيه،" أقول أخيرا. "عليك أن تحبي ما تفعلينه. ولا أعتقد... لا أعتقد.. "أخفض صوتي. "أنا فقط لا أعتقد أنني سأحب المكان هناك"

تنتهي فريدا من شرابها. وقد ظهر النادل، يستند على منضدة الساقي. لا بد أن نوبته قد حانت للتو. يبدو أنه طالب كلية شاب، يبدو كفرد من عصابة مثلما كان كيفن يبدو، بل كما لا يزال كيفن يبدو اليوم، كما اكتشفت وفريدا منذ وقت ليس ببعيد. تشير فريدا له ليجلب لنا جولة أخرى من المشروبات. "أنت خائفة من التغيير"، تقول بتحدٍ، بينما يومئ لها الشاب برأسه ويلتف وراء منضدة الساقي. "أنا لست خائفة. هذا ليس ما هو الأمر عليه على الإطلاق. في الحقيقة، أشعر بأنني على استعداد لإجراء تغيير

"حقا؟ التغيير إلى ماذا؟" ألف بإصبعي حول كأس النبيذ الخالي. "كنت افكر... حسناً، بشيئين. الأول سيكون الدروس الخصوصية، كما أفعل مع غريغ هانسن. العمل مع الطلاب الذين لديهم صعوبة في تعلم القراءة. هناك الكثير منهم، ولا يتعلمون. لكنهم بحاجة إلى التعلم؛ هذه هي الطريقة التي تجري بها الأمور في هذه الأيام. لا يمكن للأطفال الاستمرار في هذا العالم بعد الآن إذا كانوا يكبرون ليصبحوا أميين، فريدا. وأستطيع... أستطيع أن أساعدهم. سأكون جيدة في ذلك. أجيد القيام بذلك. يمكن أن أبدأ خدمة خاصة، أو ربما أعمل في المدارس. لديهم حالات الآن حيث شخص ما – المعلم أو شخص آخر يملك الخلفية المناسبة – متخصص في تعليم القراءة، يعمل مع أفراد منفصلين أو مع مجموعات صغيرة. أستطيع أن أفعل ذلك"

تصل مشروباتنا الجديدة – وأتساءل، هل ستكون هذه المشروبات مجانية أيضاً؟ ترشف فريدا من كأسها. "يمكنك أن تفعلي ذلك. يمكنك أن تتخصصي بهذا" تقول ذلك، ويمكنني أن أسمع أنها تحاول إخفاء العاطفة في صوتها. "يمكنك أن تفعلي ذلك، كيتي، وسوف تكونين ناجحة في ذلك" تضع كأسها

مكتبة

من يدها. "ما هو الشيء الآخر"؟

"الشيء الآخر هو... حسناً، لقد كنت أكتب كتباً خصيصاً لغريغ، هذه الكتب عن الرياضة، ولكن بنص بسيط أنه يمكن أن يقرأه ويفهمه، وهي ليس متقدمة جداً. وكما تعلمين، لقد أحدث ذلك فرقاً حقيقياً. وجود شيء للقراءة يثير اهتمامه، ولكن الكتابة بمستواه... أحدث ذلك كل الفرق بالنسبة إليه. أعتقد.. "أنظر بعيداً، ثم أعود إليها. "أعتقد أن هناك حاجة لوجود مؤلفين للأطفال ممن يمكنهم كتابة كتب من هذا القبيل

"حسناً". تضغط فريدا شفتيها معا. "حسناً، هذه أفكار جيدة حقاً، كيتي نصمت كلتانا لفترة من الوقت. تهز كأس المارتيني بكلتا، بحركات دائرية،وهي تفكر بتمعن. "إذا قلت لك شيئاً، هل ستغضبين مني"؟

أضحك: "بالطبع لا. ماذا الذي سيغضبني؟". "أنا... لقد التقيت شخصاً ما، كيتي. رجل حقا؟ أستقيم في جلستي. "أين؟ متى"؟

"الآن، قبل أن تبدأي بالاستنتاجات"، تقول لي. "لا أعرف حتى إن كان الجزء الرومانسي سيحدث أم لا. لست متأكدة من شعوري حيال ذلك". "لقد أخبرني كيف يشعر حيالي، لست متأكدة بعد. هذه هي المسألة. "تشرق عيناها: "إنه مستثمر، كيتي. وهو يستثمر في الشركات الصغيرة. يضع رأس المال لبدء الأعمال التجارية، ويساعدها لتصبح ناجحة.

"أوه، أوه، ذلك... من المؤكد أن هناك إمكانية لحصول شيء، فريدا". تقول لي: "ولكنني لم أرغب في أن أعرضك لخطر المجازفة"، "كنت أخشى أن أقول أي شيء، لأنني أعلم أنها مخاطرة. مخاطرة على صعيد العمل، مخاطرة على الصعيد الشخصي. إنها كل شيء، ولم يكن من المنصف أن أطلب منك أن تكوني طرفاً في هذه المخاطرة. ولكن إذا كنت تريدين المغادرة... "، تطرق ببصرها بعيداً: "حسناً. هذا من شأنه أن يجعل الأمر أسهل. ستكون مسؤوليتي أنا. مخاطرتي وحدي".

".أين التقيت هذا الرجل؟"

مكتبة

"في منزل أخي روب، تخيلي ذلك، في حفلة عيد ميلاد دوني. إنه والد أحد أصدقاء مدرسة دوني. مطلّق. يصادف أنه سيأخذ طفله لحفلة عيد ميلاد بعد ظهر يوم الأحد. أليس هذا عظيماً؟".

"بالتأكيد" وأضيف: "هذا رائع. ما اسمه"؟

"جيم بروكس. انه... "تبدو خجولة فجأة، وهذا لا يشبه فريدا أبداً؛ أجد هذا محبباً: "إنه رجل طيب، كيتي. رجل ذكي جداً، رجل ناجح، ولكنه أيضاً رجل جيد، بالفعل. أبدا لم أتوقع..

تنظر وتبتسم.: "أن التقى شخصاً الآن، في الثامنة والثلاثين... لم أفكر أبدا أن يحدث هذا لي. اعتقدت أن هذا الفصل في حياتي قد انطوى" لكن كيف يمكن ان يكون ذلك؟ لا تزال جميلة كما هي في أي وقت مضى. نعم، هناك خطوط حول عينيها. هناك خيوط من الشعر الرمادي في شعرها الداكن. لكنها لا تزال تبدو مثل الملكة، تماما كما كانت في المدرسة الثانوية. فكيف لأي رجل ذكي وناجح ألا يلاحظها؟ السبب الوحيد أن هذا لم يحدث في وقت سابق، أقول لنفسي، هو بسبب الصدفة. حتى الآن، لم تضعها الفرصة في المكان المناسب في الوقت المناسب. ولم يحدث هذا لي أيضاً. ليس في هذا العالم، على أية حال. أضع يدي على يدها. "أنا سعيدة من أجلك" أقول. "سواء كان الأمر مجرد عمل أو شيء أكثر من ذلك. في كلتا الحالتين، يبدو وكأنه شيء جيد.

تقول وهي تضحك: "أشرب كأس النبيذ حتى آخر قطرة. أفكر كثيراً قبل فعل ذلك. يمكن أن يكون شيئاً جيداً، كيتي. يمكن أن يكون".

قالت وهي تخرج محفظتها من حقيبتها وتبدأ بوضع بعض الأوراق النقدية على المنضدة، ولكن النادل ينظر إليها ويهز رأسه، مشيرا لها أن تعيد المال إلى الحقيبة. "هذا غريب"، تقول، تعبس وهي تدس المال في محفظتها. تعود لي. "شيء جيد... "تكرر وهي تفكر.

"لكنك لن تذهبي إلى أي مكان، أليس كذلك"؟ أسمع الرجاء في صوتي.

مكتبة

"هذا الرجل، جيم بروكس، يعيش هنا، ولديه طفل معه. حتى لو... حتى لو لم نعمل معا بعد الآن، ستبقين قريبة مني كما نحن الآن. أليس كذلك؟"

تقول وهي تهز رأسها "الآن، ماذا عن أحلامك تلك؟ في ذلك العالم، من الذي يغادر ويحظى بحياة أخرى؟ من يهجر من؟ "تضحك. "لا تقلقي، حبيبتي"، تقول، وتشد على يدي. "قلبي سيكون دائماً لك" تنهي مشروبها. وتقول: "لكن لدي قلب كبير "هناك مجال للمشاركة"

مكتبة

الفصل التاسع والعشرون

غرفة النوم الرئيسية مطلة على شارع سبرينغفيلد، مظلمة، عندما استيقظت. لا أعرف ما هو اليوم، أو كم من الوقت قد مر. لم أعد أرتدي البنطال الرمادي والسترة التي كنت ألبسها عندما استلقيت هنا. بدلا من ذلك، أرتدي تنورة باللون الخمري وبلوزة بيضاء. هذا يخبرني أنني في مرحلة ما، لا بد أن أكون قد نهضت وقمت بممارسة حياتي. أضحك، للتفكير في هذا. لأن هذه ليست حقا حياتي. كل شيء هنا خيالي.

أتجه إلى غرفة المعيشة. يجلس لارس على الأريكة المصنوعة من قماش التويد، يقرأ سمكة واحدة، سمكتان، وقد تجمع جميع الأطفال الثلاثة من حوله. حل الظلام في الخارج؛ الثلج الخفيف يسقط. وأتساءل عما إذا كنت قد نمت خلال العشاء. ليس العشاء الذي فاتني في الحلم الأخير، بالتأكيد. هذا يجب أن يكون عشاء آخر في وقت آخر. من يدري كيف يمر الوقت هنا؟ يمكن أن يكون في اليوم التالي، أو بعد أسبوعين من الآن، أو في الشهر التالي. هذه الفكرة تجعلني أضحك باستهتار، عندما ينظر لارس في وجهي، أسأله: "ما هو اليوم"؟

ينظر في ساعته. "هل تقصدين ما الوقت؟ إنها السابعة، حبيبتي

أقهقه عالياً: "لا.. أعني ما اليوم"؟ أجلس على يد الأريكة، بجانب ميسي. "لا أستطيع أن أتتبع الأيام عندما أكون نائمة،" أقول له. "أستيقظ، بالكاد أعرف أين أنا"

"كاثرين" يضع الكتاب على منضدة القهوة ويدفع ميتش جانبا بلطف،

مكتبة

مما يفسح المجال لي بجانبه. أجلس بين لارس وميتش، مع ميسي بجانب ميتش، ومايكل على الجانب الآخر للارس. يخطر لي أننا نمثل صورة الأسرة الجميلة. "أنت مرهقة، حبيبتي،" لارس يقول بهدوء لي. يقول ميتش: "أبي، ماذا يعني "مرهقة"؟ "قلقة"، أقول له: "بابا يعتقد أن ماما قلقة، هذا كل شيء" "لم أنت قلقة"؟ أضحك مرة أخرى. "لا شيء، حبيبي. لا شيء. لأنه لا يوجد شيء هنا للقلق. لا شيء على الإطلاق". يقول صوت هادئ من الجانب الآخر للارس ماما لا تعتقد أننا حقيقيون"

يقول لارس: "هذا كاف،" "لقد حان الوقت للاستعداد للنوم، هيا جميعاً" وهكذا أجد نفسي في زحام ما قبل النوم: حمامات للجميع، منامة ميتش ومايكل، قميص النوم وتمشيط الشعر لميسي. إنها تتحمل القيام بهذه المهمة الأخيرة، بشكل ملحوظ، على الرغم من شعرها الكثيف والمجعد. أتذكر كيف تعذبت في طفولتي عندما حاولت والدتي فك تشابك شعري المجنون، أبذل قصارى جهدي لتسهيل هذا على ابنتي. أتبادل ولارس مسألة وضع الصبيين والفتاة في السرير، على ما يبدو، لأنني هذه الليلة تكون ميسي من نصيبي لأضعها في السرير. إنها تستقر تحت أغطيتها، بعينيها الواسعتين، تنظر إلى الثلج المتساقط خارج نافذتها. "هل تعتقدين أننا سنذهب للمدرسة غدا"؟ أرفع كتفي. علامة عدم معرفة الجواب: "يعتمد هذا على مقدار الثلج الذي سيهطل الليلة" وهل سأكون هنا لمعرفة الفرق؟ من المستحيل التأكد من ذلك، بطريقة أو بأخرى. أجد نفسي حزينة لذلك الجزء من الواقع.

نقرأ قصة سندريلا– المفضلة لديها، تقول لي، بعد العناق، والقبلات، وأغنيتين، أشد الأغطية حول ذقنها وأقول لها تصبحين على خير. "نامي بسلام، أيتها الأميرة كلير"، أقول بهدوء. ميسي تفتح عينيها بدهشة. "لم أستخدم هذا الاسم منذ فترة طويلة، ماما".

"لا" أهز رأسي. "ولكنك ستكونين دائما أميرة بالنسبة إلي أتذكر الفكرة التي خطرت لي في ذلك اليوم – يبدو لي الآن، أنه منذ فترة طويلة جدا – عندما

مكتبة

ذهبت مع ميسي وميتش لشراء الأحذية. الفكرة كانت أنني سأتخلى عن أي شيء في العالم حتى تكون ميسي حقيقية، وتكون ابنتي أنا. أي شيء، كيتي؟ هل يمكنك، حقا، التخلي عن أي شيء من أجلها؟ أصابعي ترتعش وأنا أبعد خصلة من الشعر عن جبين ميسي. أميل نحو أذنها وأهمس بحنان، "أحبك".

تبتسم. "أحبك، أيضاً، ماما". انتظر في الطابق السفلي، بينما ينتهي لارس من القراءة مع الأولاد. في غرفة المعيشة الهادئة، ألتقط جريدة دينفر بوست من على منضدة القهوة. هناك عنوان ملفت على الجانب الأيسر من الصفحة الأولى، "تحطم طائرة يودي بحياة ثلاثة نجوم من عائلة أوبري".

ترتعش يدي وأنا ألتقط الجريدة وأنظر في التاريخ: الأربعاء، 6 مارس 1963. بسرعة، أقرأ القصة. وقع الحادث مساء أمس الثلاثاء فى حوالى الساعة السادسة مساء. من ضمن الذين قتلوا مغني موسيقى الكنتري كاوبوي كوباس، هوكشاو هوكينز... وباتسي كلاين.

"لا،" أهمس في الغرفة الصامتة. "أوه، لا. أرجوكم، لا".

كانوا في طائرة صغيرة. وكان راندي هيوز، مدير باتسي، يحلق الطائرة. كانت الاحوال الجوية سيئة، عاصفة. وقد قتل الجميع على متن الطائرة. أشعر بالدموع الساخنة في الجزء الخلفي من عيني. هذا غير عادل نهائياً، أفكر. لا يجب أن يموت الناس الطيبون بهذه الطريقة، أناس لديهم الكثير ليعيشوا من أجله.

"باتسي، سأفتقدك"، أقول بصوت عال في غرفة المعيشة الصامتة. وأفكر مع نفسي، يجب أن أتابع جدول حفلات باتسي كلاين، عندما أعود إلى العالم الحقيقي. ربما، أفكر، سأحصل على فرصة لرؤيتها في إحدى حفلاتها قبل وفاتها.

ثم أهز رأسي، أشعر بإعجاب طفيف بخيالتي السخيفة. أنت تختلقين هذا الأمر، أذكر نفسي. سيكون من المنطقي تماماً لك اختراع موت أحد المطربين المفضلين لديك في تحطم طائرة. أقول لنفسي، وأقسو عليها، أنها

مكتبة

مجرد وسيلة، لتبرري بعقلك تلك الظروف الكاذبة لموت والديك. هذا لا يعني أنه سيحدث في الواقع، كيتي.

لارس يأتي من الأعلى وينضم إلي بهدوء على الأريكة. وأظهر له الجريدة. "ماتت باتسي كلاين،" أقول، ويدي ترتجف.

يومئ: "أعرف. تحدثنا عن ذلك قبل العشاء الليلة. ألا تذكرين؟".

أهز رأسي: "لا أذكر على الإطلاق. كل ما أعرفه هو أن هذه الجريدة تقول إن أحد المطربين المفضلين لدي دائما قد مات"

"أنا آسف جدا، حبيبتي. أنا أعرف كم كنت تعشقينها"

أقول بسعادة: "ولكنني أختلق هذا، بكل الأحوال، لن تموت، ولن يحدث أي من هذا، لذا لا توجد عواقب حقيقية للأمر

يتنهد: "كاثرين.."

أعترف له: "أنت تعرف أنني أتمنى لو أن هذا حقيقي، هناك أجزاء في هذه الحياة أتمنى بشدة لو أنها حقيقية، ولكن الأجزاء الأخرى..

أهز رأسي وأنقر على الجريدة. وأفكر في والدي. يمسك وجهي بيديه ويديره باتجاهه. "كيف لي أن أساعدك، كاثرين؟ كيف لي أن أقنعك بأن هذه الحياة حقيقية"؟

أبتعد عنه وأهز رأسي. "لا يمكنك. ليس أكثر مما يمكن لفريدا أن تقنعني بنفس الشيء في ذاك العالم

أتفكر للحظة: "قل لي، كيف لي أن أكون هنا في معظم الوقت؟ أنت تقول أننا تحدثنا عن باتسي في وقت سابق من هذا المساء. أنا لا أتذكر ذلك. ولكن لا يمكن أن أكون هنا في كل وقت، هل أنا كذلك؟ لا أتذكر شيئاً؟ وأعتقد أن لدي حياة أخرى؟"

"أنت لست هكذا طوال الوقت،" يؤكد لارس. "عادة، تقومين بالأشياء التي كنتِ تقومين بها على الدوام، تعتنين بالأطفال وتهتمين بأعمال المنزل. أنت لا.. يعض على شفته: "نادراً ما تذكرين والديك، كاثرين. وعندما يذكر

مكتبة

اسميهما غالباً ما تغييرين الموضوع. وقد سألني الأطفال عن هذا، وأقول لهم فقط.. يهز كتفيه ويتابع: "أقول لهم إن ماما تحتاج بعض الوقت فحسب"

أهز برأسي. ليس لدي أية ذكريات عن هذا أبداً. أحاول أن أتخيل نفسي -كاثرين الأخرى- أتأقلم في التعامل مع هذه الحياة. كيف تمضي يومها، وتعتني بأطفالها. كيف تلتقي بجيرانها في مركز التسوق وتعرف أسماءهم. تذهب إلى البقالة دون أن يذكرها أحد بالطريق للوصول إلى هناك. من الصعب تخيل هذا.

ومع ذلك جزء مني يتوق إلى ذلك. جزء مني يائس لمعرفة كيف تبدو تلك الحياة. ما هو الشعور أن أكون أنا حقا، أن أكون الشخص الذي يقيم كل وقت في هذا العالم. أسأله: "وهل... لكم من الوقت كنت... أتصرف بهذه الطريقة؟" يقطب جبينه. "بضعة أسابيع"، يقول. "كنت على ما يرام لفترة من الوقت بعد... ما حدث... احتفلنا بعيد ميلاد الأطفال، عيد الشكر، عيد الميلاد... عندما أتذكر هذا الآن، ظننت أنك على ما يرام، ولكن ربما كنت تعيشين تلك المشاعر، مجرد أنك تفعلين كل ما في وسعك للتعامل مع ما حدث، لتجاوز تلك الأحداث. واستمريت على هذا الشكل حتى ما بعد بداية السنة بأسبوعين، عندها.. يستذكر.

أومئ برأسي. إنه يبدو لي شيئاً منطقياً. لا بد أنني قد احتجت كل ما لدي من القوة العاطفية لأتمكن من تجاوز عيد ميلاد الأطفال، والعطلات التي من دون وجود والديَّ. لا بد أنني وضعت نفسي في الحالة الروبوتية التي احتجتها. وبمجرد أن انقضت تلك الأيام، عندما واجهت سنة جديدة تماما وواجهت عقم الأفق، وعدم احتوائه على ما أشتاق إليه، سمحت لنفسي أن أواجه يأسي. عندئذ، أدركت، أن خيالي قد سيطر علي.، أسأل لارس بعد ذلك: "هل يمكن أن تخبرني متى... متى أذهب إلى عالمي الآخر؟"

يجيبني لارس "عادة لا أستطيع أن أعرف ذلك. غالبا ما يحدث قبل أن تذهبي إلى النوم ليلاً أو في الصباح الباكر، أشعر بأنك مستيقظة، ولكنك

لست واعية حقاً، لست حاضرة تماماً في ذلك الوقت. أحيانا يحدث خلال ساعات النهار. تصبح عينيك حالمة نوعاً ما وتائهة... وعادة ما يكون هذا لبضع لحظات فقط، ثم تخرجين من ذلك العالم وتعودين إلى شخصيتك الطبيعية. "أضحك. "هذه اللحظات القليلة هنا يمكن أن تعني أياماً مرت، في حياتي الأخرى".

لارس لا يرد على هذا. بدلاً من ذلك، يسألني سؤالاً يأخذني يباغتني تماماً: "كيف هو الوضع هناك في حياتك الأخرى؟" وهكذا أخبره. أقول له عن شقتي، منزلي المريح الذي يشاركني أصلان فيه، فقط. أحكي له عن غريغ هانسن، وكيف عندما بدأنا كان بالكاد يمكنه أن يقرأ حتى الجمل البسيطة على الصفحة. وتكلمت عن التقدم الذي أحرزته مع غريغ منذ ذلك الحين، وكم أستمتع بالعمل معه بشكل مباشر. أذكر له كم أشعر بالمرح لدي تأليفي الكتب لغريغ. كتباً عن البيسبول، عن ويلي مايس وفريق سان فرانسيسكو جاينتس. يوميء لارس: "حسناً، أنت خبيرة في هذا الموضوع". وأنفجر بموجة من الضحك. لكن وجه لارس يتسم بالجدية. "أنت تمزح، أليس كذلك"؟ أسأله. "أنا لا أعرف شيئا عن لعبة البيسبول، إلا ما تعلمته منذ أن بدأت الكتابة ل غريغ".

"كاثرين" يبتسم لارس بلطف: "أنت تعرفين كل شيء عن لعبة البيسبول. أصبحت مهتمة بهذه اللعبة لأنني مهتم بها. وكذلك الأولاد. جميعنا تابعنا بطولة العالم، الخريف الماضي، كما لو كانت حياتنا تعتمد عليها". ينظر إلى بدهشة. "ألا تذكرين ذلك حقاً"؟ أرفع كتفي. "لا أتذكر ذلك، فعلاً". يهز رأسه. "حسناً" يقول. "أخبريني المزيد عن حياتك الأخرى". أحدثه عن عودة والدي السعيدة، وعن عشاءنا الطويل الهادئ معاً. أبتسم بسعادة بينما أخبره عن محادثتي مع والدتي وهي تحيك الصوف في فترة ما بعد الظهر في شقتي.

وبينما أقول ذلك، أدرك أن – من وجهة نظر هذا العالم، بأي حال من الأحوال – تلك اللحظات ليست سوى هدية، هدية غير عادية، منحني إياها

مكتبة

ذهني.، أُعْطيتْ لي الفرصة، بمساعدة من خيالي النشط، لقضاء بعض الوقت، المزيد من الوقت، مع والديَّ، مع فريدا، وحتى مع غريغ؛ والتعلم من خلال تجربتي معهم ما أريد أن أكونه، وما أريده لنفسي.

أخبر لارس عن متجر الكتب، الذي عنده علم به بالتأكيد، ولكن ليس بالطريقة التي أعرفها أنا. أخبره عن غلَّايات القهوة التي لا تنتهي، التي شربناها معاً في المتجر، وعن وجبات الغداء التي تناولناها في محل السندويشات، في نهاية الشارع، وعن الذهاب لتناول المشروبات بعد إغلاق المتجر، وعن المحادثة التي أجريناها. أحدثه عن إمكانية إغلاق المتجر في شارع بيرل وفتحه في مجمع تجاري- وترددي في القيام بذلك، وكذلك عن حماس فريدا للقيام بالأمر.

"الأمور تتغير هناك، ما من شك في ذلك".

"ولكن مع ذلك، إن... حسناً إن الحياة مسالمة هناك" أرفع كتفي. صحيح أنني وفريدا على مفترق طرق. ولكننا نفترق ودياً. سوف....

أشعر بالحمق لإخباره بهذا، لأنه لا يتناسب مع كاثرين، بالطريقة التي يناسب بها كيتي.

أقول له: "أفكر في البحث عن عمل كمدرسة خصوصية أو اختصاصية في تعليم القراءة. لقد وجدت أنني أحب العمل مع الطلاب بطريقة منفِّرة، إن ذلك هو الجزء الذي افتقده في التدريس

أتنهد، وقد سمعت مسحة من السعادة والحماس في صوتي فأتابع: "وأريد أن أؤلف كتاباً للأطفال، للأطفال مثل غريغ. ولأي طفل آخر.

و أفكر في مايكل. وأقول: "لأي طفل يعاني كي يتعلم

"أتحبين القيام بذلك الآن"؟ يبتسم لهذه الفكرة، وليس لأنه مستمتع. يبدو في الحقيقة مبهوراً. "التدريس الخصوصي والكتابة. هل هذه أشياء تودين حقاً القيام بها"؟

أرفع كتفي. "لا أعرف. هنا، في هذا العالم، لا تبدو أشياء ممكنة، صحيح"؟

مكتبة

"لم لا"؟ يستقيم في جلسته ويمسك يدي. "أنت مشرقة جداً، كاثرين. يمكنك التعامل مع الأمور بهذا الإصرار. على الأقل، فعلت ذلك، إلى أن... "يضغط شفتيه معاً. "أنا آسف. لم يكن علي أن أقول ذلك".

"لا، لا بأس. أنت على حق". وأفكر بالفاجعة حزينة:

"انغلقت على نفسي، في هذا العالم. أشياء تنهكني: مايكل، فريدا، خسارة والديَّ.

يقول: "ولكن لا يجب أن يكون الأمر بهذه الطريقة، يمكنك أن تفعلي أي شيء تريدينه، حبيبتي. أنا لا أريد لك أبداً أن تشعري بأنك مقيدة بحياتنا هنا في المنزل".

"حسنا" أنظر إلى الجريدة مجدداً، ثم أعود إلى لارس. "أعتقد أننا سنرى ما سيحصل فحسب".

نمارس الحب تلك الليلة بكل جوارحنا. نتمهل، كلانا، نأخذ وقتنا، نتلمس كل جزء، أيدينا تتحرك ببطء كما لو كنا نتحد لأول مرة. أحفظ شكل جسده، والملمس الدافئ لجلده بجانب جسدي. أضع رأسي على صدره، وأستنشق رائحته النظيفة، المسكرة. أضغط يدي على قلبه، قلبه الجميل والرائع. أردد صلاة صغيرة، صامتة، لأن يستمر قلبه بالنبض إلى وقت نشيخ فيه معاً.

بعدها أستكين بجانبه، وأفرد جسدي على طوله بجانب جسده. لا أريد أن أتخلى عنه أبداً. "لا أدري أين سأكون عندما أستيقظ،" أهمس له. "عندما آوي إلى الفراش هنا، أشعر بأنني بحاجة لأن أودعك، فمن الممكن ألا أعود أبداً"

السماء المثلجة خارج الغرفة جعلتها أكثر إشراقا من المعتاد، وفي هذا الضوء المنخفض أستطيع أن أرى عينيه الزرقاوين الساحرتين. "أليس هذا صحيحاً للجميع؟". "يمكن لأي واحد منا أن يرحل عن الحياة في ثانية" ينظر الى السقف. "ألا تعتقدين أنني أفكر في ذلك... طوال الوقت". ثم يكرر بصوت مبحوح، "طوال الوقت" نخلد إلى النوم يضم أحدنا الآخر.

مكتبة

الفصل الثلاثون

أقف أمام المتجر. هذا الصباح سديميّ، يكاد يكون ضبابياً. أستطيع بالكاد التعرف على الطريق أمامي، والسيارات القليلة المركونة على طوله. ألتفت إلى يساري، أنظر باتجاه الشمال نحو شارع بيرل. أستطيع من خلال غشاوة الضباب أن أميز محل السندويشات، ومسرح ذا فوغ، الصيدلية، كل شيء في مكانه. أدير رقبتي، وأنظر ورائي، عبر زجاج النافذة. أرى واجهة العرض لمتجري، المصممة بإتقان، من الألوان الخريفية الدافئة، مع الكتب الملائمة لها. وخلفها، أرى فريدا تجلس على منضدة الحساب. تنظر إلي وقد شعرت بي أنظر إليها، وتبتسم لي وتلوح قليلاً. وبشكل أوتوماتيكي أبتسم وألوح لها، وأنا أشعر أن قلبي قد فوت نبضة أو نبضتين.

"أحبك،" أهمس، على الرغم من أنها لن تسمعني بالتأكيد من وراء الزجاج. "أحبك كثيراً، أختي. أكثر مما تعلمين بكثير

بعد ذلك، أنظر إليها، أشعر فجأة بغضب غير منطقي. شيء فعلته يجعلني غاضبة. أشعر بالخيانة، وكأنني لن أتمكن من أن أثق بها مرة أخرى. دون أن أملك أدنى فكرة عن سبب شعوري هذا، أحاول أن أطرد هذه المشاعر بعيدا. لست متأكدة من سبب وقوفي خارج المتجر. هل سأذهب إلى مكان ما؟ لا أعتقد أنني كنت أنوي الذهاب. الجو بارد هنا، وأنا لا أرتدي معطفاً أو قبعة، ولا أحمل حقيبة يدي. ألف ذراعي حول صدري، وأدخل يدي تحت أكمام سترتي. لا توجد أي حركة مرورية.

الشارع صامت، ساكن. هل كان شارع ويل بيرل بهذا السكون دائماً؟

مكتبة

أشعر بالحزن، عندما أفكر بتركنا أنا وفريدا لهذا المكان، كم أحزن لتغيير الأشياء. أعلم أن لابد لهذا من أن يحصل. أعلم أنه الخيار الصحيح. مستقبلنا ليس هنا، مستقبلنا القريب على الأقل. بل هو في مراكز التسوق الواسعة والمنازل الريفية مترامية الأطراف والطرقات السريعة التي تمتد إلى ما لانهاية. هل هذا التغيير مؤقت أم أنه سيستمر؟ هل هذا مستقبل دنفر؟ هل هو مستقبل أمريكا؟ أتمنى لو أستطيع النظر في كرة المستقبل البلورية، وأرى كيف سيكون العالم خلال خمسين سنة من الآن. ولكنني لست بعرافة.

أفكر في العالم الذي أعيش فيه مع لارس والأطفال. إذا كان لدي كرة بلورية، ماذا ستقول لي عن هذا العالم، بعد خمسين عاما؟ ماذا سيحل بأولادي؟ ميتش وميسي، متأكدة، من أنهما سيكتشفان شغفهما في الحياة، مهما كان ذلك الشغف. آمل أنهما سيتزوجان ويشكلان عائلتين خاصة بهما. سيعيشان بنزاهة والتزام وحب، كما علمتهما أنا ولارس.

ومايكل؟ لم أكن أعتقد أنني يمكن أن أشعر ببرد أكثر من الذي أشعر به، أثناء الوقوف هنا، ولكن التفكير في مستقبل مايكل يجعلني أرتعش. ماذا سيحل به لو كان هذا العالم الخيالي حقيقيا؟

أفكر في تلك المرأة التي جاءت إلى المتجر مع ابنتها المصابة بالتوحد. أتمنى لو أتحدث إلى تلك الأم مرة أخرى. لو استطعت، سأكون أكثر لطفاً. وسأبتسم بلطف وأرحب بها في متجري. وأتابع عملي بعد ذلك ولن أحدق في طفلتها.

ربما كنت سأرتب الكتب بطريقة أكثر ذكاءً، عوضاً عن ذاك الترتيب الهش. ولكن لو لم يكن ذلك، ولو قامت الطفلة بإسقاطه مع ذلك، حسناً، عندها لن أسأل الأم، التي أسرعت لإعادة ترتيب الكتب، أي أسئلة سخيفة. بدلاً من ذلك، كنت سأقدم لها نسخة مجانية من سفينة الأغبياء. وبينما أفعل ذلك، أنظر في عيني الأم، وبدون كلمات، سأحاول أن أدعها تعرف أنني أتفهم الأمر.

مكتبة

ألف وأدخل إلى المتجر. يتحرك الجرس المعلق فوق الباب عند دخولي. تنظر فريدا إلي وتظهرعلى وجهها ابتسامة دون أي كلام. يدور الفونوغراف بصمت، بهدوء، وقد انتهت مجموعة الأسطوانات التي كان يشغلها. تدور فريدا على كرسيها الدوار، وتختار أسطوانة جديدة، وتضع التسجيلات على قاعدة الفونوغراف. يسقط القرص الأول على الأسطوانة الدوارة، وتتحرك إبرة الفونوغراف إلى موقعها. ويصدح صوت باتسي كلاين في أرجاء المتجر.

لو كنت تفكر بالرحيل.. أخبرني الآن.. أنه الأمر... (كلمات الأغنية)

أهز رأسي. هذه الأغنية ليست موجودة بعد في العالم الآخر، عندما ذهبنا إلى المطعم الإيطالي مع زبائن لارس، أخبرني لارس أن باتسي كلاين قد أصدرت هذه الأغنية للتو. وقد حصل هذا في فبراير. أي بعد ثلاثة أشهر من اليوم.

"أتعلمين، باتسي كلاين ستموت،" أقول لفريدا، بصوت مفاجئ حتى أنني أشعر بأنني أستمع إلى نفسي من مسافة تبعد بضعة أقدام. "سوف يحدث هذا في غضون بضعة أشهر فقط،" أتابع. "ستموت في حادث تحطم طائرة". تومئ فريدا، كما لو كنت أقول لها شيئا تعرفه بالفعل. "لكنها سوف تطلق هذه الأغنية بشكل منفرد أولاً،" أقول، أعبر الغرفة بهدوء – كيف يمكنني أن أكون هادئة جداً – أتجه نحو مخزوننا من كتب الخيال الأكثر مبيعا. وتتجه عيني مباشرة إلى مختارات سالينجر الجديدة. إلى جانبها، أرى "ذا كينغ بيرسونز" لجوان غرين–بيرغ، المؤلف المحلي، كنت قد قررت في ذهني أن أعرف المزيد عنه، في اليوم الذي تصفحت فيه مكتبة فريدا الكبيرة في العالم الآخر. لم تتم طباعة هذه الكتب بعد. لا يمكن العثور عليها في أي مخزن للكتب. ولكن ها هي هنا، في متجرنا الصغير.

أنا تشغيل يدي على سالينجر. هل كان هذا الكتاب هو الذي وضعت فريدا أصابعي عليه، قبل أيام فقط، عندما كانت تحاول أن تؤكد لي أن هذا العالم حقيقي؟ أهز رأسي مرة أخرى، في محاولة لتصفية أفكاري. ربما كان هو. يبدو أنه هو. لا أستطيع أن أتذكر.

مكتبة

ثم أفكر في الأشياء التي حدثت في الأسابيع القليلة الماضية، والتي كانت تبدو ممتعة أو مريحة في ذلك الوقت. فترات الصباح الهادئة والمريحة في المنزل وهنا في المتجر. قراءة بطاقات أمي البريدية المكتوبة بكلمات مقفاة. عثوري بالصدفة على نعي لارس، ولكن بسهولة جدا. التقاء كيفن-والبؤس الظاهر عليه يثبت أنني قد فعلت الشيء الصحيح في تسليمه إنذار الطلاق قبل كل تلك السنوات. والأغرب من كل ما سبق المشروبات المجانية التي حصلنا عليها أنا وفريدا في "ستاديوم إن" تلك الليلة.

وأخيراً استقلال والديَّ للطائرة الصحيحة بشكل مريح ويدعو للسرور. تلك الطائرة التي لم تسقط في المحيط الأطلسي خلال الإعصار. لا تتركني هنا.. في عالم.. مليء بالأحلام التي كان من الممكن أن تتحقق.. آلمني الآن، أنهِ الأمر.. قد أتعلم أن أحب مجدداً.. (كلمات الأغنية). أنظر إلى فريدا وتحدق فيّ وهي تعلم. تبدو كأنها في انتظاري كي أتكلم. "أختي أقول لها، وبعدها أتوقف عن الكلام.

للحصول على كتبنا قبل الجميع
بروابط تحميل مباشرة
تابعونا
على فيسبوك
مكتبة الرمحي أحمد
facebook.com/ktabpdf
على تيليجرام
telegram @ktabpdf

مكتبة

الفصل الواحد والثلاثون

استيقظ وأنا أشهق، ما نزال، أنا ولارس، متعانقين كما كنا تماماً عندما استغرق في النوم في غرفة النوم الخضراء. يفتح لارس عينيه "هل أنت بخير"؟ آخذُ نفساً عميقاً، وأنا ارتجف، كي أهدأ، أتكلم ببطء "هل.... هذا......هو أنظر حولي وأنا أفرك عينيي "هذا هو العالم الحقيقي، أليس كذلك لارس"؟

"كاثرين" يضمني اليه ويهمس في أذني "هذا هو العالم الحقيقي أدير رأسي لأنظر في عينيه "كيف يمكن لهذا أن يكون"؟ كيف يمكن لذلك العالم الاخر أن يبدو حقيقياً إلى تلك الدرجة ولا يكون كذلك"؟ ينسحب إلى الوراء ويميل برأسه مفكراً "لا أعلم حبيبتي

أفكر بشأن كل تلك الأوقات، في الأسابيع القليلة الماضية، عندما رحلت إلى ذاك العالم وكنتُ كيتي. أعتقد عادةً، أنني نائمة في هذا العالم، وأعتقد ان عليَّ الخلود إلى النوم في هذا العالم لأعود إلى المنزل، لاستيقظ حيث أعتقد أنني أنتمي. ولكن بخلاف أحداث الليلة الماضبية، التي تبددت وكأنها حلم، والتي كانت حلماً بالفعل، كل تلك الأوقات الماضية، لم أكن نائمةً فيها، أدرك هذا الان. لقد كنتُ هنا........ومع ذلك لم أكن هنا حقيقةً، لا بد من أنني كنت غافلةً تماماً عمَّن حولي. ازدردُ ريقي بصعوبة، قلتُ للارس "آسفه"،" أنا أسفةٌ حقا "ضمني مجدداً وقال: "لا بأس بدأت الدموع تتشكَّل في مقلتي، قلت: "لا أعلمُ أن كنتُ أستطيع تحمّل ذلك، لا أعلم أن كنتُ أستطيعُ أن أكون الشخص الذي تظنه، لا اعلم أن كنت أستطيعُ أن أكون هنا، أن أتواجد فعلاً، بالشكل الذي عليّ أن أكونه؛ لا أعلم إن كان هذا حقيقياً بالفعل

مكتبة

أغمض عينيي بقوة، أستطيعُ أن أرى نفسي، في خيالي، على أني ذاك الشخص، كيتي، هي فقط صورةٌ وهميةٌ متخيلة. يقول لي لارس:

"تستطيعين، يمكنك أن تكوني هنا، وستكونين كذلك". ويمرر أصابعه من خلال شعري، وأفتح عينيي لأنظر اليه، يقول لي "أُريدكِ هنا، كلنا.... نحن كلنا نُريدكِ هنا" ويزدرد ريقه بصعوبة: "نُريدكِ هنا كاثرين" نظرتُ في عينيه الجميلتين، أعتقد أنهم يحتاجون الي، يحتاجون الي هنا.

أتكلم بهدوء: "حسناً، سأُحاول" ابتسم وقبلني بقوة. عندما نفترق، أدير رأسي، وأقول: "انظر إلى الخارج" مُشيرةً إلى زجاج الباب الزلّاق. السماء زرقاء مذهلة الزرقة، وخاليةً من السحب. الشمسُ ساطعةٌ بشدة، يعكس الثلج الذي على المرج أشعتها: "أكتسى كُلُ شيء بطبقة ثلجٍ رقيقةٍ جديدة". يقف ويمشي باتجاه الباب، يوافقني قائلاً "جميل! ولكن سيخيبُ أمل ميسي وميتش، كمية هذا الثلجُ لا تشكل سبباً كافياً ليتغيبا عن المدرسة". في الواقع، أنا نفسي أشعر بخيبةِ الأملِ نوعاً ما. يومٌ بوجود الأولاد الثلاثةِ معاً في المنزل يبدو ممتعاً تماماً!

أنهض من السرير وأوشك على وضع قدمي على الأرض، عندما ألاحظ وجودَ كتابٍ بغلافٍ سميكٍ على منضدة السرير الجانبية. أقول وأنا ألتقط الكتاب وأُقلبه "لارس، هل كنتُ أقرأُ هذا". يستدير من المدخل ويمشي نحوي: "نعم" مؤكداً هذا، وهو ينحني من فوق كتفي ليلقي نظرةً عليه "قُلتِ بأنه كان يطاردكِ في أحلامك" ابتسم وأمرر أصابعي فوق غلاف الكتاب، الصور المظللة، الألوان المتوهجة، وعنوان الكتاب الذي كُتب بأحرف الطباعةِ البارزة بشكلٍ بشع "شرٌ يأتي من هذا الاتجاه" بقلم راي برادبيري. أقول للارس "فعلاً، إنه مسكونٌ بالتأكيد".

تصيب ميتش وميسي نوبات غضبٍ بسيطة قبل وقت المدرسة، ميتش، كما يشرح، مستاء لأن يومه الثلجي لم يكن كما خطط له،، وذلك بقضاءه اليومِ بطوله في تركيب لعبة القطار في القبومستعيناً بمخطط له. "والان تدمر

مكتبة

ذلك التخطيط!" يقول ميتش ووجهه أحمر وصوته قد ارتفع بنبرةٍ درامية غُير معتادة: "دُمِّرَ يومي بأكمله" الأمر الذي يفاجئني، هو أن مايكل هو من يقدم كلمات المواساة ويقول بلطف: "لا بأس يا ميتش، تبدأ عطلة نهاية الأسبوع خلال يومين، يمكنك تنفيذ المخطط في ذاك الوقت" لا ينظر ميتش إليَّ، بل يقترب بحذر من أخيه. ويتابع كلامه بصوتٍ ناعم "سأُساعدك".

أما ميسي فهي غاضبة لأنها سترتدي الجزمة إلى المدرسة، "إنها بشعة" تقول ذلك مؤكدةً، ويرتفع أنفها الجميل بقرف أمام الجزمة الوردية اللون التي يزينها الفرو "إنها جزمةٌ مقيتة، يا أمي، أحتاج واحدةً جديدة". أهز رأسي وأقول بحزم: "لقد أبتعناها منذ عدة شهورٍ فقط"

"إنها في حالةٍ جيدة، وهي دافئة وتناسبكِ، وستبقي قدميك جافتين. ارتديها". تلبس الفردة الأولى على مضض، ثم الثانية، وهي تحدق بي بغضب طوال الوقت. أهز كتفي متجاهلة إياها، لن أُذعن. يغادرُ لارس وميسي وميتش المنزل عند الثامنة. منذ أيام الروضة، وحتى عندما بدأ ميتش وميسي بارتياد المدرسة الابتدائية التي تبعد عدة مبانٍ، كنت أنا ومايكل نصحبهم إلى المدرسة معظم الأيام، ثم نمر لأخذهم عند الظهيرة. لقد مرت أعوام منذ أن كان ميتش وميسي في الروضة، عندما تسبب الفراق لمايكل الاضطراب والانزعاج الشديدين، ولكنه اليوم نضج بما يكفي ليتوقع ويتأقلم مع هذه التغيرات اليومية. ومع ذلك، في الأيام الثلجية، يأخذ لارس ميتش وميسي مسافة هذه المباني القليلة إلى المدرسةِ بالسيارةِ عادةٍ. تراني أعرف هذه الحقائق المنزلية وأكثر فجأةً، بدون أي نقاشِ فيها.

بعد خروجهم، أقفُ في المدخل بين غرفة المعيشة والمطبخ وأُبقي الباب المتأرجح مفتوحاً بكتفي، ملقيةً نظرةً على ما حولي. لتقع عيناي على جسد مايكل المسترخي، يجلس على الأريكة في غرفة المعيشة لا ينطق بكلمة، محدقاً إلى الأرض.

مايكل لا يرفع نظره إلى الأعلى. أناديه مجدداً مايكل وأنا أعبر الغرفة

مكتبة

لأقف أمامه "حان وقتُ دروسك" يسترعى هذا انتباهه. يقول وهو لا ينظر إلى عينيي: "لم ننجز أي درس خلال ثلاثة أشهر يا أمي

"حسناً" أمشي عائدةً إلى غرفة الطعام، إلى المقعد الصغير بجانب الحائط. ليس عليه غبار، رغم أنه لم يستخدم مؤخراً، لا بد من أن "ألمى تبقيه نظيفاً من الغبار، شأنهُ شأن كل شيء آخرَ في المنزل. أمدُّ يدي وأخرج دفتراً مفتوحاً. خط مخربش من حروف الـ (أ)، مكتوب بالرصاص على الصفحة، حيث يميل الخط نحو اليمين وكتب جزء فقط من الحرف الأخير، الجزء الأول من الحرف ولا شيء اخر.

أمعن النظر في الدفتر بعض الوقت، لترحل أفكاري إلى غريغ هانسن، إلى الكتب المشبوكة مع بعضها، والتي جمعتها لأجله في العالم الاخر، والصور الغريبة التي رسمتها له، ومجموعة بطاقات الملاحظات التي ربطتها مع بعضها البعض بخيط.

مايكل، أضع الدفتر على المقعد، وأعود إلى الأريكة وأجلس بقربه.

"تعلم أنني طلبت منك أن تتعلم حرف (أ)، هل يمكنك أن تخبرني ببعض الكلمات التي تبدأ بحرف (أ)؟ "أبل يجيب بتململ ثم يسكت. "صحيح" أومأتُ برأسي "بل لنفكر ببعض الكلمات الأكثر أهمية والتي تبدأ بحرف (أ). ماذا عن.... انتظر لحظة". أهرع إلى الأعلى، أعرف ما أبحثُ عنه وأين أجدهُ، أذهبُ إلى غرفة ميسي وأخذ قاموس الصور للقراء الصغار من على الرف، وأسرعُ نزولاً، وأفتحُ القسم الأول من القاموس. قسم الحرف(أ). وأقول "هذه كلمة" واضعةً الكتاب على الأريكة بيننا. "أعلى، وتعني شيئاً موضوعاً فوق شيء اخر، هكذا... أهرع نحو مقعده وأجلب قلم الرصاص ودفتره إلى الأريكة وانثني فوقهم إلى جانب مايكل، وأرسم طائرةً تحلقُ فوق عدداً من الأبنية العالية وبجانب اللوحة أكتب في الأعلى بأحرفٍ كبيرة "أترى، الطائرةُ تحلقُ فوق المدينة، فوق" وانتظر بأنفاسٍ متقطعة. يمعن مايكل بما كتبته ورسمته. يردد بلطف: "فوق" وأتابع "نعم، جميع الكلمات، وكل كلمة لها

معنى، وإن تذكرت ما تعني، وتصورتها في ذهنك...و كنت قادراً على رسم الحروفُ التي تشكلُ تلك الكلمة.... حينها ستتمكن من قراءة تلك الكلمة في كلِ مرةٍ تراها فيها. لنجرب واحدةٍ أخرى، أقلب صفحاتِ القاموسِ ببطء، وأقول "هذه واحدةٌ أظنُ أنني أعرفها" أجمع، كجمع الأعداد إلى بعضها "وعلى الدفتر كتبتُ 1+1=2 وتحتها كتبت اجمع. يردّد مايكل "اجمع، اجمع، تلك الكلمة تعني اجمع" "نعم، هذا صحيح" يسألني "ما هو الكتاب الذي تبحثين فيه يا أمي؟" "هل أستطيعُ أن اراه" "بالطبع" أرجع إلى الوراء، لأسمح له بدراسة الصفحات: "هذه واحدةٌ أعرفها" مشيراً إلى مرساة وإلى جانبها رسمت مرساة بخط اليد. وقال: "هذه تعني مرساة، أليس كذلك؟ كمرساة السفينة" أجبته "نعم، إنها كذلك. مايكل! لقد حزرتها!" لم أستطع منع نفسي، جذبته والدفتر والقاموس جميعاً إلى حضني وعانقته أكاد أعصره بكل ما بي من قوة. صرخ وابتعد عن عني: "قويةٌ جداً! هذا كثيرا!" ويهرع إلى غرفته.

أعتقدُ أنني أفسدُ الأمر، أحسنتِ كاثرين، وبعدها ابتسم، لا يهمني، لقد تعلم شيئاً، وإنه أنا من علمه ذلك.

أتنهد واتكأ على الأريكة، وانا أضم القاموس إلى صدري، وتغمرني السعادة.

بعد فترة، أذهب إلى غرفة الفتى وأقنعه ليعود إلى الطابق السفلي "لا اريد أن أقرأ المزيد يا أمي،" قال: مايكل وأنا أقوده بلطف إلى المقعد في غرفة المعيشة" القراءة تنهكني "حسناً" لم أر أية فائدةً من الاستمرار في ذلك، علي أخذ الأمورِ بروية، ان أردت لذلك أن يحصل أصلاً، إن أردتُ لمايكل أن يتعلم القراءة، على فعل ذلك بخطواتٍ صغيرة. اقترح عليه "لنقم ببعض الرياضيات بدلاً من ذلك".

"هل تستطيع العدّ"؟ "ما هذا السؤال المضحك يا أمي ويجلس إلى المقعد ويبدأ العدَّ بصوتٍ عالٍ، ويستطيع العدّ إلى مئة في أقل من ثلاث دقائق. وأقاطعه لأخبره بأن بإمكانه التوقف. وأسأله "ماذا عن الجمع"؟ "هل تعرف

ناتج جمع اثنان واثنان؟" وتدور حدقتيه "أمي! أعلم ناتج مئتان واثنان مضروبةً مرتين!" ابتسم: "حقاً، وما الناتج" تنهد متململاً: "أربعمئةٍ وأربع" "حسناً" أجيبه "وانا أستدير مبتعدةً عن مقعده".

لنعمل على المال بدلاً من ذلك يسألني بحماس: "مالٌ حقيقي؟". يجعلني الحماس في نبرة صوته ابتسم مجدداً، أنه نادراً ما يكون متحمساً حيال أي شيء. أجيبه "بالطبع، مالٌ حقيقي، تعال معي نسطو على وعاء النقود الذي في المطبخ. ذاك المتروك على حافة النافذة. ونجلس إلى المنضدة ونعدّ كل قطعة. يذهلني تركيزه وقدرته على استيعاب الفئات العددية بسهولة، جامعاً الكميات في ذهنه "ثلاثةٌ وثلاثين دولارً وستة عشر سنتاً!" وعندما انتهى قال بنبرة منتصر: "هذا كثيرٌ من (المولاه)" "ما هي (المولاه"؟ "إنها المال".

ويضحك، تلك الضحكة المذهلة التي تذكرني بأمي. يا لها من نعمة، سماع ذاك الصوت. "(مولاه) كلمةٌ مضحكةٌ فعلاً".

"أنت محق، إنها كذلك" سأذهب لأرى أن كانت ألمى جاهزة لتحضير غدائك". في الممر عبر المدخل، وخلال بحثي عن ألمى، أمر بجانب صورةٍ لمنظرٍ جبلي، لممرٍ شبيه بأذني الأرنب. وفجأةً أفهم فحواها أخيراً: تقدم لارس اليَّ في تلك البقعة تماماً. كنا نتواعد باستمرار لستة شهور، تقريباً. كان احترامنا المتبادل أمراً لم اختبره من قبل، بدا الأمر وكأننا لم يملّ أحدنا من الآخر، كأنه كان من الواجب علينا تعويض الوقت الذي أضعناه بحثاً عن شطرنا الآخر، كان يتصل بي عدة مراتٍ في المتجر، وكنت أجيب على تلك الاتصالات بأنفاسٍ متقطعة، كأنني طالبة مدرسة. كانت فريدا تدير عينيها في محجريهما مني، ولكنها كانت تبتعد لتمنحني بعض الخصوصية. أمضيتُ أنا ولارس، تقريباً، كل مساءٍ معاً – أما العشاء فكان في منزله أو منزلي. نشاهد الأفلام، أو نخرج للرقص. كانت فريدا تتذمر بحدةٍ نوعاً ما: "لم أعد أراك أبداً خارج العمل أتذكر أنها جعلتني أفكر وكأننا أنا ولارس خططنا لعلاقتنا الغرامية لإزعاج فريدا لا أكثر ولا أقل. كانت ترجوني "لقد اشتقتُ إليك يا

مكتبة

أختي، اتركي لي بعض الوقتِ من أجلي، ألا يمكنك هذا"؟ كنت أومئ برأسي وأخبرها بأنني أسفه، ربما كان بمقدورنا أنا وهي القيام بشيء هذا المساء، أو في أحد الليالي بعض أن نقفل. ولكن وقتها كان لارس إما أن يتصل أو يأتي إلى محل (الأخوات)، فأنسى وعدي لفريدا. في اليوم الذي تقدم فيه لارس لخطبتي، كان مساء أحدٍ ربيعي جميل. كنا ذاهبين في جولةٍ بالسيارة دون أن نحدد وجهةٍ بعينها. قدنا السيارة عبر الجبال على الطريق السريع (40) مارين عبر الحديقة الشتوية، غراندبي، كريملنغ، كنا نمعن النظر خارج النافذة في سلاسل الجبال الشاسعة والبلدات الصغيرة والجليد الذائب. وعند مرحلةٍ ما، بعد أن كنا نقود السيارة لعدة ساعات، اقترحت عليه بأن علينا بالعودة. هز لارس كتفيه قائلاً "ولماذا؟" وعندما لم أعطه أي إجابة، تابعنا طريقنا. أوقف السيارة على قمة ممر (أذني الأرنب) ومشينا صعوداً لنستمتع بالمنظر. كانت شمس المغيب تدفيء كتفيي العاريين، والنسيم كان لطيفاً. خلع لارس سترته ووضعها علي. وقال: "انتظري" يلفُّ حولي ليضع يديه في جيب سترته. "لا يمكنني اعطائك السترة بدون اعطائك هذا أولاً". انحنى على ركبةٍ واحدة وفتح صندوق مجوهراتٍ صغير واضعاً إياه أمامي. "هل تتزوجينني كاثرين" "أرجوكِ قولي نعم" نظرت إلى الخاتم، ثم إلى عينيه الزرقاوين جداً "كيف يمكنني أن أرفض" "بالطبع سأتزوجك" ولففت ذراعي حوله "نعم" وأنا أهمس "إلى الأبد نعم" ابتعدتُ عن الصورة، وهززتُ رأسي، مبتسمةً، واتجهتُ نحو غرفةِ نومنا. ووجدتُ ألمى تنظفُ حمامنا. وشعرتُ بالذنب فجأةً. لا أُمانع رؤية ألمى وهي تكوي أو تنظف الصحون، أصلاً كنت أقوم بذلك طواعيةً في حياتي الأخرى، حياتي المختلقة، لم اعتبرها مهاماً مرهقة.

لكن تنظيف الحمام؟ لا أذكرُ أحداً، سوى أمي عندما كنتُ صغيرة التي كانت تنظف الحمام لأجلي. لكن ألمى لا تبدو منزعجةً، بل كانت تبتسم وتدندن أثناء عملها. كنت مندهشةً لتذكري للنغمة "الألوان"، إنها أغنية لا أذكر سماعها في حياتي الأخرى على الاطلاق. ولكن أعلم حقيقةً أن ألمى

مكتبة

علمتها لأولادي. انها عن الألوان، وكلُ ما هو ملون في العالم.

"من الألوان، من الألوان...... ترتدي الحقول في الربيع. من الألوان، من الألوان... إنها الطيور الصغيرة المهاجرة".

أعلم كل شيء عن ألمى والذي لم اتذكره إلا الآن. أعلم أن عمرها أربعين عاماً. اعلم أنها وريكو ترعرعا معاً في بلدةٍ صغيرة في سونورا، في الجزء الشمالي الغربي من مكسيكو، وبأنهما تزوجا في سنٍ صغيرة. أذكر كيف دمعت عيناها منذ عده سنوات، عندما حدثتني عن أكبر أطفالها، صبي وبنت كانا قد بدأا المشي وكيف علقَ كلاهما في الحريق الذي طال منزل أقاربهما خلال مبيتهما عندهم في ليلةٍ من ليالي فصل الصيف، أعلم ان ألمى و"ريكو قد حزنا لخسارتهما، لكنهما أنجبا طفلين أخرين، بعد مدةٍ قصيرة، هاجر ريكو بدفع من أشقائهُ إلى دينيفر، حيث انضم إليهم للعمل في مجال المطاعم. أخذ الامر من ريكو أربع سنوات ليرسل ما يكفي من المال إلى سونورا من أجل ألمى وابنتيها. كان الأطفالُ صغاراً عندما هاجرت العائلة، وتلقوا معظم تعليمهم هنا في الولايات المتحدة. أعلم ان ألمى تعتز بالفتاتين جداً-الكبرى التي ترتاد جامعة كولورادو- دينيفر لتصبح صحفية، والصغرى، التي تزوجت مباشرةً بعد المدرسة الثانوية وأنجبت ل"ألمى أول حفيدٍ لها. أفكرُ بالمرة الأولى التي رأيتُ فيها ألمى- المرة الأولى بعد أن بدأتُ بالرحيل إلى العالم الاخر، في العالم الذي كنتُ فيه

كيتي. أفكر كيف لم أفهم هذا النظام حق الفهم عندما كنتُ كيتي، هذا العالم الذي يخدم فيه أصحاب البشرة الداكنة ذوي البشرة الفاتحة؟

لم أفهمه لأن كيتي لم تتربى عليه وتعتاده بالتدريج، وعلى مر سنوات كثيرة، بالطريقة التي تعودت كاثرين وجوده. تم رمي كيتي عشوائياً في خضم أسلوب الحياة هذا، لذلك كانت صدمتها التامة قابلة للفهم. إلا أني الآن، في الحقيقة، كاثرين وليس كيتي منذ فترة طويلة من الزمن.

إن هذا المنظور للعالم هو نفسه في عينيٍّ كيتي، إنه وعيٌ جديد، حتى

مكتبة

عندما أكون كاثرين، أعي أنه لاينبغي أن أعامل أي شخص، يعمل في عائلتي، بفوقية- أهديةٌ أخرى؟ كهدية تخيلي حديثي الهادئ مع أمي؟ أعتقد أنها كذلك. الحقيقةُ أنني أدين بكلِ شيءٍ ل ألمى. فبدون تدخلها، كيف كنت لأعلم كيف تعامل جيني مايكل؟ كم من الوقت كنت سأحتاج لاستيعابَ ذلك؟ كم من القسوة كان على طفلي أن يتحمل، لولا تلك المرأة التي تنظف أرضية حمامي؟ ناديتها ألمى!فتقف أمامي. "شكراً لك" واستدرت وأنا اشعرُ فجأةً بالغباء لمقاطعة عملها. وتابعتُ بسرعة "شكراً على كل ما فعلته، لاعتنائكِ بعائلتي، في الوقت الذي لديك عائلتك لترعيها أيضاً" هزت رأسها "نعم سيدتي

"كيف حال عائلتك؟" ما إن سألتُ هذا السؤال حتى احمرت وجنتاي. في هذا الوضع، ومع العمل الذي يجبُ إنجازه، لا بد من أن ألمى ستجدُ ثرثرتي سخيفة ومزعجة. لكنها ابتسمت، أظهرت تعابير وجهها سرورها لسؤالي لها وأخبرتني "الطفلُ أصبح كبيراً جداً، بإمكانه أن يقف الان لوحده" وجدتُ نفسي مسرورةً حقاً لسماع أخبارِ حفيدها. قُلتُ لها "آه، أحبُ هذه المرحلة، عندما يتعلم الأطفال الوقوف، عندما يمكنك وضعهم على ملاءةٍ على الأرض مع بعض الألعاب، ويكونون سعيدين هناك كالأسماك" هزّت رأسها موافقةً: "نعم، أحبُ هذا أيضاً. وكذلك والدته" سألتها "ألمى! متى كانت آخر مرة حصلتِ فيها على علاوة؟".

بدأت تفكر: "منذ سنةٍ، تقريباً، كما أعتقد، رفعه السيد اندرسون، من دولار وخمسين سنت في الساعة إلى دولار وخمسةٍ وسبعين".

شعرت بالصدمة: "أهذا كل ما ندفعه لك، عليكِ أن تحصلي على أكثرَ من ذلك. منذ اليوم سنضاعف أجرك" أمالت رأسها "هل ناقشت هذا مع السيد أندرسون سيدتي؟ لا؟

"لا" هززتُ رأسي مؤكدةً: "ثقي بي، لن يمانع"

بعد أن تناولت أنا ومايكل طعام الغداء، سألت ألمى ما هي مخططاتها

لفترةِ بعد الظهيرة، أجابتني: "لا شيء، سأتجه نحو أدراج المطبخ. أنها تحتاج إلى ترتيب وتنظيف".

"ماذا عن الانتباه إلى مايكل لبضع ساعات" نظرت الي غير متأكدة: "هل أنت واثقةٌ من ذلك سيدتي

"ألمى ووضعتُ يدي على ذراعها. "إن تصرفت يوماً كأنني لم أثق بك... فأرجوكِ سامحيني، لم يكن هذا بسببك" أحسست وكأن عيناي تتوسلان "كل هذا بسببي، هذا ذنبي. وهذه...... حياتي

أبعدتُ اصابعي عن ذراعها، وبقيتُ أنظرُ اليها: "خلال هذا الوقت، أعتقد أن مايكل سيمضي مساءً جيداً برفقتك".

استدرتُ لأنظرُ اليه، وكان ما يزال يجلس إلى المنضدة: "أليس كذلك يا صديقي،" قال، ولم يرفع نظره: "هل يمكنني عد النقودِ مجدداً".

تمنيتُ لو كان يتصفح القاموس أكثر، ومع ذلك أعتقد أن عد النقود أفضل من لا شيء، وذكرتُ نفسي بما قررته(خطواتٌ صغيرة كاثرين، خطوات صغيرة).

أجبته: "بالطبع، لم لا"؟ هزّ رأسه "حسناً، أعتقدُ أنني سأحظى بمساءٍ ممتع مع ألمى

كان ذلك في الواحدة وخمسة عشر بالضبط في مساءِ ثلاثاءٍ ثلجي في أوائل اذار 1963، وجدتُ نفسي أفتح باب مرآب المنزل الكبير، الواقع في شارع سبرينغ فيلد، جالسةً خلف مقود عربتي الخضراء. شغلتُ محرك السيارة وانتظرته ليسخن، ألقيتُ نظرةً على الدراجات المكومةِ بجانب الحائط الشرقي للمرآب. ودراجة مايكل الزرقاء بينها، إلى جانب دراجتي القديمة. أمعنتُ النظر في الدراجتين، جنباً إلى جنب، وأتذكر اليوم الذي كنت مصممةً فيه على أن يتعلم مايكل قيادة الدراجة. لماذا اعتقدت أن ذلك بالغ الأهمية؟ لم أعد أذكر السبب. من يهتم إن كان بمقدوره تعلم قيادة الدراجةِ الان، في سن السادسة؟ من يهتم إن لم يتعلم على الاطلاق؟ هززتُ كتفيي. قد لا يتعلم ابداً.

مكتبة

وربما في يومٍ ما سيقرر– كما حدث هذا الصباح، عندما قرر طواعيةً البحث في القاموس وإيجاد كلمةِ مرساة بنفسه– بأنه مستعد للقيام بذلك.

في كلتا الحالتين، ليس قراري لأتخذه. أنا والدة مايكل، لا يمكنني السيطرة على من يكون مايكل. محاولاتي لفعل ذلك، كما أعي، تجعل حياة كلينا أكثر صعوبة مما نريد. أتذكر مدى حماسي ذلك اليوم، يوم الاحد الماضي، عندما شاهدت لارس يواسي مايكل. إنني متأكدة انني نادراً ما نتشاجر لارس وأنا، لكن عندما يحدث ذلك، يكون مايكل السبب عادةً. هل يظن لارس أنني السبب في حالة مايكل؟ لا، أعتقدُ أن هذا هو الأمر. إنه أكثر من ذلك، لأنه في الوقت الذي لا يظن فيه أني مسؤولة عن حالة مايكل، قد ينزعج مني لقلةِ صبري وأخطائي، وفي المقابل، اغضب لأنه لا يدرك كم إنه غير عقلاني وغير عادل، أن يتصادم معي بخصوص هذا. ففي النهاية، إنه ليس من يمضي كلَ يومٍ في العناية بابننا.

أعض على شفتي، لا يمكنني تغيير أخطاء الماضي. كلُ ما أملك القيام به هو المضيُ قدماً مهما كان المستقبل الذي يحمله حاضري الجديد. حركت السيارة للوراء في المدخل. غادرت الحي، اتجهتُ شمالاً على طريق جامعة بولفارد، ثم إلى طريق فالي السريع متجهةً صوب مركز المدينة.

بحثتُ عن عنوانها في دفتر الهواتف قبل أن أغادر المنزل. إنه هناك بالضبط، غرين للأنباء والنشر، مكاتب الشركات، مرفق بعنوان في الشارع الثامن عشر، وسط المدينة.

سواءً أكانت في المكتب، وسواءً استطعت الدخول لرؤيتها، وسواءً أكانت قادرةً على مقابلتي حتى، تلك مسألةٌ مختلفةٌ تماماً.

بعد أن عثرتُ على مكانٍ لركن السيارة على بعد عدة مبانٍ، سرتُ إلى موقع بناء فريدا. وكما ذكرت البائعة في غرين في جامعة هيل، هناك متجر "غرين" لبيع الكتب في الجهة المقابلة للشارع، في جهةٍ متواضعة فيها صفٌ من واجهات المحال المستقلة. في الناحية الأخرى من الشارع، حيث تقع

مكاتب الشركات، يعدُ مسألةٌ أخرى. تطاولت برقبتي لأبحث في بناء المكتب المرتفع، أتساءل أن كانت مؤسسة لارس قد صممته. لم يمر كثير من الوقت كنت قد بدأت فيه بتأمل المبنى حتى صدمتني معرفة أن هذا لم يكن مشروع لارس، قد أُنجزَ العملُ منذ بضع سنوات على يد مؤسسة معمارية من خارج الولاية. أذكرُ بوضوح عندما أخبرني لارس عنه وأذكرُ خيبة أمله لعدم حصوله على العمل، الذي راهن عليه. أذكرُ ايضاً أن لارس هو من أخبرني، بعد أن بدأت عملية الانشاء، وانه سمع بأن غرين للأنباء والنشر تخطط لاستئجار مكتبٍ هنا. البناء نظيف وحديث ومن الاسمنت وله نوافذَ جدارية من الزجاج. هناك ساحةٌ صغيرة ونافورة في المقدمة، وبجانب النافورة عدد من المنحوتات الاسمنتية الثقيلة بتصاميمَ هندسية: مكعبٌ يقف على حافته، هرم يعلوه جسمٌ كروي يتوازن فوقه، كمكعبات أطفالٍ ضخمة تتحدى الجاذبية.

يرتفع مبنى المكاتب إلى خمسةَ عشر طابقاً، مكاتب غرين تقع في الطابق الحادي عشر. توجهتُ بخفة نحو المصعد، وأنا أضغطُ بيدي على شعري بتوتر، ووضعتُ أحمر الشفاه من جديد، وشددتُ جواربي. سألتُ عن فريدا غرين في مكتب الاستقبال، وتم اعلامي بكل برود أنها في اجتماع إلى نهاية الدوام. سألت "حقاً؟ بدون استراحات"؟ "أنني.... صديقةٌ قديمة، وأرغب برؤيتها، حتى وأن كان ذلك لبضع دقائقَ فحسب"

نظرت الي موظفة الاستقبال مشككة: "هل أنت كاتبة"؟

وابتسمت في داخلي عند سماع ذلك، لست كاتبة ولكنني أرغب في أن أكون واحدة. "لا" أخبرتُ الموظفة وانا أهزُ رأسي بالنفي. "كما قلت.... مجرد صديقة".

"يأتي إلينا الكثير من الأشخاص من الشارع يرغبون ببيع كتبهم هنا. في متاجرنا" كانت نظرتها نظرة ازدراء "لكننا نجري جميع معاملات شرائنا للكتب من خلال الناشرين والموزعين، أرغب ان أوضح لك هذا سيدتي

ضربتُ بقدمي الأرض بنفاذ صبر. "أدرك تماماً كيف تُشترى الكتب

مكتبة

لمتاجر بيع الكتب" انحيتُ إلى الأمام ووضعتُ يدي على مكتب الموظفة باستخفاف. "أريدُ أن أرى صديقةً قديمةً فحسب". نظرت إلي باستسلام "اسمكِ"؟

توقفتُ للحظة، وقلتُ بلطف "اندرسون" "أرجوكِ، أخبريها أن السيدة اندرسون هنا، وحسب" حدقتُ خلفي نحو الباب الخارجي الزجاجي، لأرى مجموعة المصاعد المصقولة بشكلٍ جذاب جداً على بعد بضعة أقدام. تلك المصاعد امنةٌ جداً، كرحمٍ حديدي كبير. أستطيع الخروج من هنا، وضغط الزر لاستدعاء أحد هذه المصاعد. بإمكاني التخلي عن هذه الخطة الجنونية قبل التورط فيها.

"سوف تعلم" قلتُ بشجاعة متلفتةً نحو موظفة الاستقبال وأنا أشدُ كتفي "سوف تعلم

انتظرتُ لنصف ساعة في غرفة الاستقبال. وبدأت أتساءل عن أمر جلب ميتش وميسي من المدرسة. أعلم الان، بالطريقة العشوائية التي عرفت فيها الأشياء التي كانت تربكني سابقاً في هذا العالم، بأن جلب الأولاد من المدرسة مسؤوليتي. أعلم ان المدرسة تنتهي في الثالثة، وقد اقترب الوقت بسرعة. هل أصل إلى هذه المرحلة ثم أغادر، فقط لأن على العودة إلى مهامي؟ اقتربت، في النهاية، سكرتيرةٌ أخرى وهزّت رأسها لي. مررنا عبر غرفة الطباعة نحو مكتبٍ في الزاوية، كتب على بابه: "الرئيسة فريدا غرين" قالت السكرتيرة: "انسة غرين" وهي تضغط زرٍ على مكتبها. "معي السيدة اندرسون". بدا الانتظارُ أبدياً لاينتهي، بعد ذلك وأخيراً، سمعتُ صوتَ فريدا الحاد عبر السماعة الداخلية: "أدخليها"

كانت فريدا واقفة، وجهها للخارج أمام النوافذ التي خلف مكتبها. واستدارت عندما دخلتُ. ما تزالُ هي هي في بعض الأمور، تماماً كما بدت في آخر مرة رأيتها فيها – والذي كان البارحة، في النهاية. رفعت شعرها الداكن الكثيف إلى الأعلى قليلاً، لتعطيه بعض الارتفاع لينسدل إلى الأسفل بالتدريج.

مازال حاجباها السميكان يتقوسان بطريقةٍ تجعلها تبدو وكأنها تركز في أمر، حتى عندما تكون مسترخية، لم يتغيرا. شفتاها قد حددتا بأحمر الشفاه الفاتح الذي تفضله. كان لباسها أكثر رسمية بالطبع مما كان عليه عندما كانت تعمل في متجرنا. كانت ترتدي بذلةً جديدة وأنيقة من الصوف البرونزي، مع سترةٍ قصيرة، تحتها قميصٍ بنفسجي من الحرير، وتنورةٍ منسدلة. وحلق على شكل دائرة في أذنيها، وتضع مشبكاً فضياً عادياً على طية صدر سترتها، مما يعطى مظهرها أقل حد من – مظهر سيدات الأعمال، ولكنه مايزال مبتكراً. أجد نفسي أهز رأسي قليلاً وأنا أنظرُ اليها. لباسها ذو المستوى العالي يعطي انطباعاً ممتازاً. إنها طريقة فريدا التي يمكن أن تلعبها، في حياة الأعمال هذه.

طالعتني نظراتها من الأعلى وإلى الأسفل. بالمقارنة مع طقم فريدا الأنيق، لاحظتُ أن مظهري– بفستان عادي بلونٍ أزرق بحري، وكعب غير مرتفع، وبلا مجوهرات عدا خاتم زفافي في يدي اليسرى، جعلني أبدو قديمة الطراز، غير مبهج أو غير فني، ولكن من يهتم إن اعتقد أي شخص أنني قديمة الطراز، بالطريقة التي سترتدي بها كيتي ملابسها، أكثر عملية وقديمة الطراز كأسلوب ربات المنازل، أو بالطريقة التي سترتدي بها كاثرين ملابسها. حسناً، أعتقد أنني لا يمكنني التحكم بكل شيء في هذا العالم، لكن بإمكاني إجراء عملية تحويل على خزانة ملابسي. مجموعة الملابس العملية، المحددة في الخزانة الكبيرة في المنزل هي مجموعة مشاريع كبيرة للتعديل، متأخرة نعم، ولكني حسمتُ أمري للقيام بشيءٍ بخصوصها في عطلة نهاية الأسبوع هذا.

في النهاية تسألني فريدا "ما الذي أتى بك إلى هنا"؟ مشيرةً بيدها نحو الكرسي أمام مكتبها. أجلس وأنا متوترة وأضع حقيبتي على حضني: "فريدا.... أنا مجرد.... أهز رأسي "لا أعلم كيف أشرحُ هذا". أقول بهدوء. "لن تصدقي هذا أبداً، ولا شيء من هذا يبدو واقعياً لي– ليس بعد، على كلُ حال. لذلك لا اعلم حتى، لمَ انا هنا". تجلس أمامي وتضع ذقنها في يديها، تلك حركةٌ تفعلها دوماً عندما تكون مهتمة بما هو أمامها. "لا شيء من هذا يبدو حقيقياً،"

تردد باستغراق. "ماذا يعني هذا بالضبط"؟ تتنهد. "أخبريني أن كنت أفهم هذا بشكل صحيح، في هذا العالم أنا متزوجة من لارس اندرسون، ولدي ثلاث توائم بعمر السادسة، وأسكنُ في منزلٍ كبير في هيلز الشمالية. وأنتِ تديرين ستةَ متاجر لبيع الكتب، ولديك موظفين، الله وحده يعلم كم موظف، وأنت تتوسعين على مدى المنطقة، وأغلقتِ متجرنا الصغير في شارع بيرل. هل ذكرتُ ذلك بشكلٍ صحيح"؟

تنظر إلي بازدراء "هذا صحيحٌ، تقريباً، كيتي

أتابع "لم يعد أحد يناديني بكيتي بعد الآن، لارس يناديني بكاثرين، وكذلك كلُ شخصٍ قابلته منذ أن تزوجت. والأشخاص الوحيدين الذين يعرفوني بحق وأحبوني في تلك الحياة الأخرى، الحياة التي عشتها من قبل، هم أنتِ......ووالديَّ... شعرتُ بالدموع تحرقُ عينني، لكنني أبعدتهم. تخفف فريدا من حدةِ نظرتها "أنا آسفةٌ بشأن والديكِ، سمعتُ بما حدث".

انفجر بالقول "لكنكِ لم تأتِ! لم تحضري جنازتهم".

نظرت بعيداً باتجاه النافذة. قالت بصوتٍ خافت: "لكنني ارسلتُ الزهور

أقول بنبرة متشككة: "ورود؟ والديَّ ماتا في حادث تحطم الطائرة، وكانت ردة فعلك هي ارسال الورود"؟

رفعت رأسها قليلاً: "لم يخطر ببالي أنك سترغبين بحضوري مراسيم الدفن والعزاء"

"ولم لا أرغب بذلك"؟

أخذتُ منديلاً من حقيبتي لأمسح أنفي. كنت غاضبةً من نفسي لأني عاطفية إلى هذا الحد، ولا يمكنني السيطرة على ذلك.

"أنت صديقتي المفضلة فريدا. لمَ لا أرغب بتواجدكِ في جنازةِ والديَّ"؟

"كيتي تتوقف وتمشي إلى الأمام في المكتب، وكأنها تريدُ وضع يدي بيدها، التقطُ أنفاسي، منتظرةً. لكن نظرة فريدا تتغير، تعود قاسية من جديد، ويظهر الأمر وكأن لحظةً ما، إمكانيةٌ ما، تمضي قبل أن تشكلَ نفسها تماماً.

مكتبة

تعدّل من وقفتها وتعيد ضبط نفسها بسرعة. وتقول "لقد تخليتِ عني، أنت من غادر يا كيتي ثم تنظر من النافذة من جديد. "ولستُ أنا". أهزُّ رأسي "ولمَ سأفعلُ هذا"؟ تنظر الي بتشكيك "تعلمين تماماً لماذا" وللتأكيد، تنقر مكتبها بأظافرها الطويلة المطلية: "على الأقل، تعلمين السبب الذي قدمته".

أبدو حائرةً تماماً فأقول بلطف: "لا أذكر، لا أعلم السبب يا فريدا........ ولكن مهما كان، لا بد من أنه سوءُ فهم

"سوء تفاهم. صحيح". وتطبق شفتيها بقوة. "هذه طريقةٌ جديدة لفهم الموضوع. كيتي

يرن الهاتف الداخلي، وأسمعُ صوت السكرتيرة عبره، تقولُ شيئاً لا أفهمه. "تجيب فريدا وهي تنحني باتجاه السماعة: "حسناً، ضعيه" ثم تنظر إلي: "أستأذنك لدقيقة لأجيب على هذا الاتصال. "بدأت أقف، لكنها لوحت بيدها رافضةً خروجي. وتخبرني: "بإمكانك البقاء، إنه مجرد عمل" تركز نظرها علي فأخفض نظري إلى حضني. أحاول دفع نفسي للتذكر خلال حديثها على الهاتف،.ما الذي أفعلهُ هنا؟ ما الذي حدث؟ لكن ما الشيء الذي لا أتمكن من تذكره؟ وأغمض عيني محاولة التركيز.

مكتبة

الفصل الثاني والثلاثون

"كيتي أفتحُ عينيَّ ولكنني لا أرى شيئاً. مهما يكون المكان الذي أنا فيه فهو مكان مضيء، مضيءٌ جداً. هناك الكثير من النور، الكثير من السطوع. يعيق استيعابِ أي أمرٍ أخر.

"كيتي، هل يمكنكِ سماعي؟ هل أنتِ بخير"؟

كنت أقول لها:"لست بخير، إنني لست على مايرام". لكن فريدا لاتسمعني. لا أتمكن من التركيز فيها، لا أستطيع تبين ملامحها. أشعر بقبضتها على كتفي، لكن دماغي لايتمكن من جعل عضلاتي تتحرك.. إنني غير قادرة على رفع جسمي والإمساك بيدها بيدي.

"كيتي! اسمعيني

سمعتُ نفسي أقول، بشكل غمغمة مبهمة، وكأنها آتيةٌ من بعيد، "أنا أسمعكِ، فريدز".

تقول لي: "علينا إجراء هذه المحادثة، نحتاجُ إلى هذا. "أصابعها مألوفة ومريحة وهي تدلك كتفي برفق.

"هناك، عندما نعود إلى العالم الحقيقي- علينا كلانا أن نتحدث"

أفكرُ بذاك اليوم، في متجرنا، عندما حاولت كيتي اقناعي أن حياتي مع لارس والأطفال خطأ، وحياتي ككيتي هي الحقيقية. أستغرب كيف كانت بكل ذاك الاقتناع في ذلك اليوم، وهي تقول عكس ذلك تماماً اليوم. بالطبع اخترعت وجود فريدا ذاك اليوم في المتجر، أليس كذلك؟

في العالم الآخر، بإمكاني اختلاقُ وجود فريدا التي يمكن الوثوقُ بها

مكتبة

إلى الحد الذي أحب. يمكنني منح فريدا الخيالية كل الصفاتٍ التي أُريدها في ذاك الخوص. يمكنها أن تكون محبة ولطيفة وطيبة القلب بقدرِ ما أشاء. في العالم المخْتَلَقْ، يمكنُ لفريدا ان تكونَ من أشاء. "هل تسمعينني كيتي"؟ كان صوتها ملحاً. "هل تفهمين؟" أهمس "نعم" "أفهمكِ".

مكتبة

الفصل الثالث والثلاثون

ثم أجد نفسي في مكتبها. ما تزالُ فريدا على الهاتف، تبتعد عني قليلاً. يلتف شريط الهاتف حول خصرها. كل شيء في وضوحٍ تام. أستطيعُ رؤية تلألأ ضوء الشمس على بلاستيك الشريط الملفوف. أستطيعُ سماعها تتمتمُ على الهاتف، وتبدي ملاحظة حادة كل حينٍ، ويرتفعُ صوتها قليلاً لأمرٍ قاله الطرفُ الآخر. يمكنني شم رائحةِ عطرها الحاد ودُخانها. وأنا أجلسُ هناك، وأنا أنظرُ إلى ظهرها الذي أدارته نحوي، يردُ ذلك إلى ذهني. وتذكرتُ كل شيء. كان ذلك منذُ أربعِ سنواتٍ مضت، في ربيع عام 1959، متجرُ الاخوات، كانت عند تقاطع الشوارع. كان العملُ بطيئاً، كنا متخلفتين عن دفع اجارنا ودفعات القروض. كان علينا إما ترك العمل أو الانتقال، أو القيام بشيء ما.

في حياتي الأخرى، في حياتي المُخْتَلَقَة ككيتي، كان هذا قبل أن نُمْنَحَ ميراث جدي الصغير الذي جعلنا مكتفين مادياً. لكن في هذا العالم، في اللحظة التي أتذكر بها، لم نكن نعلم أنا وفريدا أن المال سيتوفر قريباً.

بدلاً عن ذلك، بدأت فريدا بالكلام – كما فعلتْ دائماً في حياتي الأخرى لعدة سنوات قبل اتخاذنا لأي قرار– بشأن أغلاقنا للمتجر في شارع بيرل والافتتاح في مركزٍ للتسوق. لكن لم يكن لدينا الموارد لانتقالٍ كهذا. في أحد الأيام أجلستني وقالت لي بصراحة: "عليكِ أن تطلبي من لارس بعض المال. إنها الطريقة الوحيدة لتمويل الانتقال. "أشعلت سيجارة ونفثت الدخان اتجاهي. "لا بد من أن فيه شيء جيد. صحيح"؟ ابتسمت وقلت. "أنه جيد

مكتبة

في الكثير من الأشياء، لكن لا أعلم أن كان يرغب في الدفاع عن عملنا". وحركت كتفيَّ" ويقول دائماً أن هذا هو مجالي أنا وليس مجال اندرسن" أدارت فريدا عينيها. "مممم، اعتقدتُ دوماً أن الزواج هو شراكة". كانت عيناها الداكنتين تتحديانني. وأتذكر أنني رفعت كتفيَّ مجدداً بحركة لامبالاة وأجبتُ بتلعثم:". شراكة؟ نعم، انا ولارس شريكان- فيما يخص الأطفال، وأي كنيسةٍ سنقصد، ومن سندعو لحفلة العشاء. ولكن ليس فيما يخص الأعمال. عمله له. وعملي لي. إنه أمرٌ اتفقنا عليه منذ وقتٍ طويل، منذ فترة الخطوبة. كان أمراً اتفقنا عليه تماماً"

"لا أعلم....اقبلي بالأمر واسأليه كيتي . وفعلت. وكم فوجئت عندما تقبل الأمر أكثر مما توقعت. وقال: "أنا مهتم،" وهو يرشفُ بعضاً من السكواتش. "خاصةً إن كان هذا ما تريدينه......إن كان سيجعلكِ سعيدة".

إن كان هذا ما أُريده؟ لم يكن لدي أي فكرة عما أُريده. لم يكن لدي فكرة كيف أكونُ سعيدة. عندي إحساس مبهم أنه إن كان الآخرون جميعاً سعداء- فريدا ولارس والأولاد-عندها سأكون سعيدةً أيضاً. من الواضح أن فريدا لم تكن سعيدةً لما آلت اليه الأمور. لكن إن غيرنا الأمور، إن فعلنا ما تريده-أعتقد، أنها ستكون سعيدة آنذاك، أليس كذلك؟ يمكنني تحقيقُ ذلك لها، كما ارتئيت، بدفع لارس لتمويل انتقالنا الكبير.

بدا لارس بحالٍ جيدة، بدا أنه كان سعيداً. لكنه كان- بل هو دائما – هكذا. تفاؤله، اعتقادهُ المطلق بأنه منذ التقاني، صار يجني الذهب- هذه الأمور جعلته يمضي قدماً، مهما كان ما سيحدث. كانت سمة تعجبني فيه، ولم أتمكن من مضاهاتها قط.

والأطفال؟ حسناً، الصغار سعداءٌ دوماً، أليسوا كذلك؟ كان أطفالي بعمر الثانية والنصف وقتها، لم يعودوا رُضعاً ولكنهم في نفس الوقت ليسوا أولاداً كبار أيضاً. لقد بدت حالهم جيدة- معظم الوقت- على كل حال. كان ميتش وميسي يتكلمان ويركضان ويتسلقان. يقرآن في الكتب،

مكتبة

ويتعلمان استخدام مخيلتهم. مايكل كان.......أعترف ُ لنفسي أنني لم أكن متأكدة كيف كان مايكل أو ماهو مايكل. كنتُ أعلم أنه ليس كبقية الأطفال. كان ينطق ببضع كلمات فقط. ويجلسُ في الزاوية ويلعبُ بمفرده، الألعاب البسيطة نفسها مرةً تلو الأخرى، مجموعاتٍ مرتبة من المكعبات أو الكتب، لعب سياراتٍ مرتبة في صفٍ واحد. لم يكن ينظر إلى أحد. وببقي رأسه منخفضاً دائماً.

لكن كل شيء كان بخير. أليس كذلك؟ كان هذا طبيعياً عند بعض الأطفال. عملت جيني عندنا لأكثر من سنة، وكانت هي الخبيرة، ألم تكن كذلك؟ لو كان هناك خطبٌ ما، كانت ستخبرنا عنه حتماً. شعرتُ بغضبٍ كبيرٍ من نفسي. كيف فشلتُ في رؤية هذا؟ كيف كنت عمياء عما يجري؟ أي نوعٍ من الأمهاتِ كنت، على أية حال؟ ومع هذا، في هذه الأيام، كان هدفي هو سعادة الجميع. وهزّيتُ رأسي للارس بالموافقة أخبرتهُ قائلةً. "متجرٌ جديد، مستقبلٌ جديد. أنهُ ما أُريد".

"حسناً اذاً" ونهض عن الأريكة. "علينا أن نجتمع جميعاً ونتحدث–أنتِ وفريدا وأنا. لندعوها على العشاء في وقتٍ قريب. بعد أن يذهب الأطفال إلى الفراش، يمكننا الحديث عن الاعمال".

ابتسمتُ بامتنان وأحطته بذراعيَّ، وأنا أهمسُ في أذنه "شكراً لك".

في الصباح التالي استيقظتُ باكراً وارتديتُ ملابسي بسرعة، متحمسةً للوصول إلى المتجر لأخبرَ فريدا بما قاله لارس. أذكرُ استعدادي لمغادرةِ المنزل، وابتسامةٌ مفعمةٌ بالحيوية على وجهي وأنا أبحث بنزقٍ عن مفاتيحي، وأخذتُ بعض الكتب وبعض حاجيات المكتب بين ذراعي. بعدها شعرتُ بنقرات مترددة ة على كتفي. كانت "ألمى مكتبة الرمحي أحمد

قالت بلطف: "من فضلك" وهي تنظرُ بغضب نحو الدرج المؤدي إلى غرفة الأولاد، حيث كانت جيني مع التوأمين. "من فضلك، سيدة اندرسن، هناك أمر علي إخباركِ به".

مكتبة

كانت تشد قبضتيها، وتضغطهم إلى جانبي جسدها، إلى ردائها النظيف.

"لا أستطيع البقاء صامتة، سيدتي، على أن أخبركِ أمراً بخصوص جيني

أحدقُ الآن بفريدا، جالسةً في مكتبها الكبير في الطابق الحادي عشر، والهاتف ملتصقٌ بأذنها. "نعم أوافق". أجابت الشخص المُستقبل:

"نعم، لكن أعتقد أن علينا الحديث في هذا أكثر وتوقفت للحظة، وهي تحدقُ بي: "انظر! هل أستطيع معاودة الاتصال بك في العاشرة؟ عندي شخص في مكتبي

بعد أن أغلقت الخط، قلتُ بهدوء، "أتذكر الآن".

ضحكت، ثم قالت بجفاء: "كم هو ملائم!".

عضضتُ على شفتي: "آسفةّ!" "أعتذر إن بدا هذا سخيفاً جداً بالنسبة إليك". وشعرتُ بالمرارةِ في فمي: "رغم أنني أذكرُ أيضاً الآن لمَ ليس هناك داعٍ للاعتذارِ لك".

"أه، حقاً"؟ انحنت إلى الأمام ووضعت كلتا يديها على المكتب. "كنتِ أنتِ من رحل. أنتِ من تركني في ذلك المغطس الساخن كله"

أجبتها. "كان علي أن أرحل، طفلي كان بحاجةٍ الي. عائلتي كانت بحاجتي

هزّت رأسها وتناولت علبة السجائر من على مكتبها. "أنت من جعل الأمور أسوأ مما كانت عليه. حقيقة الأمر. الحقيقة أنك رحبت بأي عذرٍ لترحلي. لم تكوني سعيدة. كلُ ما كنتِ تفكرين به هو الوقت الذي كنتِ تمضيه بعيدةً عنهم. قلتِ...

تناولت سيجارة من العلبة وضغطت عليها بشفتيها عندما أشعلتها.:

"قلتِ إن المتجرَ مضيعةٌ لوقتك" ثم نفثت بدخان السيجارة في وجهي: "أتذكرين ذلك، كيتي"؟

نعم، أذكرُ ذلك، أيضاً وأذكرُ لمَ قلتُ ذلك. أذكر أن فريدا هي من وجدت جيني لأجلي. فريدا كانت هي من أقنعني أن جيني، بكل قدرتها على التأكيد،

مكتبة

هي الشخص المناسب للعناية بأطفالي. أذكرُ أنني قلتُ لفريدا أنها كانت غلطتها بأن يكون مايكل على ما كان عليه.

صرخت: "لو كنتُ في المنزل، لكان بخير! لو أنني لم أوظف جيني– تلك المرأة الفظيعة التي وجدتها أنتِ، فريدا– لو لم أفعل هذا أبداً، لكان كلُ شيء مختلفاً الان. لكنك أنتِ– أنتِ من أقنعني بالبقاء هنا في المتجر، أنت من أحضر جيني للعناية بأولادي، وأنا وثقتُ بك، وثقتُ بك فريدا. وثقتُ بك للقيام بما هو صحيح. لكن كل شيءٍ كان غلط. انظري ماذا حل به".

جلستُ إلى مقعدي خلف آلة العد، وأنا مرتعبةٌ وأرتجف. ثم أخذتُ نفساً ونظرتُ إلى فريدا. "أُريدُ الانسحاب،" قلتُ بحزم "لا أُبالي بما ستفعلين، لكنني سأنسحب. هذا لا يناسبني – ودعيني أكون صادقة، ولا يناسبك هذا أيضاً. اكتشفي أنت ذلك بنفسك، فريدا. هذا خطأك وليس خطأي. لذا انسحبي أنت من هذه الفوضى، إن استطعت. استمري وقومي بكل الأشياء الكبيرة التي ترغبين بفعلها في هذا المجال. لا ابالي

قالت لي بتحدٍ: "كيف يمكنني فعل ذلك؟ لا أملك المال. كيتي . ضممت ذراعي على صدري. وقلتُ لها "إنها ليست مشكلتي

لم تكن مشكلتي، هذا ما كنتُ واثقةً منه.

خرجتُ، وبقيتُ خارجاً. أذكرُ ذلك الآن. المال الذي ورثته، بعد جدالي مع فريدا بوقت قصير – في هذا العالم، ذلك المال لم يذهب لإنقاذ متجر الأخوات لبيع الكتب. ماذا فعلتُ به؟ ارتجفت، ثم تذكرت. عينتُ محامياً لإخراجي من فوضى متجر الأخوات– ذهب معظمه لذلك. والباقي؟ ابتسمت بقلق. تلك الأريكة الجيدة وباقي الأثاث الحسن في غرفة المعيشة في شارع سبرينغ فيلد– هناك أنفقتُ باقي مالِ جدي، في هذا العالم. مشت فريدا نحو نوافذِ متجر الاخوات الأمامية ونظرت فترة بضع ثوانٍ إلى شارع بيرل الخالي. ثم استدارت نحوي: "ماذا ستفعلين بنفسك؟" سألتني بجفاء، وكأنها تريد أن

مكتبة

تعرفَ فعلاً. كانت نبرتها ساخرة. "السيدة ربة المنزل، ها"؟

حسناً، لا بأس، هذا ما أردته دوماً، على كلُ حال" "ليس هو ما أردتهُ دوماً. إنه ما حدثَ، ما آلت إليه الأمور فحسب". توقفت وفركتُ راحتي يدي. "انقلبت الأمور إلى لا شيء، فريدا، بحق الله، لم أقابله، تقريباً. كان الرجل المسكين سيموت".

ضحكت "بالطبع، يا لها من قصة! عليك الاتصال بدور نشر الجرائد. ستكون قصةً انسانيةً مذهلة"

سألتُ بلطف: "بأي نهاية؟ كيف ستنتهي"؟

استدارت بعيداً مجدداً، رافضةً النظر الي "حسناً! أعتقد أننا نجد حلاً لذلك، ألسنا كذلك"؟ الآن، تجلس إلى مكتبها مواجهة لي، تحدقُ بي. وقالت: "تركتني بلا شيء". الأقرب إلى لا شيء، أكوامٌ من الفواتير، وبضع مئاتٍ من الكتب في مخزننا. وبعض معدات متجرنا المتنوعة. لم يكن هناك سنتٍ واحد للمضي قُدماً"

أطرق برأسي وأقول: "كان بإمكانك سؤال والديك لتقديم المساعدة". ورفعتُ نظري مؤقتاً لأقابل نظرتها: "كيف كان بإمكاني فعلُ ذلك"؟ فتزمّ شفتيها وتقول: "كيف كان بمقدوري سؤالهم؟ كيف سيكون بمقدوري الذهابُ إليهم، أجرُ أذيال الخيبة، واعترفُ بفشلي؟ أنا لم.....".

نظرت إلى الخارج من خلال نافذة الطابق الزجاجي، ثم نحوي. "لم ألقَ أي نجاح في متجر الكتب. لم أفعل أي أمرٍ صحيح، بنظرهم. أنا لم..... ترددت، ثم أضافت، "أنا لم أتزوج"

لم أجد شخصاً....... آخر.... لأشاركهُ حياتي انتظرها لتتابع. لكنها تصمت، وعيناها تنظران إلى الأسفل. نقرت طرف سيجارتها في منفضة السجائر الموجودةِ على مكتبها، تناثر بعضٌ من الرماد في الهواء لثوانٍ قبل أن يستقرَ في الصحن المصنوعِ من البورسلان. أفكرُ بـ"جيم بروكس"، الرجل الذي حدثتني عنه فريدا في العالم الاخر، العالم المُختَلَقْ، بدا مناسباً تماماً

لما هي عليه في حياتها- في تلك الحياة. حسناً، بالطبع، أعتقد. من الطبيعي أني سأختلقُ نهاية سعيدة لفريدا، في ذاك العالم ذي النهاية السعيدة. الأمورُ في هذا العالم، في العالم الحقيقي، مختلفةٌ بالنسبةِ إليها، من كل من الناحية المهنية والناحية الشخصية. لا أعلم من أين أو من كيف حصلت على الموارد لتحقق تقدماً في العمل، لا أظنُ أنها ذهبت إلى والديها، لكن فريدا ذكية ولديها القدرات الكافية لإيجاد حلٍ ما. لعلها وجدت مستثمراً، تماماً كما فعلت في عالمي المُخَتَلَقْ. بالإضافة، أشكُ بأن جيم بروكسل الحسن المعشر، المتيّم، أو أي شخصٍ فعلي يمثله – لديه مكانٌ في الحياة التي تعيشها فريدا هنا. وأدركت، فجأةً، لما هو ذلك.

فريدا لا تريد جيم بروكس، ولا أي شخصٍ مثله. ذاك النوع من الأشخاص ليس بالشريك الذي تبحثُ عنه. ما تريده فريدا هو رفيق فعلي. كما قالت أمي، لا أكثر. لا أكثر مما تظن والدتي أنه لدينا فريدا وأنا، في العالم الخيالي. لكنني اخترتُ أمراً آخر. وما ذا كان خياري بالنسبة إليها؟ ليس مايعنيه لعملنا فحسب- هذا أمر، أمرٌ صغير، في الواقع. السؤال الحقيقي هو، ما ذا كان وقعُ خياري على قلبها؟

هززتُ رأسي. لا أصدق أنني فشلتُ في ادراك ذلك إلى اليوم. "فريدز،" قلتُ بلطف. "فريدز. أنا جدُ......أنا أسفه".

أنظر للأعلى. تقول "حسناً،" وهي تضع السيجارة في فمها. وتأخذُ نفساً، ثم تديرُ رأسها جانباً وتزفر الدخان: "تأخذ الحياة منعطفاتها ومجراها الفريد الخاص، ألا تفعلُ الحياة ذلك"؟ أنحني إلى الأمام، وأصابع كلتا يدي تمسكانِ بحقيبتي، أفتح وأغلقُ حبستها الذهبية بشكلٍ متواتر. "أمل أن.... ربما في يومٍ ما أن يكون بإمكانك...

وأشرد، لأنني لا أعلم ما ذا أقول. تراقبني فريدا بصمت. "لعلكِ محقة" تقول في النهاية. "ربما أستطيع" وركزت نظرها في عيني.

"لعل رؤيتكِ هو ما أحتاجه. لعله سيساعدني.... بالمضي قدماً من هنا"

مكتبة

ابتسمتُ على استحياء: "أملُ ذلك. فريدز. أملُ ذلك حقاً"

تتوقف، وتأخذ نفساً أخيراً من سيجارتها، ثم تطفئها. تقول: "عليَّ الردُ على ذلك الاتصال".

كان صوتها سوي. استدارت من حول المكتب ووضعت يدها بخفة على كتفي، ثم سحبتها بسرعة. "إعلمي كيتي حقيقةً، بأنني فعلاً آسفةٌ بخصوصِ والديكِ". والتقت عينانا، بدت نظرتها،التي كانت مضيئة متلألئة دوماً، مظلمة وكئيبة. واستدرت وأنا أرمش. اخذت فريدا نفساً. اجبرتُ نفسي على ادارةِ رأسي، لأنظرُ اليها مجدداً.

"وأنا أعتذر عن عدم مجيئي إلى جنازة والديكِ". وتابعت". كنتِ محقة، كان عليَّ التواجدُ هناك".

أنهض، وأشعر أن ركبتيَّ ترتجفان. وأقول "شكراً لك، سماعك تقولين ذلك يعني لي الكثير

تهز رأسها: "حسناً. اعتنِ بنفسك، وبزوجكِ ذاك، والأولاد".

"سأفعل. اعتنِ بنفسكِ أيضاً. ربما... أقول وأنا مترددة:

"ربما يمكننا رؤيةُ أحدنا الآخر مجدداً......في وقتٍ ما"

"ربما" وأشاحت بنظرها مجدداً نحو النافذة، ثم نظرت نحوي. ولفت ذراعيها حول نفسها، واضعةً يديها تحت كميها:

"سترافقكِ سكرتيرتي إلى الخارج. إلى اللقاء، كيتي

تبلع ريقها بصعوبة، يمكنني أن أشعر أنها لا ترغب في خروجي فقط بل وتريد ه. حييتها برأسي للمرة الأخيرة قبل أن أعبر السجادة وأغادرها.

الفصل الرابع والثلاثون

في الخارج، كان الثلج يذوب على ممر المشاة. والسيارات تمر عبر شارع (18)، يتوقفُ الباص عند المحطة، ثم يغادر دون أن ينزل منه أي راكب. الشمسُ تسطع في الجنوب، حاولت وقاية عينيي أثناء خروجي من الباب الدوار لمبنى فريدا. وهناك، يقفُ على الرصيف قبالتي، والديَّ، وآخذ نفساً:

مكتبة

"أمي، أبي

ابتسما لي، أردتُ العبور نحوهم، وضمهم- لكنني أعلم ان والديَّ ليسا هناك فعلاً. هما حاضران في رأسي فقط. أقول لنفسي "إنني أتخيلك، إنني أختلقُ ذلك. أليس كذلك"؟ "كيتي تمشي أمي باتجاهي ثم تضع يدها على كتفي. أندهش للطريقة التي استحضر فيها عقلي لمستها، كما لو كانت تقفُ هناك حقيقةً وأصابعها تضغطُ على قماشَ معطفي. الخيال، كما اتضح، مخلوقٌ مجدٌّ وذكيٌ بشكلٍ مذهل.

قال والدي: "نريدُ وداعك، عزيزتي، هذا كلُ شيء. الوداع وحسب". يقف إلى جانب أمي، بعيداً عني بضعة سنتيمترات،" ونقول بأننا نحبك"

أهمس: "أحبكَ أيضاً".

كنت منتبهة إلى حدٍ ما إلى مرور الرجلُ ذي المعطف الداكن والقبعة، من طرفي اليميني، يلتفت لينظر إليَّ متسائلاً. بالنسبة إليه، لا بد من أنني لا أبدو أكثر من سيدةٍ مجنونة على الرصيف، أو كأقل ما يقال، شخصٌ مجنون يتحدثُ إلى الفراغ.

"اذاً ألن أراكما بعد الآن"؟ أسألُ والدي.

"لن أفعل؟.... ألن أعود إلى هناك مجدداً؟" وابتعدت، وأنا أعضُ على شفتي. "أعني، إلى العالم الآخر، لن أعود إلى هناك مجدداً، أليس كذلك"؟ حتى عندما أطرحُ هذه الأسئلة، أعلمُ جوابها أساساً-لأنني أنا من يوجه ما سيقوله والديَّ. إن كانا هنا يتحدثانِ إليَّ فعلاً.

"كيتي" تضعُ أمي أصابعها على جبهتي. وتقول: "أخرجيه من هنا، وضعيه هنا بدلاً من ذلك" أنظر وهي تشير إلى قلبي. "حسناً،" قلتُ، وأنا أهزُ رأسي "سأشتاقُ لك" هز والدي رأسه. وقال: "لن تحتاجي إلى ذلك،" "سنكون دائماً معك- ولكن بهيئةٍ أخرى. ليس بالطريقة التي تصورتها ستحدث".

"ستساعداني.... وتعتنيا أطفالي.... أليس كذلك"؟ ازدرت ريقي بصعوبة.

"لا يمكنني العنايةُ بأطفالي.... بمايكل.... بدونك"

مكتبة

ضحكت والدتي ضحكتها الجميلة. "بإمكانك كيتي. لا تشككي بقدراتك. لا تشكي بلارس. وبخاصة" -ثم أظهرت ابتسامة سخية رائعة-" لا تشكي ب مايكل

أرمش لأبعد دموعي، ثم أغمض عيني. وعندما أفتحهما، أرى أن والديَّ قد اختفيا.

مكتبة

الفصل الخامس والثلاثون

أجلس في سيارة الدفع الرباعي خارج مدرسة ميتش وميسي، وقفازي على العجلة. أُفكر بالعالم الأخر، بكوني كيتي. أذكرُ يد أمي، كيف كان بمقدوري الاحساسُ بلمستها، كيف بمقدوري سماعُ صوتها. سأكون، كما أعتقد، قادرةً دوماً على سماع صوتِ والديَّ في رأسي.

نظرتُ إلى ساعتي. الساعةُ الثالثة الا ربع. سيخرجُ ميتش وميسي من ذاك الباب قريباً، الباب المزدوج الذي على يميني، الذي عليه رسومات لرجل الثلج ملصقة على النافذة.

سيخرجون وحقائبهم المدرسية تطيرُ خلفهم، وبستراتٍ غير مقفولة الأزرار، وقفازات منحلةٍ من عقدها. وخصل شعرهم الأشقر المتموجة تلمعُ تحت شمس الظهيرة خلال عبورهم للرصيف، متجهين نحوي وأنا بانتظارهم. عند الساعة الثالثة وعشرُ دقائق، سأكونُ قد عُدتُ إلى المنزل في شارع سبرينغ فيلد مع ميسي وميتش في السيارة. سيكون مايكل ما يزال يعد النقود. لا بد من أنه عدها، ثم أعاد عدها طوال فترة الظهيرة. لن يقوم مايكل بعمل شيء ماعدا الأكل، والنوم، وعد المال لعدد غير محدود من الأيام، إن سمحنا له بذلك. ستقدمُ ألمى وجبةً خفيفة للجميع: الحليب وتفاحة وقطعة بسكويت. وأنا سأصنعُ قدراً من القهوة الجديدة وأجلس مع الأطفال ريثما يتناولون وجبتهم، وفي نفس الوقت يخبرنا ميتش وميسي عن ماجرى معهما في يومهم. وخلال كل ذلك ينهمك مايكل بالعدّ وإعادة العدّ للأرباع والبنسات والخمس سنتات.

بعد ذلك، سنتركه للعد، وسيبدأ ميتش وميسي بأداءِ واجباتهم. سيكون

مكتبة

لديهم واجب للقراءةٌ عليهم إنجازه، لقد تحسنت قراءتهم بشكلٍ ملحوظ هذه السنة، وأعلم أنني لو أنني أكرس مزيداً من الوقت لسماعهم وهم يقرأون، سيصبحون أفضل. بعد ان يقرأ كلاً منهم أمامي لمدة خمسة عشر دقيقة، سأجعلهم يتدربون على الكتابة. ستضعُ ألمى دجاجةً مقطعة في الفرن وستبدأُ بفتح وغسل حبات البازلاء الخضراء. في الرابعةِ والنصف، سأسمحُ للأطفال بمشاهدة نادي ميكي ماوس لمدة ساعة. سيجلب مايكل معه إلى غرفة المعيشة وعاء النقود وسيجلس على الأرض لعد النقود، لكنه سينظر إلى التلفاز بين الفينةِ والفينة عندما يسمع ضحك أخوه وأخته على شيء قالتهُ شخصيات ميكي أو فعلته.

هذا سيذهبُ بنا إلى الساعة الخامسةِ والنصف، عندما سيدخلُ لارس من الباب ونضع العشاء على المنضدة. سيسكبُ مايكل الحليب، لأن مايكل دائماً ما يسكبُ الحليب. وسوف أنظفه، لأنه ليس من العدل أن أتوقع قيام ألمى بذلك. في المساء، سنلعب لعبةً البارشيسي بشكل عائلي. سأكون إما أنا أو يكون لارس في فريق مايكل، لأنه لن يتمكن من الجلوسِ هادئاً لفترة تحريك قطعه بشكلٍ صحيح. سيجولُ بعيداً، ويعود إلى النقود. وسيكون متعباً بعد يومه الطويل، وما اعلمه من خبرتي معه أنه سيعود إلى أساليبه الطفولية التي كان عليه منذ زمن التخلي عنها. على مراقبته، كي لا يضع أي قطعةٍ نقدية في فمه. في السابعةِ وخمسةَ عشر دقيقة، ستأخذُ ميسي حماماً، وسيستحم الصبيان بعدها،، ستكون ليلة لارس مع ميسي، بعد تمشيط شعرها- وهو عملٌ يتركه لي- سيضعها في السرير ويقصُ عليها حكاية. بينما سأُشرفُ على ارتداء الأولاد لبيجاماتهم المتطابقة وعلى خلودهم إلى أسرتهم المتطابقة أيضاً.

سيسأل مايكل أن كان بمقدوره النوم مع النقود، وسأجيبه ب(لا). سيصرخ. وسيدخلُ لارس لطمأنته. وسنتفق على إبقائه علبة النقود الفارغة معه في السرير طوال الليل، ونضع النقود في وعاء آخذهُ إلى غرفةِ نومنا وأضعهُ على رفٍ مرتفع في الخزانة. بتلك الطريقة، سأكون على ثقة من أن

مكتبة

مايكل لن يصل اليها من دون ان نستيقظ أنا ولارس. بعد ذهاب الأطفال إلى السرير، سننزلُ أنا ولارس إلى الطابق السفلي، وسيصنعُ لكلينا شراباً، وسنسبب المشكلات الواحد للآخر كما في الماضي. سأخبرُ لارس بذهابي لرؤية فريدا، وسيكون مستغرباً لذلك، ولكن لن يكون متفاجئاً بالأشياء التي قالتها. سيضمني ويخففُ عني عندما تخنقني الكلمات. لن أخبره بجميع التفاصيل، فمشاعرُ فريدا ليست ملكي لأشاركها مع أحد، حتى ولو مع لارس. بعد أن ننتهي من الشراب، سنفترقُ لإنجاز مهام مختلفة - لارس إلى مكتبه لإنجاز بعض الأعمال الورقية، وأنا إلى غرفة النوم لترتيبها، وربما أعودُ إلى غرفةِ المعيشة لأقرأ. سأختلقُ الأعذار لأمشي عبر المدخل. لأحدقَ بصورةٍ لي ولوالديَّ. سأخرجُ عما أعتدتُ عليه خلال فترة المساء بطولها لأمرُ وأنظرُ اليها مرةً واثنتين ومجدداً. وعندما سيمسك بي لارس وأنا أفعلُ ذلك، سيلف ذراعيه حولي من الخلف ويحتضنني بقوة، ناظراً إلى الصورة من فوق كتفي. في العاشرة مساءً، سننسحب، ونأوي بهدوء إلى الفراش، ونمارس الحب بشغف وانفتاح– ولكن ببطء، كالعادة، لأحمي قلبه. بعد ذلك، سأستريحُ إلى جانبه في الوقت الذي يُدلك فيه ظهري. وبعدها سأنام.

أعلمُ كل هذا. أنا واثقةٌ من ذلك ثقتي بأي أمرٍ أخر. أنا واثقةٌ من ذلك كثقتي بكل شيءٍ في ذاك العالم حين كنتُ كيتي. أعلم الآن، أن العالم الآخر، قد تلاشى. أنا هنا، حيثُ انتمى. أفتحُ باب السيارة، أنفخُ في كلتا قبضتي يدي لأدفئهما، وأُدلك وجنتيَّ. ثم أصعدُ الرصيف نحو المدرسة، وأتوقف على بعد بضعة أقدام عند المدخل المؤدي إلى المنزل. وانتظرُ احتضانَ أولادي.

مكتبة الرمحي أحمد

telegram @ktabpdf

مكتبة

بائعة الكتب

سينثيا سوانسن

حلمت ليلة أمس أنني كنت أمشي بتعثر خلف ويل هولووية وجيم نايت شيد الشابين البطلين لرواية برادبري، وهما يسيران قاصدان الكرنفال في المدينة الخضراء، وكنت أحاول أن أثنيهما عن مسعاهما، وأدعوهما للتروي والحذر، لكنهما تجاهلانني، ولا عجب في ذلك، فهما شابان في الثلاثين من عمرهما.

عندما استيقظت قال زوجي: «لا بد أنك أفرطتي بالنوم، أنت تعرفين من أنا أليس كذلك. أنا زوجك، وأنت في غرفة نومك في منزلنا». وجال بيده أمام ناظري مشيراً إلى الغرفة، وكأنه يسعى ليثبت لي صحة ما يقول. وسألني: «هل نسيت ابنتنا ميسي، وإن نسيت فسأذكرك أنها محمومة وبحاجة إلى أمها». عندها مدّ يده إليّ لأمسكها، فأبعدت يدي بطريقة غريزية». فقال متوسلاً من شدة المفاجأة: «كاثرين أرجوك».

عندها حاول مجدداً، وأمسك براحة يدي وفركها بين راحتي يده وقال حسناً: «سأقيس حرارة ميسي ريثما تستعدين وتلحقين بي».

عندها وقف وغادر الغرفة، فأغمضت عيني مجدداً، فظننت أن الحلم انتهى، ولكن عندما فتحتهما مجدداً، وجدت نفسي لا أزال في الغرفة الخضراء.

مكتبة | 279

ISBN: 978-614-01-2457-8
9 786140 124578

جميع كتبنا متوفرة على الإنترنت
في مكتبة نيل وفرات.كوم
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com